16-29 Surah Nahl to Ankabut Samarqandi

Tafsir Bahrul Uloom Nida Iman

تفسير سورة النحل الي العنكبوت بحرالعلوم

تفسير بحرالعلوم

ابوالليث السمرقندي

▲ سورة النحل

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة النحل

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3)}

قوله تعالى: {أتى أَمْرُ الله} أي يوم القيامة. ويقال: يعني: العذاب. كقوله: {حتى إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التنور قُلْنَا احمل فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثنين وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ القول وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ} [هود: 40] وقوله: {إِنَّمَا مَثَلُ الحياة الدنيا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السمآء فاختلط بِهِ نَبَاتُ الارض مِمَّا يَأْكُلُ الناس والانعام حتى إِذَآ أَخَذَتِ الارض زُخْرُفَهَا وازينت وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بالامس كذلك نُفَصِّلُ الآيات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [يونس: 24] أي: أتى أمر الله. يعني: يأتي. أي: هو قريب لأن ما هو آتٍ آتٍ. وهذا وعيد

لهم إنها كائنة. وقال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية {اقترب لِلنَّاسِ حسابهم وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ} [الأنبياء: 1] ثم نزلت بعدها {اقتربت الساعة وانشق القمر} [القمر: 1] قالوا: يا محمد تزعم أن الساعة قد اقتربت، ولا نرى من ذلك شيئاً فنزل {أتى أَمْرُ الله} أي: عذاب الله، فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً، لا يشك أن العذاب قد أتاهم، فقال لهم جبريل: {فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ} قال: فجلس النبي صلى الله عليه وسلم بعد قيامه، ثم قال: {سبحانه} نزّه نفسه عن الولد، والشريك. ويقال: ارتفع، وتعاظم عن صفة أهل الكفر. فقال عز وجل: {وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} به من الأوثان. قرأ حمزة، والكسائي {تُشْرِكُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون: بالياء بلفظ المغايبة، وكذلك ما بعده.

ثم قال: {يُنَزِّلُ الملائكة} أي: جبريل {بالروح} أي: بالوحي والنبوة والقرآن {مِنْ أَمْرِهِ} أي: بأمره. قال القتبي: {مِنْ} توضع موضع الباء كقوله: {لَهُ معقبات مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سواءا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد: 11] أي: بأمر الله. وقال ههنا: يلقي الروح {مِنْ أَمْرِهِ} أي: بأمره {على مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ} أي: يختار للنبوة والرسالة. وقال قتادة: ينزل الملائكة بالرحمة، والوحي {على مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ} يعني: من كان أهلاً لذلك. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {يُنَزِّلِ} بجزم النون من قولك أَنْزَلَ يُنْزِلُ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {تُنَزَّلَ} بالتاء، ونصب النون، والزاي

مع التشديد، على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون {يُنَزِّلِ} بالياء، وكسر الزاي مع التشديد، من قولك: نَزَّلَ يُنَزِّلُ.

ثم قال تعالى: {أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ} أي: خوفوا بالقرآن الكفار، وأعلموهم أن الله واحد لا شريك له. فذلك قوله: {لا إله إِلا أَنَاْ فاتقون} أي: أطيعون، ووحدون.

ثم قال: {خُلِقَ * السموات والارض بالحق} أي: للحق. ويقال: للزوال، والفناء. {تَعالَى} تنزه {عَمَّا يُشْرِكُونَ} به من الأوثان.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 9]

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9)}

ثم قال: {خَلَقَ الإنسان مِن نُّطْفَةٍ} يقول: من ماء الرجل {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} يقول: جدل بالباطل ظاهر الخصومة، وهو أبي بن خلف حيث أخذ عظماً بالياً فَفَتَّهُ بيده، وقال: عجباً لمحمد يزعم أنه يعيدنا بعد ما كنا عظاماً

ورفاتاً، وإنا نعاد خلقاً جديداً، فنزل {أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خلقناه مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} {صلى الله عليه وسلم [يس: 77] الآية.

ثم بيّن النعمة فقال تعالى: {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ} الدفء ما يستدفأ به من الأكسية وغيرها. والذي يتخذ منه البيوت من الشعر، والوبر، والصوف. وأما المنافع فظهورها التي تحمل عليها. وألبانها. ويقال: الدفء الصغار من الإبل.

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: {لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ} أي: في نسل كل دابة ثم قال: {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} أي: من لحومها. قوله: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ} أي: ولكم يا بني آدم في الأنعام، جمال حسن المنظر، {حِينَ تُرِيحُونَ} أي: حتى تروح الإبل راجعة إلى أهلها {وَحِينَ تَسْرَحُونَ} أي: تسرح إلى الرعي أول النهار {وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ} أي: أمتعتكم وزادكم {إلى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بالغيه إِلاَّ بِشِقِّ الانفس} إلا بجهد الأبدان. وروى سماك عن عكرمة قال: {بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بالغيه إِلاَّ بِشِقِّ الانفس} قال: هي مكة. ويقال: هذا الخطاب لأهل مكة، كانوا يخرجون إلى الشام، وإلى اليمن، ويحملون أثقالهم على الإبل.

ثم قال: {إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} إذ لم يعجلكم بالعقوبة. ثم قال: {والخيل والبغال والحمير لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً} أي: جمالاً، ومنظراً، وحسناً. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس، أنه سئل عن لحوم الخيل، فكرهه، وتلا هذه الآية {والخيل والبغال والحمير لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً} يعني: إنما خلق هذه الأصناف

الثلاثة للركوب والزينة، لا للأكل، وسائر الأنعام خلقت للركوب، والأكل، كما قال: {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} وبه كان يقول أبو حنيفة: إن لحم الخيل مكروه.

ثم قال: {وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} أي: خلق أشياء تعلمون، وخلق أشياء مما لا تعلمون. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الله خَلَقَ أَرْضاً بَيْضَاءَ مِثْلَ الدُّنْيَا ثَلاثِينَ مَرَّةً مَحْشُوَّةً خَلْقاً مِنْ خَلْقِ الله تَعَالَى، لاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الله تَعَالَى يُعْصَى طَرْفَةَ عَيْنٍ» قالوا: يا رسول الله أمن ولد آدم هم؟ قال: «مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الله خَلَقَ آدَمَ». قالوا: فأين إبليس منهم؟ قال: «مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الله خَلَقَ إِبْلِيسَ» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «{وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}» قوله: {وَعَلَى الله قَصْدُ السبيل} أي: بيان الهدى. ويقال: هداية الطريق {وَمِنْهَا جَائِرٌ} أي: من الطرق ما هو مائل عن طريق الهدى إلى طريق اليهودية، والنصرانية. وروى جويبر عن الضحاك أنه قال: {وَعَلَى الله قَصْدُ السبيل} يعني: بيان الهدى، {وَمِنْهَا جَائِرٌ} أي: سبيل الضلالة. وقال قتادة: في قراءة عبد الله بن مسعود {وَمِنْهَا جَائِرٌ} أي: مائل عن طريق الهدى {وَلَوْ شَآء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} أي: لو علم الله تعالى أن الخلق كلهم أهلاً للتوحيد لهداهم. ويقال: لو شاء الله لأنزل آية يضطر الخلق إلى الإيمان بها.

▲ تفسير الآيات رقم [10– 17]

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17)}

ثم قال: {هُوَ الذى أَنْزَلَ مِنَ السماء مَآء} أي: المطر {لَّكُم مَّنْهُ شَرَابٌ} وهو ما يستقر في الأرض من الغدران، وتشربون منه، وتسقون أنعامكم {وَمِنْهُ شَجَرٌ} أي: من الماء ما ينتشر في الأرض، فينبت منه الشجر، والنبات {فِيهِ تُسِيمُونَ} أي: ترعون أنعامكم.

قوله: {يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزرع والزيتون} أي: يخرج لكم بالمطر الزرع، والزيتون {والنخيل والاعناب} أي: الكروم {وَمِن كُلّ الثمرات} أي: من ألوان الثمرات قرأ عاصم في رواية أبي بكر: {الله لَكُمْ} بالنون. وقرأ الباقون بالياء، ومعناهما واحد.

ثم قال: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: فيما ذكر من نزول المطر، وخروج النبات لعبرة {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} في إنشائه. ثم قال: {وَسَخَّر لَكُمُ الشمس والقمر} أي ذلّل لكم الليل، والنهار لمعايشكم {والشمس والقمر} أي: خلق

الشمس والقمر {والنجوم مسخرات} بأمره أي: مذللات {بِأَمْرِهِ} أي: بإذنه {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ} أي: لعبرات {لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي: لمن له ذهن الإنسانية.

ثم قال عز وجل: {وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الارض} أي: وما خلق لكم في الأرض، من الدواب، والأشجار، والثمار {مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} أي في اختلاف ألوانها لعبرة {لِقَوْمٍ * يَتَذَكَّرُونَ} أي: يتعظون قرأ ابن عامر {والشمس والقمر والنجوم} كلها بالرفع على معنى الابتداء. وقرأ عاصم في رواية حفص {والشمس والقمر} بالنصب على معنى البناء. أي: سخر لكم الشمس والقمر. ثم ابتدأ فقال: {والنجوم} بالضم على معنى الابتداء. وقرأ الباقون الثلاثة كلها بالنصب، ويكون بمعنى المفعول.

ثم قال: {وَهُوَ الذى سَخَّرَ البحر} أي: ذلّل لكم البحر. ويقال: ذلّل لكم ما في البحر {لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ} أي: من البحر {لَحْمًا طَرِيًّا} أي: السمك الطري {وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ} يعني: من البحر {حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} يعني: لؤلؤاً تتزينون بها. يعني: زينة للنساء {وَتَرَى الفلك مَوَاخِرَ فِيهِ} أي: مقبلة، ومدبرة فيه. ويقال: تذهب، وتجيء بريح واحدة. وقال عكرمة: يعني: السفينة حين تشق الماء يقال: مخرت السفينة إذا جرت، لأنها إذا جرت تشق الماء {وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} أي: لكي تطلبوا من رزقه، حين تركبون السفينة للتجارة {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي: لكي تشكروا الله فيما صنع لكم من النعمة.

ثم قال: {وألقى فِى الارض رَوَاسِيَ} يعني: الجبال الثوابت {أَن تَمِيدَ بِكُمْ} يعني: لكيلا تميد بكم، وقد يحذف لا ويراد إثباته، كما قال هاهنا: {أَن تَمِيدَ

بِكُمْ} أي لا تميل بأهلها. وروى معمر عن قتادة أنه قال لما خلقت الأرض كادت تميد فقالت الملائكة ما هذه بمقرة على ظهرها أحداً فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقال القتبي الميد الحركة والميل ويقال {أَن تَمِيدَ} أي كراهة أن تميد بكم {وأنهارا} أي: وجعل لكم أنهاراً {وَسُبُلاً} أي: طرقاً {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} أي: تعرفون بها الطرق {وعلامات} أي: جعل في الأرض علامات من الجبال، وغيرها تهتدون به الطرق في حال السفر.

{وبالنجم هُمْ يَهْتَدُونَ} أي: بالجدي، والفرقدين، تعرفون بها الطرق في البر والبحر. وروى عبد الرزاق عن معمر في قوله: {وعلامات} قال: قال الكلبي: الجبال. وقال قتادة: النجوم. وروى سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله: {وعلامات وبالنجم هُمْ يَهْتَدُونَ} قال: منها ما يكون علامة، ومنها ما يهتدى به. وقال عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تهتدون به، في طرقكم، وقبلتكم، ثم كفوا، وتعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم. وقال السدي: {وعلامات} أي: الجبال بالنهار يهتدون بها الطرق، والنجوم بالليل.

ثم قال: {أَفَمَن يَخْلُقُ} يعني: هذه الأشياء التي وصفت لكم {كَمَن لاَّ يَخْلُقُ} أي: لا يقدر أن يخلق شيئاً وهم الأصنام. {أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} أي: أفلا تتعظون في صنعه، فتوحّدوه وتعبدوه، ولا تعبدوا غيره.

▲ تفسير الآيات رقم [18– 23]

{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23)}

ثم قال تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا} أي: لا تطيقوا إحصاءها. فكيف تقدرون على أداء شكرها {إِنَّ الله لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} لمن تاب ورجع. ثم قال: {والله يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ} في قلوبكم {وَمَا تُعْلِنُونَ} بالقول. ويقال: ما تخفون من أعمالكم {وَمَا تُعْلِنُونَ} أي: تظهرون منها، فالسر والعلانية عنده سواء.

ثم قال: {والذين يَدْعُونَ مِن دُونِ الله} أي: يعبدون من دون الله من الأوثان {لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا} أي: لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً {وَهُمْ يُخْلَقُونَ} أي: ينحتون من الأحجار، والخشب، وغيره. ثم قال تعالى: {أموات غَيْرُ أَحْيَاء} قال في رواية الكلبي: يعني: أن الأصنام أموات ليس فيها روح {وَمَا يَشْعُرُونَ} يعني: الأصنام {أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} أي: متى يحيون فيحاسبون ويقال {أَمْوَاتٌ} يعني: أن الكفار غير أحياء. يعني: كأنهم أموات لا يعقلون شيئاً وما يشعرون أيَّان يبعثون غيره {فالذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} يعني: الذين لا يصدقون بالبعث {قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ} أي جاحدة للتوحيد ويقال قلوبهم خبيثة لا تدخل المعرفة فيها {وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ} أي متعظمون عن الإيمان ثم قال عز

وجل {لاَ جَرَمَ} أي: حقاً. ويقال: نعم. وذكر عن الفراء أنه قال {لاَ جَرَمَ} بمنزلة لا بد ولا محالة.

ثم كثرت في الكلام، حتى صارت بمنزلة حقاً {أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} أي: ما يكتمون، وما يظهرون من الكفر، والمكر في أمر محمد صلى الله عليه وسلم {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المستكبرين} أي: المتعظمين عن الإيمان. ويقال: لا يحب المتكبرين الذين يتكبرون على الناس. قال الفقيه: حدّثنا محمد بن الفضل. قال: حدّثنا محمد بن جعفر. قال: حدّثنا إبراهيم بن يوسف. قال: حدّثنا الفضل بن دكين، عن مسعر بن كدام، عن أبي مصعب، عن أبيه، عن أبي بن كعب قال: سيأتي المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم، ويأتيهم الذل من كل مكان.

▲ تفسير الآيات رقم [24- 25]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (25)}

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} يعني: الخراصين من أهل مكة. وروى أسباط عن السدي قال: اجتمعت قريش، فقالوا: إن محمداً رجل حلو اللسان، إذا كلمه رجل ذهب بعقله. وفي رواية أخرى: بقلبه. فانظروا أناساً من أشرافكم، فابعثوهم في كل طريق من طرق مكة على رأس ليلة أو ليلتين. فمن جاء

يريده ردّوه عنه. فخرج ناس منهم في كل طريق، فكان إذا جاء الرجل من وفد القوم، ينظر ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم. فنزل بهم، فقالوا له: أنا فلان بن فلان، فيعرفه بنسبه. ثم قال: أنا أخبرك ثم قال: أنا أخبرك. عن محمد، فلا تنفر إليه هو رجل كذاب لم يتبعه إلا السفهاء والعبيد، ومن لا خير فيه، أما أشياخ قومه، وأخيارهم، فهم مفارقوه. فيرجعون أي: الوافدون. وإذا كان الوافد ممن عزم الله له على الرشد يقول: بئس الوافد أنا لقومي. إن كنت جئت حتى إذا بلغت مسيرة يوم، رجعت قبل أن ألقى هذا الرجل، وأنظر ماذا يقول. فيدخل مكة، فيلقى المؤمنين، فيسألهم: ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتقوا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هذه الدنيا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الاخرة خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ المتقين} [النحل: 30] فذلك قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} للمقتسمين من أهل مكة {مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ} يعني: ما الذي أنزل ربكم على محمد صلى الله عليه وسلم، {قَالُواْ أساطير الاولين} يعني: الذين يذكرون أنه منزل، هو كذب الأولين، وأحاديثهم.

قال الله تعالى: {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ} أي: آثامهم {كَامِلَةً} أي: وافرة {يَوْمُ القيامة} أي: لا يغفر لهم شيء. وذنوب المؤمنين تكفر عنهم من الصلاة إلى الصلاة، ومن رمضان إلى رمضان، ومن الحج إلى الحج، وتكفر بالشدائد، والمصائب. وذنوب الكفار لا تغفر لهم، ويحملونها كاملة يوم القيامة. أي: يحملون وبال الذنوب التي عملوا بأنفسهم {وَمِنْ أَوْزَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ} أي: يصدُّونهم عن الإيمان {بِغَيْرِ عِلْمٍ} أي: بغير عذر، وحجة، وبرهان. ويقال:

{مِنْ * أَوْزَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ} أي: أوزار إضلالهم. وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سنّ سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة». ثم قال: {أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ} أي: بئس ما يحملون من الذنوب. ويقال: بئس الزاد زادهم الذنوب.

▲ تفسير الآيات رقم [26- 28]

{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28)}

ثم قال تعالى: {قَدْ مَكَرَ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ} أي: قد صنع الذين من قبلهم مثل المقتسمين، فأبطل الله كيدهم {فَأَتَى الله بنيانهم مّنَ القواعد} أي: قلع بنيانهم من أساس البيت {فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السقف مِن فَوْقِهِمْ} أي: سقف البيت، قال الكلبي: وهو نمروذ بن كنعان، بنى صرحاً طوله في السّماء خمسة آلاف ذراع وخمسون ذراعاً، وكان عرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسون ذراعاً، فهدم الله بنيانه، وخرّ عليهم السقف من فوقهم، فأهلكهم الله. وقال القتبي: هذا مثل. أي: أهلك من قبلهم من الكفار، كما أهلك من هدم مسكنه من أسفله، فخرّ عليه. ويقال: هدم بنيان مكرهم من الأصل، فخرّ عليهم السقف. أي: رجع وبال مكرهم إليهم، كقوله تعالى: {استكبارا فِى الارض وَمَكْرَ السيئ وَلاَ

يَحِيقُ المكر السيئ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ آلأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَحْوِيلاً} [فاطر: 43] {وأتاهم العذاب مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} أي: لا يعلمون.

قوله: {ثُمَّ يَوْمَ القيامة يُخْزِيهِمْ} أي: يعذبهم، وما أصابهم في الدنيا، لم يكن كفارة لذنوبهم. {وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الذين كُنتُمْ تشاقون فِيهِمْ} أي: تعادونني، وتخالفونني فيهم، يعني: بسببهم وعبادتهم قرأ نافع {تشاقون} بكسر النون على معنى الإضافة. والباقون: بنصب النون لأنها نون الجماعة. {قَالَ الذين أُوتُواْ العلم} أي: الملائكة. ويقال: يعني: المؤمنين {إِنَّ الخزى اليوم} أي: العقاب {والسوء} أي: الشدة من العذاب {عَلَى الكافرين}.

قوله تعالى: {الذين تتوفاهم الملائكة} أي: يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه {ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ} أي: الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله تعالى {فَأَلْقَوُاْ السلم} أي: انقادوا، واستسلموا حين رأوا العذاب. قالوا: {مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءِ} أي: ما كنا نشرك بالله. وقال الكلبي: هم قوم خرجوا مع المشركين يوم بدر، قد تكلموا بالإيمان، فلما رأوا قلة المؤمنين، رجعوا إلى الشرك فقتلوا. ويقال: جميع المشركين. قال الله تعالى: {بلى} أشركتم بالله {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} من الشرك.

▲ تفسير الآيات رقم [29- 33]

{فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (29) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33)}

قوله: {فادخلوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ} أي: يقول لهم خزنة جهنم، ادخلوا أبواب جهنم {خالدين فِيهَا} أي: مقيمين فيها أبداً {فَلَبِئْسَ مَثْوَى المتكبرين} يعني: لبئس مأوى المتكبرين عن الإيمان. ثم نزل في المؤمنين الذين يدعون الناس إلى الإيمان، وذلك أن أهل مكة، لما بعثوا إلى أعقاب مكة رجالاً، ليصدوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً من أصحابه، إلى أعقاب مكة. فكان الوافد إذا قدم إليهم، قالوا له: إن هؤلاء المشركين كذبوا، بل محمد صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الحق، ويأمر بصلة الرحم، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الخير.

قوله تعالى: {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتقوا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا} أي: يدعو إلى الخير {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هذه الدنيا حَسَنَةٌ} أي: للذين وحّدوا في هذه الدنيا، لهم الحسنة في الآخرة أي: الجنة {وَلَدَارُ الاخرة} يعني: الجنة {خَيْرٌ} أي:

أفضل من الدنيا {وَلَنِعْمَ دَارُ المتقين} يعني: المطيعين. قال مقاتل في قوله: {قَالُواْ خَيْرًا} أي: قالوا للوافد إنه يأمر بالخير، وينهى عن الشر {قَالُواْ خَيْرًا} ثم قطع الكلام.

يقول الله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ} أي: أحسنوا العمل في هذه الدنيا، لهم حسنة في الآخرة أي: في الجنة {وَلَدَارُ الاخرة} خير يعني: الجنة أفضل من ثواب المشركين الذين يحملون أوزارهم. ويقال: هذه كلها حكاية كلام المؤمنين، إلى قوله: {المتقين} قرأ عاصم في رواية أبي بكر: {تُسِرُّونَ} بالتاء على معنى المخاطبة. {سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ} بالياء على معنى المغايبة. وروي عن حفص: الثلاث كلها بالياء على معنى المغايبة. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة.

ثم وصف دار المتقين فقال: {جنات عَدْنٍ} يعني: الدار التي هي للمتقين جنات عدن {يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءونَ} أي: يحبون، ويتمنون {كَذَلِكَ يَجْزِى الله المتقين} أي: هكذا يثبت الله المتقين الشرك.

قوله: {الذين تتوفاهم الملائكة} أي: ملك الموت {طَيِّبِينَ} يقول: زاكين، طاهرين من الشرك، والذنوب، {يَقُولُونَ} أي: يقول لهم خزنة الجنة في الآخرة {سلام عَلَيْكُمُ ادخلوا الجنة بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} في الدنيا. ويقال: هذا مقدم ومؤخر. أي: جنات عدن يدخلونها.

ثم قال: {الذين تتوفاهم الملائكة} قرأ حمزة: {الذين} بالياء بلفظ التذكير. والباقون: بالتاء بلفظ التأنيث، لأن الفعل إذا كان قبل الاسم جاز التذكير والتأنيث. قوله: {أَلِيمٍ هَلْ يَنظُرُونَ} يقول: ما ينظرون وهم أهل مكة {إِلا أَن تَأْتِيهُمُ الملائكة} أي: ملك الموت يقبض أرواحهم {أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبّكَ} أي: عذاب ربك يوم بدر، ويقال: يوم القيامة {كَذَلِكَ فَعَلَ} أي: كذلك كذب {الذين مِن قَبْلِهِمْ} رسلهم، كما كذبك قومك، فأهلكهم الله تعالى {وَمَا ظَلَمَهُمُ الله} يعني: بإهلاكه إياهم {ولكن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بتكذيبهم رسلهم. قرأ حمزة والكسائي: إلا أن يأتيهم بالياء بلفظ التذكير، والباقون بلفظ التأنيث، لأن الفعل مقدم.

▲ تفسير الآيات رقم [34– 39]

{فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (34) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36) إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (37) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ (38) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (39)}

{فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ} أي: جزاء ما عملوا {وَحَاقَ بِهِم} أي: نزل بهم {مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} من العذاب أنه غير نازل بهم. قوله: {وَقَالَ الذين أَشْرَكُواْ} أي: أهل مكة {لَوْ شَآءَ الله مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَئٍ} قالوا ذلك على وجه الاستهزاء. يعني: إن الله قد شاء لنا ذلك الذي {نَحْنُ} فيه {وَلاَ ءَابَاؤُنَا} ولكن شاء لنا ولآبائنا {وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَئٍ} ولا آباؤنا، ولكن شاء لنا من تحريم البحيرة، والسائبة، وأمرنا به. ولو لم يشأ، ما حرمنا من دونه من شيء.

قال الله تعالى: {كَذَلِكَ فَعَلَ الذين مِن قَبْلِهِمْ} يقول: هكذا كذب الذين من قبلهم من الأمم {فَهَلْ عَلَى الرسل إِلاَّ البلاغ} أي: ليس عليهم إلا تبليغ الرسالة {المبين} أي: بينّوا لهم ما أمروا به. قوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلّ أُمَّةٍ} أي: في كل جماعة {رَسُولاً} كما بعثناك إلى أهل مكة {أَنِ اعبدوا الله} أي: وحدوا الله، وأطيعوه {واجتنبوا الطاغوت} أي: اتركوا عبادة الطاغوت، وهو الشيطان، والكاهن، والصنم، {فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى الله} لدينه، وهم الذين أجابوا الرسل للإيمان {وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ} يعني: وجبت {عَلَيْهِ الضلالة} فلم يجب الرسل إلى الإيمان {فَسِيرُواْ فِى الارض} يقول سافروا في الأرض {فانظروا كَيْفَ كَانَ عاقبة المكذبين} يقول: اعتبروا كيف كان آخر أمر المكذبين.
فلما نزلت هذه الآية، قرأها صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يؤمنوا، فنزل

قوله: {إِن تَحْرِصْ على هُدَاهُمْ} يعني: على إيمانهم {فَإِنَّ الله لاَ يَهْدِى مَن يُضِلُّ} يقول: من يضلل الله، وعلم أنه أهل لذلك، وقدر عليه ذلك. قال مقاتل: {مَن يُضْلِلِ الله فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِى طغيانهم يَعْمَهُونَ} [الأعراف: 186] قرأ أهل الكوفة، حمزة، وعاصم، والكسائي، {لاَّ يَهِدِّى} بنصب الياء، وكسر الدال، أي لا يهدي من يضلله الله. وقرأ الباقون: {لاَّ يَهِدِّى} بضم الياء، ونصب الدال، على معنى فعل ما لم يسم فاعله، ولم يختلفوا في {يُضِلَّ} أنه بضم الياء، وكسر الضاد. وقال إبراهيم بن الحكم: سألت أبي عن قوله تعالى: {فَإِنَّ الله لاَ يَهْدِى مَن يُضِلُّ} فقال: قال عكرمة. قال ابن عباس: من يضلله الله لا يهدى {وَمَا لَهُم مّن ناصرين} أي: من مانعين من نزول العذاب.

قوله: {وَأَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} وكل ما حلف بالله، فهو جهد اليمين لأنهم كانوا يحلفون بالأصنام بآبائهم، ويسمون اليمين بالله جهد باليمين، وكانوا ينكرون البعث بعد الموت، وحلفوا بالله حين قالوا: {لاَ يَبْعَثُ الله مَن يَمُوتُ} فكذبهم الله تعالى في مقالتهم، فقال: {بلى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا} أوجبه على نفسه ليبعثهم بعد الموت.

{ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} أي: لا يصدقون بالبعث بعد الموت.

قوله: {لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الذى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ} من الدين يوم القيامة يعني: يبعثهم، ليبين لهم أن ما وعدهم حقّ {وَلِيَعْلَمَ الذين كَفَرُواْ} يعني: ليستبين لهم عندما خرجوا من قبورهم {أَنَّهُمْ كَانُواْ كاذبين} في الدنيا.

▲ تفسير الآيات رقم [40- 47]

{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44) أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (45) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (46) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (47)}

قوله: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ} يعني: إن بعثهم على الله يسير {إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة: {فَيَكُونُ} بضم النون. وقرأ الباقون: بالنصب.

قوله: {والذين هاجروا فِى الله} أي: هاجروا من مكة إلى المدينة في طاعة الله {مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ} أي: عذبوا {لَنُبَوّئَنَّهُمْ فِى الدنيا حَسَنَةً} أي: لننزلنهم بالمدينة، ولنعطينهم الغنيمة فهذا الثواب في الدنيا {وَلاَجْرُ الاخرة} أي: الجنة {أَكْبَرَ} أي: أفضل {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} أي: يصدقون بالثواب.

ثم نعتهم فقال: {الذين صَبَرُواْ} على العذاب {وعلى رَبّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي: يثقون به، ولا يثقون بغيره، منهم بلال بن حمامة، وعمار بن ياسر،

وصهيب بن سنان، وخباب بن الأرت؛ قال مقاتل: نزلت الآية في هؤلاء الأربعة. عذبوا على الإيمان بمكة. وقال في رواية الكلبي: نزلت في ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسرهم أهل مكة، وذكر هؤلاء الأربعة، واثنين آخرين، عابس وجبير مولى لقريش. فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الإسلام. فأما صهيب فابتاع نفسه بماله، ورجع إلى المدينة وأما سائر أصحابه، فقالوا بعض ما أرادوا ثم هاجروا إلى المدينة بعد ذلك.

ثم قال قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ} كما أوحي إليك، وذلك أن مشركي قريش لما بلغهم النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة، ودعاهم إلى عبادة الله تعالى، أنكروا ذلك، وقالوا: لن يبعث الله رجلاً إلينا، ولو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً، لبعث إلينا من الملائكة الذين عنده، فنزل {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ} إلى الأمم الماضية {إِلاَّ رِجَالاً} مثلك {نُّوحِى إِلَيْهِمْ} كما نوحي إليك قرأ عاصم في رواية حفص {نُوحِى} بالنون وقرأ الباقون: بالياء.

ثم قال: {فاسألوا أَهْلَ الذكر} أي: أهل التوراة والإنجيل {إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ * بالبينات والزبر} وفي الآية تقديم وتأخير. أي: وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم بالبينات، والزبر. وروى أسباط عن السدي قال: البينات: الحلال، والحرام. والزبر: كتب الأنبياء. وقال الكلبي: البينات أي: بالآيات الحلال، والحرام، والأمر، والنهي، ما كانوا يأتون به قومهم منها، وهو كتاب

النبوة. ويقال: البينات التي كانت تأتي بها الأنبياء، مثل عصا موسى وناقة صالح. وقال مقاتل: {والزبر} يعني: حديث الكتب.

ثم قال: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذكر} يعني: القرآن {لِتُبَيّنَ لِلنَّاسِ} لتقرأ للناس {مَا نُزّلَ إِلَيْهِمْ} أي: ما أمروا به في الكتاب {وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} يتفكروا فيه، ليؤمنوا به.

ثم خوّفهم فقال: {أَفَأَمِنَ الذين مَكَرُواْ السيئات} أي: أشركوا بالله {أَن يَخْسِفَ الله بِهِمُ الارض} يعني: أن تغور الأرض بهم، حتى يدخلوا فيها إلى الأرض السفلى {أَوْ يَأْتِيَهُمُ العذاب مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} أي: من حيث لا يعلمون بهلاكهم.

قوله: {أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ} أي: في ذهابهم، ومجيئهم في تجارتهم {فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ} أي: بفائتين {أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ} أي: على تنقص. ويقال: يأخذ قرية بالعذاب، ويترك أخرى قريبةً منها، فيخوفها بمثل ذلك. وهذا قول مقاتل: وروي عن بعض التابعين أن عمر سأل جلساءه عن قوله: {أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ} فقالوا: ما نرى إلا عند بعض ما يرون من الآيات يخوفهم، فقال عمر: ما أراه إلاَّ عندما يتنقصون من معاصي الله، فخرج رجل فلقي أعرابياً، فقال: يا فلان ما فعل دينك؟ قال: تخيلته أي: تنقصته. فرجع إليه فأخبره بذلك. ثم قال تعالى: {فَإِنَّ رَبَّكُمْ * لَرَءوفٌ رَّحِيمٌ} أي: لا يعجل عليهم بالعقوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [48- 56]

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (48) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50) وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (51) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (52) وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (55) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (56)}

قوله: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ} قرأ حمزة والكسائي {أَوَلَمْ *** تَرَوْاْ} بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ الباقون: بالياء على معنى المغايبة يعني: أولم يعتبروا {إِلى مَا خَلَقَ الله مِن شَئٍ} عند طلوع الشمس وعند غروبها {يَتَفَيَّأُ ظلاله} يعني: يدور ظله {عَنِ اليمين والشمآئل} قال القتبي: أصل الفيء الرجوع. وتفيؤ الظلال: رجوعها من جانب إلى جانب {سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ داخرون} أي: صاغرون، وهم مطيعون. وأصل السجود التطأطؤ، والميل. يقال: سجد البعير إذا تطأطأ، وسجدت النخلة إذا مالت. ثم قد يستعار السجود، ويوضع موضع الاستسلام، والطاعة، ودوران الظل، من جانب إلى جانب. هو سجوده لأنه مستسلم، منقاد، مطيع. فذلك قوله: {سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ داخرون} قرأ

أبو عمرو: {***تَتَفَيَّأُ} بالتاء بلفظ التأنيث، والباقون: بالياء، لأن تأنيثه ليس بحقيقي، ولأن الفعل مقدم، فيجوز التذكير والتأنيث.

ثم قال تعالى: {داخرون وَلِلَّهِ يَسْجُدُ} أي: يستسلم {مَا فِي السموات} من الملائكة، والشمس، والقمر، والنجوم، {وَمَا فِى الارض مِن دَآبَّةٍ} يعني: يسجد لله جميع ما في الأرض من دابة {والملئكة} يعني: وما على الأرض من الملائكة. ويقال: فيه تقديم وتأخير، ومعناه: ما في السموات من الملائكة، وما في الأرض من دابة. ويقال: معناه يسجد له جميع ما في السموات، وما في الأرض، من دابة والملائكة. يعني: الدواب، والملائكة، والذين هم في السموات والأرض.

ثم قال: {وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} أي: لا يتعظمون عن السجود لله تعالى {يخافون رَبَّهُمْ مّن فَوْقِهِمْ} أي: يخافون الله تعالى. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّ لله تَعَالَى مَلائِكَةً فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ سُجّداً مُذْ خَلَقَهُمُ الله تَعَالَى إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ مَخَافَةِ الله تَعَالَى، فَإِذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَقَالُوا: ما عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {يخافون رَبَّهُمْ مّن فَوْقِهِمْ}» أي: يخافون خوفاً، معظمين، مبجلين. ويقال: خوفم بالقهر، والغلبة، والسلطان. ويقال: معناه يخافون ربهم الذي على العرش، كما وصف نفسه بعلوه، وقدرته، والطريق الأول أوضح كقوله: {إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ على نَفْسِهِ وَمَنْ أوفى بِمَا عاهد عَلَيْهِ الله فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} [الفتح: 10]

أي: لا يعصون الله تعالى طرفة عين. قرأ أبو عمرو: {***يتفيؤا} بالتاء بلفظ التأنيث. وقرأ الباقون: بالياء لأن تأنيثه مقدم فيجوز أن يذكر ويؤنث.

قوله: {يُؤْمَرُونَ وَقَالَ الله لاَ تَتَّخِذُواْ إلهين اثنين} أي: لا تقولوا، ولا تصفوا إلهين اثنين، أي: نفسه، والأصنام. ويقال: نزلت الآية في صنف من المجوس، إنهم وصفوا إلهين اثنين.

قال الله تعالى: {إِنَّمَا هُوَ إله وَاحِدٌ فإياي فارهبون} أي: فاخشوني، ووحدوني، وأطيعوني، ولا تعبدوا غيري {وَلَهُ مَا فِى *** السموات} من الملائكة {والارض} من الخلق، الجن، والإنس، كلهم عبيده وإماؤه {وَلَهُ الدين وَاصِبًا} أي: دائماً، خالصاً.

ويقال: الألوهية. والربوبية له خالصاً. ويقال: دينه واجب أبداً لا يجوز لأحد أن يميل عنه. ويقال: معناه: وله الدين والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به أو لم يرض، والوصب في اللغة: الشدة والتعب.

ثم قال: {أَفَغَيْرَ الله تَتَّقُونَ} أي: تعبدون غيره {وَمَا بِكُم مّن نّعْمَةٍ فَمِنَ الله} يعني: إن الذي بكم من الغنى، وصحة الجسم، من قبل الله تعالى {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضر} يعني: الفقر، والبلاء في جسدكم. {وَمَا بِكُم} يعني: إليه تتضرعون ليكشف الضر عنكم، كما قال في سورة الدخان {رَّبَّنَا اكشف عَنَّا العذاب إِنَّا مْؤْمِنُونَ} [الدخان: 12] {ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضر عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مّنْكُم} يعني: الكفار {بِرَبّهِمْ يُشْرِكُونَ} أي: يعبدون غيره.

قوله: {لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءاتيناهم} أي: يجحدوا بما أعطيناهم من النعمة {فَتَمَتَّعُواْ} اللفظ لفظ الأمر والمراد به التهديد، كقوله: {إِنَّ الذين يُلْحِدُونَ فى ءاياتنا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يلقى فِى النار خَيْرٌ أَم مَّن يأتى ءَامِناً يَوْمَ القيامة اعملوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت: 40] يعني: تمتعوا بقية آجالكم {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} أي: تعرفون في الآخرة ماذا نفعل بكم.

قوله: {وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا} أي: يجعلون لآلهتهم نصيباً من الحرث والأنعام، كقوله: {وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحرث والانعام نَصِيباً فَقَالُواْ هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وهذا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى الله وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إلى شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الأنعام: 136] وقوله: {وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمّا رزقناهم تالله لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ} [النحل: 56]

قال بعضهم: يعني: الكفار جعلوا لأصنامهم نصيباً، ولا يعلمون منهم ضراً ولا نفعاً.

وبعضهم قال: معناه يجعلون للأصنام الذين لا يعلمون شيئاً نصيباً، أي: حظاً

{مِّمّا رزقناهم} من الحرث والأنعام. قال تعالى: {تالله لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ} أي: تكذبون على الله، لأنهم كانوا يقولون إنَّ الله أمرنا بهذا.

▲ تفسير الآيات رقم [57- 62]

{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (60) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62)}

قوله: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البنات} يعني: يصفون لله،

ويقولون: الملائكة بنات الله {سبحانه} أي: تنزيهاً له عن الولد {وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ} يعني: الأولاد الذكور. أي: يصفون لغيرهم البنات، ولأنفسهم الذكور.

ثم وصف كراهتهم البنات لأنفسهم فقال: {وَإِذَا بُشّرَ أَحَدُهُمْ بالانثى} يقول: إذا بشر أحد الكفار بالأنثى {ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّا} أي: صار وجهه متغيراً من الحزن، والخجل، {وَهُوَ كَظِيمٌ} يعني: مكروباً، مغموماً من الحزن، يتردد حزنه في جوفه.

قوله: {يتوارى مِنَ القوم مِن سُوءِ} يعني: يكتم ما به من القوم. ويقال: يستر وجهه من القوم، ويختفي من سوء {مَا بُشّرَ بِهِ} أي: ما ظهر على وجهه من الكراهية، ويدبر في نفسه كيف أصنع بها {أَيُمْسِكُهُ على هُونٍ} أي: الأنثى التي ولدت له على هوان يعني: أيحفظه على هوان {أَمْ يَدُسُّهُ فِى} أي: يدقه {التراب أَلاَ سَآء مَا يَحْكُمُونَ} أي: بئسما يفضون به، لأنفسهم الذكور، وله الإناث.

ثم قال: {لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} أي: المشركين {مَثَلُ السوءِ} أي: جزاء السوء النار في الآخرة. ويقال: يعني: عاقبة السوء. ويقال: لآلهتهم صفة السوء صم، بكم، عمي. {وَللَّهِ المثل الاعلى} أي: الصفة العليا، وهي شهادة أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له {فَاطِرُ السماوات والارض جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أزواجا وَمِنَ الانعام أزواجا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئ وَهُوَ السميع البصير} [الشورى: 11] {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: 4/3] فهذه الصفة العليا {وَهُوَ العزيز} في ملكه، {الحكيم} في أمره، أَمَرَ الخلق أن لا يعبدوا غيره.

قوله: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله الناس بِظُلْمِهِمْ} أي: بشركهم ومعصيتهم، {مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ} أي: لم يترك على ظهر الأرض من دابة، ودل الإضمار على الأرض، لأن الدواب إنما هي على الأرض. يقول: أنا قادر على ذلك. {ولكن يُؤَخِرُهُمْ إلى أَجَلٍ مسمى} أي: إلى وقت معلوم، ويقال: {مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ} لأنه لو أخذهم بذنوبهم، لمنع المطر. وإذا منع المطر، لم

يبق في الأرض دابة إلا أهلكت، ولكن يؤخر العذاب إلى أجلٍ مسمًّى.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لو عذب الله الخلائق بذنوب بني آدم، لأصاب العذاب جميع الخلائق، حتى الْجُعْلاَن في جحرها، ولأمسكت السماء عن الأمطار، ولكن يؤخرهم بالفضل والعفو.

ثم قال: {فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ} أي: أجل العذاب

{لاَ يَسْتَأْخِرُونَ} أي: لا يتأخرون عن الوقت

{سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} أي: لا يتقدمون قبل الوقت.

ثم قال: {وَيَجْعَلُونَ} أي: يصفون ويقولون

{لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ} لأنفسهم، وهو البنات

{وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكذب} أي: يقولون الكذب

{أَنَّ لَهُمُ الحسنى} أي: الذكور من الولد.

ويقال: الجنة أي: يصفون لأنفهسم مع أعمالهم القبيحة أن لهم في الآخرة الجنة.

ثم قال: {لاَ جَرَمَ} يعني: حقاً ويقال: لا بد، ولا محالة

{أَنَّ لَهُمُ النار} وهو كقوله: {أَمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات أَن نَّجْعَلَهُمْ كالذين ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات سَوَآءً محياهم ومماتهم سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: 21]

{وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ}

قرأ نافع: بكسر الراء. يعني: أفرطوا في القول، وأفرطوا في المعصية.

وقرأ الباقون: {مُّفْرَطُونَ} بفتح الراء أي: متروكون في النار.

ويقال: منسيون في النار، وهو قول سعيد بن جبير.

وقال قتادة: أي معلجون في النار. ويقال: الفارط في اللغة الذي يتقدم إلى الماء، وهذا قول يوافق قول قتادة.

▲ تفسير الآيات رقم [63- 67]

{تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(64) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

(65) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66)

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67)}

ثم قال: {تالله} يقول والله

{لَقَدْ أَرْسَلْنَآ} أي: بعثنا {إلى أُمَمٍ مّن قَبْلِكَ} أي: بعثنا إلى أمم من قبلك الرسل، كما أرسلناك إلى قومك

{فَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطن أَعْمَالَهُمْ} أي: ضلالهم حتى أطاعوا الشيطان، وكذبوا الرسل

{فَهُوَ وَلِيُّهُمُ اليوم} أي: قرينهم في النار

{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فهذا تهديد لكفار مكة أنه يصيبهم مثل ما أصابهم، وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذاهم.

ثم قال تعالى: {وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب} أي: القرآن

{إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الذى اختلفوا فِيهِ} من الدين، لأنهم كانوا في طرق مختلفة، اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وغيرهم. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يبيّن لهم طريق الهدى.

ثم قال: {وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} أي: أنزلنا القرآن بياناً من الضلالة، ونعمة من العذاب لمن آمن به {لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} بالقرآن.

قوله: {والله أَنزَلَ مِنَ السماء مَآء} أي: المطر {فَأَحْيَا بِهِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا} أي: بعد يبسها

{إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} أي: في إحيائها لعلامة لوحدانيته، إذ علموا أن معبودهم لا يستطيع شيئاً

{لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} أي: يطيعون، ويصدقون، ويعتبرون، ويبصرون.

قوله: {وَإِنَّ لَكُمْ فِى الانعام لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِى بُطُونِهِ}

قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، في رواية أبي بكر: {نُّسْقِيكُمْ} بنصب النون،

وقرأ الباقون: بضم النون. ومعناهما قريب.

يقال: سقيته وأسقيته بمعنى واحد

{مِّمَّا فِى بُطُونِهِ} ولم يقل: مما في بطونها. والأنعام جماعة مؤنثة. وفي هذا قولان: إن شئت رددت إلى واحد من الأنعام، وواحدها نعم، والنعم تذكر، وتؤنث، كقوله: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذلك فَهِىَ كالحجارة أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الحجارة لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأنهار وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المآء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 74] أي: من الحجر. وإن شئت قلت على تأويل آخر {نُّسْقِيكُمْ} وهو {مِّمَّا فِى بُطُونِهِ} أي: بطون ما ذكرنا.

وهذا مثل قوله: {وَهُوَ الذى أَنشَأَ جنات معروشات وَغَيْرَ معروشات والنخل والزرع مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ والزيتون والرمان متشابها وَغَيْرَ متشابه كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تسرفوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المسرفين} [الأنعام: 141]

وقال: {ياأيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر والميسر والانصاب والازلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنبوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 90] ولم يقل فاجتنبوها. أي: فاجتنبوا ما ذكرنا.

ثم قال تعالى: {مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ} يعني: يخرج اللبن من بين الفرث والدم. قال ابن عباس، في رواية أبي صالح: إن الدابة تأكل العلف، فإذا استقر في كرشها، طحنته الكبد فكان أسفله فرث، وأوسطه لبن، وأعلاه دم الكبد مسلط على هذه الأصناف الثلاثة.

فيقسم الدم، فيجري في العروق، ويجري اللبن في الضرع، ويبقى الفرث كما هو في الكرش. وقال بعضهم: إذا استقر العلف في الكرش، صار دماً بحرارة الكبد، ثم ينصرف الدم في العروق، فمقدار ما ينتهي إلى الضرع صار لبناً، لبرودة الضرع، بدليل أنَّ الضرع إذا كانت فيه آفة، يخرج منه الدم مكان اللبن.

ثم قال: {لَّبَنًا خَالِصًا} صار اللبن نصباً على معنى التفسير {سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ} أي: سهلاً في الشرب لا يغص به شاربه. ويقال: يشتهي شاربه (إليه).

ثم قال تعالى: {وَمِن ثمرات النخيل والاعناب تَتَّخِذُونَ مِنْهُ} أي: من التمر. ويقال: {مِنْهُ} كناية عن الأول، وهو قوله {وَمِن ثمرات النخيل والاعناب تَتَّخِذُونَ} من ذلك {سَكَرًا} والسكر هو نقيع التمر، إذا غلى واشتد قبل أن يطبخ. ويقال سكراً أي: خمراً. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية وهي يومئذٍ كانت لهم حلال. وهكذا قال الحسن والقتبي: إن هذه الآية نزلت في الخمر {وَرِزْقًا حَسَنًا} يعني: الخل، والزبيب، والرُّبُّ. وروي عن ابن عباس أنه قال: {تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا} يعني: ما حرم منه {وَرِزْقًا حَسَنًا} ما أحل منه. وقال الشعبي: السكر: النبيذ، والخل، والرزق الحسن: التمر، والزبيب. وقال الضحاك: السكر: الحرام، والرزق الحسن: الحلال. وهؤلاء كلهم قالوا: قبل تحريم الخمر. وقال الأخفش: سكراً طعاماً. يقال: هذا سكر لك أي: طعام

لك. وقال القتبي: لست أدري هذا. ثم قال: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} أي: لعبرة {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} توحيد الله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [68– 71]

{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71)}

وقوله: {وأوحى رَبُّكَ إلى النحل} أي: ألهمها إلهاماً مثل قوله {بِأَنَّ رَبَّكَ أوحى لَهَا} [الزلزلة: 5] {أَنِ اتخذى مِنَ الجبال بُيُوتًا} أي: مسكناً {وَمِنَ الشجر} يعني: أن اتخذي من الجبال، ومن الشجر، مسكناً {وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} يعني: ومما يبنون من سقوف البيت. قرأ ابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر: {يَعْرِشُونَ} بضم الراء والباقون: بالكسر. ومعناهما واحد. أي: ومما يبنون من سقوف البيت {ثُمَّ كُلِى مِن كُلّ الثمرات} أي من ألوان الثمرات. أي: ألهمها بأكل الثمرات، {فاسلكى سُبُلَ رَبّكِ ذُلُلاً} أي: ادخلي الطريق الذي يسهل عليك. ويقال: خذي طرق ربك مذللاً أي مسخراً لك. وقال مقاتل: {فاسلكى سُبُلَ رَبّكِ} يعني: ادخلي طرق ربك في الجبال، وفي

خلال الشجر {ذُلُلاً} لأنَّ الله تعالى ذلل لها طرقها حيثما توجهت {يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا} أي: من بطون النحل، من قبل أفواهها مثل اللعاب {شَرَابٌ} يعني: العسل {مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} أي: العسل أبيض، وأصفر، وأحمر. ويقال: يخرج من أفواه الشباب من النحل الأبيض، ومن الكهول الأصفر، ومن الشيوخ الأحمر {فِيهِ} أي: في العسل {شِفَآء لِلنَّاسِ} روى أبو المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري. قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي استطلق بطنه. فقال له: «اسْقِهِ عَسَلاً». فسقاه. ثم جاء فقال: سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً. فقال له: «اسْقِهِ عَسَلاً». فسقاه. ثم جاءه فقال: سقيته فلم يزده إلاَّ استطلاقاً. فقال له: «اسْقِهِ عَسَلاً. صَدَقَ الله وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ». فسقاه فبرئ. قال الفقيه أبو الليث: إنما يكون العسل شفاء إذا عرف الإنسان مقداره، ويعرف لأي داء هو. فإذا لم يعرف مقداره، ولم يعرف موضعه، فربما يكون فيه ضرر. كما أن الله تعالى جعل الماء حياة كل شيء، وربما يكون الماء سبباً للهلاك. وقال السدي: العسل شفاء الأوجاع التي يكون شفاؤها فيه. وقال مجاهد: {فِيهِ شِفَآء لِلنَّاسِ} أي: في القرآن بيان للناس من الضلالة. وروى أبو الأحوص، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور. وروى الأسود عن ابن مسعود أنه قال: عليكم بالشفاء من القرآن، والعسل.

ثم قال: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} أي: فيما ذكر من أمر النحل لعلامة لوحدانيتي {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يعني: علموا أن معبودهم لم يغنهم من شيء. ثم قال: {والله خَلَقَكُمْ ثُمَّ يتوفاكم} أي: يقبض أرواحكم {وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العمر}

أي: إلى أسفل العمر، وهو الهرم {لِكَىْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} أي: صار بحال لا يعلم ما علم من قبل.

ويقال: لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً. ويقال: إن الهرم اسوأ العمر، وشره، وقوله: {لِكَىْ لاَ يَعْلَمَ} أي: حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً، لشدة هرمه، بعد ما كان يعلم الأمور قبل الهرم {إِنَّ الله عَلِيمٌ قَدِيرٌ} على تحويلكم. ويقال: معناه {وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العمر} أي: إني محولكم من حال إلى حال تكرهونه، ولا يقدر معبودكم أن يمنعني عن ذلك، والله عليم قدير على ذلك.

قوله: {والله فَضَّلَ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ فِى الرزق} أي: فضّل الموالي على العبيد في المال {فَمَا الذين فُضّلُواْ بِرَآدّى رِزْقِهِمْ على مَا مَلَكَتْ أيمانهم} أي: الموالي لا يرضون بدفع المال إلى المماليك {فَهُمْ فِيهِ سَوَآء} أي: لا ترضون لأنفسكم أن يكون عبيدكم معكم شركاء في أموالكم، فكيف ترضون لله تعالى أن تصفوا له شريكاً في ملكه، وصفاته، وتصفوا له ولداً من عباده. وقال قتادة: هو الذي فضل في المال والولد لا يشرك عبيده في ماله. فقد رضيتم بذلك لله تعالى، ولم ترضوا به لأنفسكم. وقال مجاهد: ضرب الله مثلاً للآلهة الباطلة مع الله تعالى. ويقال نزلت الآية في وفد نجران حين قالوا في عيسى عليه السلام ما قالوا.

ثم قال تعالى: {أَفَبِنِعْمَةِ الله يَجْحَدُونَ} يقول: بوحدانية الله تعالى تكفرون، وترضون له ما لا ترضون لأنفسكم.

▲ تفسير الآيات رقم [72– 74]

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74)}

قوله: {والله جَعَلَ لَكُمْ مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} يعني: خلق لكم من جنسكم إناثاً {وَجَعَلَ لَكُمْ مّنْ أزواجكم بَنِينَ} أي: خلق لكم من نسائكم بَنِينَ {وَحَفَدَةً} أي: ولد الولد. ويقال: هم الأَعوان، والخدم، والأصهار. وروي عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود أنه قال: الحفدة: الأختان. وقال مجاهد: الخدم، وأنصاره، وأعوانه. وعن ابن مسعود أنه قال: هم أصهاره. وقال الربيع بن أنس: البنون بنو الرجل من امرأته. والحفدة بنو المرأة من غيره. وقال زر بن حبيش: الحفدة: حشم الرجل. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الولد الصالح. وقال أَهل اللغة: أصله في اللغة السرعة في المشي، ويقال: في دعاء التوتر: ونحفد أي: ونجتهد في الخدمة والطاعة.

ثم قال: {وَرَزَقَكُم مّنَ الطيبات} قال الكلبي: يعني: الحلال إن أخذتم به. وقال مقاتل: {الطيبات} الخبز، والعسل، وغيرهما من الأشياء الطيبة، بخلاف رزق البهائم والطيور.

ثم قال: {أفبالباطل يُؤْمِنُونَ} قال الكلبي: يعني: الآلهة وقال مقاتل: {أفبالباطل} يقول: بالشيطان يصدقون بأن مع الله إلهاً آخر. ويقال {أفبالباطل يُؤْمِنُونَ} يعني: أفيعبدون الأصنام التي لا تقدر على مضرتهم، ولا على منفعتهم {والله جَعَلَ لَكُمْ مّنْ} أي: يجحدون بوحدانية الله تعالى ويقال: {والله جَعَلَ لَكُمْ مّنْ} فلا يؤمنون برب هذه النعمة.

قوله: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله} يعني: الأصنام {مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ} أي: لا يقدر لهم {رِزْقًا مّنَ *** السموات} أي: إنزال المطر {والارض} أي: والنبات {شَيْئاً} يعني: لا يملكون شيئاً من ذلك. وقال القتبي: إنما نصب {شَيْئاً} بإيقاع الرزق عليه. ومعناه: يعبدون ما لا يملك أن يرزقهم شيئاً. كما تقول: ويخدم من لا يستطيع إعطاءَه درهماً.

ثم قال: {وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} يعني: ذلك {فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلَّهِ الامثال} يعني: لا تصفوا لله شريكاً فإنه لا إله غيره {أَنَّ الله يَعْلَمُ} أنه لا شريك له ويقال إن الله يعلم ضرب الأمثال {وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} ضرب المثل.

▲ تفسير الآيات رقم [75- 76]

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ

أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (76)}

ثم قال تعالى: {ضَرَبَ الله مَثَلاً} أي: وصف الله شبهاً {عَبْدًا مَّمْلُوكًا} وهو الكافر {لاَّ يَقْدِرُ على شَئ} يقول: لا يقدر على مال ينفقه في طاعة الله {وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا} أي: مالاً حلالاً {فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ} أي: يتصدق منه {سِرّا وَجَهْرًا} يقول: يتصدق خفية وعلانية وهو المؤمن {هَلْ يَسْتَوُونَ} في الطاعة مثلاً {الحمد لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} ضرب المثل. وروي عن ابن عباس أنه قال: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان. والآخر أبو الفيض بن أمية وهو كافر، لا يقدر أن ينفق خيراً لمعاده، وعثمان أنفق لآخرته فهل يستويان؟ أي: هل يستوي الكافر والمؤمن؟ ويقال ضرب المثل للآلهة. ومعناه: أن الاثنين المتساويين في الخلق، إذا كان أحدهما قادراً على الإنفاق، والآخر عاجزاً، لا يستويان. فكيف يسوون بين الحجارة التي لا تتحرك ولا تعقل، وبين الذي هو على كل شيء قدير؟ فبيّن الله تعالى علامة ضلالتهم، ثم حمد نفسه، ودل خلقه على حمده، فقال: {الحمد لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} ثم زاد في البيان، وضرب مثلاً آخر فقال: {وَضَرَبَ الله مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ} يعني أخرس وهو الصنم {لاَّ يَقْدِرُ على شَئ} من مال ولا منفعة {وَهُوَ كَلٌّ على مَوْلاهُ} يعني: ثقل على وليه، وقرابته. يعني: الصنم عيال، ووبال على عابده. {أَيْنَمَا يُوَجّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ} يعني: حيث يبعثه لا يجيء بخير {هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بالعدل} يعني: بالتوحيد {وَهُوَ على صراط مُّسْتَقِيمٍ} يدل الخلق على التوحيد. ويقال: هذا المثل

للكافر مع النبي صلى الله عليه وسلم يعني: الكافر الذي لا يتكلم بالخير، هل يستوي هو {وَمَن يَأْمُرُ بالعدل} أي: التوحيد ويدعو الناس إليه {وَهُوَ على صراط مُّسْتَقِيمٍ} يدعو الناس إليه وهو دين الإسلام. وقال السدي: المثلان ضربهما الله لنفسه وللآلهة.

▲ تفسير الآيات رقم [77– 80]

{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (80)}

ثم قال تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السموات والارض} يعني: ما غاب عن العباد {وَمَا أَمْرُ الساعة} يعني: قيام الساعة {إِلاَّ كَلَمْحِ البصر} كرجع البصر {أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} يقول: بل هو أقرب. أي أسرع. قال الزجاج: أخبر الله تعالى أن البعث والإحياء في قدرة الله تعالى، ومشيئته كلمح البصر. ولم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر، ولكنه وصف سرعة القدرة على الإتيان بها. ويقال: أو هو أقرب الألف زيادة، ومعناه: وهو أقرب.

ثم قال: {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} يعني: من البعث وغيره.

قوله: {والله أَخْرَجَكُم مّن بُطُونِ أمهاتكم} قرأ حمزة والكسائي «أُمَّهاتكم» بكسر الألف. والباقون: بالضم. ومعناهما واحد. وقال الزجاج: الأصل في الأمهات، ولكن الهاء زيدت مؤكدة، كما زادوها في قولهم: أهرقت الماء، وأصله أرقت الماء. {لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا} يعني: لا تعقلون شيئاً. ويقال: لا تعلمون الأشياء كلها. {وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والابصار والافئدة} تعقلون بها الخير والشر {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي: لكي تشكروا النعمة.

ثم بيّن لهم العبرة ليعتبروا بها، ويعرفوا بها وحدانيته فقال: {أَلَمْ تَرَوْاْ * إلى الطير مسخرات} يقول: مذللات {فِى جَوّ السمآء} قال ابن عباس أي: في الهواء {مَا يُمْسِكُهُنَّ} عند قبض الأَجنحة، وعند بسطها {إِلاَّ الله إِنَّ فِى ذلك} أي: فيما ذكرت {لآيَاتٍ} أي: علامات لوحدانية الله، لمن علم أن معبودهم لم يعنه في ذلك. يعني: الكفار لا يعلمون متى يبعثون وأيان كلمة الاختصار وأصله أي أوان؟.

ثم قال تعالى {إلهكم إله واحد} يعني: ربكم رب واحد فاعبدوه، ولا تعبدوا غيره {لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أي: لمن آمن به. قرأ ابن عامر وحمزة {أَلَمْ تَرَوْاْ} بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء.

ثم قال: {والله جَعَلَ لَكُمْ مّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} أي: خلق لكم البيوت قراراً ومأوًى لكم. ويقال: معناه سخر لكم الأرض، لتبنوا فيها البيوت. ويقال: معناه وفقكم لبناء البيوت لسكناكم، وقراركم، فذكر النعم، والمنن، والدلائل لوحدانيته.

ثم قال: {وَجَعَلَ لَكُمْ مّن جُلُودِ الانعام} أي: من الشعر، والصوف، والوبر، {بُيُوتًا} أي: الفساطيط والخيام {تَسْتَخِفُّونَهَا} أي: تستخفون حملها {يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إقامتكم} أي: يوم انتقالكم، وسفركم، ويوم نزولكم {وَمِنْ أَصْوَافِهَا} أي: من أصواف الغنم {وَأَوْبَارِهَا} يعني: الإبل {وَأَشْعَارِهَا} يعني: أشعار المعز {أَثَاثاً} أي: متاع البيت من الفرش، والأكسية. وقال قتادة والكلبي: يعني: المال. {ومتاعا إلى حِينٍ} يعني: المنفعة حتى تعيشون فيه إلى الموت. ويقال: تنتفعون بها إلى حين تبلى، وتهلك. وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو {ظَعَنِكُمْ} بنصب العين. وقرأ الباقون: بالجزم ومعناهما واحد.

▲ تفسير الآيات رقم [81- 86]

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (82) يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (84) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (85) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا

رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86)}

قوله: {والله جَعَلَ لَكُمْ مّمَّا خَلَقَ ظلالا} أي: أشجاراً تستظلون بها. ويقال: بيوتاً تسكنون فيها {وَجَعَلَ لَكُمْ مّنَ الجبال أكنانا} أي: جعل لكم من الجبال بيوتاً تسكنون فيها. ويقال: أكناناً يعني: الغيران، والأسراب واحدها كنّ {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ} أي: القمص {تَقِيكُمُ الحر} يعني: والبرد اكتفاء أحدهما إذا كان يدل على الآخر. وقال قتادة في قوله: {مّمَّا خَلَقَ ظلالا} أي: من الشجر وغيره {وَجَعَلَ لَكُمْ مّنَ الجبال أكنانا} يعني: غيراناً في الجبال يسكن فيها {تَقِيكُمُ * مِنَ الحرث} أي: من القطن، والكتان، والصوف. قال: وكانت تسمى هذه السورة سورة النعم. {وسرابيل تَقِيكُم بَأْسَكُمْ} وهي الدروع من الحديد تدفع عنكم قتال عدوكم.

ثم قال: {كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ} أي: ما ذكر من النعم في هذه السورة {لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} أي: تعرفون رب هذه النعم. فتوحّدوه، وتخلصوا له بالعبادة. وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: {لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} بنصب التاء واللام، ومعناه: تسلمون من الجراحات إذا لبستم الدروع، وتسلمون من الحر والبرد إذا لبستم القمص.

ثم قال: بعد ما بيّن العلامات: {فَإِن تَوَلَّوْاْ} أي: أعرضوا عن الإيمان {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البلاغ المبين} تبلغهم رسالتي، وتبيّن لهم الهدى من الضلالة.

ثم قال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} أي: يعرفون أن خالق هذه الأشياء هو الله تعالى، ثم ينكرونها. ويقولون: هي بشفاعة آلهتنا، وهذا قول الكلبي. وقال السدي: يعني: يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم أنه نبي، وأنه صادق، ولا يؤمنون به. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} قال: هي المساكن، والأنعام، وما يرزقون منها. وسرابيل الحديد والثياب، يعرف هذا الكافرون {ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} ويقولون: هذا كان لآبائنا، وورثناها. ويقال: إنكارهم قولهم: لولا كذا لكان كذا. ويقال: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله} وذلك أنهم إذا سئلوا من خلقهم؟ يقولون: الله {ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} يعني: البعث {وَأَكْثَرُهُمُ الكافرون} يعني: كلهم كافرون بالتوحيد. ويقال: جاحدون بالنعم.

قوله {وَيَوْمَ نَبْعَثُ} اذكر يوم نبعث {فِى كُلّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} أي: نبياً شاهداً على أمته بالرسالة أنه بلغها {ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} أي: في الكلام {وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} يقول: لا يرجعون من الآخرة إلى الدنيا. وقال أهل اللغة: عَتَب يَعْتِب إذا وجد عليه، وأعْتَبَ يُعْتِبُ إذا رجع عن ذنبه، واستعتب يستعتب إذا طلب منهم الرجوع، أي: لا يطلب منهم الرجوع إلى الدنيا.

قوله: {وَإِذَا رَأَى الذين ظَلَمُواْ العذاب} أي: الكفار {فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ} أي: لا يهوّن عليهم العذاب حين رأوها {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} أي: لا يمهلون، ولا يؤجلون، ولا يتركون ساعة، ليستريحوا.

قوله: {وَإِذَا رَءا الذين أَشْرَكُواْ شُرَكَآءهُمْ} أي: آلهتهم {قَالُواْ رَبَّنَا هَؤُلآء شُرَكَآؤُنَا الذين كُنَّا نَدْعُوْا} يعني: نعبد {مِن دُونِكَ} يقولون: نعبد دونك، وهم أمرونا بذلك. ويقال: يعني: السفلة إذا رأوا شركاءهم. يعني: أمراءهم ورؤساءهم قالوا: ربنا هؤلاء قادتنا الذين كنا ندعو من دونك. أي: هم أَمرونا بالمعصية فأطعناهم {فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ القول} يعني: الآلهة، والقادة، وأجابوهم {إِنَّكُمْ لكاذبون} ما أمرناكم بذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [87– 89]

{وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (87) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (88) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)}

قوله: {وَأَلْقَوْاْ إلى الله يَوْمَئِذٍ السلم} أي: استسلموا، وخضعوا، وانقادوا. العابد والمعبود، والتابع والمتبوع، يومئذٍ خضعوا كلهم لله تعالى {وَضَلَّ عَنْهُم} أي: اشتغل عنهم آلهتهم بأنفسهم {مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} يعني: يختلفون. ويقال: بطل عنهم ما كانوا يقولون من الكذب في الدنيا.

ثم بيّن عذابهم فقال تعالى: {الذين كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} أي: صرفوا الناس عن دين الإسلام {زدناهم عَذَابًا فَوْقَ العذاب} يعني: القادة {بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ} من الشرك والتكذيب. زدناهم عذاباً فوق عذاب السفلة. ويقال:

التابع والمتبوع زدناهم في كل وقت عذاباً مع العذاب. وقال مقاتل: يجري الله عليهم خمسة أنهار من نحاس ذائب. ثلاثة أنهار في مقدار وقت الليل، واثنان في مقدار وقت النهار بما كانوا يفسدون في الدنيا. وقال الكلبي نحو هذا. قال الفقيه أبو الليث: حدثنا محمد بن الفضل. قال: حدثنا محمد بن جعفر. قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود في قوله: {زدناهم عَذَابًا فَوْقَ العذاب} قال: أفاعي في النار. وعن ابن مسعود أيضاً قال: زيدوا عقارب في النار. أنيابها كالنخيل الطوال. وعن مجاهد أنه قال: في النار عقارب كالبغال، أنيابهن كالرماح، تضرب إحداهن على رأسه، فيسقط لحمه على قدميه. وقال: يسألون الله تعالى المطر في النار ألف سنة، ليسكن ما بهم من شدة الحر، والغم، فيظهر لهم سحابة، فيظنون، أنها تمطر عليهم، فجعلت السحابة تمطر عليهم الغيث. فإذا هي تمطر عليهم بالحيات، والعقارب. ويقال: يسلط عليهم الجوع. ويقال: الجرب. ويقال: الخوف.

قوله {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مّنْ أَنفُسِهِمْ} أي: رسولاً من الآدميين {وَجِئْنَا بِكَ} يا محمد {شَهِيدًا على هَؤُلآء} أي: على أمتك {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكتاب} أي: القرآن {تِبْيَانًا لّكُلّ شَئ} من الأمر والنهي. إلا أن بعضه مفسر، وبعضه مجمل، يحتاج إلى الاستخراج، والاستنباط. وقال مجاهد: ما يسأل الناس عن شيء إلا في كتاب الله تبيانه، ثم قرأ: {تِبْيَانًا لّكُلّ شَئ} وقال علي بن أبي طالب: كل شيء علمه في الكتاب إلا أن آراء الرجال تعجز عنه.

ثم قال: {وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} أي {هُدًى} من الضلالة {وَرَحْمَةً} أي: نعمة لمن آمن به، وعمل بما فيه {وبشرى لِلْمُسْلِمِينَ} بالجنة.

▲ تفسير الآية رقم [90]

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)}

قوله: {إِنَّ الله يَأْمُرُ بالعدل والإحسان} أي: بتوحيد الله، وشهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان إلى الناس، والعفو عن الناس. ويقال: الإحسان القيام بالفرائض {وَإِيتَآء ذِى القربى} أي: صلة الرحم {وينهى عَنِ الفحشاء} أي: عن الزنى ويقال: جميع المعاصي {والمنكر} يعني: ما لا يعرف في شريعة، ولا في سنة. ويقال: المنكر ما وعد الله عليه النار {والبغى} يعني: الاستطالة، والكبر. فقد أمر بثلاثة أشياء، ونهى عن ثلاثة أشياء، وجمع في هذه الأشياء الستة علم الأولين والآخرين، وجميع الخصال المحمودة. وروي عن عثمان بن مظعون أنه قال: ما أسلمت يوم أسلمت إلا حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه كان يدعوني، فيعرض عليَّ الإسلام، فاستحييت منه، فأسلمت، ولم يقر الإسلام في قلبي، فمررت به ذات يوم وهو بفناء بابه، جالساً محتبياً، فدعاني، فجلست إليه، فبينما هو يحدثني، إذ رأيت بصره شخص إلى السماء حتى رأيت طرفه قد انقطع، ثم رأيته خفضه عن يمينه، ثم ولاَّني وركه ينفض رأسه كأنه يستفهم شيئاً يقال له: ثم دعا فرفع رأسه إلى السماء، ثم خفضه حتى وضعه عن يساره، ثم أقبل عليَّ

محمراً وجهه، يفيض عرقاً، فقلت: يا رسول الله ما رأيتك صنعت هذا في طول ما كنت أجالسك فقال: «وَلَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ» قلت: نعم. قال: «بَيْنَمَا أُحَدِّثُكَ إِذْ رَفَعْتُ بَصَرِي إِلى السَّمَاءِ، فَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ عَلَيَّ، فَلَمْ تَكُنْ لِي هِمَّةٌ غَيْرَهُ، حَتَّى نَزَلَ عَنْ يَمِينِي فَقَالَ: يا مُحَمَّدُ {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعدل والإحسان وَإِيتَآء ذِى القربى} إلى آخر الآية». قال عثمان: فوقر الإيمان في قلبي، فآمنت، وصدقته. قال: فأتيت أبا طالب، فأخبرته بما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر قريش، اتبعوا ابن أخي، ترشدوا، وتفلحوا، ولئن كان محمد صادقاً أو كاذباً، ما يأمركم إلاَّ بمكارم الأخلاق. فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم من عمه اللين، قال: «يا عَمَّاهُ أَتَأْمُرُ النَّاسَ أَنْ يَتَّبِعُونِي وَتَدَعُ نَفْسَكَ» وجهد عليه، فأبى أن يسلم فنزل {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ولكن الله يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين} [القصص: 56] إلى آخر الآية. قال الفقيه أبو الليث: حدثنا أبو منصور عبد الله الفرائضي بسمرقند بإسناده عن عكرمة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة {إِنَّ الله يَأْمُرُ بالعدل والإحسان} إلى آخر الآية. فقال له: يا ابن أخي أعد عليَّ، فأعاد عليه، فقال: والله يا ابن أخي إنّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هذا بقول البشر. وقال قتادة في قول الله تعالى: {إِنَّ الله يَأْمُرُ بالعدل والإحسان} الآية. قال: ليس من خلق حسن، كان أهل الجاهلية يستحسنونه بينهم إلا أمر الله به، وليس من خلق سيِّئ يتعايرونه بينهم إلاَّ نهى الله عنه.

ثم قال تعالى: {يَعِظُكُمْ} أي: يأمركم، وينهاكم عن هذه الأَشياء التي ذكرها الله في الآية {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} أي: تتعظون.

▲ تفسير الآيات رقم [91- 93]

{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93)}

قوله: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ الله إِذَا عاهدتم} يقول: إذا حلفتم بالله، فأتموا له بالفعل. ويقال: {أَوْفُواْ بِعَهْدِ الله} يعني: العهود التي بينكم وبين الله تعالى، والعهود التي بينكم وبين الناس.

ثم قال: {وَلاَ تَنقُضُواْ الايمان} يعني: لا تنكثوا العهود {بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} يعني: بعد تغليظها، وتشديدها، {وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلاً} أي: شهيداً على إتمام العهود، والوفاء بها. ويقال: حفيظاً على ما قال الفريقان {إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} في وفاء العهد، والنقض.

ثم ضرب الله تعالى مثلاً فقال عز وجل: {وَلاَ تَكُونُواْ} في نقض العهد {كالتى نَقَضَتْ غَزْلَهَا} وهي ريطة الحمقاء بنت عمرو بن كعب بن سعد وهي أم أخنس بن شريق الزهري {مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أنكاثا} أي: من بعد ما أبرمته، وأحكمته، كانت إذا غزلت الشعر والكتان نقضته، ثم غزلته. فقال: ولا تنقضوا العهد بعد توكيده، كما نقضت المرأة غزلها، وقال القتبي: أي لا تؤكدوا على أنفسكم الأيمان، والعهود، ثم تنقضوا ذلك، فتكونوا كامرأة غزلت ونسجت، ثم نقضت ذلك النسج فجعلته أنكاثاً، والأنكاث ما نقض من غزل الشعر وغيره، واحدها نكث.

ثم قال: {تَتَّخِذُونَ أيمانكم دَخَلاً بَيْنَكُمْ} أي: دغلاً وخيانة {أَن تَكُونَ أُمَّةٌ} أي: فريق منكم {هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} أي: هي أكثر وأغنى من أمة، من فريق. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في كندة، ومراد، وذلك أنه كان بينهم قتال، حتى كَلَّ الظهر. ثم توادعوا لستة أشهر، حتى يصلح الظهر أي: الدواب، ويجم الخيل. فلما مضت خمسة أشهر، أمر قيس بن معديكرب بالجهاد إليهم، فقالوا: قد بقي من الأجل شهر، فمكث حتى علم أنه يأتيهم بعد انقضاء الأجل بيوم، ثم سار إليهم، فإذا هو يوم انقضاء الأجل، فقتلوه، وهزموا قومه، فذلك قوله: {وَلاَ تتخذوا أيمانكم دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السواء بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ الله وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل: 94] يعني: عهودكم بالله دخلاً أي: مكراً وخديعة بينكم {أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} يعني: أن تكون أمة أكثر من أمة فينقضون العهد، لأجل كثرتهم، فلا تحملنكم الكثرة على نقض العهد {إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ الله بِهِ} يعني: إنما

يبتليكم الله بالكثرة، لنقض العهد والوفاء. وقال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز، نقضوا، وحالفوا الأعز، فنزل {إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ الله بِهِ} أي: يختبركم بنقض العهود وبالكثرة {وَلَيُبَيّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القيامة مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} من الدين ويبيّن لكم ما نقضتم من العهود، ويجازيكم به.

قوله: {وَلَوْ شَاء الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحدة} أي: على ملة واحدة. وهي الإسلام {ولكن يُضِلُّ مَن يَشَآء} يعني: يخذل من علم أنه ليس من أهل الإسلام {وَيَهْدِى مَن يَشَاء} أي: يكرم بالإسلام من هو أهل لذلك {وَلَتُسْئَلُنَّ} فهذه اللام لام القسم، والتأكيد يَوْمَ الْقِيَامَةِ {عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} أي: يسألكم {عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} من الوفاء، والنقض بالعهد.

▲ تفسير الآيات رقم [94- 97]

{وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (94) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (95) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (96) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)}

ثم قال تعالى: {وَلاَ تَتَّخِذُواْ أيمانكم دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} أي: إنّ ناقض العهد يزل عن الطاعة، كما تزل قدم الرجل بعد الاستقامة {وَتَذُوقُواْ السوءِ} أي: تتجرعوا العقوبة {بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ الله} أي: صرفتم الناس عن دين الإسلام {وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} يعني: شديد في الآخرة {وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ الله} أي: لا تختاروا على عهد الله، والحلف به {ثَمَناً قَلِيلاً} أي: عرضاً يسيراً من الدنيا {إِنَّمَا عِنْدَ الله} في الآخرة من الثواب الدائم {هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} أي: ثواب الجنة {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} أَن الآخرة خير من الدنيا. ويقال: إن كنتم تصدقون بثوابه. قال الكلبي: نزلت الآية في رجل من حضرموت يقال له: عبدان بن الأشوع. قال: يا رسول الله إنّ امرأ القيس الكندي جاورني في أرض، فاقتطع أرضي، فذهب بها، وغلبني عليها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَيَشْهَدُ لَكَ أَحَدٌ عَلَى ما تَقُولُ " قال: يا رسول الله إِنَّ القوم كلهم يعلمون أنِّي صادق فيما أقول، ولكنه أكرم عليهم مني عليهم: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرئ القيس " مَا يَقُولُ صَاحِبُكَ " قال: الباطل، والكذب. فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف. فقال عبدان: إنه لفاجر، وما يبالي أن يحلف. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " إنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ شُهُودٌ فَخُذْ يَمِينَهُ " فقال عبدان: وما لِي يا رسول الله إلا يمينه؟ فقال: «لا» فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يحلف. فلما قام ليحلف، أخره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: " انْصَرِفْ ".

فانصرف من عنده. فنزلت هذه الآية {وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ الله ثَمَناً قَلِيلاً} إلى قوله: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ} أي: ما عندكم من أمور الدنيا يفنى {وَمَا عِندَ الله

بَاقٍ} أي: ثواب الله في الجنة دائم لأَهلها {وَلَنَجْزِيَنَّ الذين صَبَرُواْ} عن اليمين وأقروا بالحق. ويقال: الذين صبروا على الإيمان، وأقروا بالحق {أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: بالإحسان الذي كانوا يعملون في الدنيا. ويقال: يجزيهم بأحسن أعمالهم، ويبقى سائر أعمالهم فضلاً. قال الكلبي: فلما نزلت هاتان الآيتان، قال امرؤ القيس: أَمَّا ما عندي فينفد، وأمَّا صاحبي فيجزى بأَحسن ما كان يعمل. اللَّهم إنه صادق فيما قال. لقد اقتطعت أرضه، والله ما أدري كم هي، ولكنه يأخذ ما يشاء من أرض ومثلها معها بما أكلت من ثمارها. فنزل: {مَنْ عَمِلَ صالحا مّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} يعني: لا يقبل العمل منه ما لم يكن مؤمناً.

فإذا كان مؤمناً، وعمل صالحاً، يقبل منه.

ثم قال: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياة طَيّبَةً} في الجنة. ويقال: يجعل حياته في طاعة الله. ويقال: فلنقنع منه باليسير من الدنيا. وروي عن ابن عباس أنه قال: الكسب الطيب، والعمل الصالح. وعن علّي أنه قال: القناعة. وقال الحسن: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة. وقال الضحاك: الرزق الحلال، وعبادة الله تعالى.

ثم قال: {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم} أي: ثوابهم {بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} أي: يثيبهم بإحسانهم، ويعفو عن سيئاتهم. قرأ ابن كثير، وعاصم وابن عامر في إحدى الروايتين {وَلَنَجْزِيَنَّ الذين صَبَرُواْ} بالنون. وقرأ الباقون: بالياء. واتفقوا في قوله: «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ» بالنون.

▲ تفسير الآيات رقم [98- 101]

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)}

قوله: {فَإِذَا قَرَأْتَ القرءان فاستعذ بالله} يعني: إذا أردت أن تقرأ القرآن في الصلاة، وفي غير الصلاة، فتعوذ بالله. وهذا كقولك: إذا أكلت فقل: بسم الله يعني: إذا أردت أن تأكل وهذا مثل قوله {ياأيها الذين ءامَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصلاة فاغسلوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المرافق وامسحوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكعبين وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فاطهروا وَإِن كُنتُم مرضى أَوْ على سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الغائط أَوْ لامستم النسآء فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فامسحوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ الله لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ولكن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: 6] يعني: إذا أردتم القيام للصلاة. وقوله {مِنَ الشيطان الرجيم} يعني: اللعين. ويقال: الخبيث. ويقال: المرجوم. ويقال: فيه تقديم. ومعناه: فاستعذ بالله، إذا قرأت القرآن.

ثم قال: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ} ليس له غلبة، ولا حجة. ويقال: ليس له نفاذ الأمر {عَلَى الذين ءامَنُواْ} أي: صدقوا بتوحيد الله تعالى {وعلى رَبّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي: يثقون به، ولا يثقون بغيره.

قوله: {إِنَّمَا سلطانه} أي غلبته وحجته {على الذين يَتَوَلَّوْنَهُ} أي: يطيعونه من دون الله تعالى. فمن أطاعه فقد تولاه {والذين هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} أي: أشركوا بعبادة ربهم إياه. وقال مقاتل: أي بالله تعالى. وقال القتبي: {والذين هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} لم يرد أنهم بإبليس كافرون، ولو كان هكذا، لكانوا مؤمنين. وإنَّما أراد به الذين هم من أجله مشركون بالله تعالى، كما يقال: صار فلان بك عالماً أي: من أجلك.

قوله: {وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءايَةً} يعني: ناسخة {مَّكَانَ ءايَةٍ} يعني: منسوخة. أي: نسخنا آية بآية. قال ابن عباس: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه آية فيها شدة، أخذ الناس بها، وعملوا ما شاء الله أن يعملوا، فيشق ذلك عليهم. فينسخ الله تعالى هذه الشدة، ويأتيهم بما هي ألين منها، وأهون عليهم، رحمة من الله لهم، فيقول لهم كفار قريش: والله ما محمد إلاَّ يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وغداً يأتيهم بما هو أهون عليهم منه. وما يعلمه إلا عابس، غلام حويطب بن عبد العزى، ويسار بن فكيهة مولى ابن الحضرمي، وكانا قد أسلما، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهما، فيحدثهما، ويعلمهما، وكانا يقرآن كتابهما بالعبرانية. فنزل {وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءايَةً مَّكَانَ ءايَةٍ} {والله أَعْلَمُ بِمَا يُنَزّلُ} يعني: بما يصلح للخلق {قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ} أي: مختلق من تلقاء نفسك {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} أن الله أمرك بما يشاء، نظراً لصلاح العباد. وقال مقاتل: في الآية تقديم، ومعناه: {وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءايَةً مَّكَانَ ءايَةٍ} {قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ} فتقول على الله تعالى الكذب. قلت: كذا ثم نقضته، فجئت بغيره. ثم قال في التقديم: {والله أَعْلَمُ بِمَا يُنَزّلُ}.

▲ تفسير الآيات رقم [102– 103]

{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103)}

ثم قال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القدس} يعني: قل يا محمد نزل جبريل بالقرآن، والتشديد لكثرة نزوله. ويقال: نَزَّلَ بمعنى تَنَزَّلَ. كما يقال: قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ. وَبَيَّنَ: بمعنى تَبَيَّنَ. ويقال: {نَزَّلَهُ} بمعنى: تلاه، وبلغه. ويقال: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القدس} يعني: جبريل الذي يأتيك بالناسخ والمنسوخ {مِن رَبّكَ} أي: من عند ربك. ويقال: من كلام ربك {بالحق} أي: بالوحي. ويقال: بالصدق. ويقال: للحق. ويقال: لصلاح الخلق {لِيُثَبّتَ الذين ءامَنُواْ} أي: ليحفظ قلوب الذين آمنوا على الإسلام. ويقال: لِتَطمئن إليه قلوب الذين آمنوا {وهدى} من الضلالة {وبشرى لِلْمُسْلِمِينَ} بالجنة.

ثم قال: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ} يعني: أن كفار قريش يقولون: }إِنَّمَا يُعَلّمُهُ بَشَرٌ} يعنون: جبراً ويساراً. وروى حصين عن عبد الله بن مسلم قال: كان لنا غلامان من أهل اليمن نصرانيان، اسم أحدهما يسار، والآخر جبر، صيقليان. وكانا يقرآن بلسانهما، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما، يسمع منهما. فقال المشركون: إنما يتعلم منهما، فأكذبهم الله تعالى حيث قال: {لّسَانُ الذى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ} أي: رومي اللسان. وقال مقاتل كان غلام لعامر بن الحضرمي اسمه يسار، يهودي أعجمي اللسان،

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا آذاه كفار قريش يدخل عليه، ويحدثه، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار. فقال الله تعالى رداً عليهم: {لِّسَانُ الذى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ} أي: يميلون إليه، ويزعمون أنه يعلمه أعجمي أي: عبراني. وأصل الإلحاد الميل {وهذا} يعني: القرآن {لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} يعني: مفقه بلغتهم. وروي عن طلحة بن عمير أنه قال: بلغني أن خديجة كانت تختلف إلى غلام ابن الحضرمي، وكان نصرانياً، وكان صاحب كتب. يقال له: جبر وكانت قريش تقول: إنَّ عبد ابن الحضرمي يعلم خديجة، وخديجة تعلم محمداً صلى الله عليه وسلم، فنزل {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} ثم أسلم جبر بعد ذلك، وحسن إسلامه، وهاجر مع سيده. قرأ ابن كثير {رُوحُ القدس} بجزم الدال. وقرأ الباقون: {القدس} بضم الدال وقرأ حمزة والكسائي {يَلْحِدُونَ} بنصب الياء والحاء. وقرأ الباقون: {يُلْحِدُونَ} بضم الياء وكسر الحاء ومعناهما واحد.

▲ تفسير الآيات رقم [104- 107]

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107)}

ثم قال: {إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بآيات الله} أي: القرآن {لاَ يَهْدِيهِمُ الله} أي: لا يوفقهم الله، ولا يكرمهم، لقلة رغبتهم في الإيمان. ويقال: لا ينجيهم في الآخرة من النار {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة.

ثم قال: {إِنَّمَا يَفْتَرِى الكذب الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بآيات الله وَأُوْلئِكَ هُمُ الكاذبون} قال الزجاج: معناه {إِنَّمَا يَفْتَرِى الكذب الذين لاَ يُؤْمِنُونَ} إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلاَّ الله، كذبوا بها، وهؤلاء أكذب الكذبة.

قوله {مَن كَفَرَ بالله مِن بَعْدِ إيمانه} فعليهم غضب من الله على معنى التقديم.

ثم استثنى فقال: {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ} أي: أكره على الكفر، وتكلم بالكفر مكرهاً {وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان} أي: قلبه معتقد عليه. وهو عمار بن ياسر، وأصحابه. وذلك أن ناساً من أهل مكة آمنوا، فخرجوا مهاجرين، فأدركتهم قريش بالطريق، فعذبوهم، فكفروا مكرهين، فنزلت هذه الآية فيهم. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله. وروي عن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن عمار بن ياسر أخذه بنو المغيرة، فطرحوه في بئر ميمونة حتى أمسى، فقالوا له: اكفر بمحمد، وأشرك بالله فبايعهم على ذلك، وقلبه كاره فنزلت الآية. وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عمار بن ياسر وهو يبكي، فجعل يمسح الدموع من عينيه، ويقول: أخذني الكفار، ولم يتركوني حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير. فقال: " كَيْفَ وَجَدْتَ قَلْبَكَ " قال: مطمئن بالإيمان. فقال: «إنْ عَادُوا فَعُدْ». وقال مقاتل: أسلم جبر مولى ابن الحضرمي، فأخذه

مولاه وعذبه، حتى رجع إلى اليهودية. ثم رجع إلى هؤلاء النفر، فنزلت الآية {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان} ثم بيّن حال الذين ثبتوا على الكفر فقال: {ولكن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} أي: فتح صدره بالقبول. يعني: قبل الكفر طائعاً وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح ارتدّ ولحق بمكة {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} أي: شديد في الآخرة {ذلك} العذاب {ذلك بِأَنَّهُمُ استحبوا الحياة} أي: اختاروا الدنيا {على الاخرة وَأَنَّ الله لاَ يَهْدِى} أي: لا يرشد إلى دينه {القوم الكافرين} أي: لا يرشدهم إلى دينه.

▲ تفسير الآيات رقم [108- 110]

{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110)}

قوله: {أُولَئِكَ الذين طَبَعَ الله على قُلُوبِهِمْ} مجازاة لهم {وَسَمْعِهِمْ وأبصارهم} أي: ختم على قلوبهم، وسمعهم، وأبصارهم، {وَأُولَئِكَ هُمُ الغافلون} أي: التاركون لأمر الله تعالى {لاَ جَرَمَ} أي: حقاً {أَنَّهُمْ فِى الاخرة هُمُ الخاسرون} {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجروا} قال ابن عباس: نزلت في عمار بن ياسر، وأبويه، وبلال، وصهيب، وخباب بن الأرت، عذبهم المشركون، ثم هاجروا إلى المدينة، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجروا} {مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ} يقول: عذبهم أهل مكة {ثُمَّ جاهدوا} مع النبي

صلى الله عليه وسلم {وَصَبَرُواْ} على البلاء، وصبروا على دينهم، وصبروا مع النبي صلى الله عليه وسلم على طاعة الله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا} أي: من بعد الفتن. ويقال: من بعد الهجرة {لَغَفُورٌ} لذنوبهم {رَّحِيمٌ}. ويقال: نزلت الآية في عياش بن أبي ربيعة. وقد ذكرناه في سورة النساء. قرأ ابن عامر {مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ} بفتح الفاء والتاء، أي: أصابتهم الفتنة. وقرأ الباقون {فَتَنُواْ} على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

▲ تفسير الآيات رقم [111- 111]

{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (111)}

قوله: {يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ}، صار نصباً لنزع الخافض، ومعناه: إن ربك من بعدها لغفور رحيم. في {يَوْمَ تَأْتِى} أي: تحضر. ويقال: معناه واذكروا {يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تجادل عَن نَّفْسِهَا} يعني: كل إنسان يخاصم عن نفسه، ويذبُّ عنها، ويقول: نفسي نفسي، وذلك حين زفرت جهنم زفرة، فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا جثا على ركبتيه. ويقول: ربِّ نفسي نفسي، أي: أريد نجاة نفسي. {وتوفى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ} أي: كل نفس برة أو فاجرة جزاء ما عملت في دار الدنيا من خير أو شر {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} أي: لا ينقصون من حسناتهم، ولا يزادون على سيئاتهم.

▲ تفسير الآيات رقم [112- 117]

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (113) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (115) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (117)}

قوله: {وَضَرَبَ الله مَثَلاً} يقول: وصف الله شبهاً {قَرْيَةً كَانَتْ ءامِنَةً} يعني: مكة من العدو {مُّطْمَئِنَّةً} من العدو أي: ساكنة مقيمة أهلها بمكة {يَأْتِيهَا رِزْقُهَا} أي: يحمل إليها طعامها، ورزق أهلها {رَغَدًا مّن كُلّ مَكَانٍ} يعني: موسعاً من كل أرض، يحمل إليها الثمار وغيرها {فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله} أي: طغت وبطرت. ويقال: كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم {فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجوع} أي: عاقبهم الله تعالى سبع سنين. ومعنى اللباس هنا: سوء الحال، واصفرار الوجوه، {والخوف} يعني: خوف العدو، وخوف سرايا النبي صلى الله عليه وسلم، {بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} أي: عقوبة لهم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ» فاستجاب الله دعاءه، فوقع القحط والجدوبة، حتى اضطروا إلى أكل الميتة والكلاب. قال القتبي: أصل الذوق بالفم. ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختيار {فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجوع

والخوف} يعني: ابتلاهم الله بالجوع والخوف، وظهر عليهم من سوء آثارهم، وتغير الحال عليهم.

قوله: {وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مّنْهُمْ} أي: محمد صلى الله عليه وسلم {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العذاب} أي: الجوع {وَهُمْ ظالمون} أي: كافرون. ثم إن أهل مكة بعثوا أبا سفيان بن حرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ما هذا البلاء، هبك عاديت الرجال فما بال الصبيان والنساء؟ فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحمل إليهم الطعام، فحمل إليهم الطعام، ولم يقطع عنهم وهم مشركون، فقال الله تعالى: {فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله حَلَلاً طَيّباً} أي: من الحرث، والأنعام، {حلالا طَيّباً} يعني: وهم خزاعة وثقيف {واشكروا نِعْمَتَ الله إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} يعني: إن كنتم تريدون بذلك رضاء الله وعبادته. فإن رضاه أن تستحلوا ما أحلّ الله، وتحرّموا ما حرّم الله.

ثم بيّن المحرمات فقال تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الميتة والدم وَلَحْمَ الخنزير وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ} أي: ذبح بغير اسم الله {فَمَنِ اضطر} أي: أجهد إليَّ بشيء مما حرّم الله عليه {غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ} في أكله أي: لا يأكل فوق حاجته. ويقال: غير مفارق الجماعة، ولا عاد عليهم {فَإِنَّ الله غَفُورٌ} فيما أكل {رَّحِيمٌ} حين رخص له في أكل الميتة عند الاضطرار.

ثم قال: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكذب} أي: لا تقولوا يا أهل مكة فيما أحللت لكم {هذا حلال} على الرجال، {وهذا حَرَامٌ} على النساء. ويقال: في الآية تنبيه للقضاة، والمفتين، كي لا يقولوا قولاً بغير حجة وبيان.

ثم قال: {لّتَفْتَرُواْ على الله الكذب} أي: بتحريم البحيرة والسائبة {إِنَّ الذين يَفْتَرُونَ عَلَى الله الكذب لاَ يُفْلِحُونَ} أي: لا يفوزون، ولا ينجون من العذاب {متاع قَلِيلٌ} أي: عيشهم في الدنيا قليل {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [118- 123]

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123)}

ثم قال تعالى: {وَعَلَى الذين هَادُواْ} يقول: مالوا عن الإسلام، وهم اليهود {حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ} أي: في القرآن من قبل هذه السورة في سورة الأنعام {وَمَا ظلمناهم} بتحريم ما حرّمنا عليهم {ولكن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بكفرهم، فحرَّمنا عليهم الأشياء عقوبة لهم {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السوء بجهالة} أي: عملوا المعصية بجهالة. وروي عن ابن عباس أنه قال: كل سوء يعمله العبد فهو فيه جاهل، وإن كان يعلم أن ركوبه سيئة. {ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ} أي: العمل {إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا} أي: من بعد السيئة ويقال: من بعد التوبة {لَغَفُورٌ} لذنوبهم {رَّحِيمٌ} بهم.

قوله: {إِنَّ إبراهيم كَانَ أُمَّةً قانتا لِلَّهِ} أي: إماماً يقتدى به {قانتا} أي: مطيعاً لربه. وروى عامر عن مسروق أنه قال: ذكر عند عبد الله بن مسعود معاذ بن جبل فقال عبد الله بن مسعود: كان معاذ بن جبل أمةً قانتاً. فقال رجل: وما الأُمة؟ قال الذي يعلّم الناس الخير، والقانت الذي يطيع الله ورسوله. وقال القتبي: إنَّما سماه أمةً، لأنه كان سبب الاجتماع. قال: وقد يجوز أنه سماه أمةً لأنه اجتمع عنده خصال الخير. ويقال: إنّما سماه أمةً، لأنه آمن وحده حين لم يكن مؤمن غيره. وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَجيءُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ يَوْمَ القِيَامَةِ وَحْدَهُ». وقد كان أسلم قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم حين لَم يكن بمكة مؤمن غيره، وتابعه ورقة بن نوفل، وعاش ورقة بن نوفل إلى وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنزل عليه الوحي.

ثم قال: {حَنِيفًا مُّسْلِمًا} أي: مستقيماً مائلاً عن الأديان كلها {وَلَمْ يَكُ مِنَ المشركين} أي: مع المشركين على دينهم. وأصله ولم يكن فحذفت النون لكثرة استعمال هذا الحرف.

قوله: {شَاكِراً لأّنْعُمِهِ} أي: ما أنعم الله عليه {اجتباه} أي: اصطفاه، واختاره للنبوة، {وَهَدَاهُ إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} أي: إلى دين قائم وهو الإسلام {وءاتيناه فِى الدنيا حَسَنَةً} يقول: أكرمناه بالثناء الحسن. ويقال: بالنبوة. ويقال: بالولد الطيب {وَإِنَّهُ فِى الاخرة لَمِنَ الصالحين} يعني: مع الأنبياء في الجنة.

قوله: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} أي: بعد هذه الكرامة التي أعطيناها إياك، أمرناك {أَنِ اتبع مِلَّةَ إبراهيم} أي: دين إبراهيم. يعني: استقم عليه {حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المشركين} على دينهم.

▲ تفسير الآيات رقم [124- 128]

{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)}

قوله: {إِنَّمَا جُعِلَ السبت على الذين اختلفوا فِيهِ} يقول: إنما أمروا في السبت بالقعود عن العمل {على الذين اختلفوا فِيهِ} يعني: في يوم الجمعة، وذلك أن موسى عليه السلام أمرهم أن يتفرغوا لله تعالى في كل سبعة أيام يوماً واحداً، فيعبدوه، ولا يعملوا فيه شيئاً من أمر الدنيا، وستة أيام لصناعتهم، ومعايشهم، ويتفرغوا في يوم الجمعة. فأبوا أن يقبلوا ذلك اليوم، وقالوا: إنَّما نختار السبت، اليوم الذي فرغ الله فيه من أمر الخلق. فجعل ذلك عليهم، وشدد عليهم، ثم جاءهم عيسى بالجمعة، فاختاروا يوم الأحد. وقال مجاهد: {إِنَّمَا جُعِلَ السبت على الذين اختلفوا فِيهِ} أي: في السبت اتَّبعوه. وتركوا

الجمعة. وروى همام عن أبي هريرة أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ» يعني: يوم الجمعة. فهذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا فيه تبع، واليهود غداً، والنصارى بعد غد.

ثم قال: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} أي: يقضي بينهم {يَوْمَ القيامة فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} من الدين، فبيّن لهم الحق معاينة.

ثم قال: {ادع إلى سَبِيلِ رَبّكَ} أي: إلى دين ربك، وإلى طاعة ربك {بالحكمة} يعني: بالنبوة والقرآن {والموعظة الحسنة} يعني: عظهم بالقرآن {وجادلهم بالتى هِىَ أَحْسَنُ} أي: حاجهم، وناظرهم بالحجة والبيان. ويقال: باللين. وفي الآية دليل أن المناظرة، والمجادلة، في العلم جائزة، إذا قصد بها إظهار الحق. وهذا مثل قوله: {وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وقولوا ءَامَنَّا بالذى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وإلهنا وإلهكم وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46] وقوله: {سَيَقُولُونَ ثلاثة رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بالغيب وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل ربى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظاهرا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمِ مِّنْهُمْ أَحَداً} [الكهف: 22] ثم قال: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ} أي: عن دينه {وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين} لدينه.

قوله: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} قال ابن عباس: وذلك حين قتل المشركون حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم أحد، ومثلوا به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَئِنْ أَمْكَنَنَا اللَّهُ لَنُمَثِّلَنَّ بِالأَحْيَاءِ فَضْلاً عَنِ الأمْوَاتِ». فنزل {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} الآية. وقال محمد بن كعب القرظي: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بالحال التي هو بها حين مثل به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«لَئِنْ ظَفِرْتُ بِقُرَيْشٍ لأمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ مِنْهُمْ». فلما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما به من الوجع. قالوا: لئن ظفرنا بهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب أحد. فنزل {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ} {وَلَئِن صَبَرْتُمْ} فلم تعاقبوا، ولم تمثلوا {لَهُوَ خَيْرٌ للصابرين} من المثلة أي: ثواب الصبر خير من المكافأة. ثم صارت الآية عامة في وجوب القصاص، أنه لا يجوز إلا مثلاً بمثل، والعفو أفضل.

قال: {واصبر} يعني: أثبت على الصبر {وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بالله} يعني: ألهمك ووفقك للصبر {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} أي على كفار قريش إن لم يسلموا {وَلاَ تَكُ فِى ضَيْقٍ مّمَّا يَمْكُرُونَ} قرأ ابن كثير {فِى ضَيْقٍ} بكسر الضاد. وقرأ الباقون: بالنصب. ومعناهما واحد. أي: لا يضيق صدرك مما يقولون لك، ويصنعون بك. وقال مقاتل: نزلت الآية في المستهزئين.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الله مَعَ الذين اتقوا} أي: معين للذين اتقوا الشرك {والذين هُم مُّحْسِنُونَ} في العمل. ويقال: معين الذين اتقوا مكافأة المسيء {والذين

هُم مُّحْسِنُونَ} إلى من أساء إليهم. والله أعلم بالصواب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

▲ سورة الإسراء

بني اسرائيل

بسم الله الرحمٰن الرحيم

▲ تفسير الآية رقم [1]

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)}

قال ابن عباس في قوله تعالى: {سُبْحَانَ} يقول: عجبٌ من أمر الله الذي أسرى. ويقال: تنزيه لله تعالى. وروى موسى بن طلحة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان. فقال: «نَزَّهَ الله نَفْسَهُ عَنِ السُّوءِ». وروي عن عليّ بن أبي طالب، أن ابن أبي الْكَوَّاءَ سأله عن سبحان، فقال عليّ: كلمة الله لنفسه. ويقال: معناه سبحوا الله {سُبْحَانَ الذى أسرى بِعَبْدِهِ} أي: أدلج برسوله صلى الله عليه وسلم {لَيْلاً} أي: في ليلة. ويقال: {أسرى} يعني: سار بعبده ليلاً {مّنَ المسجد الحرام} أي: مكة. وقال ابن عباس: من بيت أم هانئ {إلى المسجد الاقصى} يعني: إلى بيت المقدس. قال

الفقيه: أخبرني الثقة بإسناده عن أبي سعيد الخدري. قال: حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن الليلة التي أسرى به فيها، فقال: " أوتِيتُ بِدَابَّةٍ هِيَ أَشْبَهُ الدَّوَابِّ بِالبَغْلِ وَهُوَ البُرَاقُ، وَهُوَ الَّذِي كَان يَرْكَبُهُ الأَنْبِيَاءِ ". قال: " فَانْطَلَقَ بِي يَضَعُ يَدَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى بَصَرِهِ، فَسَمِعْتُ نِداءً عَنْ يَمِينِي: يا مُحَمَّدُ عَلَى رِسْلِكَ. فَمَضَيْتُ وَلَمَّا أعرِّجْ عَلَيْهِ، ثُمَّ سَمِعْتُ نِداءً عَنْ شِمَالِي فَمَضَيْتُ. ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْنِي امْرَأَةٌ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينةٍ، فَمَدَّتْ يديْهَا، وَقَالَتْ: عَلَى رِسْلِكَ فَمَضَيْتُ. وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهَا. ثُمَّ أَتَيْتُ البَيْتَ المَقْدِسَ. أوْ قَالَ المَسْجِدَ فَنَزَلْتُ وَأَوْثَقْتَهُ بِالحَلقَةِ الَّتِي كَانَتِ الأنْبياءُ يُوثِقُونَ بِهَا، ثُمَّ دَخَلْتُ، المَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ، فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ سَمِعْتُ نِداءً عَنْ يَمينِي، فَقَالَ: ذاكَ داعِي اليَهُودِيَّةِ، أما إنَّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ. فَقُلْتُ: وَسَمِعْتُ نِداءً عَنْ شِمَالِي. قالَ: كانَ ذلك دَاعِيَ النَّصارَى، أمَا إنَّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ وَأَمَّا المَرْأَةُ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزَيَّنَتْ لَكَ. أمَا إنَّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهَا لاخْتَارَتْ أمَّتُكَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ. قالَ: ثُمَّ أوتِيتَ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا فِيهِ لَبَنٌ، وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ. فَقَالَ لِي: اشْرَبْ أَيَّهُمَا شِئْتَ فأَخَذْتُ اللَّبَنَ وَشَرِبْتُ. فَقَالَ أَصبْتَ الفِطْرَةَ، أَيْ أُعْطِيَتْ أُمَّتُكَ الإسْلاَم. أَمَا إنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَةَ لَغَوَتْ أمَّتُكَ. ثُمَّ جِيءَ بِالمِعْرَاجِ الْذِي تَعْرُجُ فِيهِ أرْوَاحُ بَنِي آدَمَ. فَإذا هُوَ أَحْسَنُ ما رَأَيْتُ فَعُرِجَ بِنَا فيهِ ". وذكر قصة طويلة فنزل {سُبْحَانَ الذى أسرى بِعَبْدِهِ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم من أول الليل من المسجد الحرام. يقول: من الحرم من بيت أم هانئ بنت أبي طالب، إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى أي: الأبعد. يعني: إلى مسجد إيلياء وهو بيت المقدس {الذى بَارَكْنَا حَوْلَهُ} بالماء، والأشجار، وهو المدائن التي

حوله مثل دمشق، والأردن، وفلسطين. {لِنُرِيَهُ مِنْ ءاياتنا} أي: لكي نريه من آياتنا. أراه الله تعالى في تلك الليلة من عجائب السموات والأرض.

{إِنَّهُ هُوَ السميع} لمقالة أهل مكة وإنكارهم {البصير} أي: العليم بهم. وذلك أنه لما أخبرهم عن قصة تلك الليلة، أنكروا. وروى الزهري عن عروة قال: إنه لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، فأخبر الناس بذلك، فارتد ناس كثير ممن كان صدقه، وفتنوا بذلك، وكذبوا به، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر، فقالوا له: هذا صاحبك يزعم أنه قد أُسري به الليلة إلى بيت المقدس، ثم رجع من ليلته. فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: فإني أشهد إن كان قال ذلك أنه قد صدق. فقالوا: أتصدقه بأنه جاء إلى الشام في ليلة واحدة: ورجع قبل أن يصبح. فقال أبو بكر: نعم. إني أصدقه في أبعد من ذلك. أصدقه بخبر السماء غدوة وعشية. فبذلك سمي أبا بكر الصديق. قال الزهري: أخبرني أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم فرضت عليه الصلاة ليلة أسري به خمسين، ثم نقصت إلى خمس، ثم نودي يا محمد ما يبدل القول لدي، وإن لك بالخمس خمسين.

▲ تفسير الآيات رقم [2– 5]

{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا

جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5)}

{وَءاتَيْنَآ مُوسَى الكتاب} أي التوراة جملةً واحدةً {وجعلناه} أي: الكتاب {هُدًى لّبَنِى إسراءيل} أي: بياناً لهم من الضلالة. أي: دللناهم به على الهدى {أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلاً} يعني: ألاَّ تعبدوا من دوني ربّاً.

قوله: {ذُرِّيَّةِ} يعني: بالذرية {مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} في السفينة، في أصلاب الرجال، وأرحام النساء. ويقال: معناه ألاّ تعبدوا ذُريةً من حملنا مع نوح مثل عيسى وعزير. قرأ أبو عمرو {يَتَّخِذُواْ} بالياء على معنى المغايبة. والخبر عنهم أي: أعطيناك الكتاب لكيلا يتخذوا إلها غيري. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة. أي: قل لهم لا تتخذوا إلها غيري.

ثم أثنى على نوح فقال تعالى: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} أي: كان يحمد الله إذا شرب، وأكل، واكتسى. ويقال: الشكور هو المبالغ في الشكر. أي: كان شاكراً في الأحوال كلها.

قوله: {وَقَضَيْنَا إلى بَنِى إسراءيل} يقول: أعلمنا وبينّا كقوله: {وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَلِكَ الامر} أي: أعلمناه، وبينّاه {فِى الكتاب} يعني: أخبرناهم في التوراة {لَتُفْسِدُنَّ} أي: لتعصن {فِى الارض مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً} والعلو العتو على الله تعالى، والجرأة. وهذا قول ابن عباس.

وقال مقاتل: يعني: لتهلكن في الأرض مرتين {وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً} يعني: لتقهرن قهراً شديداً.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة أنه قال: أما المرة الأولى فسلط الله عليهم جالوت، حتى بعث الله طالوت، ومعه داود، فقتله داود. ثم رُدَّت الكرة لبني إسرائيل. ثم جاء وعد الآخرة من المرتين {إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الاخرة لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ المسجد كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا} [الإسراء: 7] أي: يقبحوا وجوهكم، وليدمروا تدميراً، وهو بُخْتَنَصَّر. وإن عدتم عدنا. فعادوا، فبعث الله عليهم محمداً صلى الله عليه وسلم، فهم يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.
وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: وَعْدُ أُولاهُمَا جاءتهم فارس معهم بختنصر، ثم رجعت فارس يعني: أهل فارس ولم يكن قتال، ونصرت بنو إسرائيل عليهم. فذلك وعد الأولى. فإذا جاء وَعْدُ الآخرة، جاءهم بختنصر، ودمر عليهم.

وروى أسباط عن السدي، أن وعد الأولى كان ملك النبط، فجاسوا خلال الديار. ثم إن بني إسرائيل تجهزوا، وغزوا النبط، فأصابوا منهم، واستنقذوا ما في أيديهم، فردت الكرة عليهم. وكان بختنصر في ذلك الوقت يتيماً في ذلك العسكر، وخرج ليسأل شيئاً. فلما رأى كبر جمع الجيوش، وجاء بهم، وخوفهم، وخرب البلدة.

قال القتبي: إن بختنصر غزاهم، فرغبوا إلى الله، وتابوا، فردَّ الله عنهم بعد أن فتحوا المدينة، وجالوا في أسواقها، ثم أحدثوا، فبعث الله إليهم أرميا النبي عليه السلام فقام فيهم بوحي الله، فضربوه، وقيدوه، وحبسوه، فبعث الله تعالى إليهم عند ذلك بختنصر، ففعل ما فعل.

وقال الكلبي: لما عصوا الله، وهو أول الفسادين، سلط الله عليهم بختنصر، خرج من بابل فأتاهم بالشام، وظهر على بيت المقدس، فقتل منهم أربعين ألفاً ممن كان يقرأ التوراة، وأدخل بقيتهم أرضه. فمكثوا كذلك سبعين سنة حتى مات ثم إن رجلاً من أهل همدان يقال له: كورش غزا أهل بابل، فظهر عليهم، وسكن الدار، وتزوج امرأة من بني إسرائيل، وطلبت إلى زوجها أن يرد قومها إلى أرضهم، ففعل، فردهم إلى أرض بيت المقدس، فمكثوا فيها، فرجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه. ثم عادوا فعصوا المرة الثانية، فسلط الله عليهم ملكاً من ملوك الروم يقال له: إسبسيانوس، فحاصرهم سنين ثم مات. فبعث الله عليهم ابنه ططيوس بن إسبسيانوس، فحاصرهم سنين. ثم فتحها بعد ذلك، فقتل منهم مائة ألف، وثمانين ألفاً حتى قتل يحيى بن زكريا، وحبس منهم مثل ذلك، وخرب بيت المقدس فلم يزل خراباً حتى بناه المؤمنون في زمن عمر رضي الله عنه. فذلك قوله: {فَإِذَا جَآء وَعْدُ أولاهما} يقول: أول الفسادين {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ} أي: سلطنا عليكم {عِبَادًا لَّنَا أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ} يعني: ذوي قتال شديد {فَجَاسُواْ خلال الديار} يقول: قتلوكم وسط الأزقة. وقال القتبي {فَجَاسُواْ} أي: عاثوا، وأفسدوا. ويكون جاسوا بمعنى دخلوا بالفساد {وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً} يعني: كائناً لئن فعلتم، لأفعلن بكم.

▲ تفسير الآيات رقم [6 -8]

{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6)
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ لِيَسُوءُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7)
عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)}

{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكرة عَلَيْهِمْ} يقول: أعطيناكم الدولة. ويقال: الرجعة عليهم.

قوله: {وأمددناكم بأموال وَبَنِينَ وجعلناكم أَكْثَرَ نَفِيرًا} يعني: أكثر رجالاً وعدداً. وقال القتبي: أصله من نفر، ينفر مع الرجل من عشيرته، وأهل بيته، والنفير والنافر مثل القدير والقادر.

قوله: {إِنْ أَحْسَنتُمْ} يقول: إن وحدتم الله وأطعتموه {أَحْسَنتُمْ لاِنفُسِكُمْ} أي: يثاب لكم الجنة {وَإِنْ أَسَأْتُمْ} أي: أشركتم بالله {فَلَهَا} ويقال: في الآية مضمر. ومعناه: وإن أسأتم فلها رب يغفر لها {فَإِذَا جَاء وَعْدُ الاخرة} أي: آخر الفسادين {لِيَسُوءواْ وُجُوهَكُمْ} أخذ من السوء أي: بعثناهم إليكم، ليقبحوا وجوهكم بالقتل، والسبي. قرأ حمزة، وابن عامر، وعاصم، في رواية أبي بكر: {***لِيَسُوءَ} بالياء، وفتح الهمزة. يعني: الوعد. ويقال: يعني الملك سلط عليهم. وقرأ الكسائي {***لنَسُوءَ} بالنون، ونصب الواو. فيكون الفعل لله تعالى. وقرأ الباقون {الاخرة لِيَسُوءواْ} بالياء، وضم الهمزة، بلفظ الجماعة. يعني: إن القوم يفعلون ذلك {وَلِيَدْخُلُواْ المسجد كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ} يعني:

بيت المقدس {وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا} يقول: وليخربوا ما ظهروا عليه تخريباً. وقال الكلبي: أي ليدمروا، وليخربوا، {مَا عَلَوْاْ}. أي: ما ظهروا {تَتْبِيرًا} أي: إهلاكاً. وقال الزجاج: يقال لكل شيء متكسر من الحديد، والذهب، والفضة، والزجاج تبر، ومعنى ما علوا أي: وليدمروا في حال علوهم.

قوله: {عسى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ} بعد هذين الموتين. فرحمهم وعادوا إلى ما كانوا عليه وبعث فيهم الأنبياء، وكانوا رحمة لهم {وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا} أي: إن {عُدتُّمْ} إلى المعصية {عُدْنَا}، إليكم بالعذاب. ويقال: {ءانِ *** عُدتُّمْ} إلى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم كما كذبتم سائر الأنبياء {عُدْنَا} يعني: سلطناه عليكم، فيعاقبكم بالقتل، والجزية في الدنيا. {وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ للكافرين حَصِيرًا} أي: سجناً ومحبساً. قال الحسن: أي سجناً. وقال قتادة: أي وحبساً يحبسون فيها. وقال مقاتل: أي محبساً ينحبسون فيها، ولا يخرجون أبداً، كقوله: {لِلْفُقَرَاء الذين أُحصِرُواْ} ويقال: هذا فعيل بمعنى فاعل. وقال الزجاج: {حَصِيرًا} أي حبيساً. أخذ من قوله: حصرت الرجل إذا حبسته، وهو محصور، والحسير المنسوج وإنما سمي {حَصِيرًا} لأنه حصرت طاقاته بعضها فوق بعض.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 12]

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا

(11) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12)}

ثم قال: {إِنَّ هذا القرءان يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ} أي: يدعو، ويدل، ويرشد إلى التي هي أقوم. وهو توحيد الله تعالى، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان برسله، والعمل بطاعته. هذه صفة الحال التي هي أقوم، {وَيُبَشّرُ المؤمنين} يعني: القرآن بشارة للمؤمنين {الذين يَعْمَلُونَ الصالحات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} في الجنة {وأَنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} أي: لا يصدقون بالبعث {أَعْتَدْنَا لَهُمْ} أي هيّأنا لهم {عَذَاباً أَلِيماً} أي: وجيعاً. قرأ حمزة والكسائي: {وَيُبَشّرُ} بنصب الياء، وجزم الباء، والتخفيف. وقرأ الباقون: {وَيُبَشّرُ} بضم الياء والتشديد.

قوله: {وَيَدْعُ الإنسان بالشر} وأصله في اللغة. ويدعو بالواو إلا أنه حذف الواو في الكتابة، لأن الضمة تقوم مقامه مثل قوله: {سَنَدْعُ الزبانية} [العلق: 18] وأصله سندعو أي: يدعو الإنسان باللعن على نفسه، وأهله، وولده، وماله، وخدمه، {دُعَاءهُ بالخير} أي: دعاءه بالرزق، والعافية، والرحمة، وما يستجاب له. فلو استجيب له إذا دعا باللعن، كما يستجاب له بالخير هلك. ويقال: نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا *** مّنَ السماء} {وَكَانَ الإنسان عَجُولاً} يستعجل. يعني: إن آدم عجل بالقيام، قبل أن يتم فيه الروح. وكذلك النضر بن الحارث يستعجل بالدعاء على نفسه،

ويستعجل بالعذاب. ويروي الحكم، عن إبراهيم، عن سلمان أنه قال: لما خلق الله تعالى آدم، بدأ بأعلاه قبل أسفله. فجعل آدم ينظر، وهو يخلق، فلما كان بعد العصر، قال: يا رب عجّل قبل الليل. فذلك قوله: {وَكَانَ الإنسان عَجُولاً} قال ابن عباس: لما جعل فيه الروح، فإذا جاوز عن نصفه، أراد أن يقوم فسقط، فقيل له: لا تعجل، فذلك قوله: {وَكَانَ الإنسان عَجُولاً} قوله: {وَجَعَلْنَا اليل والنهار ءايَتَيْنِ} يعني: خلقنا الشمس والقمر علامتين يدلان على أن خالقهما واحد {فَمَحَوْنَا ءايَةَ اليل} يعني: ضوء القمر، وهو السواد الذي في جوف القمر. وقال محمد بن كعب: كانت شمس بالليل، وشمس بالنهار، فمحيت شمس الليل. وقال ابن عباس: كان في الزمان الأول لا يعرف الليل من النهار. فبعث الله جبريل، فمسح جناحه بالقمر، فذهب ضوءه، وبقي علامة جناحه وهو السواد الذي في القمر، فذلك قوله: {فَمَحَوْنَا ءايَةَ اليل} {وَجَعَلْنَا اليل والنهار ءايَتَيْنِ} أي: وتركنا علامة النهار مضيئة مبينة {لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مّن رَّبّكُمْ} أي: لكي تطلبوا رزقاً من ربِكم في النهار {وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السنين والحساب} أي: حساب الشهور والأيام {وَكُلَّ شَئ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً} أي: بينّاه في القرآن.

▲ تفسير الآيات رقم [13- 15]

{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا

يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)}

قوله: {وَكُلَّ إنسان ألزمناه طَئِرَهُ فِى عُنُقِهِ} قال ابن عباس: أي خيره وشره مكتوب عليه لا يفارقه. وقال قتادة: سعادته، وشقاوته. قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل. قال: حدثنا محمد بن جعفر. قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف. قال: حدثنا يزيد بن ربيع عن يونس عن الحسن. قال: في قوله: {وَكُلَّ إنسان ألزمناه طَئِرَهُ فِى عُنُقِهِ} طائره عمله، وإليه هداه أُمِّيَّاً كان أو غير أمي. وروى الحكم عن مجاهد أنه قال: ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. وقال الضحاك: {طَئِرَهُ فِى عُنُقِهِ} الشقاوة، والسعادة، والأجل، والرزق. {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القيامة كِتَابًا يلقاه مَنْشُوراً} أي: مفتوحاً. قرأ ابن عامر: {يلقاه} بضم الياء، وتشديد القاف. يعني: يعطاه. والباقون {يلقاه} أي: يراه.

وقوله: {اقرأ كتابك كفى بِنَفْسِكَ اليوم عَلَيْكَ حَسِيبًا} أي: شاهداً. ويقال: محاسباً. لما ترى فيه كل حسنة، وسيئة محصاة عليك. قال ابن عباس: فإن كان مؤمناً، أعطي كتابه بيمينه وهي صحيفة يقرأ سيئاته في باطنها، وحسناته في ظاهرها. فيجد فيها: عملت كذا وكذا وصنعت كذا وكذا، وقلت كذا وكذا، في سنة كذا وكذا، في شهر كذا وكذا، وفي يوم كذا وكذا، وفي ساعة كذا وكذا، وفي مكان كذا وكذا. فإذا انتهى إلى أسفلها، قيل له: قد غفرها الله لك. اقرأ ما في ظهرها فيقرأ حسناته، فيسره ما يرى فيها، ويشرق

لونه، عند ذلك يقول: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابه بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقرؤا كتابيه} [الحاقة: 19]. قال: ويعطى الكافر بشماله، ويقرأ حسناته في باطنها، وسيئاته في ظاهرها. فإذا انتهى إلى آخره، قيل له: هذه حسناتك قد ردت عليك. اقرأ ما في ظهرها. فيرى فيها سيئاته، قد حفظت عليه كل صغيرة وكبيرة فيسوءه ذلك، ويسود وجهه، وتزرق عيناه، ويقول عند ذلك: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابه بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ ياليتنى لَمْ أُوتَ كتابيه} [الحاقة: 25] وهو قوله: {كفى بِنَفْسِكَ اليوم عَلَيْكَ حَسِيبًا} أي: حفيظاً. وقال مقاتل: وذلك حين جحد، فختم على لسانه، وتكلمت جوارحه. فشهدت جوارحه على نفسه، وذلك قوله: {كفى بِنَفْسِكَ اليوم عَلَيْكَ حَسِيبًا} أي: شهيداً. فلا شاهد عليك أفضل من نفسك.

قوله: {مَّنِ اهتدى} يعني: من اجتهد حتى اهتدى {فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ} يعني: فثوابه لنفسه {وَمَن ضَلَّ} أي: ومن تغافل حتى ضل {فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} أي: إثمه على نفسه {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى} أي: لا تؤاخذ نفس بذنب نفس أُخرى.

ثم قال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولاً} حجة عليهم مع علمه أنهم لا يطيعون، وينذرهم ما هم عليه من المعصية، فإن أجابوا وإلاّ عذبوا.

▲ تفسير الآيات رقم [16– 19]

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19)}

ثم قال: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً} يعني: أهل قرية {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} أي: أكثرنا جبابرتها، يقال: أَمَرَ إِذَا أكثر وآمَرَ أيضاً. هما لغتان. وروي عن زينب بنت جحش أنها قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق إبهامه بالتي تليها. قالت: قلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث. ويقال: أمَرَ وآمر مثل فعل وأفعل يعني: أكثر. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " خير المال مهرة مأمورة " أي: خيل كثير النتاج قرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين ونافع في إحدى الروايتين وابن كثير في إحدى الروايتين «أَمَّرْنَا» بالتشديد بغير مد، وفي إحدى الروايتين عن ابن كثير ونافع «آمَرْنَا» بالمد والتخفيف. وقرأ الباقون بالتخفيف بغير مد. فمن قرأ بالتشديد فمعناه: سلطنا جبابرتها، ومن قرأ بالمد يعني: أكثرنا جبابرتها. ومن قرأ بالتخفيف له معنيان: أحدهما: أكثرنا جبابرتها وأشرافها، ومعنى آخر: أمرناهم بالطاعة وخذلناهم حتى تركوا الأمر وعصوا الله تعالى {فَفَسَقُواْ فِيهَا} أي: عصوا فيها {فَحَقَّ عَلَيْهَا القول} أي: وجب عليها السخط بالعذاب {فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} أي: أهلكناها بالعذاب

إهلاكاً. قوله: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ القرون مِن بَعْدِ نُوحٍ وكفى بِرَبّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرَا بَصِيرًا} يعني: إن الله تعالى عالم بذنوبهم قادر على أخذهم ومجازاتهم، فيه تهديد لهذه الأمة لكي يطيعوا الله تعالى ولا يعصوه فيصيبهم مثل ما أصابهم، قوله: {مَّن كَانَ يُرِيدُ العاجلة} أي: من كان يريد بعمله الذي افترض الله عليه ثواب الدنيا {عَجَّلْنَا لَهُ} أي: أعطينا له {فِيهَا مَا نَشَاء} من عرض الدنيا {لِمَن نُّرِيدُ} أن نهلكه {ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ} أي: أوجبنا له جهنم {يصلاها} أي: يدخلها {مَذْمُومًا} ملوماً في عمله {مَّدْحُورًا} أي: مطروداً مقصيَّاً من كل خير قوله: {وَمَنْ أَرَادَ الاخرة} من المؤمنين بعمله الذي افترض الله عليه {وسعى لَهَا سَعْيَهَا} يعني: عمل للآخرة عملها {وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} يعني: عملهم مقبولاً ويقال: معناه: من كان غرضه وقصده وعزمه الدنيا وحطامها وزهرتها عجلنا له فيها أي للمزيد في الدنيا ما نشاء لمن نريد يعني لمن نريد أن نعطيه بإرادتنا لا بإرادته ومن كان قصده وعزمه الآخرة فنعطي له ما نريد من الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [20– 23]

{كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (22) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23)}

قوله: {كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء} يعني: كلا الفريقين من المؤمنين والكافرين نعطي هؤلاء من أهل المعصية {وَهَؤُلاء} من أهل الطاعة {مِنْ عَطَاء رَبِّكَ} أي: من رزق ربك. وقال الحسن: كلاًّ نمد. نعطي من الدنيا البر والفاجر {وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا} يعني: محبوساً عن البر والفاجر في الدنيا. {انظر كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ} في الدنيا بالمال {وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ درجات} يقول: ولفضائل الآخرة أرفع درجات مما فضلوا في الدنيا {وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} أي: وأرفع في الثواب. وقال الضحاك: «وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ» في الجنة، الأعلى يرى فضله على من هو أسفل منه والأسفل لا يرى أَن فوقه أحداً. وقال مقاتل: فضل المؤمنين في الآخرة على الكفار أكبر من فضل الكفار على المؤمنين في المال في الدنيا، وقال بعض الحكماء: إذا أردت هذه الدرجات وهذا التفضيل فاستعمل هذه الخصال التي ذَكَرَ في هذه الآيات إلى قوله {عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا}. وروي عن ابن عباس أنه قال: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام حيث كتب الله له فيها، أنزلها الله تعالى على نبيه محمد عليه السلام وهي كلها في التوحيد وهي في الكتب كلها موجودة لم تنسخ قط وهو قوله تعالى: {لاَّ تَجْعَل مَعَ الله إلها ءاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا} يعني: تبقى شقياً مذموماً يذمك الله ويذمك الناس بفعلك {مَّخْذُولاً} يعني: يخذلك الذي تعبده. ويقال: فتبقى في النار يذمك الله ويذمك الناس وتذم نفسك مخذولاً أي: يخذلك معبودك ولا ينصرك. قوله: {وقضى رَبُّكَ} يعني: أمر {أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} أي أمر ربك ألا تطيعوا أحداً إلا إياه، يعني: إلا الله تعالى يعني: لا تطيعوا أحداً في المعصية وتطيعوا

الله في الطاعة، ويقال لا تحدوا إلا الله. وفي قراءة ابن مسعود وَوَصَّى رَبُّكَ ألا تطيعوا إلاَّ إيَّاهُ {وبالوالدين إحسانا} أي: أمر بالإحسان إلى الوالدين بِراً بهما وعطفاً عليهما {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكبر} قرأ حمزة والكسائي «إِمَّا يَبْلَغَانِ» بلفظ التثنية لأنه سبق ذكر الوالدين. وقرأ الباقون «يَبْلُغَنَّ» بلفظ الوحدان. لأنه انصرف إلى قوله: {أَحَدُهُمَا} يعني: إن بلغ الكبر أحدهما {أَوْ كِلاَهُمَا} يعني: إن بلغ أحد الأبوين عندك الهرم أو كلا الأبوين {فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفّ} أي: لا تقذرهما ولا تقل لهما قولاً رديئاً عند خروج الغائط منهما إذا احتاجا إلى معالجتهما عند ذلك. قال الفقيه: حدثنا أبو عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا فارس بن مردويه قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا أصرم عن عيسى بن عبد الله الأشعري عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

»لَوْ عَلِمَ الله شَيْئَاً مِنَ العَقُوقِ أَدْنَى مِنْ أُفٍ لحرمه فَلْيَعْمَلِ العَاقّ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ وَلْيَعْمَلَ البَارّ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلِ النَّار». وقال مجاهد: إذا كبرا فلا تأف لهما لأنهما قد رأيا منك مثل ذلك. وقال القتبي: أُفٍ بكسر وفتح وبضم وهو ما غلظ من الكلام يعني: لا تستثقل شيئاً من أمورهما ولا تغلظ لهما القول. قرأ ابن كثير وابن عامر بنصب الفاء، وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص أُفٍّ بكسر الفاء مع التنوين وقرأ الباقون أفِّ بكسر الفاء بغير تنوين ومعنى ذلك كله واحد. ثم قال تعالى: {وَلاَ تَنْهَرْهُمَا} يعني: لا تغلظ عليهما بالقول {وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا} أي ليناً حسناً.

▲ تفسير الآيات رقم [24– 26]

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (25) وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26)}

قوله: {واخفض لَهُمَا جَنَاحَ الذل مِنَ الرحمة} أي: كن ذليلاً رحيماً عليهما. وروى هشام عن عروة عن أبيه في قوله: {واخفض لَهُمَا جَنَاحَ الذل مِنَ الرحمة} قال: كن لهما ذليلاً ولا تمتنع من شيء أحباه. وقال عطاء: جناحك يعني: يداك لا ينبغي أن ترفع يدك على والديك ولا ينبغي لك أن تحد بصرك إليهما تغيظاً. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا دَعَاكَ أَبَوَاكَ وَأَنْتَ فِي الصَّلاَةِ فَأَجِبْ أُمَّكَ وَلاَ تُجِبْ أَبَاكَ». وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَوْ كَانَ جُرَيْجٌ الرَّاهِبِ فَقِيهاً لَعَلِمَ أَنَّ إِجَابَةَ أُمِّهِ أَفْضَلَ مِنْ صَلاتِهِ». قال الفقيه أبو الليث رضي الله عنه لأن في ذلك الوقت كان الكلام الذي تحتاج إليه مباحاً في الصلاة. وكذلك في أول شريعتنا ثم نسخ الكلام في الصلاة فلا يجوز أن يجيبها إلا إذا علم أنه وقع لها أمر مهم فيجوز له أن يقطع ثم يستقبل. ثم قال تعالى: {وَقُل رَّبّ ارحمهما} أي: عند معالجتك إياهما في الكبر. ويقال: معناه: رب اجعل رحمتهما في قلبي حتى أربيهما في كبرهما {كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا} أي: كما عالجاني في صغري، ويقال: معناه: ادع لهما بالرحمة بعد موتهما أي: كن باراً بهما في حياتهما وادع لهما بعد موتهما. ثم قال: {رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى

نُفُوسِكُمْ} من اللين لهما {إِن تَكُونُواْ صالحين} أي بارين بالوالدين محسنين إليهما {فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً} أي: للراجعين من الذنوب إلى طاعة الله تعالى. ويقال: في الآية مضمر ومعناه: {رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صالحين} فإن لم تكونوا صالحين فارجعوا إلى الله وتوبوا إليه تعالى. وقال مجاهد: الأواب الذي يذكر ذنوبه في الخلوة ويستغفر منها.. وقال سعيد بن جبير الأواب: الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال الحسن الأواب: الذي يقبل إلى الله بقلبه وعمله. وقال السدي الأواب: المحسن وقال القتبي: الأواب: التائب مرة بعد مرة من قولك آب يؤوب. ويقال: الأواب: الذي يصلي بين المغرب والعشاء. قوله: {وَءاتِ ذَا القربى حَقَّهُ} أي: صلته {والمساكين} أي: أعط السائلين {وابن السبيل} أي: الضيف النازل وحقه ثلاثة أيام. ثم قال تعالى: {وَلاَ تُبَذّرْ تَبْذِيرًا} أي: لا تنفق مالك في غير طاعة الله تعالى. وروي عن عمثان بن الأسود أنه قال سمعت مجاهداً ونحن نطوف بالبيت، ورفع رأسه إلى أبي قبيس فقال: لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً في معصية الله تعالى كان مسرفاً. وروى الأعمش عن الحكم عن أبي عبيد وكان ضريراً وكان عبد الله بن مسعود يدنيه فجاءه يوماً فقال: من نسأل إن لم نسألك؟ فقال سل. قال فما الأواب؟ قال الرحيم قال فما التبذير؟ قال إنفاق المال في غير حقه. قال فما الماعون؟ قال: ما يعاون الناس فيما بينهم. قال فما الأمة؟ قال الذي يعلم الناس الخير.

▲ تفسير الآيات رقم [27- 29]

{إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29)}

ثم قال تعالى: {إِنَّ المبذرين} أي: المنفقين أموالهم في غير طاعة الله تعالى {كَانُواْ إخوان الشياطين} يعني: أعوان الشياطين {وَكَانَ الشيطان لِرَبِّهِ كَفُورًا} أي: كافراً {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ} أي: عن قرابتك في الرحم وغيرهم ممن يسألك حياء منه ورحمة له {ابتغاء رَحْمَةٍ مّن رَّبّكَ تَرْجُوهَا} أي: انتظار رزق من ربك أن يأتيك أو قدوم مال غائب عنك ترجو حضوره {فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا} أي: هيناً ليناً. يعني: عِدْهُمْ عدة حسنة وقال مقاتل: نزلت الآية في خباب بن الأرت وبلال وعمَّار ونحوهم من أصحاب الصُّفة كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجد شيئاً يعطيهم فيعرض عنهم فنزلت الآية. وقال السدي: معناه لا تعرض عن قرابتك وعن المساكين وابن السبيل ابتغاء أن تصيب مالاً «فقل لهم قولاً ميسوراً» أي قل لهم نعم وكرامة. ليس عندنا اليوم شيء فإن أتانا شيء نعرف حقكم. وقال محمد بن الحنفية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول لشيء لا، فإذا سئل وأراد أن يفعل. يقول نعم وإذا لم يرد أن يفعل سكت. فكان قد علم ذلك منه قوله: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ} يقول: لا تمسك يدك في النفقة من البخل بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه {وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البسط} في الإسراف فتعطي جميع ما عندك فيجيء الآخرون ويسألونك فلا تجد ما تعطيهم. وهذا قول ابن

عباس. وقال قتادة: لا تمسكها عن طاعة الله وعن حقه ولا تبسطها كل البسط يقول لا تنفقها في المعصية وفيما لا يصلح. وقال مقاتل في قوله: لا تبسطها كل البسط. أي: في العطية ولا يبقى عندك شيء فإذا سئلت لم تجد ما تعطيهم. وقال بعض الحكماء: كان النبي صلى الله عليه وسلم لأمته كالوالد. ولا ينبغي للوالد أن يعطي جميع ماله لبعض ولده ويترك الآخرين فنهاه الله تعالى أن يعطي جميع ماله المسكين الواحد وأمره أن يقسم بالسوية كي لا ييأسوا منه ثم قال تعالى {فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُوراً} يعني: لو أعطيت جميع مالك فتبقى مَلُوماً يلومك الناس وتلوم نفسك، مَحْسُوراً. منقطعاً عن المال فلا مال لك، والمحسور في اللغة المنقطع. وروي في الخبر أن امرأة بعثت ابنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له: قل له إن أمي تستكسيك درعاً، فإن قال حتى يأتينا شيء فقل له إنها إِذَنْ تستكسيك قميصك. فأتاه فقال له إن أمي تستكسيك درعاً فقال له: حتى يأتينا شيء. فقال: إنها تستكسيك قميصك. قال: فنزع قميصه ودفعه إليه ولم يبق له قميص يخرج به إلى الصلاة فنزلت هذه الآية. يعني: تبقى عرياناً لا تقدر أن تخرج إلى الصلاة.

قال الفقيه: إذا أردت أن تعرف أن البخل قبيح فانظر إلى هذه الآية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أعطى قميصه حتى عجز عن الخروج إلى الصلاة عاتبه الله على ذلك فبدأ بالنهي عن الإمساك فقال {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً} فنهاه أولاً عن البخل ثم نهاه عن دفع الكل وهو التبذير.

▲ تفسير الآيات رقم [30- 33]

{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33)}

ثم قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَاء} أي: يوسع الرزق على من يشاء من كان صلاحه في ذلك {وَيَقْدِرُ} أي: يضيق على من يشاء، ويقدر لمن يشاء {إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} من البسط، والتقتير، يعلم صلاح كل واحد من خلقه.

قوله: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إملاق} أي: مخافة الفقر ط {نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ *** حُوباً كَبِيراً} أي: ذنباً عظيماً. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تَجْعَلَ لله نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ» قال: يا رسول الله ثم أي؟ قال: «أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ». قال: ثم أي؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قرأ ابن عامر {***خَطْأً} بنصب الخاء، وجزم الطاء. وقرأ ابن كثير: خِطَاءً بكسر الخاء، وفتح الطاء، ومد الألف. وقرأ الباقون: {***خِطْأً} بكسر الخاء، وجزم الطاء بغير مد يعني: إثماً كبيراً. ويقال: خَطِئَ يَخْطَأُ خِطْأً مثل أَثم يأْثم إثماً. ومن قرأ بالنصب

معناه: إنَّ قتلهم كان غير صواب. يقال: أَخْطَأَ يُخْطِئ خَطْأً وإِخْطَاءً. وقرأ بعضهم بنصب الخاء والطاء، وهي قراءة شاذة.

ثم قال: {كَبِيرًا وَلاَ تَقْرَبُواْ الزنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} أي: معصية {وَسَاء سَبِيلاً} أي: بئس المسلك. وروى عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لا أحد أغير من الله، وبذلك حرم الفواحش ما ظهر منها، وما بطن. ولا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى. ولذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العُذْر من الله تعالى، ولذلك بعث الرسل، وأنزل الكتب.

ثم قال تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق} يعني إلا بإحدى ثلاث مواضع. إذا قتل أحداً فيقتص به، أو زنى وهو محصن فيرجم، أو يرتد فيقتل. {وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيّهِ سلطانا} أي: سبيلاً وحجة عليه. إن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية. يعني: إذا اصطلحا. وقال مجاهد: كل سلطان في القرآن فهو حجة، وكل ظن في القرآن فهو يقين.

ثم قال: {فَلاَ يُسْرِف فّى القتل} يعني: لا يقتل غير القاتل حمية، ولا يقتل بالواحد اثنين، ولا يقتل بعد ما عفا أو أخذ الدية {إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} أي: معاناً من الله تعالى في كتابه. جعل الأمر إليه في القَوَدِ. قرأ حمزة والكسائي {***تُسْرِفْ} بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء.

▲ تفسير الآيات رقم [34– 38]

{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38)}

ثم قال {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ اليتيم إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ} أي: إلا على وجه التجارة، لينمو مال اليتيم بالأرباح، أو ينمو على وجه المضاربة {حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} يعني: حتى يتم خلقه. وقال القتبي: أشد الرجل، غير أشد اليتيم، وإن كان لفظهما واحداً. لأن قوله تعالى: {حتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ} [الأحقاف: 25] إنَّما هو الاكتمال، وذلك ثلاثون سنة. وأشد الغلام أن يشتد خلقه، وذلك ثمان عشرة سنة. وقال مقاتل: هذه الآية منسوخة بقوله: {فِى الدنيا والاخرة وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليتامى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فإخوانكم والله يَعْلَمُ المفسد مِنَ المصلح وَلَوْ شَآءَ الله لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: 220].

ثم قال: {وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ} يعني: الذي بينكم وبين الله تعالى، والعهد الذي بينكم وبين الناس {إِنَّ العهد كَانَ مَسْؤُولاً} يعني: إن ناقض العهد يسأل عنه يوم القيامة.

ثم قال تعالى: {وَأَوْفُوا الكيل إِذا كِلْتُمْ} لغيركم {وَزِنُواْ بالقسطاس المستقيم} أي: بالميزان العدل. بلغة الروم. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية حفص {بالقسطاس} بكسر القاف. والباقون، بالضم. وهما لغتان يعني: الميزان. ويقال: هو القبان. {ذلك خَيْرٌ} أي: الوفاء بجميع ما أمركم الله تعالى به، ونهاكم عنه، خير من البخس والنقصان. {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} أي: عاقبة، ومرجعاً في الآخرة {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} يقول: لا تقل ما لم تعلم، فتقول: علمت ولم تعلم، ورأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع. أي: كأنك تقفو الأمور. يقال: قفوت أثره، والقائف الذي يعرف الآثار ويتبعها.

ثم حذرهم فقال: {إِنَّ السمع والبصر والفؤاد كُلُّ أولئك كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} أي: يسأل العبد عن أعضائه يوم القيامة، فيشهدن عليه. ويقال: معناه صاحب السمع، والبصر، والفؤاد، يسأل يوم القيامة عن السمع والبصر والفؤاد.
ويقال: قوله: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أي: لا تقل ما لم تعلم، ولا تسمع اللغو، ولا تنظر إلى الحرام، ولا تحكم على الظن {كُلُّ أولئك كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} يعني: عن الكلام باللسان، والتسمع بالسمع، والتبصر بالبصر على وجه الإخبار، وهو من جوامع الكلم.

ثم قال: {وَلاَ تَمْشِ فِى الارض مَرَحًا} يعني: بالتكبر والفخر {إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ} يعني: لن تدخل {الارض} ولن تجاوزها {وَلَن تَبْلُغَ الجبال طُولاً} قال القتبي: يعني: لا تقدر أن تقطعها، حتى تبلغ إلى آخرها. يقال: فلان أخرق إلى

الأرض من فلان، إذا كان أكثر أسفاراً، {وَلَن تَبْلُغَ الجبال طُولاً} يريد، أنه ليس للعاجز أن يمدح نفسه، ويستكبر.

ثم قال: {كُلُّ ذلك} أي: كل ما أمرتك به، ونهيتك عنه {كَانَ سَيّئُهُ عِنْدَ رَبّكَ} يعني: ترك ذلك معصية عند الله {مَكْرُوهًا} أي: منكراً. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، سَيِّئَةً بنصب الهاء مع التنوين، يعني: خطيئة. ومعناه: ما ذكر في الآية، تركه كان معصية وسيئة. وقرأ الباقون {سَيِّئُهُ} بضم الهاء على معنى الإضافة. قال أبو عبيدة: وبهذه القراءة نقرأ، وحجته قراءة أُبَيّ، كان يقرأ سَيِّئَاتِهِ على معنى الإضافة.

▲ تفسير الآيات رقم [39– 44]

{ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآَنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (41) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آَلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)}

ثم قال: {ذلك مِمَّا أوحى إِلَيْكَ رَبُّكَ}، أي مما بيّن الله تعالى وأمر ونهى. كان ذلك مكتوباً في اللوح وأوحى إليك ربك. {مِنَ الحكمة}، أي بيان الحلال

والحرام. {وَلاَ تَجْعَلْ}، أي لا تقل. {مَعَ اللهِ إلها ءاخَرَ}؛ فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته. {فَتَلَقَّى}، أي فتطرح {فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا}، أي يلومك الناس. {مَّدْحُورًا}، أي مقصيّاً من كل خير. وقال القتبي: مدحوراً، أي مبعداً. يقال في الدعاء: اللَّهُمَّ ادْحَرْ عَنِّي الشَّيْطَانَ، أي ابعده مني. {أفأصفاكم رَبُّكُم بالبنين}، أي أفاختاركم بالبنين. {واتخذ} لنفسه {مِنَ الملئكة إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا} في العقوبة، ويقال: قولاً منكراً قبيحاً.

قوله {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا}، لقد بينا {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هذا}، أي ليتعظوا بالقرآن، ويقال: في القرآن من كل شيء يحتاج إليه الناس، ويقال: بيّنا في هذا القرآن من كل وعد ووعيد، ليتعظوا بما في القرآن فينتهوا عن عبادة الأوثان. {وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا}، أي القرآن لا ينفعهم إلا تباعداً عن الإيمان. قرأ حمزة والكسائي {لّيَذْكُرُواْ} بالتخفيف، يعني: ليذكروا ما فيه؛ وقرأ الباقون بالتشديد، لأن أصله ليتذكروا فادغم التاء في الذال وشدد.

قوله {قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءالِهَةٌ}، قال ابن عباس: لأهل مكة. {كَمَا يَقُولُونَ} من الأوثان. {إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إلى ذِى العرش سَبِيلاً}، أي طريقاً فكانوا كهيئته؛ وقال قتادة: أي لعرفوا فضل ذي العرش ومزيته عليهم؛ ويقال: ابتغوا طريقاً للوصول إليه، وقال مقاتل: لطلبوا سبيلاً ليقهروه كفعل الملوك بعضهم مع بعض.

ثم نزه نفسه عن الشريك، فقال تعالى: {سبحانه}، أي تنزيهاً له. {وتعالى عَمَّا يَقُولُونَ}، أي عما يقول الظالمون إن معه شريكاً. {عُلُوّاً كَبِيراً}، أي

بعيداً عما يقول الكفار. قوله: {تُسَبّحُ لَهُ السموات **السبع والارض وَمَن فِيهِنَّ} من الخلق؛ {وَإِن مّن شَئ إِلاَّ يُسَبّحُ بِحَمْدَهِ}، أي ما من شيء إلا يسبح بأمره وبعلمه؛ وقال الكلبي: كل شيء ينبت يسبح من الشجر وغير ذلك، فإذا قطع منه صار ما قطع منه ميتاً لا يسبح؛ وقال قتادة: كل شيء فيه الروح يسبح من شجر أو غيره؛ وقال السدي: ليس شيء في أصله الأول إلا وهو يسبح.

وروي عن الحسن أنه قيل له: أيسبح هذا الخوان؟ قال: كان يسبح في شجره، فأَمَّا الآن فلا. ويقال: إذا قطع الشجر، فإنه يسبح ما دام رطباً، بدليل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مرَّ بقبرين، فقال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبانِ في القَبْرِ، ومَمَا يُعَذَّبَانِ بِكَبِيرَةٍ. فَأَمَّا أَحَدَهُمَا كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ عن البَوْلِ».

ثم أخذ جريدتين من شجر، وغرس إحداهما في قبر والأُخرى في قبر الآخر، فقال: «لَعَلَّهُمَا لا يُعَذَّبَانِ ما دَامَتَا رَطْبَتَيْنِ». قال الحكماء: الحكمة في ذلك أنهما ما دامتا رطبتين تسبحان الله تعالى، ويقال: معناه ما من شيء إلا يسبح بحمده، ويقال: معناه وإن من شيء يسبح بحمده، إلا يدل على وحدانية الله تعالى، ويسبحه وأن الله خالقه.

{ولكن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}، يعني: أثر صنعه فيهم، ولكن هذا بعيد. وهو خلاف أقاويل المفسرين، ثم قال: {إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا}، حيث لم يجعل العقوبة لمن اتخذ معه آلهة. {غَفُوراً} لمن تاب منهم.

▲ تفسير الآيات رقم [45- 47]

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآَنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (47)}

{وَإِذَا قَرَأْتَ القرءان}، يعني: أخذت في قراءة القرآن. {جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة حِجَابًا مَّسْتُورًا}؛ قال بعضهم: الحجاب المستور ، هو أن يمنعهم عن الوصول إليه؛ كما روي أن امرأة أبي لهب جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده أبو بكر فدخلت فقالت لأبي بكر: هجاني صاحبك. قال أبو بكر: والله هو ما ينطق بالشعر ولا يقوله. فرجعت، فقال أبو بكر: أما رأتك يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَمْ يَزَلْ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا حَتَّى رَجَعَتْ». وقال قتادة: الحجاب المستور هو الأكنة؛ وقال مقاتل: الحجاب هو قوله: {وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ} يعني جعلنا أعمالهم على قلوبهم أغطية، حتى لا يرغبوا في الحق؛ ويقال: جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة يعني: الجن والشياطين حجاباً مستوراً، فلا يصلون إليك؛ وقال الكلبي: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا القرآن، ستره الله وحجبه عن المشركين بثلاث آيات، إذا قرأهن حجب عنهم. إحداهن في سورة الكهف {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بأايات

رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إلى الهدى فَلَنْ يهتدوا إِذاً أَبَداً} [الكهف: 57] والآية الثانية في النحل {أولئك الذين طَبَعَ الله على قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وأبصارهم وأولئك هُمُ الغافلون} [النحل: 108] والثالثة في حم الجاثية {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتخذ إلهه هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ الله على عِلْمٍ وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غشاوة فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ الله أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: 23] الآية.

ثم قال: {وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ}، أي صمماً وثقلاً لا يسمعون الحق. قرأ ابن كثير {قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إلى ذِى العرش سَبِيلاً} [الإسراء: 42] بالياء، وكذلك في قوله: {سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: 43]، وكذلك {فِى بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسمه يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بالغدو والاصال} [النور: 36] الثلاثة كلها بالياء على معنى المغايبة؛ وقرأ حمزة والكسائي كلهن بالتاء على معنى المخاطبة ولفظ التأنيث؛ وقرأ نافع وابن عمر الأول خاصة بالتاء والآخرين بالياء، وقرأ أبو عمرو الأوسط بالياء، واختلفوا عن عاصم في رواية حفص الآخر خاصة بالياء، وروى أبو بكر مثل ابن عامر.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ}، يعني: وحدانيته، قول لا إله إلا الله. {وَلَّوْاْ على أدبارهم نُفُوراً}، أي أعرضوا تباعداً عن الإيمان؛ وقال

القتبي: ولوا على أدبارهم هرباً وهو مثل ما قال مقاتل؛ وذلك حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم:

»قُولُوا لا إله إلاَّ اللَّهُ تَتَمَلَّكُوا بِهَا العَرَبَ وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا العَجَمُ« فنفروا من ذلك.

ثم قال: {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ}، يعني: بالقرآن. {إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ} أي إلى قراءتك القرآن. {وَإِذْ هُمْ نجوى}، يعني: يتناجون فيما بينهم. {إِذْ يَقُولُ الظالمون}، أي يقول المشركون للمؤمنين: {إِن تَتَّبِعُونَ}، يعني: ما تطيعون {إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا}، يعني: مقلوب العقل. وذكر القتبي، عن مجاهد أنه قال: مسحوراً أي مخدوعاً، لأن السحر حيلة وخديعة، كقوله {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فأنى تُسْحَرُونَ} [المؤمنون: 89] أي من أين تخدعون. وذكر عن أبي عبيدة قال: السَّحر الرئة. يقال للرجل: انتفخ سَحرك، إذا جبن، يعني: إن تتبعون إلا رجلاً ذا رئة، أي بشراً مثلكم.

▲ تفسير الآيات رقم [48- 49]

{انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48) وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49)}

ثم قال: {انظر كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الامثال}، أي وصفوا لك الأمثال حيث قالوا: ساحر أو مجنون. {فَضّلُواْ}، أي أخطأوا في المقالة فتحيروا. {فَلاَ

يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً}، أي لا يجدون مخرجاً مما قالوا لتناقض قولهم، لأنهم قالوا مرة: ساحر والساحر عندهم المبالغ في العلم، ومرة قالوا: مجنون والمجنون عندهم من هو في غاية الجهل. قال ابن الصائب: وذلك أن أبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث وغيرهم، كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون إلى حديثه، فقال النضر ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه: ما أدري ما يقول محمد، غير أني أرى شفتيه تتحركان. فقال أبو جهل: هو مجنون؛ وقال أبو لهب: بل هو كاهن؛ وقال حويطب: بل هو شاعر. فنزل: {وَإِذَا قَرَأْتَ القرءان} إلى قوله: {قُلْ عسى أَن يَكُونَ قَرِيبًا} وقوله: {وَقَالُواْ *** أَءذَا كُنَّا عظاما}، أي صرنا عظاماً {ورفاتا}، أي تراباً. {أَءنَّا لَمَبْعُوثُونَ}؟ أي لمجيئون {خَلْقاً جَدِيداً}. والاختلاف في قوله: {***أئنا} في القرآن مثل ما ذكرنا في الرعد.

▲ تفسير الآيات رقم [50– 53]

{قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (50) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (51) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53)}

قال الله تعالى: {جَدِيداً قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً} اللفظ لفظ الأمر ومعناه معنى الخبر، يعني: لو كنتم من الحجارة. {أَوْ حَدِيداً} أو من الحديد. {أَوْ خَلْقًا مّمَّا

يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ}؛ قال مجاهد: حجارة أو حديداً أو ما شئتم فكونوا، فسيعيدكم الله الذي فطركم أول مرة كما كنتم؛ ويقال: {أَوْ خَلْقًا مّمَّا يَكْبُرُ فِى} يعني: السماء والأرض والجبال؛ وقال الكلبي: معناه لو كنتم الموت لأماتكم. وعن الحسن وسعيد بن جبير وعكرمة قالوا: {حَدِيداً أَوْ خَلْقًا مّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ}، يعني: الموت، فيبعثكم كما خلقكم أول مرة. قالوا: لو كنا من الحجارة أو من حديد أو من الموت فمن يعيدنا؛ وهو قوله تعالى: {فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ} يا محمد: فسيعيدكم الله {الذى فَطَرَكُمْ}، أي خلقكم {أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ}، يهزون إليك رؤوسهم تعجباً من قولك؛ وقال القتبي: يعني: يحركونها استهزاء بقولك؛ وقال الزجاج: أي سيحركون رؤوسهم تحريك من يستثقله ويستبطئه.

{وَيَقُولُونَ متى هُوَ}، يعنون البعث. {قُلْ عسى أَن يَكُونَ قَرِيبًا}. وكل ما هو آت فهو قريب، وعسى من الله واجب. قالوا يا محمد: فمتى هذا القريب؟ فنزل: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ}؛ يعني: إسرافيل، وهي النفخة الأخيرة. {فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ}؛ يقول: تخرجون من قبوركم بأمره وتقصدون نحو الداعي، وقال مقاتل: يوم يدعوكم من قبوركم فتستجيبون للداعي بأمره؛ وذلك أن إسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو أهل القبور في قرن: أيتها العظام البالية، واللحوم المتفرقة، والعروق المتقطعة اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم.

ثم قال: {وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً}، أي ما لبثتم في القبور إلا يسيراً. قال الكلبي: وذلك أنه يرفع عنهم العذاب ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة فينسون العذاب، فيظنون أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا يسيراً؛ وروي ذلك عن ابن عباس. وهذا أصح ما قيل فيه، لأن بعض المبتدعين قالوا: إذا وضع الميت في قبره، لا يكون عليه العذاب إلى وقت البعث، فيظنون أنهم مكثوا في القبر قليلاً.

قوله: {وَقُل لّعِبَادِى يَقُولُواْ التى هِىَ أَحْسَنُ}؛ قال ابن عباس: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيهم المشركون بمكة بالقول، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل {وَقُل لّعِبَادِى}، أي المسلمين {يَقُولُواْ التى هِىَ أَحْسَنُ}، أي يجيبوا بجواب حسن، برد السلام بلا فحش. وهذا كقوله: {إِنَّ الشيطان لَكُمْ عَدُوٌّ فاتخذوه عَدُوّاً} [فاطر: 61] {وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ على الارض هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجاهلون قَالُواْ سَلاَماً} [الفرقان: 63]؛ ويقال: نزلت الآية في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه سبّه رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر الله تعالى بالكف عنه؛ ويقال: نزلت في شأن عمر رضي الله عنه كان بينه وبين كافر كلام.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الشيطان يَنزَغُ بَيْنَهُمْ} أي يوسوس ويوقع بينهم العداء لعنه الله ليفسد أمرهم. {إِنَّ الشيطان كَانَ للإنسان عَدُوّا مُّبِينًا}، أي ظاهر العداوة. وهذا كقوله:

▲ تفسير الآيات رقم [54- 57]

{رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا
(54) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى
بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (55) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ
كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا (57)}

ثم قال: {رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ}، أي أعلم بأحوالكم وما أنتم فيه من أذى المشركين. {إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ}، فينجيكم من أهل مكة إذا صبرتم على ذلك. {أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ}، فيسلطهم عليكم إذا جزعتم ولم تصبروا. {وَمَا أرسلناك عَلَيْهِمْ وَكِيلاً}، يعني: مسلطاً. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال؛ ويقال: {وَمَا أرسلناك عَلَيْهِمْ وَكِيلاً}، أي ليست المشيئة إليك في الهدى والضلالة.

ثم قال: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِى *** السموات والارض}، أي ربك عالم بأهل السموات وأهل الأرض، وهو أعلم بصلاح كل واحد منهم. ثم قال: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النبيين على بَعْضٍ}، منهم من فضل الله بالكلام، وهو موسى عليه السلام ومنهم من اتخذه خليلاً، وهو إبراهيم عليه السلام ومنهم من رفعه مكاناً عليّاً، وهو إدريس عليه السلام ومنهم من اصطفاه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم. {وَءاتَيْنَا * دَاوُودُ ***** زَبُوراً}، أي كتاباً. قال مقاتل: الزبور مائة وخمسون سورة، ليس فيها حكم ولا فريضة إنما ثناء على

الله تعالى. قرأ حمزة {زَبُوراً} بضم الزاي، وقرأ الباقون بالنصب؛ وهما لغتان ومعناهما واحد.

قوله: {قُلِ ادعوا الذين زَعَمْتُم مّن دُونِهِ}، قال ابن عباس: إن ناساً من خزاعة كانوا يعبدون الجن، وهم يرون أنهم هم الملائكة، فقال الله تعالى: {قُلِ ادعوا الذين زَعَمْتُم مّن دُونِهِ} يعني: تعبدون من دون الله. {فَلاَ يَمْلِكُونَ}، لا يقدرون {كَشَفَ الضر عَنْكُمْ}؛ يقول: صرف السوء عنكم من الأمراض والبلاء إذا نزل بكم. {وَلاَ تَحْوِيلاً}؛ يقول: ولا تحويله إلى غيره ما هو أهون منه، ويقال: ولا يحولونه إلى غيرهم.

قوله: {أولئك}، يعني: الملائكة {الذين يَدْعُونَ}، أي يعبدونهم ويدعونهم آلهة. قرأ ابن مسعود {تَدْعُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة. {يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوسيلة}، يقول: يطلبون إلى ربهم القربة والفضيلة والكرامة بالأعمال الصالحة. {أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}، أكرم على الله تعالى، وأقرب في الفضيلة والكرامة. {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ}، أي جنته. {ويخافون عَذَابَهُ}، أي ناره. {إِنَّ عَذَابَ رَبّكَ كَانَ مَحْذُورًا}، يعني: لم يكن لأحد أمان من عذاب الله تعالى، ويقال: {مَحْذُورًا} أي ينبغي أن يحذر منه.

وروى الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كان ناس من الإنس يعبدون قوماً من الجن، فأسلم الجن وبقي الإنس على كفرهم، فأنزل الله: {أُولَئِكَ الذين يَدْعُونَ}، يعني: الجن {يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوسيلة أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}. وروى السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال: {أُولَئِكَ

الذين يَدْعُونَ} عيسى وعزيراً والملائكة، وما عبد من دون الله وهو لله مطيع.

▲ تفسير الآيات رقم [58- 61]

{وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآَيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآَيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآَنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61)}

قوله: {وَإِن مّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القيامة}؛ قال ابن عباس: يعني: نميت أهلها. {أَوْ مُعَذّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا}، يعني: بالسيف والزلازل والأمراض والخوف والغرق والحرق. {كَانَ ذلك فِى الكتاب مَسْطُورًا}، أي في الذكر الذي عند الله، وقال مجاهد: {مُهْلِكُوهَا} أي مبيدوها أو معذبوها بالقتل والبلاء؛ ما من قرية في الأرض إلا سيصيبها بعض ذلك. روى حماد بن سلمة، عن أبي العلاء، عن مكحول أنه قال: أول أرض تصير خراباً أرض أرمينية؛ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: أول أرض تصير خراباً أرض الشام؛ وروى ابن سيرين: عن ابن عمر أنه قال: البصرة أسرع الأرضين خراباً وأخبثهم تراباً؛ عن عليّ أنه قال: أكثروا الطواف بهذا البيت

قبل أن يحال بينكم وبينه، فكأني برجل من الحبشة حمش الساقين، قاعداً عليها يهدمها حجراً حجراً.

ثم قال تعالى: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بالايات}، وذلك أن قريشاً طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية، فنزل {وَمَا مَنَعَنَا} أي ليس أحد يمنعنا أن نرسل الآيات عندما سألوها. {إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الاولون}، يعني: تكذيب الأولين حين أتتهم الآيات، فلم يؤمنوا فأتاهم العذاب.

قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا أبو العباس بن السراج قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال: حدّثنا جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل الصفا لهم ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعونها، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نتخير منهم ذرية، وإن شئت أن نريهم الذي سألوا، فإن كفروا، أهلكوا كما هلك من كان قبلهم. فقال: «بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ» فنزل {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بالايات إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الاولون}.

ثم قال: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ}، أي معاينة يبصرونها، ويقال: علامة لنبوته. {فَظَلَمُواْ بِهَا}، أي جحدوا بها فعقروها، فعذبوا؛ فقال الله تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ بالايات إِلاَّ تَخْوِيفًا} لهم ليؤمنوا، فإن أَبَوا أتاهم العذاب. قوله: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بالناس}؛ قال الكلبي: أحاط علمه بالناس، ويقال: هم في

قبضته، أي قادر عليهم؛ وقال قتادة: يعني: يمنعك من الناس حتى تبلغ رسالات الله تعالى؛ وقال السدي: معناه إن ربك مطهرك على الناس.

ثم قال: {وَمَا جَعَلْنَا الرءيا التى أريناك إِلاَّ فِتْنَةً لّلنَّاسِ}؛ قال: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد الدبيلي قال: حدّثنا أبو عبد الله قال: حدّثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: {وَمَا جَعَلْنَا الرءيا التى أريناك إِلاَّ فِتْنَةً لّلنَّاسِ} قال: هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به.

{والشجرة الملعونة فِى القرءان}؛ قال: هي شجرة الزقوم. قال الكلبي: هي ليلة أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، فنشر له الأنبياء كلهم، فصلى بهم ثم صلى الغداة بمكة فكذبوه، وهو قوله: {فِتْنَةً لّلنَّاسِ} حين كذبوه يعني أهل مكة. قال عكرمة أمَا إنَّهَا رؤيا يقظة ليست برؤيا منام؛ وقال سعيد بن المسيب: أُرِي النبي صلى الله عليه وسلم بني أمية على المنابر، فساءه ذلك، فقيل له: إنّما هي دنيا يعطونها. فقرَّت عينه، فنزل: {وَمَا جَعَلْنَا الرءيا التى أريناك إِلاَّ فِتْنَةً لّلنَّاسِ} يعني: بني أمية. ثم قال: {والشجرة الملعونة فِى القرءان}، يعني: ذكر الشجرة الملعونة في القرآن فتنة لهم، يعني: بلية لهم؛ وذلك أن المشركين قالوا: يخبرنا هذا أنَّ في النار شجرة، وكيف يكون في النار شجرة؟ والنّار تأكل الشجرة. فصار ذلك فتنة لهم، يعني: بلية لهم؛ ويقال: لما نزل: {إِنَّ شَجَرَةَ الزقوم * طَعَامُ الاثيم} قالوا فيما بينهم: وما شجرة الزقوم؟ قالوا: التّمر والزبد. فرجع أبو

جهل إلى منزله، فقال لجاريته: زقمينا. وأمرها أن تأتي بالتمر والزبد، فخرج به إلى الناس وقال: كلوا فإن محمداً يخوفكم بهذا. فصار ذكر الشجرة فتنة لهم. ثم قال: {وَنُخَوِّفُهُمْ} أي بذكر شجرة الزقوم. {فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا}، يعني: تمادياً في المعصية.

قوله: {وَإِذْ قُلْنَا للملائكة اسجدوا لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَءسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} فتعظم عن السجود لآدم.

▲ تفسير الآيات رقم [62– 64]

{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64)}

{قَالَ أَرَءيْتَكَ هذا الذى كَرَّمْتَ عَلَيَّ}. في الآية مضمر، معناه فلعنه الله تعالى. قال إبليس: أرأيتك هذا الذي لعنتني لأجله وفضلته عليَّ؟ {لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إلى يَوْمِ القيامة}، يعني: لئن أجلتني إلى يوم البعث. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع {أَخَّرْتَنِى} بالياء عند الوصل، وقرأ الباقون بغير ياء لأن الكسرة تقوم مقامه. ثم قال: {لاحْتَنِكَنَّ ذُرّيَّتَهُ}، أي لأستزلنَّ ذريته. يقول: أطلب زلتهم؛ وقال القتبي: لاستأصلنهم، يقال: احتنك الجراد ما على الأرض، إذا أكله كله؛ ويقال: هو من حنك الدابة يحنكها حنكاً، إذا شدّ في

حنكها الأسفل حبلاً يقودها به، أي لأقودنهم حيث شئت. {إِلاَّ قَلِيلاً}؛ يعني: الأنبياء والمخلصين لله، ويقال: إلاَّ من عصمته مني.

{قَالَ اذهب فَمَن تَبِعَكَ}، أي من أطاعك {مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ}، يعني: نصيبكم من العذاب في النار. {جَزَاء مَّوفُورًا}، أي نصيباً وافراً لا يفتر عنهم. قوله {واستفزز}، يقول استزلّ {مَنِ استطعت مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ}؛ يقول: بدعائك ووسوستك، ويقال: بأصوات الغناء والمزامير. {وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ}، يعني: استعن عليهم بأعوانك من مردة الشياطين {وَرَجِلِكَ}، يعني: الشياطين الذين يوسوسون للناس، ويقال: خيل المشركين ورجالتهم، وكل خيل تسعى في معصية الله تعالى، فهي من خيل إبليس؛ وكل راجل يمشي في معصية الله، فهو من رجالته. قرأ عاصم في رواية حفص {وَرَجِلِكَ} بفتح الراء وكسر الجيم، يعني: راجلك. فدل الواحد على الجنس؛ وقرأ الباقون بجزم الجيم وهو جمع الراجل.

{وَشَارِكْهُمْ فِى الاموال}، أي ما أكل من الأموال بغير طاعة الله تعالى وما جمع من الحرام؛ ويقال: {وَشَارِكْهُمْ فِى الاموال} وهو ما جعلوا من الحرث والأنعام نصيباً لآلهتهم؛ ويقال: كل طعام لم يذكر اسم الله عليه فللشيطان فيه شركة. قال الفقيه رضي الله عنه حدّثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدّثنا أحمد بن حنبل قال: حدّثنا سفيان بن يحيى قال: حدّثنا أبو مطيع، عن الربيع بن زيد، عن أبي محمد وهو رجل من أصحاب أنس قال: قال إبليس لربه: يا رب جعلت لبني آدم بيوتاً فما بيتي؟ قال الحمام. قال: وجعلت لهم

مجالس فما مجلسي؟ قال: السوق. قال: وجعلت لهم قرآناً فما قرآني؟ قال الشعر. قال: وجعلت لهم حديثاً فما حديثي؟ قال: الكذب. قال: وجعلت لهم أذاناً فما أذاني؟ قال: المزمار. قال: وجعلت لهم رسلاً فما رسلي؟ قال: الكهنة. قال: وجعلت لهم كتاباً فما كتابي؟ قال الوشم. قال: وجعلت لهم طعاماً فما طعامي؟ قال: كل ما لم يذكر عليه اسم الله. قال: وجعلت لهم شراباً فما شرابي؟ قال: كل مسكر.

قال وجعلت لهم مصايد فما مصايدي؟ قال: النساء.

ثم قال: {وَشَارِكْهُمْ فِى الاموال}، يعني: كل نفقة في معصية الله تعالى. {والاولاد}، أي أولاد الزنى، فهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير؛ ويقال: هو ما سموا أولادهم عبد العزى وعبد الحارث؛ ويقال كل معصية بسبب الولد؛ ويقال: إذا جامع الرجل أهله ولم يذكر اسم الله تعالى، جامع معه الشيطان؛ ويقال: المرأة النائحة والسكرانة يجامعها الشيطان، فيكون له شركة في الولد. قال الفقيه أبو الليث: هذا الكلام مجاز لا على وجه الحقيقة، إنما يراد به المثل. ثم قال: {وَعَدَّهُمْ}، أي مَنِّهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث. {وَمَا يَعِدُهُمْ الشيطان إِلاَّ غُرُوراً}، أي باطلاً.

▲ تفسير الآيات رقم [65- 69]

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65) رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66) وَإِذَا

مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (67) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69)}

قوله: {إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سلطان}، أي حجة ويقال: نفاذ الأمر. {وكفى بِرَبّكَ وَكِيلاً}، أي كفيلاً على ما قال؛ ويقال: حفيظاً لهم؛ وقال أبو العالية: إنَّ عبادي الَّذين لا يطيعونك. ثم ذكر الدلائل والنعم ليطيعوه ولا يطيعوا الشيطان. ثم قال: {رَّبُّكُمُ الذى يُزْجِى لَكُمُ الفلك}، أي يسيّر لكم الفلك. {فِى البحر لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ}، أي من رزقه. {إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}، أي رحيم بكم.

ثم قال: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضر فِى البحر}، أي إذا أصابكم الخوف وأهوال البحر. {ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ}، أي بطل من تدعون من الآلهة وتخلصون بالدعاء لله تعالى. {فَلَمَّا نجاكم إِلَى البر}، يعني: من أهوال البحر. {أَعْرَضْتُمْ}، أي تركتم الدعاء والتضرع ورجعتم إلى عبادة الأوثان. {وَكَانَ الإنسان كَفُورًا}، أي الكافر كفوراً بأنعم الله.

ثم قال: {أَفَأَمِنتُمْ} إن عصيتموه {أَن يَخْسِفَ بِكُمُ} أي يغور بكم، {جَانِبَ البر}، يعني: إلى الأرض السفلى؛ وقال مقاتل: يعني: ناحية من البر. {أَوْ

يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا}، أي حجارة من فوقكم كما أرسل على قوم لوط. {ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً}، أي مانعاً يمنعكم.

قوله: {أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ}، أي البحر {تَارَةً أخرى}، يعني: مرة أخرى. {فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الريح}، أي ريحاً شديداً؛ {فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ} بالله وبنعمه، {ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا}، أي من يتبعنا ويطالبنا بدمائكم، كقوله {ياأيها الذين ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القصاص فِي القتلى الحر بِالْحُرِّ والعبد بالعبد والانثى بالانثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَئ فاتباع بالمعروف وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بإحسان ذلك تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعتدى بَعْدَ ذلك فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: 178]، أي مطالبة حسنة؛ ويقال: يعني: ثائراً ولا ناصراً، لينتقم لكم مني. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {ءانٍ *** نَخْسِفْ *** بِكُمْ} {أَوْ * نُرْسِلُ} {ءانٍ * نُعِيدُكُمْ} هذه الخمسة كلها بالنون، وقرأ الباقون كلها بالياء.

▲ تفسير الآيات رقم [70- 72]

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72)}

ثم قال تعالى {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ} بعقولهم؛ وقال الضحاك: بالعقل والتمييز ؛ ويقال: إن الله تعالى خلق نبات الأرض والأشجار وجعل فيها الروح، لأنه ينمو ويزداد بنفسه ما دام فيه الروح؛ فإذا يبس، خرج منه الروح وانقطع نماؤه وزيادته؛ وخلق الدواب وجعل لهن زيادة روح تطلب بها رزقها، وتسمع بها الصوت. وخلق بني آدم وجعل لهم زيادة روح، يعقلون بها ويميزون ويعلمون. وخلق الأنبياء وجعل لهم زيادة روح، يبصرون بها الملائكة ويأخذون بها الوحي ويعرفون أمر الآخرة.

ثم قال: {وحملناهم فِى البر والبحر} يعني: في البر على الرطوبة يعني: الدواب وفي البحر على اليبوسة وهي السفن {وَرَزَقْنَاهُمْ مّنَ الطيبات}، يعني: الحلالات ويقال: من نبات الحبوب والفواكه والعسل، وجعل رزق البهائم التبن والشوك. {وفضلناهم على كَثِيرٍ مّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}، يعني: على الجن والشياطين والبهائم. وروي عن ابن عباس أنه قال: فضلوا على الخلائق كلهم غير طائفة من الملائكة، وهم جبريل وميكاييل وإسرافيل وأشباههم منهم، وروي عن أبي هريرة أنه قال: المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده.

قوله: {يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بإمامهم}، أي أذكر يوم ندعو كل أناس بكتابهم، ويقال بداعيهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى يدعى إمامهم قبلهم؛ وقال أبو العالية: بإمامهم أي بأعمالهم، وقال مجاهد: بنبيهم؛ وقال الحسن: بكتابهم الذي فيه أعمالهم. {فَمَنْ أُوتِىَ كتابه بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءونَ

كتابهم}، يعني: يقرؤون حسناتهم ويعطون ثواب حسناتهم. {وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً}، يعني: لا يمنعون من ثواب أعمالهم مقدار الفتيل، وهو ما فتلته من الوسخ بين أصبعيك.

ثم قال الله تعالى: {وَمَن كَانَ فِى هذه أعمى}، أي من كان في هذه النعم أعمى، يعني: لم يعلم أنها من الله، {فَهُوَ فِى الاخرة أعمى} عن حجته، {وَأَضَلُّ سَبِيلاً}؛ يعني: عن حجته. قال مجاهد: {مَن كَانَ فِى *** هذه الدنيا *** أعمى} عن الحجة فهو في الآخرة أعمى عن الحجة {وَأَضَلُّ سَبِيلاً}، أي أخطأ طريقاً؛ وقال قتادة: {مَن كَانَ فِى *** هذه الدنيا *** أعمى} عمَّا عاين من نعم الله وخلقه وعجائبه، فهو في الآخرة التي هي غائبة عنه ولم يرها أعمى؛ وقال مقاتل: فيه تقديم ومعناه {وفضلناهم على كَثِيرٍ مّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}. ومن كان عن هذه النعم أعمى، فهو عما غاب عنه من أمر الآخرة أعمى؛ وقال الزجاج: معناه إذا عمي في الدنيا وقد تبين له الهدى وجعل إليه التوبة فعمي عن رشده، فهو في الآخرة لا يجد متاباً ولا مخلصاً مما هو فيه، فهو أشد عمًى وأضلّ سبيلاً أي أضل طريقاً، لأنه لا يجد طريقاً إلى الهداية فقد حصل على عمله. وذكر عن الفرّاء أنه قال: تأويله من كان في هذه النعم التي ذكرتها أعمى، لا يعرف حقها ولا يشكر عليها وهي محسوسة، فهو في الآخرة أعمى؛ يعني: أشد شكاً في الذي هو غائب عنه في الآخرة من الثواب والعقاب.

▲ تفسير الآية رقم [73]

{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73)}

ثم قال تعالى {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}، أي: وقد كادوا ليصرفونك عن الذي أوحينا إليك إن قدروا على ذلك؛ وذلك أن ثقيفاً أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: نحن إخوانك وأصهارك وجيرانك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَاذَا تُرِيدُونَ؟» قالوا: نريد أن نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال. فقال صلى الله عليه وسلم: «وَمَا هُنَّ؟» قالوا: لا ننحني في الصلاة، ولا نكسر أصنامنا بأيدينا، وأن تمتَّعنا بالطاغية سنة يعني: بطاعة الأصنام سنة. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «أمّا قَوْلُكُمْ لا نَنْحَنِي فِي الصَّلاةِ، فَإِنَّهُ لا خَيْرَ في دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ وَلا سُجُودٌ». قالوا: فإنا نفعل ذلك وإن كان فيه دناءة. «وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إنا لا نَكْسِرُ أصْنَامَنَا بِأيْدِينَا، فَإنَّا سَنَأْمُرُ مَنْ يَكْسِرُهَا». قالوا: فتمتَّعنا باللات سنة فقال: «إنِّي غَيْرُ مُمَتِّعِكُمْ بِهَا». قالوا: يا رسول الله فإنا نحب أن تسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره أن يقول لا، مخافة أن يأبوا الإسلام، فنزل {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ}.

وقال السدي: إن قريشاً قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: إنك ترفض آلهتنا كل الرفض، فلو أنك تأتيها فتلمسها أو تبعث بعض ولدك فيمسها، كان أرق لقلوبنا وأحرى أن نتبعك؛ فأراد أن يبعث ابنه الطاهر فيمسح، فنهاه الله

تعالى عن ذلك ونزل: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ} وروى أبو العالية، عن أصحابه منهم القرظي قال: لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم فبلغ {ومناة الثالثة الاخرى} [النجم: 20]، جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وأنَّ شفاعتهن لترتجى؛ فلما بلغ السجدة، سجد وسجد معه المشركون، ثم جاء جبريل فقال: ما جئتك بهذا فنزل: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ} إلى قوله: {وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً}، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم مغموماً حتى نزل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِىّ إِلاَّ إِذَا تمنى أَلْقَى الشيطان فِى أُمْنِيَّتِهِ} الآية.

وروى سعيد بن جبير، عن قتادة قال: ذكر لنا أن قريشاً خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: يا محمد إنك تأتي بشيء لم يأت به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقاربهم. ثم إن الله تعالى منعه وعصمه عن ذلك، فقال تعالى: {وَلَوْلاَ أَن ثبتناك لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً} [الإسراء: 74] الآية؛ وذلك قوله: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} في القرآن. {لِتفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ}، يعني: لتقول أو تفعل غير الذي أمرتك في القرآن. {وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً}، أي صفياً وصديقاً؛ ويقال: إن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد عن مجلسك سقاط الناس ومواليهم حتى نجلس معك، فهمَّ النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك، فنزل: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} من تقريب المسلمين. {وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً} لو فعلت ما طلبوا منك.

▲ تفسير الآيات رقم [74– 76]

{وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76)}

ثم قال {وَلَوْلاَ أَن ثبتناك}، يقول: عصمناك، ويقال: حفظناك. {لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ}، يعني: لقد هممت أن تميل إليهم. {شَيْئًا قَلِيلاً}، وتعطي أمنيتهم شيئاً قليلاً. {إِذًا لأذقناك ضِعْفَ الحياة}، أي عذاب الدنيا، {وَضِعْفَ الممات}؛ يعني: عذاب الآخرة، وهذا قول ابن عباس. وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه قال: ضعف الحياة عذابها أي عذاب الدنيا، وضعف الممات أي عذاب الآخرة، وهذا مثل الأول؛ ويقال: ضعف الممات أي عذاب القبر؛ ويقال: هذا وعيد للنبي صلى الله عليه وسلم، يعني: إنك لو فعلت ذلك، يضاعف لك العذاب على عذاب غيرك؛ كما قال تعالى: {يانسآء النبى مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحشة مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العذاب ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [الأحزاب: 30]، لأن درجة النبي صلى الله عليه وسلم ودرجة من وصفهم فوق درجة غيرهم، فجعل لهم العذاب أشد. وروي عن مالك بن دينار أنه قال سألت أبا الشعثاء عن قوله: {ضِعْفَ الحياة وَضِعْفَ الممات}، فقال: ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة.

ثم قال: {ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}؛ يقول: مانعاً يمنعك من ذلك، ويقال: مانعاً يمنع من العذاب. قوله: {وَإِن كَادُواْ} وقد كادوا {لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الارض

لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا}، أي ليستزلونك ليخرجوك من أرض مكة. {وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خلافك}، أي بعدك {إِلاَّ قَلِيلاً}، فيهلكهم الله تعالى. وروى عبد الرزاق، عن معمر أنه قال: قد فعلوا ذلك فأهلكهم الله تعالى يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلاً؛ وقال مقاتل: {وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الارض}، يعني: من أرض المدينة. نزلت الآية في حيي بن أخطب وغيره من اليهود حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حسدوه وقالوا: إنك لتعلم أن هذه ليست من أرض الأنبياء إنما أرض الأنبياء الشام، فإن كنت نبياً فاخرج منها، فنزل: {وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الارض لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا}، أي من أرض المدينة إلى الشام {وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خلافك إِلاَّ قَلِيلاً} وأمر بالرجوع إلى المدينة.

▲ تفسير الآيات رقم [77– 78]

{سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78)}

ثم قال تعالى: {سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا}، أي هكذا سنتي فيمن قد مضى أن أهلك من عصوا الرسول ولم يتبعوه، ولا أهلكهم ونبيهم بين أظهرهم؛ فإذا خرج نبيهم من عندهم، عذبوا. {وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً}، يعني: تغييراً أو تبديلاً. قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية حفص: {لاَّ يَلْبَثُونَ خلافك}، وقرأ الباقون: {خَلْفَكَ} ومعناهما قريب، يعني بعدك.

ثم قال: {أَقِمِ الصلاة}، يعني أتمم الصلاة ودم عليها {لِدُلُوكِ الشمس} يعني: بعد زوالها الظهر والعصر {أَقِمِ الصلاة لِدُلُوكِ} يعني: إلى دخول الليل وهي المغرب والعشاء. وروى سالم، عن ابن عمر أنه قال: دلوكها زيفها بعد نصف النهار أي تزوالها؛ وقال قتادة: زيفها عن كبد السماء؛ وروى ابن طاوس، عن أبيه أنه قال: دلوكها غروبها؛ وروى معمر، عن الشعبي، عن ابن عباس أنه قال: {لِدُلُوكِ الشمس} حين نزول الشمس؛ وروى مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: دلوكها غروبها؛ وقال ابن مسعود: غروبها؛ وقال القتبي: إلى غسق الليل. الغسق ظلامه.

ثم قال: {أَقِمِ الصلاة}، أي صلاة الغداة؛ وإنَّما سميت صلاة الغداة قرآناً، لأن القراءة فيها أكثر وأطول. ويقال: لأنه يقرأ كلتا الركعتين، وفي كلتا الركعيتن القراءة فريضة. {أَقِمِ الصلاة لِدُلُوكِ الشمس إلى}، أي صلاة الغداة مشهودة، يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار؛ ويقال: كان بمعنى صار، يعني صار مشهوداً، لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الغداة، فينزل ملائكة النهار والقوم في صلاة الغداة قبل أن تعرج ملائكة الليل؛ فإذا فرغ الإمام من صلاته، عرجت ملائكة الليل فيقولون: ربنا إنا تركنا عبادك وهم يصلون لك. ويقول الآخرون: ربنا أدركنا عبادك وهم يصلون لك. {وَقُرْءانَ} صار نصباً، لأن معناه أقم قرآن الفجر؛ ويقال: صار نصباً على وجه الإغراء أي عليك بقرآن الفجر

▲ تفسير الآيات رقم [79- 81]

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (80) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)}

ثم قال: {وَمِنَ اليل فَتَهَجَّدْ بِهِ}، يعني: قم بالليل بعد النوم والتهجد القيام بعد النوم؛ {نَافِلَةً لَّكَ}؛ روى شهر بن حوشب، عن أبي أمامة أنه قال: كانت النافلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة؛ وقال مجاهد: لم تكن النافلة إلا للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ ويقال: {نَافِلَةً لَّكَ}، أي فضلاً لك؛ ويقال: خاصة لك {عسى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا}؛ قال مقاتل: يعني: إن الشفاعة لأصحاب الأعراف يحمده الخلق كلهم؛ ويقال: إخراج قوم من النار.

قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا محمد بن معاوية الأنماطي قال: حدّثنا الحسن بن الحسين، عن عطية العوفي قال: حدّثنا أبو حنيفة، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله: {عسى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا} قال: «يُخْرِجُ الله أَقْوَاماً مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الإيمانِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فذلك المَقَامُ المَحْمُودُ، فَيُؤْتَى بِهِمْ نَهَراً يُقَالُ لَهُ الحَيَوَانُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهِ؛ فَيُنْبَتُونَ كَمَا ينبتُ التَّقَارِيرُ. ثم يُخْرَجُونَ فَيُدْخَلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمَّوْنَ فِيهَا الجَهَنَّمِيُّونَ. قال: ثم يطلبونَ إلى الله تعالى أَنْ يُذْهِبَ عَنْهُمْ هذا الاسْمَ،

فَيُذْهِبَهُ عَنْهُمْ». وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، ينفذهم البصر ويسمعهم المنادي، فيقول: يا محمد، فيقول: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ بِيَدَيْكَ». وهو المقام المحمود، ويغبطه به الأولون والآخرون. ثم قال تعالى: {وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ}، أي قال هذا حين أمره الله تعالى بالرجوع إلى المدينة بعدما خرج منها، فأمره الله بأن يقول حين دخل المدينة: {رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ}، أي أدخلني في المدينة إدخال صدق. {وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ}، يعني: من المدينة إلى مكة إخراج صدق؛ ويقال: {أَدْخِلْنِى} في الدين {مُدْخَلَ صِدْقٍ}، أي ثبتني على الدين {وَأَخْرِجْنِى}، أي احفظني من الكفر؛ ويقال: أخرجني من الدنيا إخراج صدق وأدخلني في الجنة؛ ويقال: أدخلني بعز وشرف وإظهار الإسلام؛ ويقال: أدخلني في القبر مدخل صدق وأخرجني من القبر مخرج صدق؛ وقال مجاهد: أدخلني في النبوة والرسالة مدخل صدق؛ وقال الحسن: مخرج صدق من مكة إلى المدينة ومدخل صدق الجنة وقال السدي: أدخلني المدينة وأخرجني من مكة؛ وعن أبي صالح: أدخلني في الإسلام وارفعني بالإسلام.

{واجعل لّى مِن لَّدُنْكَ}، يعني: من عندك {سلطانا نَّصِيرًا}، أي ملكاً مانعاً لا زوال فيه ولا يرد قولي ويقال: حجة ثابتة ظاهرة. قوله: {وَقُلْ جَاء الحق}، ظهر الإسلام والقرآن، {وَزَهَقَ الباطل}؛ يقول هلك الشرك وأهله. {إِنَّ الباطل كَانَ زَهُوقًا}، يعني: الشرك كان هالكاً لم يكن له قرار ولا دوام. روي عن عبد الله بن الشخير، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: دخل النبي صلى الله

عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: {وَقُلْ جَآءَ الحق وَزَهَقَ الباطل إِنَّ الباطل كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء: 81] {جَاء الحق وَمَا يُبْدِئ الباطل وَمَا يُعِيدُ} وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك والصنم ينكب لوجهه.

▲ تفسير الآيات رقم [82– 85]

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (83) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (84) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)}

ثم قال: {وَنُنَزّلُ مِنَ القرءان مَا هُوَ شِفَاء}، أي بيان من العمى؛ ويقال: شفاء للبدن، إذا قرئ على المريض يبرأ أو يهون عليه. {وَرَحْمَةٌ لّلْمُؤْمِنِينَ}، أي ونعمة من العذاب لمن آمن بالقرآن. {وَلاَ يَزِيدُ الظالمين إَلاَّ خَسَارًا}، أي المشركين ما نزل من القرآن ما يزيدهم إلاَّ خساراً، أي تخسيراً وغبناً.

قوله: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان}، أي إذا وسعنا على الكافر الرزق ورفعنا عنه العذاب في الدنيا، {أَعْرَضَ} عن الدعاء؛ ويقال: النعمة هي إرسال محمد صلى الله عليه وسلم، أعرض عنه الكافر. {وَنَأَى بِجَانِبِهِ}، يعني: تباعد عن الإيمان فلم يقربه. قرأ ابن عامر: {***وَنَاءَ} بمد الألف على

وزن باع؛ وقرأ أبو عمرو بنصب النون وكسر الألف؛ وقرأ حمزة والكسائي بكسر النون والألف؛ وقرأ الباقون بنصب النون والألف.

{وَإِذَا مَسَّهُ الشر كَانَ}، يعني: إذَا أصابه الفقر في معيشته والسقم في الجسم، كان آيساً من رحمة الله تعالى.

ثم قال: {يَئُوساً قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ على شَاكِلَتِهِ}؛ قال القتبي: على خليقته وطبيعته وهو من الشكل؛ وقال الحسن: {على شَاكِلَتِهِ} على بنيته وكذلك قال معاوية بن قرة؛ وقال الكلبي: على ناحيته ومنهاجه وحديثه وأمره الذي هو عليه. {فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أهدى سَبِيلاً}، أي بمن هو أصوب ديناً، ويقال: هو عالم بمن هو على الحق.

قوله: {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبّى}، أي لا علم لي فيه؛ وقال مجاهد: الروح خلق من خلق الله تعالى، له أيْدٍ وأرجل؛ وقال مقاتل: الروح ملك عظيم على صورة الإنسان، أعظم من كل مخلوق. وروى معمر، عن قتادة والحسن أنهما قالا: الروح هو جبريل؛ وقال قتادة: كان ابن عباس يكتمه، أي يجعله من المكتوم الذي لا يفسر.

وروى الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود أنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه. فقالوا: يا محمد ما الروح؟ فقام متوكئاً على عسيب، فظننت أنه يوحى إليه، فنزل: {وَيَسْئَلُونَكَ

عَنِ الروحِ قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبّى}، فقال بعضهم لبعض: قد قلنا لكم لا تسألوه.

ويقال: الروح، القرآن كقوله: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مّنْ أَمْرِنَا} وروي في بعض الروايات، عن ابن عباس أنه قال: الروح ملك له مائة ألف جناح، وكل جناح لو فتحه يأخذ ما بين المشرق والمغرب؛ ويقال: إن جميع الملائكة تكون صفاً واحداً والروح وحده يكون صفاً واحداً، كقوله: {يَوْمَ يَقُومُ الروح والملائكة صَفّاً لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحمن وَقَالَ صَوَاباً} [النبأ: 38] واحداً ويقال: معناه يسألونك عن الروح الذي هو في الجسد، كيف هو؟ قل: الروح من أمر ربي؛ ويقال: الروح جبريل؛ كقوله: {نَزَلَ بِهِ الروح الامين} [الشعراء: 193] أي يسألونك عن إتيان جبريل كيف نزوله عليك؟ {قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبّى}. {وَمَا أُوتِيتُم مّن العلم إِلاَّ قَلِيلاً}، أي ما أعطيتموه من العلم مما عند الله إلاَّ يسيراً.

▲ تفسير الآيات رقم [86– 88]

{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87) قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)}

ثم قال: {وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بالذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}، يعني: حفظ الذي أوحينا إليك من القرآن من قلبك؛ ويقال: لئن شئنا لمحونا من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر. {ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً}، أي لا تجد من تتوكل عليه في ردّ شيء منه؛ ويقال: ثم لا تجد لك مانعاً يمنعني من ذلك. قوله: {إِلاَّ رَحْمَةً مّن رَّبّكَ}، يعني: لكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين. وروى أبو حازم، عن أبي هريرة أنه قال: سيؤتى على كتاب الله تعالى، فيرفع إلى السماء فلا تصبح على الأرض آية من القرآن، وينزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ما هو؛ وروي عن ابن مسعود أنه قال: يصبح الناس كالبهائم. ثم قرأ: {وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بالذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} الآية. ثم قال: {إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا}، أي بالنبوة والإسلام. قوله: {قُل لَّئِنِ اجتمعت الإنس والجن على أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هذا القرءان لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ}، أي بمثل هذا القرآن على نظمه وإيجازه ونسقه مع كثير مما ضمن فيه من الأحكام والحدود وفنونها؛ ويقال: مثل هذا القرآن من تعريه عن التناقض مع كثرة الأقاصيص والأخبار؛ ويقال: {على أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هذا القرءان لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ}، لأن فيه علم ما كان وعلم ما يكون، ولا يعرف ذلك إلاَّ بالوحي؛ ويقال: بمثل هذا القرآن، لأنه كلام منثور لا على وجه الشعر، لأن تحت كل كلمة معاني كثيرة. {وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}، أي معيناً.

▲ تفسير الآيات رقم [89– 93]

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)}

ثم قال: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ}، يعني: بينّا للناس. {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هذا القرءان}، أي من كل لون، ومن الحلال والحرام، والأحكام والحدود، والوعد والوعيد. {فأبى أَكْثَرُ الناس إِلاَّ كُفُورًا}، أي ثباتاً على الكفر؛ ويقال: أبوا عن الشكر إلاَّ كفوراً، أي كفراناً مكانه؛ ويقال: لم يقبلوه.

قوله: {وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ}؛ أي لن نقربك ولن نصدقك، وهو عبد الله بن أبي أمية المخزومي وأصحابه، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ}. {حتى تَفْجُرَ لَنَا}، يعني: تشقق الماء {مِنَ الارض يَنْبُوعًا}، أي عيوناً. قرأ أهل الكوفة، عاصم وحمزة والكسائي {تَفْجُرَ} بنصب التاء وجزم الفاء وضم الجيم مع التخفيف، وقرأ الباقون: {تَفْجُرَ} بضم التاء ونصب الفاء مع التشديد؛ وقال أبو عبيدة: هذا أحب إليّ، لأنهم اتفقوا في الذي بعده ولا فرق بينهما في اللغة. فمن قرأ بالتشديد فللتكثير والمبالغة، كما يقال: قَبّل تَقْبيلاً للمبالغة.

ثم قال: {أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ}، أي بستاناً {مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ}، أي الكروم. {فَتُفَجِّرَ الانهار}، أي تشقق الأنهار {خِلاَلَهَا}، يعني: وسطها. {تَفْجِيرًا}، أي تشقيقاً. {أَوْ تُسْقِطَ السماء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا}، أي قطعاً. قرأ ابن عامر وعاصم ونافع {كِسَفًا} بنصب السين، وقرأ الباقون بالجزم؛ ومعناهما واحد، أي تسقط علينا طبقاً. واشتقاقه من كسفت الشيء، إذا غطيته. ومن قرأ بالنصب، جعلها جمع كسفة وهي القطعة {أَوْ تَأْتِىَ بالله والملئكة قَبِيلاً}، أي ضميناً كفيلاً، والقبيل الكفيل؛ ويقال: من المقابلة أي معاينة شهيداً، يشهدون لك بأنك نبي الله تعالى. {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ}، أي من ذهب. {أَوْ ترقى فِى السماء}، أي تصعد إلى السماء.

{وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيّكَ}، أي لصعودك. {حَتَّى تُنَزّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَءهُ}، روى أسباط، عن السدي أنه قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، جاءه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أمية المخزومي أخو أم سلمة، فأبى أن يبايعهما، فقالت أم سلمة: ما بال أخي يكون أشقى الناس بك يا رسول الله وابن عمك؟ فقال: «أمَّا ابْنُ عَمِّي، فَإنَّهُ كَانَ يَهْجُونا؛ وأمَّا أَخُوكِ، فَإنَّهُ زَعَمَ أنَّهُ لا يُؤْمِنُ بِي حَتَّى أَرْقَى فِي السَّمَاءِ؛ وَلَوْ رَقِيتُ إلَى السَّمَاءِ، لَنْ يُؤْمِنَ حَتَّى آتِيَهُ بِكِتَابٍ يَقْرَؤُهُ». ثم دعاهما، فقبل منهما وبايعهما.

قال الله تعالى: {قُلْ سبحان رَبّى هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً}، فإني لا أقدر على ما تسألوني. قرأ ابن كثير وابن عامر {قَالَ سبحانك *** رَبّى} بالألف على وجه الحكاية وقرأ الباقون: {قُلْ سبحان} بغير ألف على وجه الأمر.

▲ تفسير الآيات رقم [94– 98]

{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (94) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (96) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (97) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98)}

ثم قال {وَمَا مَنَعَ الناس أَن يُؤْمِنُواْ}، يعني: أهل مكة {إِذْ جَاءهُمُ الهدى}، يعني: القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم. {إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ الله بَشَرًا رَّسُولاً}، يعني: الرسول من الآدميين، ومعناه أنه ليست لهم حجة سوى ذلك القول.

قال الله تعالى: {قُلْ} يا محمد: {لَوْ كَانَ فِى الارض ملائكة يَمْشُونَ}، أي لو كان سكانٌ ملائكة يمشون {مُطْمَئِنّينَ}، أي مقيمين في الأرض؛ {لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مّنَ السماء مَلَكًا رَّسُولاً}، أي لبعثنا عليهم رسولاً من الملائكة. وإنما

يبعث الملك إلى الملائكة والبشر إلى البشر، فلما قال لهم ذلك، قالوا له: من يشهد لك بأنك رسول الله تعالى؟ قال الله تعالى: {قُلْ كفى بالله شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} بأني رسول الله {إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}.

ثم قال: {وَمَن يَهْدِ الله}، أي من يكرمه الله تعالى بالإسلام ويوفقه، {فَهُوَ المهتد}؛ يعني: فهو على الهدى وعلى الصواب. قرأ نافع وأبو عمرو {المهتدى} بالياء عند الوصل؛ وقرأ الباقون بغير ياء. {وَمَن يُضْلِلِ}، أي ومن يخذله الله عن دينه، {فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ}، أي يهدونهم من الضلالة. {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القيامة على وُجُوهِهِمْ}، أي نبعثهم يوم القيامة ونسوقهم منكبين على وجوههم، يسحبون عليها {عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمّا}، عن الهدى؛ ويقال: في ذلك الوقت يكونون عمياً وبكماً وصماً كما وصفهم.

{مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ}، أي: مصيرهم إلى جهنم {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}. يقول: كلما سكن لهبها ولم تجد شيئاً تأكله، {زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}، أي وقوداً، أعيدوا خلقاً جديداً. قال مقاتل: وذلك أن النار إذا أكلتهم، فلم يبقَ منهم شيء غير عظام وصاروا فحماً، سكنت النار فهو الخبو. ثم بدلوا جلوداً غيرها، فتشتعل وتسعر عليهم، فذلك قوله: {زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}؛ وقال أهل اللغة: يقال خبت النار، إذا سكن لهبها، وإذا بقي من جمرها شيء، يقال خمدت، فإذا طفئت ولم يبقَ شيء، قالوا همدت. ثم قال تعالى: {ذَلِكَ جَزَاؤُهُم}، أي ذلك العذاب عقوبتهم وجزاء أعمالهم. {ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ}، أي بمحمد صلى الله

عليه وسلم والقرآن {وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عظاما ورفاتا}، أي تراباً. {أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً} بعد الموت.

▲ تفسير الآيات رقم [99- 102]

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (100) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (101) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (102)}

قال الله تعالى: {أَوَ لَمْ يَرَوْاْ}، يعني: أو لم يخبروا في القرآن؟ {أَنَّ الله الذى خَلَقَ *** السموات والارض **قَادِرٌ على أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ}، يعني: يحييهم بعد الموت. {وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ}، أي لا شك فيه عند المؤمنين أنه كائن. {فأبى الظالمون إَلاَّ كُفُورًا}، أي أبى المشركون عن الإيمان، ولم يقبلوا إلاّ الكفر.

ثم قال تعالى: {قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبّى}، يقول: لو تقدرون على مفاتيح رزق ربي، {إِذًا لأمْسَكْتُمْ}؛ أي لبخلتهم وامتنعتم عن الصدقة {خَشْيَةَ الإنفاق}، أي مخافة الفقر. {وَكَانَ الإنسان قَتُورًا}، أي ممسكاً بخيلاً.

قال الزجاج هذا جواب لقولهم: {وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الارض يَنْبُوعًا} [الإسراء: 90] وقال بعضهم: هذا ابتداء وصف بخلهم. قوله: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى تِسْعَ ءايات بَيّنَاتٍ}، أي علامات واضحات، مضيئات بالحجة عليهم وهاديات، إذ جاءهم موسى بالبينات. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن ابن عباس في قوله: {تِسْعَ ءايات بَيّنَاتٍ}، وهي في سورة الأعراف {وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءالَ فِرْعَوْنَ بالسنين وَنَقْصٍ مِّن الثمرات لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: 130] قال: السنين لأهل البوادي، ونقص الثمرات لأهل القرى، فهاتان آيتان. والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وهذه خمسة؛ ويد موسى إذ أخرجها بيضاء من غير سوء، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين.

قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا أبو موسى محمد بن إسحاق وخزيمة قالا: حدّثنا علي بن حزم بن حشرم قال: حدّثنا عيسى بن يونس، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي، فنسأله عن هذه الآيات: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى تِسْعَ ءايات}. فقال: لا تقل نبي، فإنه لو سمعها صارت له أربعة أعين. فأتوه فسألوه، فقال: «ألاّ تُشْرِكُوا بالله شَيْئاً، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إلاَّ بِالحَقِّ، وَلا تَسْرِقُوا، ولاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلا تَسْحَرُوا، وَلا تَقْذِفُوا مُحْصَناً أو قال: ولا تَفِرُّوا يَوْمَ الزَّحْفِ، وَلا تَمْشُوا بَبرِيءٍ إلى سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يا مَعْشَرَ اليَهُودِ ألا تَعْتَدوا فِي السَّبْتِ». فقبّلا يديه ورجليه وقالوا نشهد إنك نبي الله ورسوله. فقال: «وَمَا يَمْنَعُكُمَا أنْ

تُسْلِمَا؟» فقالا: إن داود دعا ربه ألاَّ يزال في ذريته نبي، فنخاف أن يقتلنا اليهود.

ثم قال تعالى: {فاسأل بَنِى إسراءيل}، يعني: سل مؤمني أهل الكتاب عن هذه الآيات. {إِذْ جَاءهُمُ}، يعني: حين جاءهم موسى، {فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنّى لاظُنُّكَ ياموسى *** موسى *** مَّسْحُورًا}؛ أي مغلوب العقل.

قوله: {قَالَ} أي موسى: يا فرعون، {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء}؛ الآيات. قرأ الكسائي: {عَلِمَتِ} بضم التاء، يعني: علمت أنا من أنزل هؤلاء الآيات {إِلاَّ رَبُّ *** السموات والارض}، يعني: إن لم تصدقوني، فأنا على يقين من ذلك؛ وقرأ الباقون بالنصب، يعني: إنك تعلم ذلك، كما قال في آية أخرى: {وَجَحَدُواْ بِهَا واستيقنتهآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة المفسدين} [النمل: 14]. {بَصَائِرَ}، أي علامات لنبوتي، ويقال: علامات بينات. {وَإِنّى لاظُنُّكَ}، أي لأعلمنك {لاظُنُّكَ يافرعون مَثْبُورًا}، أي ملعوناً هالكاً. قال الحسن: {مَثْبُورًا} أي مهلكاً، وكذا قال قتادة. وروى مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: {مَثْبُورًا} أي ملعوناً، وكذا روى الكلبي والضحاك.

▲ تفسير الآيات رقم [103- 106]

{فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (103) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا

(104) وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105)
وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106)}

{فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الارض} {أي يَسْتَنْزِلهُمْ ويخرجهم، ويقال: أي يستخفهم من الأرض، يعني: من الأردن وفلسطين ومصر. {فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِى إسراءيل}، الذين مع موسى: {اسكنوا الارض}، أي انزلوا أرض الأردن وفلسطين ومصر. {فَإِذَا جَاء وَعْدُ الاخرة}، أي البعث بعد الموت، {جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}؛ أي جميعاً. واللفيف الجماعة من كل قبيلة.

ثم قال: {وبالحق أَنْزَلْنَاهُ}، أي أنزلنا عليك جبريل بالقرآن. {وبالحق نَزَلَ}، أي بالقرآن نزل جبريل؛ ويقال: أنزلناه بالحق والحكمة والحجة. ثم قال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشّرًا} بالجنة للمؤمنين {وَنَذِيرًا} بالنار للكافرين. ثم قال تعالى: {وَقُرْءانًا فَرَقْنَاهُ}، حين أنزلنا به جبريل متفرقاً، آية بعد آية، وسورة بعد سورة. {لِتَقْرَأَهُ عَلَى الناس على مُكْثٍ}، أي على ترسل، وسهل ليفهموه ويحفظوه. وكان ابن عباس يقرأ: {فَرَّقْنَاهُ} بالتشديد، أي بيّنا فيه الحلال والحرام؛ ويقال: أنزلناه متفرقاً. {ونزلناه تَنْزِيلاً}، أي بيّناه تبييناً.

▲ تفسير الآيات رقم [107– 111]

{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا

(108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)}

قوله: {قُلْ ءامِنُواْ بِهِ}، أي صدقوا بالقرآن. {أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ}، يعني: أو لا تصدقوا؛ ومعناه إن صدقتم به أو لم تصدقوا، فإنه غني عن إيمانكم وتصديقكم. {إِنَّ الذين أُوتُواْ العلم مِن قَبْلِهِ}، يعني: أعطوا علم كتابهم وهم مؤمنو أهل الكتاب من قبل القرآن. {إِذَا يتلى عَلَيْهِمْ}، أي يعرض عليهم القرآن عرفوه. {يَخِرُّونَ لِلاْذْقَانِ}، أي يقعون على الوجه {سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبّنَا}، أي تنزيهاً لربنا؛ وقال الكلبي: أي نصلي لربنا. {إِن كَانَ وَعْدُ رَبّنَا لَمَفْعُولاً} وقد كان وعد ربنا لمفعولاً أي كائناً ومقدوراً.

قوله: {وَيَخِرُّونَ لِلاْذْقَانِ}، أي يقعون على الوجوه. {يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}، أي تواضعاً ومذلة. {قُلِ ادعوا الله أَوِ ادعوا الرحمن}؛ قال الكلبي: كان ذكر الرحمن في القرآن قليلاً في بدئ ما نزل من القرآن، وقد كان أسلم ناس من اليهود، منهم عبد الله بن سلام وأصحابه، وكان ذكره في التوراة كثيراً، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فنزل: {قُلِ ادعوا الله أَوِ ادعوا الرحمن}. قرأ حمزة والكسائي: {قُلِ ادعوا الله أَوِ ادعوا الرحمن} بكسر اللام والواو؛ وقرأ أبو عمرو بكسر اللام في {قُلِ ادعوا} وضم الواو في {أَوِ ادعوا الرحمن}، وقرأ الباقون كليهما بالضم، ومعناهما واحد. {أَيّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ

الاسماء الحسنى} يعني: بأي الاسمين تدعون، فهو حسن {فَلَهُ الاسماء الحسنى}، أي له الصفات العلى.

ثم قال: {وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا}، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بمكة وكان يصلي بأصحابه، وإذا رفع صوته، أذاه المشركون؛ وإذا خفض لا يسمع صوته الذين خلفه، فأنزل الله تعالى {وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ}، أي بقراءتك فيؤذيك المشركون {وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا} في جميع الصلوات، يعني: لا تسر بقراءتك فلا يسمع أصحابك قراءتك. {وابتغ بَيْنَ ذلك سَبِيلاً}؛ يقول: بين الرفع والخفض، ويقال: معناه ولا تجهر في جميع الصلوات، ولا تخافت في جميع الصلوات. {وابتغ بَيْنَ ذلك سَبِيلاً}، أي اجهر في بعض الصلوات، وخافت في البعض.

ثم قال: {وَقُلِ الحمد لِلَّهِ الذى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا}؛ قال الكلبي: وذلك أنه لما نزل: {قُلِ ادعوا الله أَوِ ادعوا الرحمن}، قالت كفار قريش: كان محمد يدعو إلهاً واحداً، وهو اليوم يدعو إلهاين ما نعرف الرحمن إلاَّ صاحب اليمامة مسيلمة الكذاب. فنزل: {وَمِنَ الاحزاب مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ}، يعني: ذكر الرحمن، وأمره بأن يقول: {الحمد لِلَّهِ الذى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الملك}، أي لم يتخذ ولداً فيرث ملكه.

{وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الملك} في عظمته؛ وقال أبو العالية: معناه وقل الحمد لله الذي لم يجعلني ممن يتخذ له ولداً، ولم يجعلني ممن يقول له شريك في الملك. {وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ الذل}، أي من اليهود والنصارى؛

وهم أذل خليقة الله تعالى، يؤدون الجزية؛ وقال مقاتل: معناه لم يذل فيحتاج إلى ولي يعينه، أي لم يكن له ولي ينتصر به من الذل.

{وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}، أي عظمه تعظيماً، ولا تقل له شريك. وروى إبراهيم بن الحكم، عن أبيه أنه قال: بلغني أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني رجل كثير الدين، كثير الهم. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ آخِرَ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ {قُلِ ادعوا الله أَوِ ادعوا الرحمن} حَتَّى تَخْتِمَهَا، ثُمَّ قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ».

▲ سورة الكهف

بسم الله الرحمٰن الرحيم

▲ تفسير الآيات رقم [1– 6]

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)}

قوله تعالى: {الحمد للَّهِ}، يقول: الشكر لله والألوهية لله. {الذى أَنْزَلَ على عَبْدِهِ الكتاب}، أي أنزل على عبده محمدٍ صلى الله عليه وسلم القرآن. {وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا}، أي لم ينزله متناقضاً. {قَيِّماً}، بل أنزله مستقيماً؛ ويقال: في الآية تقديم، ومعناه الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً أي مستقيماً، ولم يجعل له عوجاً؛ أي لم ينزله مخالفاً للتوراة والإنجيل. قال أهل اللغة: «عوجاً بكسر العين في الأقوال وبنصب العين في الأشخاص»؛ ويقال: في كلامه عوج، وفي هذه الخشبة عوج. {لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا}، أي

لينذركم ببأس شديد، كما قال: {إِنَّمَا ذلكم الشيطان يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: 175] أي بأوليائه وهذا قول القتبي»؛ وقال الزجاج: أي لينذرهم بالعذاب البئيس. {مِن لَّدُنْهُ}، أي من قبله؛ ويقال: {لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا}، أي يخوفهم بالعذاب الشديد بما في القرآن {مِن لَّدُنْهُ}، أي من عنده. قرأ عاصم في رواية أبي بكر: {مِن لَّدُنْهُ} بجزم الدال؛ وقرأ الباقون بالضم، ومعناهما واحد.

{وَيُبَشِّرُ المؤمنين}، بالجنة. ثم وصف المؤمنين، فقال: {الذين يَعْمَلُونَ الصالحات}، فيما بينهم وبين ربهم. ثم بيّن الذي يبشرهم به، فقال: {أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} في الْجَنَّةِ، {مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}؛ أي مقيمين في الثواب والنعيم خالداً مخلداً و{مَّاكِثِينَ} منصوب على الحال في معنى خالدين.

{وَيُنْذِرَ الذين قَالُواْ}، أي يخوف بالقرآن الذين قالوا: {اتخذ الله وَلَدًا}، وهم المشركون والنصارى. {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ}، أي ليس لهم بذلك القول بيان ولا حجة، {وَلاَ لاِئَبَائِهِمْ}؛ أي ولا حجة لآبائهم الذين مضوا، فأخبر أنهم أخذوا دينهم من آبائهم بالتقليد لا بالحجة والبيان، لأنهم قالوا كان آباؤُنا على هذا. {كَبُرَتْ كَلِمَةً}، أي عظمت الكلمة. قرأ الحسن بالضم، ومعناه عظمت كلمة وهي قولهم: {وَقَالُواْ اتخذ الله وَلَدًا سبحانه بَل لَّهُ مَا فِي السماوات والارض كُلٌّ لَّهُ قانتون} [البقرة: 116] {تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ}، فصارت نصباً بالتفسير. {إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا}، أي ما يقولون إلا كذباً. {فَلَعَلَّكَ باخع نَّفْسَكَ}، أي قاتل نفسك أسفاً وحزناً {على ءاثارهم}، أي على

أعمالهم. {إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بهذا الحديث أَسَفاً}، أي بهذا القرآن أسفاً؛ والأسف المبالغة في الحزن والغضب، وهو منصوب لأنه مصدر في موضع الحال.

▲ تفسير الآيات رقم [7– 10]

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10)}

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الارض زِينَةً لَّهَا}، أي ما على وجه الأرض من الرجال زينة لها، أي للأرض؛ ويقال: جعلنا ما على الأرض من النبات والأشجار والأنهار زينة لها أي للأرض {لِنَبْلُوَهُمْ}، أي لنختبرهم {أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً}، أي أخلص؛ ويقال: أيهم أخلص في الزهد في الدنيا وأترك لها. {وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا}، أي ما على الأرض في الآخرة من شيء من الزهرة. {صَعِيداً جُرُزاً}، أي تراباً أملس لا نبات فيه وقال القتبي: الصعيد المستوي قال: ويقال وجه الأرض، ومنه يقال للتراب صعيد، لأنه وجه الأرض والجرز الذي لا نبات فيه. يقال أرض جرز وسنة جرز، إذا كان فيه جدوبة.

{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أصحاب الكهف}، أي غار في الجبل {والرقيم} الكتاب؛ وقال قتادة: دراهمهم؛ وقال عكرمة، عن ابن عباس قال: كل القرآن أعلمه إلا

أربعة غسلين، وحنان، والأواه، والرقيم، وقال القتبي: الرقيم لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف، ونصب على باب الكهف؛ والرقيم الكتاب وهو فعيل بمعنى مفعول «وبِهِ كِتَابٌ مَرْقُومٌ» أي مكتوب؛ وقال الزجاج: هو اسم الجبل الذي فيه الكهف؛ وقال كعب الأحبار: الرَّقِيمُ اسم القرية.

روي عن ابن عباس أن قريشاً اجتمعوا وكان فيهم الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل السهمي، وأبو جهل بن هشام، وأمية وأبي أبناء خلف والأسود بن عبد المطلب، وسائر قريش، فبعثوا منهم خمسة رهط إلى يهود يثرب أي يهود المدينة فسألوهم عن محمد وعن أمره وصفته، وأنه خرج من بين أظهرنا ويزعم أنه نبي مرسل، واسمه محمد، وهو فقير يتيم. فلما قدموا المدينة، أتوا أحبارهم وعلماءهم، فوجدوهم قد اجتمعوا في عيد لهم، فسألوهم عنه؛ ووصفوا لهم صفته فقالوا لهم: نجده في التوراة كما وصفتموه لنا، وهذا زمانه. ولكن سلوه عن ثلاث خصال؛ فإن أخبركم بخصلتين ولم يخبركم بالثالثة، فاعلموا أنه نبي فاتبعوه؛ فإنا قد سألنا مسيلمة الكذاب عن هؤلاء، فلم يدر ما هن، وقد زعمتم أنه يتعلم من مسيلمة الكذاب. سلوه عن أصحاب الكهف، أي قصوا عليه أمرهم؛ وسلوه عن ذي القرنين أن كان ملكاً وكان أمره كذا وكذا؛ وسلوه عن الروح: فإن أخبركم عن قليل أو كثير فهو كاذب.

ففرحوا بذلك، فلما رجعوا وأخبروا أبا جهل، ففرح وأتوه، فقال أبو جهل: إنا سائلون عن ثلاث خصال. فسألوه عن ذلك، فقال لهم: ارجعوا غداً أخبركم،

ولم يقل: إن شاء الله. فرجعوا ولم ينزل عليه جبريل إلى ثلاثة أيام وفي رواية الكلبي إلى خمسة عشر يوماً، وفي رواية الضحاك إلى أربعين يوماً فجعلت قريش تقول: يزعم محمد أنه يخبرنا غداً بما سألناه، وقد مضى كذا وكذا يوماً؛ فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أتاه جبريل، فقال لجبريل: لقد علمت ما سألني عنه قومي، فلم أبطأت علي؟ فقال: أنا عبد مثلك {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذلك وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً} [مريم: 64]؛ وقال: {وَلاَ تَقْولَنَّ لِشَىْءٍ إِنّى فَاعِلٌ ذلك غَداً * إِلاَّ أَن يَشَآءَ الله واذكر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عسى أَن يَهْدِيَنِ رَبّى لأَِّقْرَبَ مِنْ هذا رَشَدًا} [الكهف: 24/23]. وكان المشركون يقولون: إن ربه قد ودعه وأبغضه، فنزل: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى} [الضحى: 3] ونزل: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أصحاب الكهف والرقيم} {كَانُواْ مِنْ ءاياتنا عَجَبًا}. فلما قرأ عليهم، قالوا: هذان ساحران، يعني: محمداً وموسى عليهما السلام ولم يصدقوه.

وقوله: {عَجَبًا} يقول هم عجب، وأمرهم أعجب، وغيرهم مما خلقت أعجب منهم، الشمس والقمر والجبال والسموات والأرض أعجب منهم. ثم بيَّن أمرهم، فقال تعالى: {إِذْ أَوَى الفتية إِلَى الكهف}، أي صاروا إليه وجعلوه مأواهم. والفتية جمع فتى، غلام وغلمة، وصبي وصبية. {فَقَالُواْ رَبَّنَا ءاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً}، أي ثبتنا على الإسلام. {وَهَيّئ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}، أي هب لنا من أمرنا مخرجاً.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 13]

{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13)}

{فَضَرَبْنَا على ءاذَانِهِمْ}، أي أنمناهم وألقينا عليهم النوم؛ وقال الزجاج: {فَضَرَبْنَا على ءاذَانِهِمْ}؛ أي منعناهم أن يسمعوا، لأن النائم إذا سمع انتبه. {فِى الكهف سِنِينَ عَدَدًا}؛ ويراد بذكر العدد التأكيد، لأن الكثير يحتاج أن يعد. وإنما صار نصباً، لأنه مصدر.

قال ابن عباس في حديث أصحاب الكهف أنه قال: إن مدينة كانت بالروم ظهر عليها ملك من الملوك يقال له دقيانوس، غلب على مدينتهم وأرضهم؛ وكانت المدينة تسمى أفسوس، فجعل يدعوهم إلى عبادة الأوثان ويقتلهم على ذلك؛ فمن كفر بالله واتبع دينه، تركه. فهدى الله شاباً من أهل تلك المدينة إلى دين الإسلام، فجعل يدعوهم سراً حتى تابعه على ذلك سبعة غلمة، ففطن لهم الملك، فأرسل إليهم وأخذهم ودفعهم إلى آبائهم يحفظونهم، حتى يرسل إليهم من يطلبهم من آبائهم. فأَرسل إليهم فهربوا، فقالت آباؤهم: والله لقد خرجوا من عندنا بالأمس، فما ندري أَين هم. فمروا بغلام راعٍ ومعه كلب له، فدعوه إلى أمرهم فأعجبه ذلك، فتابعهم عليه. فمضى معهم واتبعه كلبه، حتى أَتوا غاراً أي كهفاً فدخلوا فيه. ثم أرسلوا بعضهم إلى السوق، ليشتري لهم طعاماً من السوق فركب الملك والناس معه في طلبهم، وهم

يسألون عنهم. فسمع رسولهم بذلك، فعجَّل أن يشتري لهم كل الذي أرادوا؛ فاشترى بعضه وأتاهم فأخبرهم أن الملك والناس في طلبهم، فأكلوا ما أتاهم به ولم يشبعوا. ثم ناموا على وجوههم، فضرب الله على آذانهم بالنوم سنين عدداً.

وسار الملك والناس معه، حتى انتهوا إلى باب الكهف، فوجدوا آثارهم داخلين ولم يجدوا آثارهم خارجين؛ فدخلوا الكهف فأعمى الله عليهم، فطلبوهم فلم يجدوا شيئاً. فقال الملك: سدوا عليهم باب الكهف، حتى يموتوا فيه، فيكون قبرهم إن كانوا فيه. ثم انصرف الملك والناس معه، فعمد رجلان مسلمان يكتمان إيمانهما إلى لوح من رصاص، فكتبا فيه أسماء الفتية وأسماء آبائهم ومدينتهم، وأنهم خرجوا فراراً من دقيانوس الملك الكافر؛ فمن ظهر عليهم، يعلم بأنهم مسلمون. وأَلْزَقَاهُ في السد من داخل الكهف.

وقال في رواية السدي، في قصة أصحاب الكهف: كان في المدينة فتية ليس منهم أحد يعرف صاحبه، فخرج ملكهم مخرجاً له وخرج الفتية ومنهم واحد له كلب، وليس منهم أحد إلا وهو يقول في نفسه: إن رأيت أحداً استضعف، دعوته إلى الإيمان بالله. فلما رجع الناس، تخلف الفتية فاجتمعوا على باب المدينة، وقد أغلق الباب دونهم، فطلبوا أن يدخلوا فلم يفتح لهم. فقال بعضهم: إني أسر إليكم أمراً، فإن تابعتموني عليه رشدتم. فقص عليهم أمره، فقالوا جميعاً نحن على هذا آنذاك.

قوله عز وجل: {إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ * السموات والارض} الآية، فصاروا إلى الكهف فدخلوه ورقدوا فيه، ورقد الكلب بفناء الكهف؛ فضرب الله على آذانهم بالنوم.

فلما فقدهم أهلوهم، انطلقوا إلى الملك فأخبروه. فدعا بصخرة، فكتب فيها أسماءهم وكتب فيها أنهم هلكوا في زمن كذا، ثم ضربها في سور المدينة على الباب وهو الرقيم.

وفي رواية وهب بن منبه قال: جاء حواريّ من حواريي عيسى ابن مريم عليهما السلام إلى مدينة أَصحاب الكهف، فأَراد أن يدخلها فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إِلاَّ سجد له. فكره أن يدخلها؛ وأتى حماماً كان قريباً من تلك المدينة، فكان يعمل فيه يعني: أجّرَ نفسه من صاحب الحمام فرأى صاحب الحمام. في حمامه البركة، ودر عليه الرزق، واجتمع إليه فتية من أهل المدينة، فكان يخبرهم بخبر السماء والأرض وخبر الآخرة، حتى آمنوا به وصدقوه. وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة، فكانوا في ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة، فدخل بها الحمام، فماتا في الحمام جميعاً. فأتي الملك، فقيل له: صاحب الحمام قتل ابنك: فالتمسه، فلم يقدر عليه. فقال: من كان يصحبه فسموا الفتية، فالتمسوهم فخرجوا من المدينة.

فمروا بصاحب لهم في زرع له، وكان على مثل أمرهم، فذكروا له أنهم التمسوا؛ فانطلق معهم ومعه الكلب، حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه، وقالوا: نبيت ها هنا الليلة، ثم نصبح إن شاء الله، فترون رأيكم. فضرب

على آذانهم. فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم، حتى وجدوا آثارهم وقد دخلوا الكهف، فلما أراد رجل منهم أن يدخل الكهف، أرب فلم يطق أحد أن يدخل عليهم، فقال له قائل: ألست لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟ فسد عليهم باب الكهف ودعهم حتى يموتوا عطشاً وجوعاً، ففعل ذلك.

ثم إن راعياً احتاج أن يبني حظيرة لغنمه، فهدم ذلك السد وبنى عليه لغنمه، فصار باب الكهف مفتوحاً. وكلما غزا تلك المدينة فظهر عليها، أظهر علامته. إن كان مسلماً أظهر علامة المسلمين، وإن كان كافراً أظهر علامة المشركين. ثم مات دقيانوس، وملك ملك آخر مسلم، فأظهر علامة المؤمنين بالمدينة، وكان يقال له: ستفاد الملك.

ثم إن أصحاب الملك استيقظوا بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين، فنظر واحد منهم إلى الشمس وقد دنت إلى الغروب ويقال: عند زوال الشمس فقال: كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم. {فقال كبيرهم: لا تختلفوا، فإنه لم يختلف قوم إلا هلكوا. ثم قال: فقال الآخرون: {وكذلك بعثناهم لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فابعثوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذه إلى المدينة فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَآ أزكى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} [الكهف: 19]، أي أحلَّ وأظهر، لأنهم كانوا يذبحون الخنازير.

فدفعوا الدراهم إلى رجل يقال له تمليخا.

فلما انتهى إلى باب الكهف، رأى حجارة مكسرة على بابه فقال: إن هذا شيء ما رأيناه بالأمس. فلما خرج، أنكر الطريق، فدنا إلى باب المدينة، فلم يعرفها. فلما دخل المدينة لم يعرف أحداً من الناس، فأشكل عليه فقال: لعل هذه غير تلك المدينة. فسأل إنساناً، فقال: أي مدينة هذه؟ فقال: أقسوس. فقال: لقد أصابني شر وتغير عقلي؛ فهذه مدينتنا، ولا أعرفها ولا أعرف أحداً من أهلها. فأخرج الدراهم، وجاء إلى الخباز ودفعها إليه؛ فأخذ الخباز الدراهم فأنكرها، وقال: من أين لك هذه الدراهم؟ لقد وجدت كنزاً لتخبرني، وإلا دفعتك إلى الملك.

وكان كل ملك يحدث بعد آخر، يضرب دراهم على سكته وختمه؛ فمن وجد معه دراهم غير تلك الدراهم، علم أنه كنز. فلما وجدوا معه تلك الدراهم، قالوا: هذا كنز. فقال: هذه الدراهم ما أخرجت من المدينة إلا أمس. فظن الخباز أنه يتجانن عليه ليرسله، فقال له: لقد علمت أنك تتجانن علي. لا أرسلك حتى تعطيني من هذا الكنز، وإلا دفعتك إلى الملك.

اجتمع الناس عليه وذهبوا به إلى الملك، فجعل تمليخا يبكي خوفاً من الملك، وأن يرفع إلى ملكهم الجبار الذي فرّ منه فلما رأى أنّ الذي أدخل على غيره سكن فقال له الملك: من أين لك هذه الدراهم؟ فقال: خرجت بها عشية أمس أنا وأصحاب لي فراراً من دقيانوس الملك. فقال: إنك رجل شاب، وذلك الملك قد مضى عليه دهر طويل. فما أنا بالذي أرسلك، حتى تخبرني من أين لك هذه الدراهم؟ فقص عليه أمره وأمر أصحابه، فقال:

أُنَاسٌ من المسلمين قد أخبروا بقصتهم، أن آباءنا أخبرونا أن فتية قد خرجوا بدينهم وهم مسلمون فراراً من دقيانوس الملك؛ وإنا والله لا ندري ولعله صادق. فاركب وانظر لعله شيء أراد الله أن يظهرك عليه، أو يكون في ولايتك، فركب الملك وركب معه الناس، المسلم والكافر، حتى انتهوا إلى الكهف. فلما رأى أصحابه الناس قد انتهوا إليهم، عانق بعضهم بعضاً يبكون ولا يشكون، إلا أنه الملك الجبار الكافر، فقال لهم تمليخا: امكثوا حتى أدخل أولاً. فدخل عليهم، فأخبرهم بالقصة.

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: دخل عليهم الملك والناس، فسألوهم عن أمرهم، فقصوا عليهم قصتهم، فنظروا فإذا اللوح الرصاص الذي كتبه المسلمان فيه أسماؤهم وأسماء آبائهم، فقال الملك: هم قوم هلكوا في زمن دقيانوس؛ وأحياهم الله في زماني، فلم يبق أحد من الكفار مع الملك، إلا أسلموا كلهم إذا رأوهم. فبينما هم يتحدثون، إذ ماتوا كلهم؛ وقال في رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن القوم لما انتهوا إلى الكهف، قال لهم الفتى: مكانكم حتى أدخل على أصحابي، لا تهجموا عليهم فيفزعوا منكم.

فدخل فعمي عليهم المكان، فلم يدروا أين ذهب ولم يقدروا على الدخول عليهم، فقالوا: {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا}، فجعلوا عليهم مسجداً وصاروا يصلون فيه.

فذلك قوله: {فَضَرَبْنَا على ءاذَانِهِمْ فِى الكهف سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بعثناهم}، أي أيقظناهم. {لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ}، يعني: أي الفريقين المسلم والكافر {أحصى}، أي أحفظ. {لِمَا لَبِثُواْ أَمَدًا}، يعني: لما مكثوا أجلاً؛ وكان المسلمان كتبا في اللوح، فظهر لهم مقدار ما لبثوا فيه، ولم يعلم الكفار مقدار ذلك؛ ويقال: {أَيُّ الحِزْبَيْنِ}، يعني: الذين كانوا مؤمنين قبل ذلك، والذين أسلموا في ذلك الوقت؛ ويقال: أي الفريقين أصدق قولاً، لأنهم قد اختلفوا في البعث منهم من كان ينكر ذلك، فظهر لهم أن البعث حق. {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُم}، أي ننزل عليك في القرآن خبر الفتية {بالحق}، أي بالصدق. {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُم}، أي صدقوا بتوحيد ربهم. {وزدناهم هُدًى}، أي يقيناً وبصيرة في أمر دينهم.

▲ تفسير الآيات رقم [14– 17]

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا (16) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17)}

{وَرَبَطْنَا على قُلُوبِهِمْ}، أي حفظنا قلوبهم على الإيمان: وقيل: ألهمناهم الصبر حتى ثبتوا على دينهم. {إِذْ قَامُواْ} من نومهم: ويقال: قاموا بإثبات الحجة؛ ويقال: خرجوا من عند الملك. {فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ * السموات والارض ***لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إلها}، أي لم نقل من دون الله رباً وإن فعلنا {فَقَدْ *** قُلْنَا إِذًا شَطَطًا}، أي كذباً وجوراً؛ ويقال: {شَطَطًا}، أي علواً، يقال: قد أشط إذا علا في القول، أي جاوز الحد. {هَؤُلاء قَوْمُنَا اتخذوا}، أي عبدوا. {مِن دُونِهِ ءالِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بسلطان بَيّنٍ}، يعني: هلا يأتون بحجة بينة على عبادة آلهتهم.

قوله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى}، أي اختلق {عَلَى الله كَذِبًا} أن له شريكاً. {وَإِذِ اعتزلتموهم}، يقول بعضهم لبعض: لو تركتموهم وما يعبدون إلا الله، يعني: لو تركتم ما يعبدون. {وَمَا يَعْبُدُونَ إَلاَّ الله}؛ ويقال: لو اعتزلتم عبادتهم إلا الله، يعني: قولهم: الله خالقنا، ويقال: {وَإِذِ اعتزلتموهم}؛ هذا قولهم ثم قال حكاية عن قولهم، فقالَ: {وَمَا يَعْبُدُونَ إَلاَّ الله} يعني: أَصحاب الكهف. {فَأْوُواْ إِلَى الكهف}، أي فارجعوا إلى الكهف؛ ويقال: فادخلوا الكهف. {يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مّن رَّحْمَتِهِ}، أي يهب لكم ربكم من نعمته؛ ويقال: يبسط لكم من رزقه. {وَيُهَيّئ لَكُمْ مّنْ أَمْرِكُمْ مّرْفَقًا}، أي يجعل لكم من أَمركم الذي وقعتم فيه ما يرفق بكم ويصلحكم؛ ويقال: مخرجاً ونجاة.

{وَتَرَى الشمس إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ}، أي تميل وتتحرف عن كهفهم. {ذَاتَ اليمين وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ}، أي تجاوزهم؛ ويقال: تتركهم وتمر بهم.

وأصل القرض القطع، ومنه سمي المقراض. {ذَاتَ الشمال}، أي شمال الكهف. {وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مّنْهُ}، أي في ناحية من الغار؛ ويقال: في متسع منه. فأخبر أنه بوأهم كهفاً مستقبلاً بنات نعش، والشمس تميل عنه وتستدير طالعة وغاربة، ولا تدخل عليهم فتؤذيهم، ولا يحلفهم سمومها فيغير ألوانهم وأبدانهم، وكانوا في متسع منه ينالهم نسيم الريح، وينفس عنهم غمة الغار، وكربه. الغمة الهواء العفن، ويجوز الرفع النصب.

{ذلك مِنْ آيات الله}، أي ذلك الخبر والذكر؛ ويقال: ذلك الذي فعل بهم واختار لهم المكان الموافق من عجائب الله ولطفه وكرمه. {مَن يَهْدِ الله فَهُوَ المهتد}، أي من يوفقه الله للهدى فهو المهتدي. {وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّا مُّرْشِدًا}، أي موفقاً يرشده إلى التوحيد. قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: {مّنْ أَمْرِكُمْ مّرْفَقًا} بنصب الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الميم ونصب الفاء {مّرْفَقًا}، ومعناهما واحد وهو ما يرتفق به؛ وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: {تّزَاوَرُ} بتشديد الزاي مع الألف، لأن أصله تتزاور أي: تميل، فأدغم وشدد الزاي، وقرأ ابن عامر {***تَزْورٌّ} بجزم الزاي وتشديد الراء؛ ومعنى ذلك كله واحد وهو الميل، ويجوز الرفع والنصب.

▲ تفسير الآيات رقم [18- 21]

{وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ

بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20) وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)}

{مُّرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} لأن عيونهم مفتحة؛ ويقال: من كثرة تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال. {وَنُقَلّبُهُمْ ذَاتَ اليمين وَذَاتَ الشمال}؛ وذلك أن جبريل عليه السلام كان يقلبهم في كل سنة مرة؛ لكيلا تأكل الأرض لحومهم؛ وهو قول ابن عباس؛ وقال مجاهد: مكثوا ثلاثمائة عام على شق واحد وقلبوا في التسع سنين. {وَكَلْبُهُمْ باسط ذِرَاعَيْهِ بالوصيد}، أي مَاداً ذراعيه بفناء الباب. {لَوِ اطلعت عَلَيْهِمْ لَوْلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا}، أي لو هجمت عليهم اليوم، لأدبرت فراراً من هيئتهم.

وروى سعيد بن جابر، عن ابن عباس أنه قال: غزا معاوية غزوة نحو الروم، فمروا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف؛ فقال: لو كشفنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال ابن عباس: قد منع الله ذلك عمن هو خير منك، يعني: قال للنبي صلى الله عليه وسلم {لَوِ اطلعت عَلَيْهِمْ لَوْلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا} {وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا}؛ فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث ناساً،

فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فلما ذهبوا ودخلوا، بعث الله تعالى ريحاً فأخرجتهم.

ثم قال تعالى: {وكذلك بعثناهم}، أي أيقظناهم من نومهم جياعاً كما رقدوا. {لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ}، أي ليتحدثوا بينهم. {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ}، أي كم مكثتم في نومكم؟ {قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا}؛ فلما رأوا الشمس قد زالت قالوا: {أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فابعثوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذه إلى المدينة}. وروى مجاهد، عن ابن عباس قال: كانت دراهم أصحاب الكهف مثل أخفاف الإبل. قرأ ابن كثير ونافع {وَلَمُلِّئْتَ} بتشديد اللام، وهي لغة لبعض العرب، وقرأ الباقون بالتخفيف، وهما لغتان؛ وقرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر {بِوَرِقِكُمْ} بجزم الراء؛ وقرأ الباقون بالكسر وهما لغتان.

{فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أزكى طَعَامًا}، أي أطيب خبزاً أو أحل ذبيحة؛ وهذا قول ابن عباس؛ ويقال: أي أهلها أزكى طعاماً؛ وقال عكرمة: أي أكثر وأرخص طعاماً. {فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ}، أي بطعام مِنْهُ؛ وَيُقَالُ: أَزْكَى طعاماً أي: لم يكن غصباً ولا من جهة لا تحل. {وَلْيَتَلَطَّفْ}، أي وليرفق في الشراء. {وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}، أي لا يُعلمن بمكانكم أحداً من الناس. {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ}، يعني: إن يطلعوا عليكم {يَرْجُمُوكُمْ}، أي يقتلوكم. {أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُواْ إِذًا أَبَدًا}، أي لن تفوزوا، ولن تسعدوا إذاً أبداً إن عبدتم غير الله تعالى.

{وكذلك أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ}، يقول: أطلعنا الملك عليهم. قال القتبي: وأصله في اللغة أن من عثر بشيء، نظر إليه حتى يعرفه فاستعير العثار مكان التبين والظهور {لِيَعْلَمُواْ أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ}، يعني: البعث بعد الموت؛ وذلك أن القوم كانوا مختلفين، منهم من كان مقراً بالبعث، ومنهم من كان جاحداً.

فلما ظهر حالهم، عرفوا أن البعث حق وأنه كائن. {وَأَنَّ الساعة لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يتنازعون بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ}، يعني: إذ يختلفون فيما بينهم؛ وقال بعضهم: اختلفوا فيما بينهم هو ما ذكر بعد هذا في عددهم؛ وقال بعضهم: اختلفوا. فقال المؤمنون: فيما بينهم نبني مسجداً؟ وقالت النصارى: نبني كنيسة. فغلب عليهم المسلمون وبنوا المسجد. فذلك قوله تعالى: {فَقَالُواْ ابنوا عَلَيْهِمْ بنيانا}، أي مسجداً. {رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ}، أي عالم بهم. {قَالَ الذين غَلَبُواْ على أَمْرِهِمْ}، يعني: الذين كانوا على دين أصحاب الكهف وهم المؤمنون. {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا}؛ قال الزجاج: فيه دليل أنه ظهر أمرهم، وغلب الذين أقروا بالبعث على غيرهم، لأنهم اتخذوا مسجداً؛ والمسجد يكون للمسلمين.

▲ تفسير الآيات رقم [22– 24]

{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ

إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24)}

{سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُم}؛ قال بعضهم: اختلفوا في أمرهم في ذلك الوقت؛ ويقال: هذا الاختلاف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أخبر الله تعالى نبيه أنه لو سأل أهل الكتاب يختلفون عليه. فسألهم، فاختلفوا وذلك أن أهل نجران، السيد والعاقب ومن معهما، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان السيد صارماً يعقوبياً، والعاقب نسطورياً، وصنف منهم ملكانياً فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن عدة أصحاب الكهف، فقال السيد وأصحابه: ثلاثة رابعهم كلبهم. {***}؛ قال بعضهم: اختلفوا في أمرهم في ذلك الوقت؛ ويقال: هذا الاختلاف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أخبر الله تعالى نبيه أنه لو سأل أهل الكتاب يختلفون عليه. فسألهم، فاختلفوا وذلك أن أهل نجران، السيد والعاقب ومن معهما، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان السيد صارماً يعقوبياً، والعاقب نسطورياً، وصنف منهم ملكانياً فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن عدة أصحاب الكهف، فقال السيد وأصحابه: ثلاثة رابعهم كلبهم. {وَيَقُولُونَ}، أي العاقب وأصحابه: {خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بالغيب}، أي ظناً بالغيب لا علم لهم. {وَيَقُولُونَ}، أي صنف منهم: {سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ}.

قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُل رَّبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ}؛ وهذا إخبار من الله أن عدتهم سبعة. قال ابن عباس، وفي رواية

أخرى أنه قال: أظن القوم كانوا ثلاثة. قال واحد منهم: كم لبثتم؟ فقال الثاني: لبثنا يوماً أو بعض يوم. فقال الثالث: ربكم أعلم بما لبثتم. وروي عن ابن عباس أنه قال إنهم سبعة وذكر أسماءهم، فقال: مكسلينا وهو أكبرهم، وتمليخاً، ومطرونس، وسارينوس، ونوانس، وكشطود، وبيونس، وبطنبور، وليونس. وذكر في رواية وهب أسماؤهم بخلاف هذا إلا تمليخا، فقد اتفقوا على اسمه؛ وقال ابن عباس: كان اسم الكلب قطمير؛ وقال سعيد بن جبير: كان اسمه فرفدين؛ ويقال: كان لونه خليج؛ ويقال: كان لونه غلبة بالفارسية ومعناه بالعربية أبلق؛ وقال بعض المحدثين: إن كلب أهل الكهف يكون معهم في الجنة؛ وقال بعضهم: يصير تراباً مثل سائر الحيوانات. وإنما الجنة للمؤمنين خاصة.

ثم قال عز وجل: {فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآء ظاهرا}؛ قال قتادة: {فَلاَ تُمَارِ}، يقول حسبك ما أعلمناك من خبرهم. {وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً}، أي لا تسأل عن أصحاب الكهف من النصارى أحداً. {وَلاَ تَقْولَنَّ لِشَىْءٍ إِنّى فَاعِلٌ ذلك غَداً * إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ}، يعني: إلا أن تستثني، فتقول: إن شاء الله. {واذكر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}، يعني: إذا نسيت الاستثناء، فاذكرها بعد ما ذكرت واستثن.

وهذا في غير اليمين؛ وأما في اليمين، فاتفق الفقهاء من أهل الفتوى أن الاستثناء لا يكون موصولاً إلا رواية عن ابن عباس، روى عنه مجاهد قال:

يستثني الرجل في يمينه متى ذكر. ثم قرأ: {واذكر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}. وهذه الرواية غير مأخوذة.

وروى أبو هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كَانَ لِسُلَيْمَانَ بن دَاودَ مِائَةُ امْرأَة، فَقَالَ: لأَطُوفَنَّ اللَّيلةَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعاً وَكُلُّ امْرَأَةٍ تَأْتِي بِغُلاَمٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله، وَنَسِيَ أَنْ يَقُولَ: إنْ شَاءَ الله. فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ بِشَيْءٍ، إلاَّ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ أَتَتْ بِشِقِّ غُلامٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ، لَوْ قَالَ: إنْ شَاءَ الله، لَوُلِدَ لَهُ ذَلِكَ وَكَانَ دَركاً له فِيْ حَاجَتِهِ». ثم قال تعالى: {وَقُلْ عسى أَن *** يَهْدِيَنِى *** رَبّى}، أي يرشدني {لِاقْرَبَ}، أي لأسرع {مِّنْ هذا} الميعاد الذي وعدت لكم، {رَشَدًا}؛ أي صواباً؛ وهذا قول مقاتل؛ وقال الزجاج: معناه عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلائل على النبوة، ما يكون أقرب في الرشد وأدل على قصة أصحاب الكهف. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {أَن يَهْدِيَنِى} بالياء عند الوصل، وقرأ الباقون بحذف الياء.

▲ تفسير الآيات رقم [25– 28]

{وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِع مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26) وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)}

{وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِاْئَةِ سِنِينَ وازدادوا تِسْعًا}، قرأ حمزة والكسائي {ثلاث * مِاْئَةِ} بشسكسر الهاء بغير تنوين على معنى الإضافة؛ وقرأ الباقون بالتنوين. {لَهُ غَيْبُ * السموات والارض}، أي عالم بما لبثوا في رقودهم؛ وقال الكلبي: {أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ}، أي هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم. {مَا لَهُم مّن دُونِهِ مِن وَلِىّ}؛ أي أصحاب الكهف. {وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا}؛ قرأ ابن عامر {وَلاَ تُشْرِكُواْ} بالتاء على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون بالياء، ومعناه أنه قد جرى ذكر علمه وقدرته، وأعلم أنه لا يشرك في حكمه أحداً. كما قال: {عالم الغيب فَلاَ يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارتضى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً} [الجن: 27/26]، ومن قرأ بالتاء يقول: لا تنسبن أحداً إلى عالم الغيب، ومعناه أنه لا يجوز لأحد أن يحكم بين رجلين بغير حكم الله، فيما حكم أو دل عليه حكم الله؛ فليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه.

{واتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ}، يقول: اقرأ عليهم الذي أنزل إليك {مِن كتاب رَبّكَ}، يعني: القرآن. {لاَ مُبَدّلَ لكلماته}؛ يقول: لا مغير لنزول القرآن ولا خلف له؛ ويقال: ولا ينقص منه ولا يزاد فيه. {وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا}، أي لا ملجأ يمنعك منه؛ ويقال: {مُلْتَحَدًا}، أي مانعاً يمنعك؛ ويقال: معدلاً. وإنما سمي اللحد لحداً، لأنه في ناحية؛ ويقال: معناه وإن زدت فيه أو نقصت منه، لن

تجد من عذابه ملجأ. {واصبر نَفْسَكَ}، يقول: واحبس نفسك {مَعَ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُم}، أي يصلون لله تعالى {بالغداة والعشى}، يعني: الصلوات الخمس.

قال ابن عباس: نزلت الآية في سلمان، وصهيب، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وعامر بن فهيرة، ونحوهم من الفقراء قالوا: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ذات يوم، عنده سلمان على بساط منسق بالخوص أي منسوجاً إذ دخل عليه عيينة بن حصن الفزاري، فجعل يدفعه بمرفقه وينحيه، حتى أخرجه من البساط. وكان على سلمان شملة قد عرق فيها فقال عيينة: إنَّ لنا شرفاً، فإذا دخلنا عليك فأخرج هذا واضربه؛ فوالله إنه ليؤذيني ريحه. أما يؤذيك ريحه؟ فإذا خرجنا من عندك، فأدخلهم وأذن لهم بالدخول إن بدا لك أن يدخلوا عليك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، فنزل: {واصبر نَفْسَكَ} إلى {يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}، أي يطلبون رضاه.

{وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ}، أي لا يتجاوزهم إلى زينة الحياة الدنيا ويقال: لا تحتقرهم ولا تزدرهم. {تُرِيدُ زِينَةَ الحياة الدنيا}، أي ما قال عيينة بن حصن الفزاري وأمثاله {وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا}، أي عن القرآن، {واتبع هَوَاهُ} في عبادة الأصنام. {وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}، أي ضياعاً؛ وقال السدي: هلاكاً. قال أبو عبيدة: ندماً؛ وقال القتبي: أصله من العجلة والسبق. قال المفسرون: أي سرفاً؛ وقال الزجاج: تفريطاً وهو العجز.

▲ تفسير الآيات رقم [29- 31]

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31)}

ثم قال تعالى: {وَقُلِ الحق مِن رَّبّكُمْ}، أي القرآن، يعني: الذي أعطاكم به الحق من ربكم وهو قول: لا إله إلا الله، يعني: ادعهم إلى الحق. {فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}، أي من شاء فليقل: لا إله إلا الله؛ ويقال: معناه من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر؛ ويقال: {فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن} من لفظه لفظ المشيئة، والمراد به الأمر، يعني: آمنوا؛ ومن شاء فليكفر لفظه لفظ المشيئة والمراد به الخبر ومعناه ومن كفر. {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا}، يعني: للكافرين {أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}، يعني: أن دخانها محيط بالكافرين، قال الكلبي ومقاتل: يخرج عنق من النار، فيحيط بهم كالحظيرة.

{وَإِن يَسْتَغِيثُواْ} من العطش، {يُغَاثُواْ بِمَاء كالمهل}، أي أسودَ غليظاً كرديء الزيت؛ وهذا قول الكلبي والسدي وابن جبير. وروى عكرمة، عن ابن عباس مثله؛ ويقال: هو الصفر المذاب أو النحاس المذاب، إذ بلغ غايته في الحر؛ وروى الضحاك، عن ابن مسعود: أنه أذاب فضة من بيت المال، ثم بعث

إلى أهل المسجد وقال: من أحب أن ينظر إلى المهل، فلينظر إلى هذا: وقال مجاهد: المهل القيح والدم الأسود كعكر الزيت. {يَشْوِى الوجوه}، يعني: إذا هوى به إلى فيه أنضج وجهه. {بِئْسَ الشراب} المهل. {وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا}، يقول بئس المنزل النار، رفقاؤهم فيها الشياطين والكفار. {وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا}، أي مجلساً. وأصل الارتفاق الاتكاء على المرفق.

{إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً}، أي لا نبطل ثواب من أحسن عملاً في الآخرة: ثم بيّن ثوابهم فقال: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ}، العدن الإقامة؛ ويقال: العدن بطنان الجنة وهي وسطها {تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الانهار يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ}، السندس ما لطف من الديباج، والاستبرق ما ثخن من الديباج؛ وقال القتبي: يقول قوم: هو فارسي معرب، أصله استبرك، وقال الزجاج في قوله: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات}: يجوز أن يكون خبره: {إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً}، كأنه يقول: إنا لا نضيع أجرهم، ويحتمل أن يكون الجواب قوله: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ} ويجوز أن يكون جوابه لم يذكر، وقد بيَّن ثواب من أحسن عملاً في موضع آخر، وهو قوله: {مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} وقوله {أَسَاوِرَ} جمع أسورة، واحدها سوار والأسورة جمع الجمع. {مُّتَّكِئِينَ فِيهَا على الارائك}، أي على السرر في الحجال، ولا يكون أريكة إلا إذا اجتمعا السرير والحجلة. {نِعْمَ الثواب} الجنة، {وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً}، أي منزلاً في الجنة قُرناؤهم الأنبياء والصالحون.

▲ تفسير الآيات رقم [32- 34]

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34)}

{واضرب لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ} أي صف لأهل مكة صفة رجلين أخوين من بني مخزوم، أحدهما مؤمن واسمه أبو مسلمة بن عبد الأسد، والآخر كافر ويقال له أسود بن عبد الأسد؛ وهما من هذه الأمة. وآخرين أيضاً من بني إسرائيل مؤمن وكافر، فالمؤمن اسمه تمليخا، ويقال يهوذا، والكافر اسمه أبو قطروس. هكذا روي عن ابن عباس؛ ويقال: هذا المثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر به؛ وروي عن ابن مسعود أنه قال: كانا مشركين من بني إسرائيل: أَحدهما مؤمن والآخر كافر، فاقتسما فأصاب كل واحد منهما أربعين ألف درهم؛ وروي عن ابن عباس أنه قال: كانا أَخوين ورث كل واحد منهما من أبيه أربعة آلاف دينار، فالكافر أنفق ماله في زينة الدنيا، نحو شراء المنازل والخدم والحيوان؛ وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله تعالى، وتصدق على الفقراء والمساكين.

وذلك قوله تعالى: {جَعَلْنَا لِاحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أعناب}، أي بساتين. قال السدي: كان بستاناً واحداً عليه جرار واحد، وكان في وسطه نهر؛ فلذلك قال: جنتين لمكان النهر الذي بينهما، وسماه جنة للمكان الدائر الذي عليه.

{وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ}، يعني: الجنتين. ثم قال {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا}، أي مزرعاً يقال: كان حول البستان نخيل وأشجار، وداخل الأشجار كروم، وداخل الكروم موضع الزرع والرطاب ونحو ذلك. {كِلْتَا الجنتين اتَتْ أُكُلَهَا}، أي أعطت وأَخرجت حملها وثمارها. {وَلَمْ تَظْلِمِ مّنْهُ شَيْئًا}، أي لم تنقص من ثمر الجنتين شيئاً. وقال الزجاج: {كِلْتَا الجنتين اتَتْ أُكُلَهَا}، لأن لفظ كلتا واحد، والمعنى أن كل واحدة منهما آتت أكلها، يعني: أعطت وَأَخْرَجَتْ حَمْلَهَا وَثَمَرَتَهَا {وَلَمْ تَظْلِمِ مّنْهُ شَيْئًا}، يعني: لم ينقص من ثمر الجنتين شيئاً، ولو قال: أتت، لكان جائزاً. {وَفَجَّرْنَا خلالهما}، أي أجرينا وسطها {نَهَراً}، والنهر بنصب الهاء والجزم بمعنى واحد في اللغة إلا أن قراءة النصب أصح.

{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ}؛ قرأ أبو عمرو {ثَمَرٌ} بضم الثاء وجزم الميم، وقرأ الباقون غير عاصم بضم الثاء والميم، ومعناهما واحد، وقرأ عاصم بنصب الثاء والميم. فمن قرأ بالنصب، فهو ما يخرج من الشجر؛ ومن قرأ بالضم، فهو المال. يقال: قد أثمر فلان مالاً، ويقال: الثمر جمع ثمار؛ ويقال: ثمرة وثمار، وجمع الثمار ثمر. {فَقَالَ لصاحبه}، يعني: قال الكافر للمؤمن {وَهُوَ يحاوره}، أي يفاخره ويراجعه، وذلك أن أخاه احتاج فأتاه يسأله منه شيئاً، فلم يعطه شيئاً، وعاتبه بدفع ماله؛ وذلك قوله تعالى: {فَقَالَ لصاحبه وَهُوَ يُحَاوِرُهُ}: {أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً}، يعني: وأكثر خدماً.

▲ تفسير الآيات رقم [35– 42]

{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)}

{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ} وهو آخذ بيد أخيه المسلم. {وَهُوَ ظَالِمٌ لّنَفْسِهِ} بالشرك، فمن كفر بالله فهو ظالم لنفسه، لأنه أوجب لها العذاب الدائم. {قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هذه أَبَداً}، لأن أخاه المؤمن عرض عليه الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، فأجابه الكافر: فَ {قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هذه أَبَداً}، يعني: لن تفنى هذه أبداً. {وَمَا أَظُنُّ الساعة قَائِمَةً}، أي كائنة. {وَلَئِن رُّدِدتُّ إلى رَبّى}، أي إن كان الأمر كما يقول، ورجعت إلى ربي في الآخرة، {لاجِدَنَّ خَيْراً مّنْهَا مُنْقَلَباً} في الآخرة، أي مرجعاً. قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر {خَيْرًا * مِنْهُمَا} لأنها كناية عن الجنتين، وقرأ الباقون {مِنْهَا}، لأنه كناية عن قوله: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ}.

{قَالَ لَهُ صاحبه}، أي أخاه المسلم،

{وَهُوَ يحاوره}، أي يكلمه ويعظه في الله تعالى: {أَكَفَرْتَ بالذى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ}، يعني: آدم. عليه السلام {ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً}، يعني: خلقك معتدل.

قوله: {لَّكُنَّا *** هُوَ الله رَبّى}؛ قرأ ابن عامر ونافع في إحدى الروايتين {لَّكُنَّا} بالألف وتشديد النون، لأن أصله لكن أنا، فأدغم فيه؛ وقرأ الباقون {لَّكِنِ}، وفي مصحف الإمام {لَّكِنِ *** أَنَاْ ***** هُوَ الله رَبّى}، فهذا هو الأصل في اللغة، ومعناه لكن أنا أقول: هو الله ربي. {وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبّى أَحَدًا * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ}، يقول: فهلا إذ دخلت بستانك، {قُلْتَ مَا شَاء الله لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله}، يعني: بقوة الله أعطانيها لا بقوتي. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ أُعْطِيَ خَيْراً مِنْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ، فَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ الله لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله، لَمْ ير فِيهِ مَا يَكْرَهُ». {إِن تَرَنِ}، يعني: إن رأيتني {أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا} في الدنيا، {فعسى رَبّى أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مّن جَنَّتِكَ} هذه في الآخرة، {وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا}؛ أي على جنتك {حُسْبَانًا مِّنَ السماء}، أي ناراً من السماء. وهذا قول الكلبي أيضاً ومقاتل، وقال القتبي: {حُسْبَاناً}، أي مرامي واحدها حسبانة؛ وقال الزجاج: الحسبان أصله الحساب كقوله:
{الشمس والقمر بِحُسْبَانٍ} [الرحمن: 5]، أي بحساب، وهكذا قال هنا حسباناً أي حساباً بما كسبت يداك؛ وقال بعض أهل اللغة: الحسبان في اللغة سهم فارق وهو ما يرقى به. ثم قال: {فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا}، أي فتصير تراباً أملس لا نبات فيها. {أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا}، أي غائراً، يقال: غار ماؤها فلم يقدر عليه {فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا}، أي حِيلَةً. {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ}، أي فأهلك

جميع ماله، والاختلاف في الثمر كما ذكرنا. {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ} أي يصفق يده على الأخرى ندامة {عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا} من المال، {وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا}؛ أي ساقطة على سقوفها، {وَيَقُولُ} في الآخرة: {وَيَقُولُ ياليتنى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبّى أَحَدًا} في الدنيا.

▲ تفسير الآيات رقم [43– 45]

{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45)}

{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ}، أي جنداً وقوماً وأعواناً يمنعونه من عذاب الله.، أي جنداً وقوماً وأعواناً يمنعونه من عذاب الله. {وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً}، أي ممتنعاً هو بنفسه؛ قرأ حمزة والكسائي {وَلَمْ يَكُن} بالياء بلفظ التذكير، وقرأ الباقون بالتاء بلفظ التأنيث وقال الزجاج: لو قال نصره، لجاز وإنما ينصره على المعنى أي أقواماً ينصرونه.

{هُنَالِكَ الولاية لِلَّهِ الحق}، أي عند ذلك وهو يوم القيامة، يعني: السلطان والحكم لله لا ينازعه أحد في ملكه يومئذٍ؛ وهذا كقوله: {يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً والامر يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار: 19]. فمن قرأ {الحق} بكسر القاف جعله نعتاً لله؛ ومن قرأ بالضم جعله نعتاً للولاية. قرأ حمزة {هُنَالِكَ الولاية}

بكسر الواو وضم القاف، وقرأ الباقون {الولاية لِلَّهِ الحق}، وقال بعضهم: الولاية بالكسر والنصب لغتان، وقيل بالكسر مصدر الوالي، يقال: والي بين الولاية وبالنصب مصدر الولي بين الولاية. {هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا}، أي خير من أثاب العبد؛ {وَخَيْرٌ عُقْبًا}، أي خير من أعقب. قرأ حمزة وعاصم {عُقْبًا} بجزم القاف، وقرأ الباقون بضم القاف، ومعناهما واحد وهو العاقبة، فبيّن الله تعالى حال الأخوين في الدنيا وبيّن حالهما في الآخرة، في سورة الصافات في قوله تعالى: {قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ} [الصافات: 51] إلى قوله: {فاطلع فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ الجحيم} [الصافات: 55].

ثم قال: {واضرب لَهُم مَّثَلَ الحياة الدنيا}، أي للمشركين شبه ما في الدنيا من الزينة والزهرة. {كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السماء}، وهو المطر. {فاختلط بِهِ نَبَاتُ الارض}، أي اختلط الماء بالنبات، لأن الماء إذا دخل في الأرض ينبت به النبات، فكأنه اختلط به، {فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرياح}. وفي الآية مضمر، ومعناه فاختلط الماء بنبات الأرض فنبت وحسن، حتى إذا بلغ أرسل الله آفة فأيبسته فصار هشيماً، أي صار يابساً متكسراً بعد حسنه. قال القتبي: وأَصْلُهُ من هشمت الشيء إذا كسرته؛ ومنه سمي الرجل هاشماً {تَذْرُوهُ الرياح}، أَي ذرته الرياح كالرماد ولم يبق منه شيء، فكذلك الدنيا في فنائها وزوالها تهلك إذا جاءت الآخرة وما فيها من الزهرة. {وَكَانَ الله على كُلّ شَئ مُّقْتَدِرًا}، أي قادراً من البعث وغيره. قرأ حمزة والكسائي: الريح بلفظ الوحدان، وقرأ الباقون الرياح بلفظ الجماعة.

▲ تفسير الآيات رقم [46- 48]

{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48)}

{الْمَالُ والبنون زِينَةُ الحياة الدنيا}، أي غروراً لا يبقى كما لا يبقى الهشيم حين ذرته الريح، وإنما يبقى في الآخرة. {والباقيات الصالحات}، أي الصلوات الخمس. هكذا روي عن أبي الهيثم ومسروق؛ وقال مسروق: {يَعْمَلُونَ الصالحات} هي الخمس صلوات، وهي الحسنات يذهبن السيئات، وكذلك قال ابن أبي مليكة: وروى سفيان الثوري، عن منصور، عن مجاهد في قوله {والباقيات الصالحات} قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ وَقَالَ خُذُوا جُنَّتَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَمِنْ عَدُوٍّ حَضَرَ، قَالَ: لاَ بَلْ مِنَ النَّارِ. قَالُوا: وَمَا جُنَّتُنَا مِنَ النَّارِ؟ قَال: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلاَ إِله إِلاَّ اللهِ والله أَكْبَرُ. ويقال: كل طاعة يبقى ثوابها، فهي الباقيات الصالحات: الصلاة والصدقة والتسبيح وجميع الطاعات. {خَيْرٌ عِندَ رَبّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً}، أي خير من هذه الزينة والغرور عند الله تعالى، وخير ما يثبت الله العبد، وخير أملاً أي خير ما يوصل العبد الصلاة والتسبيح، أي أفضل رجاء مما يرجو الكافر، لأن ثواب الكافر النار ومرجعه إلى النار.

{وَيَوْمَ نُسَيّرُ الجبال}، أي نزيلها عن وجه الأرض ونسيرها كما نسير السحاب كقوله: {وَترَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب صُنْعَ الله الذى أَتْقَنَ كُلَّ شَئ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} [النمل: 88]. {وَتَرَى الارض بَارِزَةً}، أي ظاهرة من تحت الجبال، ويقال: بارزة أي خالية مما فيها من الكنوز والأموات، كما قال: {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ}. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {وَيَوْمَ * مِنْهُ الجبال} بالتاء مع الضمة ونصب الياء وضم اللام على معنى فعل ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون {نُسَيّرُ} بالنون ونصب اللام، كما قال: {وحشرناهم فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً}، أي لم نترك منهم أحداً ولا نخلف منهم أحداً. {وَعُرِضُواْ على رَبّكَ صَفًّا}، يقول: جميعاً، كقوله: {فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائتوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ اليوم مَنِ استعلى} [طه: 64]، أي جميعاً. يقول الله تعالى ذكره: {لَّقَدْ جِئْتُمُونَا} فرادى عراة حفاةً، {كَمَا خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ} بلا أهل ولا مال. {بَلْ زَعَمْتُمْ}، أي قد قلتم في الدنيا: {أَن لَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا}، أي لن نبعثكم في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [49- 50]

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)}

{وَوُضِعَ الكتاب} أي وضع كتاب كل امرئ منهم بيمينه أو بشماله، {فَتَرَى المجرمين}؛ أي المشركين والمنافقين والعاصين. {مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ}، أي خائفين مما في الكتاب من الإحصاء. {وَيَقُولُونَ ياويلتنا}، يا ندامتنا {مَّالِ * هذا ***** الكتاب لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً}؟ يعني: الزلل والكبائر ويقال: تبسماً وضحكاً، {إِلاَّ أَحْصَاهَا}؛ يقول: حفظها عليهم، {وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ} في الكتاب {حَاضِرًا} من خير أو شر مكتوباً. {وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}، أي لا ينقص من ثواب أعمالهم ولا يزيد في سيّئاتهم.

{وَإِذْ قُلْنَا للملائكة} الذين كانوا في الأرض مع إبليس: {اسجدوا لآِدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجن}، قال بعضهم: كان أصله من الجن فلحق بالملائكة وجعل يتعبد معهم، وقال مقاتل: كان من الجن وهو جنس من الملائكة يقال لهم الجن. روي عن ابن عباس أنه كان من الملائكة الذين هم خزان الجنان، ويقال: كان من الجن أي صار من الجن، كقوله: {قَالَ سآوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ المآء قَالَ لاَ عَاصِمَ اليوم مِنْ أَمْرِ الله إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الموج فَكَانَ مِنَ المغرقين} [هود: 43]. {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبّهِ}، أي تعظم من طاعة ربه وخرج عن طريق ربه؛ يقال: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها. {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِى}؟ أفتطيعونه وتتركون أمر الله، {وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ}؟ أي أعداء، كقوله: {إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجسامهم وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العدو فاحذرهم قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: 4] {بِئْسَ

للظالمين بَدَلاً}، أي بئس ما استبدلوا عبادة الشيطان بعبادة الله، ويقال: بئس ما استبدلوا بولاية الله تعالى ولاية الشيطان.

▲ تفسير الآيات رقم [51– 56]

{مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (52) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (53) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56)}

ثم قال: {مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السموات والارض}، أي ما استعنت بهم على خلق السموات والأرض، يعني: إبليس وذريته {وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ}، أي ولا استعنت بهم على خلق. {وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ المضلين}، أي ما كنت أتخذ الذين يضلون الناس عرفاً يعني: الشياطين، {عَضُداً * وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَائِىَ}، أي لعباد الأوثان وهو يوم القيامة، نادوا شركائي أي ادعوا آلهتكم، {الذين زَعَمْتُمْ} في الدنيا أنهم لي شركاء، ليمنعوكم مني من عذابي. {فَدَعَوْهُمْ}، يعني: الآلهة، {فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ}؛ أي لم يجيبوهم. {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً}؛ قال مجاهد: وادٍ في جهنم، وهكذا قال مقاتل، وقال القتبي: أي مهلكاً بينهم

وبين آلهتهم في جهنم، ومنه يقال: أَوبقته ذنوبه ويقال: موعداً، وقال الزجاج: وجعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم، أي وجعلنا بينهم وبين شركائهم الذين أضلوهم موبقاً أي مهلكاً. قرأ حمزة ويوم {نَّقُولُ} بالنون وقرأ الباقون بالياء.

{وَرَأَى المجرمون النار}، أي رآها المشركون من مكان بعيد، {فَظَنُّواْ}؛ أي علموا واستيقنوا {أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا}، أي داخلوها، {وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا}؛ أي معدلاً ولا ملجأً ولا مفراً يرجعون إليه. {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا}، أي بيّنا {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هذا القرءان لِلنَّاسِ مِن}، أي من كل وجه ونوع ليتعظوا فلم يتعظوا، ويقال: بينا من كل وجه يحتاجون إليه. {وَكَانَ الإنسان أَكْثَرَ شَئ جَدَلاً} من أمر الباطل، يعني: من أمر البعث مثل أبيّ بن خلف وأصحابه.

قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا يحيى بن محمد الصاعد قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: حدثنا محمد بن بشر قال، للحجاج بن دينار قال، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ». والدليل على أن الإنسان أراد به الكافر ما قال في سياق الآية {ويجادل الذين كَفَرُواْ بالباطل} الآية. ثم قال: {وَمَا مَنَعَ الناس أَن يُؤْمِنُواْ}؛ يقول: لم يمنع المشركون أن يصدقوا. {إِذْ جَاءهُمُ الهدى}، يعني: الرسول والكتاب والدلائل والحجج. قوله: {وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ}، أي وما منعهم من الاستغفار والرجوع عن شركهم، {إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الاولين}، أي عذاب الأمم الخالية. {أَوْ

يَأْتِيَهُمُ العذاب قُبُلاً}، أي عياناً بالسيف. قرأ عاصم وحمزة والكسائي {قُبُلاً} بضم القاف والباء، وقرأ الباقون بكسر القاف ونصب الباء. فمن قرأ بالضم فهو بمعنى فعل من قبل، أي مما يقابلهم، ويجوز أن يكون جمع قبيل هو أن يأتيهم العذاب أنواعاً، ومن قرأ بالكسر معناه عياناً.

{وَمَا نُرْسِلُ المرسلين إِلاَّ مُبَشّرِينَ}، أي للمؤمنين بالجنة، {وَمُنذِرِينَ}؛ أي للكافرين بالنار {ويجادل الذين كَفَرُواْ بالباطل} أي يخاصموا بالباطل {لِيُدْحِضُواْ بِهِ} أي ليزيلوا ويذهبوا به {الحق} ومنه يقال: حُجَّةٌ دَاحِضَةٌ إذا زالت عن الحجة وقال مقاتل: {لِيُدْحِضُواْ بِهِ} أي ليبطلوا به الحقَّ، يعني: القرآن والإسلام، يعني: يريدون أن يفعلوا إن قدروا عليه. {واتخذوا ءاياتى}، يعني: القرآن {وَمَا أُنْذِرُواْ}، أي وما خوفوا به {هُزُواً} أي سخرية.

▲ تفسير الآيات رقم [57- 59]

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59)}

{وَمَنْ أَظْلَمُ} أي فلا أحد أظلم؛ ويقال: أشد في كفره {مِمَّن ذُكّرَ بئايات رَبّهِ}، أي وعظ بالقرآن، {فَأَعْرَضَ عَنْهَا}. يقول: فكذب بها ولم يؤمن بها، {وَنَسِىَ

مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}؛ أي نسي ذنوبه التي أسلفها. {إِنَّا جَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً}، أي جعلنا أعمالهم على قلوبهم أكنة {أَن يَفْقَهُوهُ}، أي لكيلا يعرفوه ولا يفهموه. {وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ}، أي صمماً وثقلاً مجازاة لكفرهم. {وَإِن تَدْعُهُمْ إلى الهدى}، أي إلى الإسلام، {فَلَنْ يَهْتَدُواْ}؛ أي لن يؤمنوا. {إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الغفور}، أي المتجاوز إن رجعوا. {ذُو الرحمة}، أي بتأخير العذاب عنهم، {لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ}؛ أي لو يعاقبهم بكفرهم، {لَعَجَّلَ لَهُمُ العذاب} في الدنيا، {بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ}، أي أجلاً. {لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِ مَوْئِلاً}، أي ملجأً يلجؤون إليه ولا منجى منه.

{وَتِلْكَ القرى}، أي أهلها يعني: {أهلكناهم لَمَّا ظَلَمُواْ}، يعني: القرون الماضية حين أقاموا وثبتوا على كفرهم. {وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا}، أي لهلاكهم أَجلاً يهلكون فيه قرأ عاصم في رواية أبي بكر {لِمَهْلِكِهِم} بنصب الميم واللام، وقرأ عاصم في رواية حفص بنصب الميم وكسر اللام، وقرأ الباقون بضم الميم ونصب اللام، ومعنى ذلك كله واحد قال الزجاج: يكون للمصدر ويجوز للوقت وإن كان مصدراً، فمعناه جعلنا لوقت هلاكهم أجلاً.

▲ تفسير الآيات رقم [60– 65]

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ

أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65)}

{وَإِذْ قَالَ موسى لفتاه}، أي لتلميذه وهو يوشع بن نون؛ وقال أَهل الكتاب: إنما هو موسى بن إفراتيم بن يوسف بن يعقوب، وذكر عن القتبي أنه قال: زعم أهل التوراة أنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب، وقال عامة المفسرين: هو موسى بن عمران الذي هو أخو هارون. قال الفقيه رضي الله عنه: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا أبو العباس قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثنا الأوزاعي، عن الزهري، عن عبيد الله بن منبه، أن ابن عباس تمارى هو وقيس، وجبر بن قيس الفزاري في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إليه قال ابن عباس: هو الخضر إذ مر أبي بن كعب، فناداه ابن عباس فقال: تماريت أنا وهذا في صاحب موسى، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «بَيْنَا مُوسَى فِي مَلاٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَداً أَعْلَمَ مِنْكَ؟ فَقَالَ لا، فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ بَلْ عَبْدِي الخَضِرُ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لِقَائِهِ، فَجَعَلَ الله لَهُ الحُوتَ آيةً. فَقَالَ: إِذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا ما قَصَّ الله تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ». وروى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوف البكالي زعم أن موسى نبي بني إسرائيل. ليس هو موسى صاحب الخضر، فقال ابن عباس: كذب عدو الله. أخبرنا أبي بن كعب أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قَامَ مُوسَى خَطِيباً في بَنِي إسْرَائِيلَ» وذكر نحو الحديث الأول.

وروى أسباط، عن السدي قال: بلغنا أن موسى بن عمران نبي الله خطب خطبة فأبلغ فيها، فدخله بعض العجب وتعجبت بنو إسرائيل لبلاغته فقالوا: يا نبي الله هل تعلم أحداً أبلغ منك فأوحى الله تعالى إليه أن لي عبداً في الأرض هو أعلم منك فاطلبه قال: وما علامته؟ قال: تنطلق معك بزاد، فإذا تعبت في سفرك أي أعييت وفقدت زادك، فعند ذلك تلقاه. فانطلق موسى وفتاه يوشع بن نون وحملا معهما خبزاً وحوتاً، فذلك قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ موسى لفتاه لا أَبْرَحُ}. قال الكلبي: وإنما سماه موسى فتًى لأنه كان يخدمه ويتبعه ويتعلم منه، وكان يوشع من أشراف بني إسرائيل، وهو الذي استخلفه موسى على بني إسرائيل. وقال مقاتل: كان فتاه يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى من سبط يوسف.

{لا أَبْرَحُ حتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البحرين}، أي بحر الملح وهو بحر فارس وبحر الروم والبحر العذب؛ وقد قيل: معناه آتي الموضع الذي يجتمع فيه بين العالمين يعني: موسى والخضر، وهما بحران في العلم.

تفسير الآيات رقم [66- 71]

{قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68)

قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71)}

{قَالَ لَهُ موسى هَلْ أَتَّبِعُكَ}، أي أصحبك {على أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً}، أي هدى وصواباً. قرأ أبو عمرو وابن عامر {رَشَدًا} بالنصب، وقرأ الباقون بالضم عن عاصم ونافع، ومعناهما واحد. فقال له الخضر: إن لك فيما في التوراة كفاية من طلب العلم في بني إسرائيل وفضل أنت سترى مني أشياء تنكرها ولا ينبغي للرجل الصالح أن يرى شيئاً منكراً لا يغيره؛ فذلك قوله تعالى: {قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً}، يعني: إنك ترى مني أشياء لا تصبر عليها. {وَكَيْفَ تَصْبِرُ على مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً}؟ أي ما لم تعلم به علماً. ويقال: معناه كيف تصبر على ما ظاهره منكر؟ {قَالَ} موسى: {سَتَجِدُنِى إِن شَاء الله صَابِرًا وَلاَ أَعْصِى لَكَ أمْراً}، أي لا أترك أمرك فيما أمرتني. {قَالَ} الخضر: {فَإِنِ اتبعتنى}، أي صحبتني {فَلاَ تَسْأَلْنى عَن شَئٍ} فعلت، {حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً}؛ أي حتى أخبرك منه خبراً، يعني: إن أنكرته فلا تعجل عليّ بالمسألة. فأمر موسى يوشع أن يرجع إلى بني إسرائيل وأقام موسى مع الخضر.

قرأ نافع {فَلاَ تَسْأَلْنى} بتشديد النون مع إثبات الياء والتقدير للتأكيد للنهي، وقرأ ابن عامر {فَلاَ تَسْأَلْنى} بتشديد النون بغير ياء لأن الكسرة تدل عليه،

وقرأ الباقون {فَلاَ تَسْأَلْنى} بالتخفيف وإثبات الياء، وقرأ بعضهم بالتخفيف بغيره.

{فانطلقا}، يعني: موسى والخضر، وذلك أن موسى رد يوشع إلى بني إسرائيل وذهب موسى مع الخضر. {حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِى السفينة}؛ وذلك أنهما لما أتيا السفينة، قال أهل السفينة؛ لا يدخل علينا هذان الرجلان، فإنا لا نعرفهما ونخاف على متاعنا منهما. فقال الملاح؛ بل سيماهما سيما الزهاد، فحملهما في السفينة بغير نول أي مجاناً. فأخذ الخضر فأساً لما ركب السفينة، وجعل يثقب السفينة ويخرقها، فقال أهل السفينة؛ الله الله لا تخرق سفينتنا فتغرق. فقال موسى؛ حملنا بغير نول وتخرق السفينة وتغرق أهلها؟ فذلك قوله؛ {حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِى السفينة} {خَرَقَهَا}، أي ثقبها. {قَالَ} موسى؛ {أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا}. قرأ حمزة والكسائي {***لِيُغْرِقَ} بالياء والنصب {أَعِزَّةَ أَهْلِهَا} بضم اللام، وقرأ الباقون بالتاء والضم وكسر الراء والنصب في اللام؛ فمن قرأ برفع التاء فالأهل هو المفعول. {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}، أي منكراً شديداً. قال القتبي: {أمْراً} أي داهية وكذلك {نُّكْراً}، إلا أن النكر أشد استعظاماً بالعين وإنكاراً بالقلب.

▲ تفسير الآيات رقم [72– 74]

{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74)}

{قَالَ} له الخضر: {أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً}. روي عن ابن عباس أنه قال: قال له موسى: يا عبد الله، إنه لا يحل لك أن تخرق سفينة القوم فتغرقهم. فلم يكلمه الخضر، وجعل يخرق السفينة حتى خرقها، فتنحى موسى وجلس فقال: وما كنت أمنع أن أتبع هذا الرجل يظلم هؤلاء القوم، وقد كنت في بني إسرائيل أقرأ عليهم كتاب الله غدوة وعشية، ويقبلون مني فتركتهم وصحبت هذا الرجل الذي يظلم هؤلاء القوم. فقال الخضر: يا موسى، أتدري ما حدثت به نفسك؟ فقال موسى: ما هو؟ قال الخضر: قلت: كنت في بني إسرائيل أتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشية، يقبلونه مني فتركتهم وصحبت هذا الرجل الذي يظلم هؤلاء القوم. قال له: {أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً}.

قال: فجاء عصفور فوقع على جانب السفينة، فنقر من البحر نقرة من الماء ثمّ طار فقال الخضر: والله ما ذهبت أنا وأنت من العلم في علم الله تعالى، إلا مثل ما يغرف هذا العصفور من الماء من هذا البحر. {قَالَ} موسى: {لاَ تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ}، أي بما تركت من وصيتي. وقال ابن عباس: هذا من معاريض الكلام، لأن موسى لم ينس ولكن قال: {لاَ تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ} يقول إذا كان مني نسيان فلا تؤاخذني به. {وَلاَ تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْراً}، يعني: لا تكلفني من أمري شدة. {فانطلقا}، أي خرجا من السفينة ومضيا، {حتى إِذَا لَقِيَا غُلاَمًا}؛ قال الكلبي: كان اسمه خشنوذ. وقال غيره: كان اسمه خربث بن كاذري فقتله، أي أخذ برأسه قرعة. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: كان رجلاً إلا أنه لم يهتك بعد، وكان كافراً يقطع الطريق؛

وقال سعيد بن جبير في رواية ابن عباس: كان صبياً غير مدرك فمر بغلمان يلعبون، فأخذ برأس غلام منهم فقطعه؛ وقال في بعض الروايات: خنقه؛ فذلك قوله: {فَقَتَلَهُ}. وروي أن نجدة الحروري كتب إلى ابن عباس أن النبي نهى عن قتل الصبيان في دار العرب، وأن صاحب موسى قد قتل صبيّاً فكتب إليه ابن عباس: إنك لو علمت من الصبيان ما علم صاحب موسى، جاز لك أن تقتله.

{قَالَ} له موسى: {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ}، أي طاهرة بغير ذنب؟ ويقال: زكية لم تجن عليك بغير نفس، يقول: بغير دم وجب عليها. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {***زَاكِيَةً} بالألف، وقرأ الباقون بغير ألف؛ ومعناهما واحد مثل قاسية وقسية، وقال القتبي الزكية المطهرة التي لم تذنب قط. {نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً}، أي منكراً أي أمراً فظيعاً. قال القتبي: إنما قال ها هنا نكراً، لأن قتل النفس أشد استعظاماً من خرق السفينة؛ وقال الزجاج: نكراً أقل من إمراً، لأن إغراقه من في السفينة كان أعظم عنده من قتل النفس الواحدة.

▲ تفسير الآيات رقم [75– 79]

{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ

سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79)}

{قَالَ} الخضر: {أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً}؛ وقد زاد هنا لك للتأكيد. قيل: لأنه قد سبق منه الزجر مرة. {قَالَ} موسى: {إِن سَأَلْتُكَ عَن شَئ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِى}، يعني: إن طلبت صحبتك فلا تبايعني؛ وقد قرئ {فَلا} أبداً. {تُصَاحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنّى عُذْراً}؛ يقول: قد أعذرت فيما بيني وبينك في الصحبة. {فانطلقا حتى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ}؛ قال ابن عباس: وهي أنطاكية، {استطعما أَهْلَهَا}، أي: استضافاً، قال بعضهم: سألاهم؛ وقال بعضهم: لم يسألاهم ولكن كان نزولهما بين ظهرانيهم بمنزلة السؤال منهما. {فَأَبَوْاْ أَن يُضَيّفُوهُمَا}، يعني: لم يطعموهما. {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً}، يعني: في تلك القرية. {يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ}؛ وهذا كلام مجاز لأن الجدار لا يكون له إرادة، ومعناه كاد أن يسقط، {فَأَقَامَهُ}؛ يعني: سواه الخضر. {قَالَ} موسى: {لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً}، أي جعلاً خبزاً تأكله. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {***لَتَخِذْتُ} بغير ألف وكسر الخاء؛ والباقون {شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ} ومعناهما واحد. وقرأ نافع {مِن لَّدُنّى} بنصب اللام وضم الدال وتخفيف النون؛ وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو {مِن لَّدُنّى} بتشديد النون وهي اللغة المعروفة، والأول لغة لبعض العرب: واختلف الروايات عن عاصم. {قَالَ} الخضر: {هذا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ}، أي هذا شرط الفراق بيني

وبينك وأنت حكمت على نفسك. {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ}، أي بتفسير {مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}، أي تعلم ما رأيتني أصنع فأنكرت لتغرق أهلها وتأويله.

{أَمَّا السفينة فَكَانَتْ لمساكين يَعْمَلُونَ فِى البحر}، ويكسبون قوتهم، {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا}؛ أي أجعلها معيبة. {وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ}، أي أمامهم ملك. روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: وَكَانَ أَمَامَهُمْ ملك: {يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً}؛ وكان ابن عباس يقرأ أيضاً كل سفينة صالحة غصباً أي: كل سفينة بغير عيب. وكان اسم الملك جلنذا، يعني: أنها لو كانت بغير عيب أخذها الملك؛ فإذا كانت مع العيب تبقى للمساكين. قال الفقيه أبو الليث: فيه دليل أن للوصي أن ينقض مال اليتيم إذا رأى فيه صلاحاً، وهو أنه لو كانت له دار نفيسة، فخاف أن يطمع فيها بعض السلاطين، فأراد أن يخرب بعضها ليبقيها لليتيم جاز. وروي عن أبي يوسف أنه كان يجيز مصانعة الوصي في مال اليتيم، وهو يدفع من ماله شيئاً إلى السلطان ليدفعه عن بقية ماله.

▲ تفسير الآيات رقم [80- 82]

{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)}

{وَأَمَّا الغلام فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا}، أي يقول يكلفهما {طغيانا وَكُفْراً}، يقول؛ تمادياً وإثماً. {فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا} قرأ نافع وأبو عمرو {يُبْدِلَهُمَا} بتشديد الدال، وقرأ الباقون بالتخفيف، ومعناهما واحد. يقال: بدل وأبدل بمعنى واحد أي يعطيهما ولداً غير هذا الولد. {رَبُّهُمَا خَيْراً مّنْهُ}، أي أفضل. {زكواة}، أي ولداً صالحاً. {وَأَقْرَبَ رُحْماً}، أي أوصل رحماً ويقال رحماً. ويقال: أقرب رحمة وعطفاً عليهما. قال الكلبي: فولدت امرأته جارية فتزوجها نبي من الأنبياء، فهدى الله على يده أمة من الأمم.

{وَأَمَّا الجدار فَكَانَ لغلامين يَتِيمَيْنِ فِى المدينة} أحدهما أصرم والآخر صريم، {وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا}؛ قال الكلبي: أي مال لهما، وقال مقاتل ومجاهد: كل شيء في القرآن من كنز فهو مال غير هنا، فإنه الصحف التي فيها علم؛ وقال الضحاك: كنز لهما أي علم لهما قال الفقيه: حدّثني أبي بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجد تحت الجدار الذي قال الله تعالى {وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا} لوح من ذهب؛ والذهب لا يصدأ ولا ينقص مكتوب فيه بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، عجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يوقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها. لا إله إلا الله محمد رسول الله. روي عن ابن عباس أنه قال: كان في اللوح خمس كلمات وذكر نحوه.

قوله: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صالحا} ذا أمانة واسمه كاشح، فحفظا بصلاح أبيها ولم يذكر منهما صلاحاً. روي عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّ الله تَعَالَى لَيُصْلِحُ بِصَلاَحِ الرَّجُلِ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَأَهْلَ دُوَيْرَتِهِ وَأَهْلَ الدُّوَيْرَاتِ حوله». {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا}، أي يبلغا مبلغ الرجال، {وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مّن رَّبّكَ}؛ أي نعمة من ربك. {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى} أي من قبل نفسي ولكن الله أمرني به. {ذَلِكَ تَأْوِيلُ}، أي تفسير {مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}. تستطع وتسطع بمعنى واحد، يقال: اسطاع واستطاع.

قال الفقيه رضي الله عنه: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد الدوري قال: حدّثنا الحجاج الأعور قال: حدّثنا حمزة الزيات، عن أبي إسحق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه وقال: «رَحْمَةُ الله عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى فَلَوْ كَانَ صَبَرَ لَقَصَّ الله عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا». وفي رواية أخرى: «لَقَصَّ الله عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا العَجَائِبَ» فلما أراد موسى أن يرجع، قال للخضر: أوصني. فقال له الخضر: إياك واللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير الخطائين بخطاياهم، وابكِ على خطيئتك يا ابن عمران. قال مجاهد: إنما سمي الخضر خضراً، لأنه لا يكون بأرض إلا اخضرت.

▲ تفسير الآيات رقم [83- 86]

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86)}

ثم قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى القرنين}، وكان اسمه اسكندر. وروي عن وهب بن منبه أنه قيل له: لم سمي ذا القرنين؟ فقال: اختلف فيه أهل الكتاب، فقال بعضهم: لأنه ملك الروم وفارس، وقال بعضهم: لأنه كان في رأسه شبه القرنين، وقال بعضهم: لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها، فسماه الملك الذي عند قاف ذا القرنين، ويقال: رأى في المنام أنه دنا من الشمس وأخذ منها، فقصَّ رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين، وقال الزجاج: سمي ذا القرنين لأنه كان له ضفيرتان. وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: ضرب على قرني رأسه، وقيل: لأنه بلغ قطر الأرض؛ وقال عكرمة: كان ذو القرنين نبياً ولقمان نبياً والخضر نبياً، وروى مجاهد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص كان ذو القرنين نبياً؛ وروي عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين، فقال: كان رجلاً صالحاً ولقمان كان رجلاً حكيماً؛ وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذي القرنين فقال: هو ملك يسبح في الأرض؛ وقال مجاهد: ملك الأرض أربعة، اثنان مؤمنان واثنان كافران. أما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، وأما الكافران فالنمرود بن كنعان وبختنصر.

قال تعالى: {قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مّنْهُ ذِكْراً}، أي خبراً وعلماً من الله تعالى. {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الارض}، أي ملكناه وأعطيناه {واتيناه مِن كُلّ شَئ سَبَباً}، أي علماً؛ ويقال: أعطيناه علم الوصول إلى كل شيء يحتاج إليه من الحروف وغيرها، ويقال: علماً بالطريق {فَأَتْبَعَ سَبَباً}، أي أخذ طريقاً فسار إلى المغرب، {حتى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشمس وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ}؛ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر {***حَامِئَةٍ} بالألف، وقرأ الباقون {عَيْنٍ حَمِئَةٍ} بغير ألف. فمن قرأ {***حَامِئَةٍ} يعني: جائرة، ومن قرأ بغير ألف يعني: من طينة سوداء منتنة. وروي أن معاوية قرأ {فِى عَيْنٍ} فقال ابن عباس: ما نقرؤها إلا حمئة، فسأل معاوية عبد الله بن عمرو: كيف تقرؤها؟ فقال: كما قرأتها. قال ابن عباس: في بيتي نزل القرآن، فبعث معاوية إلى كعب يسأله: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ قال: في ماء وطين وقال: في مذرة سوداء. قال القتبي {عَيْنٍ حَمِئَةٍ} ذات حمات، والحامية حارّة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع {فَأَتْبَعَ} بتشديد التاء وكذلك ما بعده وقرأ الباقون فأتبع بنصب الألف وجزم التاء بغير تشديد.

{وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً}، أي عند العين التي تغرب فيها الشمس مؤمنين وكافرين فظهر عليهم. {قُلْنَا ياذا *** ذَا **القرنين}؛ قال مقاتل: أوصى الله تعالى إليه، وقال ابن عباس: ألهمه الله تعالى. {إِمَّا أَن تُعَذّبَ}، يعني: أن تقتل من كان كافراً؛ {وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً}، يعني: تنعم عليهم وتغفر لمن كان مؤمناً؛ وقال بعضهم: كانوا كلهم كفاراً قيل له: إما أن تعذب من لم يؤمن، وإما أن تتخذ فيهم حسناً لمن آمن.

▲ تفسير الآيات رقم [87– 93]

{قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93)}

{قَالَ} ذو القرنين: {أَمَّا مَن ظَلَمَ}، أي كفر بالله، {فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ}؛ أي نقتله إن لم يتب. {ثُمَّ يُرَدُّ إلى رَبّهِ} في الآخرة، {فَيُعَذّبُهُ} في النار {عَذَاباً نُّكْراً}؛ يقول شديداً. {وَأَمَّا مَنْ امَنَ} صدق بالله، {وَعَمِلَ صالحا} فيما بينه وبين الله تعالى، {فَلَهُ جَزَاء الحسنى}. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {جَزَاء} بنصب الألف والتنوين، وقرأ الباقون بضم الألف بغير تنوين؛ فمن قرأ بالنصب فمعناه أن له الحسنى جزاء، صار الجزاء نصباً للحال؛ ومن قرأ بالضم جزاءً للإضافة بغير جزاء إحسان. {وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً}، أي سنعد له في الدنيا معروفاً عدة، ويقال: وسنقول له قولاً جميلاً.

{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً}، أي أخذ طريقاً. وقال القتبي: السبب أصله الحبل، ثمّ كل شيء توصلت به إلى موضع أو حاجة فهو سبب. تقول: فلان سببي إليك، أي وصلتي، وتسمى الطريق سبباً، لأنه يصل إلى الموضع الذي يريده.

{حتى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشمس وَجَدَهَا تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُمْ مّن دُونِهَا

سِتْراً}، أي لم يكن لهم من دون الشمس شيء يظلهم، لا شجر ولا جبل ولا ثوب، إلا عراة عماة عن الخلق؛ وكانوا في مكان لا يستقر عليه البناء وقال قتادة: يقال إنهم الزنج، وكانوا في مكان لا ينبت فيه نبات، وكانوا يدخلون سرباً إذا طلعت الشمس، حتى تزول عنهم ويخرجون في معايشهم.

{كذلك} يعني: هكذا بلغ مطلع الشمس أيضاً، كما بلغ مغربها. ثم استأنف فقال: {وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً}، أي بما عنده علماً. وهذا قول مقاتل {كذلك} أي: كما أخبرتك بهذا الخبر، كذلك كان علمنا محيطاً به قبل ذلك. {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً}، أي أخذ طريقاً. {حتى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ}، أي بين الجبلين؛ قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر {السَّدَّيْنِ} بضم السين وكذلك الثاني والذي في سورة يس، وروى حفص عن عاصم أنه نصب كله، وابن كثير وأبو عمرو نصبا هاهنا ورفعا في يس، وحمزة والكسائي رفعا بين السدين ونصبا ما سوى ذلك وقال بعض أهل اللغة: ما كان مسدوداً خلقة فهو سَد بالنصب، وما كان بعمل الناس فهو سد بالضم. وروي عن ابن عباس ومجاهد وقيل: إن المراد هاهنا طرفا الجبل. {وَجَدَ مِن دُونِهِمَا}، أي من قبل الجبلين {قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً}، أي كلاماً غير كلامهم ولساناً غير لسانهم. قرأ حمزة والكسائي {يُفْقَهُونَ} بضم الياء وكسر القاف، يعني: أن كلامهم لا يفهمه أحد غيرهم؛ وقرأ الباقون {يَفْقَهُونَ} بالنصب، يعني: أنهم لا يفقهون قول غيرهم.

▲ تفسير الآيات رقم [94- 97]

{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97)}

{قَالُواْ يأَبَانَا ذَا القرنين إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الارض}، أي يخرجون إلى أرضنا ويأكلون رطبنا ويحملون يابسنا ويقتلون أولادنا. وكان يأجوج رجلاً ومأجوج رجلاً، وكانا أخوين من بني يافث بن نوح، فكثر نسلهما فنسب إليهما. ويقال: سمي يأجوج ومأجوج لكثرتهم وازدحامهم، لأنهم يموجون بعضهم في بعض. {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً}؛ قرأ عاصم: {يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ} بهمز الألف، وقرأ الباقون بغير همز، وقرأ حمزة والكسائي {***خَرَاجاً} بالألف وقرأ الباقون {لَكَ خَرْجاً} بغير ألف، ويقال: الخراج هو الضريبة، والخرج هو الجعل؛ ويقال: أحدهما اسم والآخر مصدر. {على أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا سَدّا}، أي حاجزاً.

ف {قَالَ} ذو القرنين: {مَا مَكَّنّى فِيهِ رَبّى خَيْرٌ}؛ قرأ ابن كثير {مَا} بنونين وهو الأصل في اللغة، وقرأ الباقون {مَا مَكَّنّى} فأدغم إحدى النونين في الأخرى وأقيم التشديد مقامه، أي ما ملّكني وأعطاني فيه ربي من القوة والمال خير من جعلكم في الدنيا، ويقال: ما يعطيني الله تعالى في الأخرى من ثواب خير. {فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ} قالوا: وما تريد؟ قال: آلة العمل وهي آلة

الحدادين. {أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا}. قالوا: وَمَا هِيَ؟ قال: {زُبَرَ الحديد حتى}، أي قطع الحديد {أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ *** سَدًّا} قرأ عاصم في إحدى الروايتين {***إيتُونِي} على معنى جيئوني، وقرأ الباقون {رَدْمًا ءاتُونِى} بمد الألف أي أعطوني. فأتوه بقطع الحديد فبناه.

{حتى إِذَا ساوى بَيْنَ الصدفين}؛ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {الصدفين} بضم الصاد والدال، وقرأ عاصم بضم الصاد وجزم الدال، وقرأ الباقون بنصب الصاد والدال؛ وهما ناحيتا الجبل. فأخذ قطع الحديد وجعل بينهما حطباً وفحماً، ووضع المنافخ وقال: انفخوا. فنفخوه حتى صار كهيئة النار. ثم أتى بالصفر ويقال بالنحاس، فأذابه وأفرغ عليه حتى صار جبلاً من حديد ونحاس، فذلك قوله {حتى إِذَا ساوى بَيْنَ الصدفين} أي بين الجبلين. {قَالَ انفخوا}، فنفخوا. {حتى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً}، أي صيَّر الحديد ناراً، {قَالَ اتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً}، وهو الصفر المذاب أصبُبْ عليه. قرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة {قَالَ ائتونى} بجزم الألف والباقون بالمد {فَمَا اسطاعوا}، أي فما قدروا {أَن يَظْهَرُوهُ}، يعني: أن يعلوا فوق السد. {وَمَا استطاعوا لَهُ نَقْبًا}، أي ما قدروا على نقب السد. ويقال: {مَا * استطاعوا لَهُ نَقْبًا} أي ما تحت السد في الأرض، لأنه بناه في الأرض إلى السماء.

قال الفقيه رضي الله عنه: حدّثنا عمرو بن حمد قال: حدّثنا أبو بكر الواسطي قال: حدّثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدّثنا أبو حفص، عن سعيد،

عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال:

»إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ الرَّدْمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، حَتَّى إذا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْس، قَالَ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ ارجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غداً، فَيُعِيدُهُ الله كَمَا كَانَ. حَتَّى إذا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، قَالَ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُه غَداً إنْ شَاءَ الله تَعَالَى. فَيَعُودُونَ إلَيْهِ، فَإذا هُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَقُونَ المِيَاهَ وَتُحَصَّنُ النَّاسُ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَبْعَثُ الله عَلَيْهِمْ نغفاً فِي أَقْفِيَتِهِمْ فَيُهْلِكُهُمُ الله بِهَا«. وروى أبو صالح، عن ابن عباس أن يأجوج ومأجوج لا يموت الرجل منهم حتى يلد لصلبه ألف ابن، وذكر أن يأجوج ومأجوج، كما ذكرنا، وهما ابنا يافث بن نوح، فإذا انكسر السد، وذلك عند اقتراب الساعة، يخرجون فيمرون ببحيرة طبرية بأرض الشام وهي مملوءة ماء فيشربها أولهم، ثم يمر آخرهم فيقولون لقد كان هاهنا مرة ماء. قال: والسد نحو بنات نعش، ثم يمرون بالبحر فيأكلون ما في جوفه من سمك وسرطان وسلحفاة ودابة، ثم يأكلون ورق الشجر، ويأكلون ما في الأرض من شيء، ويهرب الناس منهم فيقتلون من قدروا عليه، ولا يستطيعون أن يأتوا أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، ومسجد طور سيناء. ثم لا يرون على الأرض غيرهم، ثم يقولون: لقد قتلنا أهل الأرض وبقي أهل السماء، فيرمون سهامهم نحو السماء فتصيب الطير في جو السماء، فترجع سهامهم مختضبة بالدماء فيقولون: لقد قتلنا أهل السماء وأهل الأرض ولم يبقَ غيرنا. فيبعث الله تعالى عليهم دوداً يُسمَّى

النغف، فيدخل في آذانهم فيقتلهم، فتنتن الأرض من جيفهم، ثم يرسل الله تعالى أربعين يوماً حتى يحمل السيل جيفهم فيرميها إلى البحر، ويعود البحر كما كان. قرأ حمزة {فَمَا اسطاعوا} بتشديد الطاء والباقون بالتخفيف. فلما فرغ ذو القرنين من بناء السد.

تفسير الآيات رقم [98- 102]

{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102)}

{قَالَ هذا رَحْمَةٌ مّن رَّبّى}، أي هذا السد رحمة من ربي عليكم. {فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبّى}؛ يقول: إذا جاء أجل ربي، {جَعَلَهُ دَكَّاء} يعني كسراً. قرأ أهل الكوفة {دَكَّاء} بالمد، وقرأ الباقون بالتنوين {دَكّاً} إذا لم يكن لها سنام. {وَكَانَ وَعْدُ رَبّى حَقّاً}، أي صدقاً وكائناً بخروجهم. {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ}، أي يحرك في بعض وراء السد، {وَنُفِخَ فِى الصور}؛ قال أبو عبيدة: تنفخ الأرواح في الصور، وقال عامة المفسرين: يعني: ينفخ إسرافيل في الصور. وهذا موافق لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَهُ وَحَنَى جَبْهَتَهُ عَلَيْهِ وَيَنْتَظِرُ متى

يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ فِيهِ» {فجمعناهم جَمْعاً}، أي يوم القيامة نجمع يأجوج ومأجوج وجميع الخلق.

{وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ}، أي كشفنا الغطاء عنها قبل دخولهم جهنم. {للكافرين عَرْضاً}، أي كشفاً ويكون المصدر لتأكيد الكلام. ثم نعت الكافرين فقال: {الذين كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ}، أي أعين الكافرين {فِى غِطَاء عَن ذِكْرِى}، أي في عمى عن التوحيد والقرآن فلم يؤمنوا. {وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً}، أي استماعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بغضه وعداوته.

{أَفَحَسِبَ الذين كَفَرُواْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِى أَوْلِيَاء}، يعني: أن يعبدوا غيري؛ ومعناه لا يحسبن الكافرون بأن يتخذوا أولياء يعبدون معي شيئاً، لأن المشركين كانوا يدعون بعض المؤمنين إلى الشرك وهذا كقوله: {إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سلطان إِلاَّ مَنِ اتبعك مِنَ الغاوين} [الحجر: 42]، ويقال: ومعناه أفيظن الذين كفروا أن يعبدوا عبادي، يعني: الملائكة وعزيراً والمسيح، من دوني أولياء، يعني: أرباباً، ومعناه يظنون أنهم لو اتخذوهم أرباباً تنفعهم عبادتهم ويفوتون من عذابي. ثم بيّن عذابهم فقال: {إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ للكافرين نُزُلاً}، أي منزلاً. روي عن علي بن أبي طالب أنه قرأ {أَفَحَسِبَ الذين كَفَرُواْ} بجزم السين وضم الباء، معناه أيكفيهم مني ومن طاعتي أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء فحسبهم جهنم {إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ للكافرين نُزُلاً} أي منزلاً.

▲ تفسير الآيات رقم [103- 108]

{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108)}

{قُلْ هَلْ نُنَبّئُكُم بالاخسرين أعمالا} يعني: الخاسرين أعمالهم، {الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ}؛ أي بطلت أعمالهم {الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الحياة الدنيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ}، أي يظنون أنهم يفعلون فعلاً حسناً. قال علي بن أبي طالب: هم الخوارج؛ وهكذا روي عن أبي أمامة الباهلي؛ وروي عن سلمان الفارسي أنه قال: هم رهبان النصارى أهل الصوامع، وهكذا قال مقاتل. {أُوْلَئِكَ الذين كَفَرُواْ بئايات رَبّهِمْ}، أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {وَلِقَائِهِ}، أي البعث بعد الموت. {فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}، أي بطلت حسناتهم، {فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القيامة وَزْناً}؛ أي لا توزن أعمالهم مثقال ذرة، ويقال: لا نقيم لأعمالهم ميزاناً. {ذَلِكَ جَزَاؤُهُم}، أي هكذا عقوبتهم. {جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ واتخذوا ءاياتى وَرُسُلِى}، أي القرآن ومحمداً صلى الله عليه وسلم {هُزُواً}، أي استهزاء.

{إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات كَانَتْ لَهُمْ جنات الفردوس نُزُلاً}، أي منزلاً. وقال مقاتل: الفردوس بلغة الروم البساتين عليها الحيطان، وقال السدي: الأعناب بالنبطية؛ وروى الحسن، عن سمرة بن جندب قال:

الفردوس ربوة خضراء من الجنة هي أعلاها وأحسنها؛ وقال الكلبي: جنات الفردوس من أدنى الجنان منزلاً؛ وروى أبو أمامة الباهلي قال: الفردوس سرة الجنة أي أوسطها. {خالدين فِيهَا}، أي دائمين فيها. {لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً}، أي تحولاً رضوا بها وبثوابها. وقال بعض المفسرين تمام النعمة أنهم لا يتمنون التحول لأنهم لو تمنوا التحول عنها لتنقص النعم عليهم.

▲ تفسير الآيات رقم [109– 110]

{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)}

{قُل لَّوْ كَانَ البحر مِدَاداً لكلمات رَبّى}؛ وذلك أن اليهود قالوا: يزعم محمد أن من أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم يزعم ويقول: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبّى وَمَآ أُوتِيتُم مّن العلم إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء: 85] فكيف نوافق الخير الكثير مع العلم القليل؟ فنزل: قل يا محمد: {لَّوْ كَانَ البحر مِدَاداً لكلمات رَبّى} يكتب به، {لَنَفِدَ البحر} وتكسرت الأقلام، {قَبْلَ أَن تَنفَدَ كلمات رَبّى}؛ أي لا تنفد كلمات ربي. كما قال في آية أخرى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِى الارض مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ والبحر يَمُدُّهُ من بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كلمات الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان: 27]. {وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً}، أي بمثل البحر، وقرأ بعضهم {وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدَاداً}. وقراءة العامة {مَدَداً}

ومعناهما واحد {يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألباب} [البقرة: 269] وهو قليل عند علم الله تعالى.

{قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ يوحى إِلَىَّ أَنَّمَا إِلهكم إله وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبّهِ}، أي من يخاف البعث بعد الموت. {فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالحا}، أي خالصاً فيما بينه وبين الله تعالى، {وَلاَ يُشْرِكْ}؛ أي لا يخلط ولا يرائي {بِعِبَادَةِ رَبّهِ أَحَدَا}. وقال سعيد بن جبير {فَمَن كَانَ يَرْجُو}، أي من كان يوجو ثواب ربه؛ وروي عن مجاهد أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إني أتصدق بالصدقة وألتمس بها وجه الله، وأحب أن يقال لي خيراً. فنزل: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالحا}. قرأ حمزة والكسائي وابن عامر في إحدى الروايتين {ءانٍ * يَنفَدُ} بالياء بلفظ التذكير، وقرأ الباقون بالتاء بلفظ التأنيث؛ لأن الفعل إذا كان مقدماً على الاسم يجوز التأنيث والتذكير.

قال الفقيه: حدّثنا أبو الحسن أحمد بن عمران قال: حدّثنا أبو عبد الله المديني، عن مخلد بن عبد الواحد، عن الخليل، عن علي بن زيد بن جدعان، عن زر بن حبيش، عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ فَهُوَ مَعْصُومٌ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ تَكُونُ، فَإِنْ خَرَجَ الدَّجَّالُ فِي تِلْكَ الثَّمَانِيَةِ أَيَّامٍ، عَصَمَهُ الله مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمَنْ قَرَأَ الآيَةَ الَّتِي فِي آخِرِهَا {قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ} إلى الخاتِمَةِ حِينَ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ، كَانَ لَهُ نُورٌ يَتَلأْلأُ فِي مَضْجعِهِ إلى مَكَّةَ، حَشْوُ ذلك النُّورِ

مَلائِكَةٌ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ مِنْ مَضْجَعِهِ. وَإِنْ كَانَ مَضْجعُهُ بِمَكَّةَ فَتَلاَهَا، كَانَ نُورٌ يَتلأْلأ مِنْ مَضْجَعِهِ إلى البَيْتِ المَعْمُورِ، حَشْوُ ذلكَ النُّورِ مَلائِكَةٌ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ مِنْ نَوْمِهِ». إلى غير ذلك مما ورد في فضلها من الأخبار والآثار؛ وصلى الله على سيدنا محمد النبي المختار وعلى آله وصحابته الأطهار، صلاة وسلاماً دائمين ما تعاقب الليل والنهار، آمين آمين آمين؛ والحمد لله رب العالمين.

▲ سورة مريم

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا

(3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6)}

قوله عز وجل: {كهيعص}؛ قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص بنصب الهاء والياء، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر والكسائي بكسر الهاء والياء، وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء ونصب الياء، وقرأ حمزة وابن عامر بنصب الهاء وكسر الياء، وقرأ نافع بين الكسر والفتح وهو اختيار أبي عبيدة؛ ومعنى هذا كله واحد. قال ابن عباس في تفسير قوله: {كهيعص}، قال: كاف فالله كاف لخلقه بالرزق والعطف عليهم، والهاء فالله الهادي للخلق، وأما الياء فيد الله مبسوطة على خلقه بالرزق لهم والعطف عليهم، وأما العين فالله تعالى عالم بخلقه وأمورهم، وأما الصاد فالله تعالى صادق بوعده. وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: هو اسم الله الأعظم، وروي عنه أنه قال:

هو قسم أقسم الله بكهيعص، ويقال: هي حروف تدل على ابتداء السور نحو {الر} و{المر} وغيرهما.

ثم قال: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا}، معناه على طريق ابن عباس باسم الله الكافي الهادي العالم الصادق ذكر رحمة ربك عبده زكريا بالرحمة. ومن قال: هو ابتداء السورة، فمعناه اقرأ {كهيعص} من قال إنه قسم، فمعناه ورب كهيعص إنه ذكر عبده زكريا بالرحمة. ثم قال: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا}، يعني: في هذه السورة، ومعناه: ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة، ذكره بالرحمة لا يكون إلا بالله تعالى ففي الآية تقديم وتأخير يقول: ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة، وهو زكريا بن ماثان {إِذْ نادى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً}، يقول: دعا ربه نداءً خفياً، يقول: أخفاه وأسره من قومه، ويقال: دعا ربه دعاء سراً، لأنه علم أن دعاء السر أنفع وأسرع إجابة، ويقال: دعا ربه نداءً خفياً يعني: خالصاً. {قَالَ رَبّ إِنّى وَهَنَ العظم مِنّى}، أي ضعف عظمي، {واشتعل الرأس شَيْباً}؛ يعني: أخذ في الرأس شيباً وبياضاً. {شِيباً} صار نصباً بالتمييز، والمعنى: اشتعل الرأس من الشيب، يقال للشيب إذا كثر جداً قد اشتعل رأس فلان بالشيب. ثم قال: {وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبّ شَقِيّاً}، يعني: لم تكن تخيب دعائي عندك إذا دعوتك.

{وَإِنّي خِفْتُ الموالى مِن وَرَائِى}، يعني: خشيت، ويقال: أعلم الموالي يعني: الورثة، ويقال: بنو العم، ويقال: العصبة من ورائي، يعني: من بعد موتي. خاف أن يَرِثَهُ غير الولد. وروي عن قتادة، عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال: «يَرْحَمُ اللهُ تَعَالَى زَكَرِيَّا وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةٍ». وروي عن سعيد بن العاص أنه قال: أملى علي عثمان {وَإِنّي خِفْتُ الموالى} بنصب الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء، ويقال: يعني: ذهبت الموالي.

وقال أبو عبيدة: لولا خلاف الناس لاتبعنا عثمان فيها. ثم قال: {وَكَانَتِ امرأتى عَاقِرًا}، يعني: عقيماً لم تلد؛ {فَهَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً}، يعني: ولداً.

{يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءالِ يَعْقُوبَ}. وقال عكرمة: يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة، وهكذا قال الضحاك؛ وقال بعضهم: يرثني يعني: علمي وسنتي، لأن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون مالاً. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّا مَعَاشِرَ الأنْبِيَاءِ لا نُوَرِّثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ». وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّ الأنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دَرَاهِمَ وَلا دَنَانِيرَ، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا هذا العِلْمَ» ويقال: لأنه رأى من الفتن وغلبة أهل الكفر، فيخاف على إفساد مواليه إن لم يكن أحد يقوم مقامه ويخولهم بالموعظة. قرأ أبو عمرو والكسائي: {يَرِثْنِى وَيَرِثْ} بجزم كلا الثاءين على معنى جواب الأمر والشرط، أي أنك إذا وهبت لي ولياً يرثني؛ وقرأ الباقون: {يَرِثُنِى وَيَرِثُ} بالضم؛ وقال أبو عبيدة: وهذا أحب إلي. قال معناه هب لي الذي هذه حاله وصفته، لأن الأولياء قد يكون منهم الوراثة وغيره، فيقول: هب لي الذي يكون ورائي وارث النبوة. ثم قال: {واجعله رَبّ رَضِيّاً}، يعني: صالحاً زكياً.

▲ تفسير الآيات رقم [7– 10]

{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10)}

{رَضِيّاً يازكريا إِنَّا نُبَشّرُكَ بغلام اسمه يحيى}، يعني: أوحى الله تعالى وأرسل إليه جبريل وأن جبريل عليه السلام أدى إليه الرسالة من الله عز وجل. قال الله تعالى: {إِنَّا نُبَشّرُكَ} وقد بيّن ذلك في سورة آل عمران {فَنَادَتْهُ الملائكة وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلّى فِى المحراب أَنَّ الله يُبَشّرُكَ بيحيى مُصَدّقاً بِكَلِمَةٍ مّنَ الله وَسَيّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مّنَ الصالحين} [آل عمران: 39]. ثم قال هنا: {بغلام اسمه يحيى} {لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً}، يعني: لم نجعل لزكريا من قبل يحيى ولداً يسمى يحيى، ويقال: لم يكن قبله أحد يسمى بذلك الاسم، ويقال: لم يكن بذلك الاسم في زمانه أحد وإنما سمي يحيى، لأنه حي بالعلم والحكمة التي أوتيها؛ ويقال: لأنه حي به المجالس، ويقال: لأنه حيي به عقر أمه، ويقال {لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً} أي نظيراً ومثالاً. قرأ حمزة {نُبَشّرُكَ} وقرأ الباقون بالتشديد وضم النون ونصب الباء وكسر الشين {نُبَشّرُكَ}.

فقال زكريا عند ذلك: {قَالَ رَبّ}، يقول: يا سيدي {أنى يَكُونُ لِي غلام}، يعني: من أين يكون لي ولد؟ ويقال: إنما قال ذلك على وجه الدعاء لله تعالى، فقال: يا رب من أين يكون لي ولد؟ {وَكَانَتِ امرأتى عَاقِرًا} من الولد،

{وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكبر عِتِيّاً}، يقول: تحول العظم مني يابساً، ومنه يقال: قلب عات إذا كان قاسي القلب غير لين، ويقال لكل شيء انتهى فقد عتى. ولم يكن زكريا شاكّاً في بشارة الله عز وجل، ولكن أحب أن يعلم من أي وجه يكون. قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص والكسائي {عِتِيّاً} بكسر العين وكذلك {صِلِيّاً} و{جِثِيّاً} {وَبُكِيّاً} إلا أن عاصماً خالفهما في {***بُكِيّاً}، والباقون كلها بالضم، وكأن أبا عبيدة اختار الضم، لأنه أفصح اللغتين وهي قراءة أبي.

{وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ} له جبريل عليه السلام {كذلك}، يعني: هكذا كما قلت إنك {قَدْ بَلَغْتَ مِن *** الكبر عِتِيّاً *** قَالَ كذلك قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} ولكن الله عز وجل {قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ}، يعني: خلقه عليَّ يسير {وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ} يحيى {وَلَمْ تَكُ شَيْئاً} قرأ حمزة والكسائي {وَقَدْ} بالألف مؤخرة والنون مقدمة والباقون {وَقَدْ خَلَقْتُكَ} وهو اختيار أبي عبيدة قال زكريا عليه السلام {رَبِّ اجعل لِّى ءايَةً} في الولد. روى أسباط، عن السدي قال: لما بشر زكريا عليه السلام جاءه الشيطان فقال: إن هذا النداء الذي نوديته ليس من الله، وإنما هو من الشيطان ليسخر بك. ولو كان من الله عز وجل، لأوحاه إليك كما كان يوحي إليك، ف {قَالَ} عند ذلك: {رَبِّ اجعل لِّى ءايَةً} أعلم بها أن هذا النداء منك. {قَالَ} الله تعالى له: {أَلاَّ تُكَلِّمَ الناس ثلاث لَيَالٍ سَوِيّاً فَخَرَجَ}، يعني: علامتك أن لا تستطيع أن تكلم الناس ثلاث ليال وأنت صحيح سليم من غير خرس ولا مرض. ورجع تلك الليلة إلى امرأته فقربها، ووضع الولد في رحمها؛ فلما أصبح اعتقل لسانه عن كلام الناس.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 15]

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15)}

{فَخَرَجَ على قَوْمِهِ مِنَ المحراب}، أي من المسجد. {فأوحى إِلَيْهِمْ}، يعني: أشار إليهم وأومأ إليهم، ويقال: كتب كتاباً وألقاه على الأرض ولم يقدر أن يتكلم به. {أَن سَبّحُواْ}، يعني: صلوا لله تعالى {بُكْرَةً وَعَشِيّاً}، يعني: غدوة وعشياً. فعرف عند ذلك أنه آية الولد.

قوله عز وجل: {وَعَشِيّاً يايحيى خُذِ الكتاب بِقُوَّةٍ}، يعني: أوحى الله تعالى إليه أن: {وَعَشِيّاً يايحيى خُذِ الكتاب بِقُوَّةٍ}، يعني: بجد ومواظبة {وَاتَيْنَاهُ الحكم صَبِيّاً}، يعني: أجرينا الحكمة على لسانه في حال صغره، وذلك أنه مرّ بصبيان يلعبون، فقالوا له: تعال حتى نلعب. فقال لهم: ما للعب خلقنا. ويقال: {خُذِ الكتاب بِقُوَّةٍ}، أي بعد عون من الله تعالى، ويقال بكثرة الدرس. {ءاتيناه *** الحكم صَبِيّاً}، يعني: النبوة والفقه والخير كله {وَحَنَانًا مّن لَّدُنَّا}، يعني: آتيناه رحمة من عندنا؛ وأصله من حنين الناقة على ولدها {وزكواة}، يعني: وصدقة منا، ويقال: التطهير، ويقال: صلاحاً في دينه. وقال سعيد بن جبير الزكاة: التزكية. {وَكَانَ تَقِيّا}، يعني: مطيعاً لربه، {وَبَرّا بوالديه}، يعني: مطيعاً لهما ولا يعصيهما. {وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً}، يعني: لم يكن

قتّالاً، والجبار الذي يقتل على الغضب ويضرب على الغضب {عَصِيّاً}، يعني: لم يكن عصياً لربه؛ والعصيّ والعاصي واحد.

قوله عز وجل: {وسلام عَلَيْهِ}، أي السلام من الله عز وجل والسعادة تناله {يَوْمَ وُلِدَ}، أي حين ولد {وَيَوْمَ يَمُوتُ}، يعني: حين يموت {وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَياً}، أي حين يبعث حياً. وروى قتادة عن الحسن أن يحيى عليه السلام قال لعيسى عليه السلام حين التقيا: أنت خير مني. فقال عيسى صلوات الله عليه: بل أنت خير مني، سلم الله عليك وأنا سلمت على نفسي. وروي عن بعض الصحابة أنه قال: ما من الناس أحد إلا وهو يلقى الله عز وجل يوم القيامة ذو ذنب إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام وروي عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أَذْنَبَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَلا هَمّ بِامْرَأَةٍ».

▲ تفسير الآيات رقم [16 -21]

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21)}

قوله: {واذكر فِى الكتاب مَرْيَمَ إِذِ انتبذت}، يعني: اذكر في القرآن خبر مريم، ومعناه: اقرأ عليهم ما أنزل عليك في القرآن من خبر مريم {إِذِ انتبذت} يعني: اعتزلت وتنحت {مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً}، يعني: مشرقة الشمس في دار أهلها. {فاتخذت مِن دُونِهِم حِجَاباً}، يعني: ضربت وأرخت من دونهم ستراً. {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا}، يعني: بعثنا إليها جبريل عليه السلام {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً}، يعني: تشبه لها في صورة شاب تامّ الخلق فدنا منها، فأنكرت مريم مكان الرجل. {قَالَتْ إِنّى أَعُوذُ بالرحمن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً}، يعني: إن كنت مطيعاً لله. وإنما قالت ذلك، لأن التقي إذا وعظ بالله عز وجل اتعظ وخاف، والفاسق يخوف بالسلطان، والمنافق يخوف بالناس؛ فالتقيّ يخوف بالله. ويقال: في الآية مضمر ومعناه احذر إن كنت تقياً.
{قَالَ} لها جبريل: {إِنَّمَا أَنَاْ رَسُولُ رَبّكِ لاِهَبَ لَكِ غلاما زَكِيّاً}، يعني: ولداً صالحاً. قرأ أبو عمرو ونافع في إحدى الروايتين {أَحْلَلْنَا لَكَ} بالياء، وقرأ الباقون {لاِهَبَ}. فمن قرأ {***لِيَهَبَ}، فمعناه ليهب الله لك ومن قرأ {رَبّكِ لاِهَبَ لَكِ} يكون فيه مضمر. ومعناه: إنما أنا رسول ربك قال: {لاِهَبَ لَكِ غلاما زَكِيّاً} يعني: قال ربك وهذا اختيار أبي عبيدة، وهو موافق لخط المصاحف.

{قَالَتْ} مريم لجبريل عليه السلام: {أنى يَكُونُ لِي غلام}، يعني: من أين يكون لي ولد؟ {وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ}، يعني: لم يقربني زوج، {وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً}؛ يعني: لم أك فاجرة. {قَالَ} لها جبريل: {كذلك}، يعني: هكذا كما قلت. {قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيّنٌ}، يعني: خلقه عليّ يسير، {وَلِنَجْعَلَهُ ءايَةً لّلْنَّاسِ}؛ يعني:

عبرة لبني إسرائيل، {وَرَحْمَةً مّنَّا}؛ أي ونعمة منا. {وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً}، يعني: قضاء كائناً.

▲ تفسير الآيات رقم [22– 26]

{فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)}

{فَحَمَلَتْهُ} يعني: حملت مريم بعيسى عليه السلام وقال وهب بن منبه: إن مريم حملت بعيسى عليه السلام تسعة أشهر، وقال بعضهم: ثمانية أشهر؛ فتلك آية، لأنه لا يعيش مولود في ثمانية أشهر. وروي في بعض الروايات، عن ابن عباس أنه قال: ما هي إلا أن حملت ثم وضعت، وقال مقاتل: حملت في ساعة ووضعت في ساعة. {فانتبذت بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً}، يعني: انفردت بولادتها مكاناً بعيداً. قال القتبي: القصيُّ أشد بعداً من القاصي.

ثم قال: {فَأَجَاءهَا المخاض}، يعني: جاء بها وألجأها المخاض، يعني: الطلق بولادة عيسى عليه السلام {إلى جِذْعِ النخلة}، أي أصل النخلة. قال ابن عباس: النخلة اليابسة في شدة الشتاء، يعني: الطلق. {قَالَتْ ياأيها *** لَيْتَنِى ***** مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً}، يعني: شيئاً متروكاً

لم أذكر، ويقال للشيء الحقير الذي إذا ألقي ينسى نسيٌ؛ وقال قتادة: يعني: لا أعرف ولا أدري من أنا؛ وقال عكرمة: يعني: جيفة ملقاة، وهكذا قال الضحاك؛ وقال ربيعة بن أنس؛ يعني: سقطاً. قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص {وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً} بنصب النون والباقون {نَسِيّاً} بكسر النون، قال أبو عبيد: وبالكسر نقرؤها، لأنها كانت أكثر في لغة العرب وأفشاها عليها أهل الحرمين والبصرة.

{فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا}؛ قرأ حمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية حفص {مِنْ} بالكسر، يعني: الملك، وهكذا قرأ مجاهد والحسن، والباقون {مِنْ} بالنصب يعني به عيسى عليه السلام وقال أبو عبيد: بالأولى نقرأ يعني: بالكسر، لأن قراءتها أكثر والمعنى فيها أعمّ، لأنه إذا قال: {مِن تَحْتِهَا} فإنما هو عيسى خاصة. {أَلاَّ تَحْزَنِى} بولادة عيسى وبمكان الجدب، {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}؛ أي نهراً صغيراً بحبال؛ ويقال: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}، أي بيتاً، فذكر هذا القول عند ابن حميد فأنكره وقال: هو الجدول. ألا ترى أنه قال: {فَكُلِى واشربى}. قال مجاهد: السريّ بالسريانية، وقال سعيد بن جبير: بالنبطية.

{وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النخلة}؛ يقول: حركي أصل النخلة {تساقط عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً}، أي غضاً طرياً. قرأ حمزة {تساقط} بنصب التاء وتخفيف السين، وأصله تتساقط إلا أنه حذفت منه إحدى التاءين للتخفيف وهذا كقوله: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرسول لَوْ تسوى بِهِمُ الارض وَلاَ يَكْتُمُونَ الله

حَدِيثاً} [النساء: 42] وأصله تتسوى، وكقوله {ثُمَّ أَنتُمْ هؤلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن ديارهم تظاهرون علَيْهِم بالإثم والعدوان وَإِن يَأْتُوكُمْ أسارى تفادوهم وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكتاب وَتَكْفُرُونَ بِبعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذلك مِنكُمْ إِلاَّ خِزْىٌ فِي الحياة الدنيا وَيَوْمَ القيامة يُرَدُّونَ إلى أَشَدِّ العذاب وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ}

[البقرة: 85]، وكقوله {تَكَادُ السماوات يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الارض وَتَخِرُّ الجبال هَدّاً} [مريم: 90] وقرأ عاصم في رواية حفص {تساقط} بضم التاء وتخفيف السين وكسر القاف يعني: أن النخلة تساقط عليك، وقرأ الباقون بالنصب وتشديد السين ونصب القاف، لأن التشديد أقيم مقام التاء التي حذفت. وروي عن البراء بن عازب أنه كان يقرأ {***يُسَاقِط} بالياء يعني: أن الجذع يساقط عليك، وقرأ بعضهم: {***نُسَاقِطُ} بالنون ومعناه ونحن نساقط عليك، وروي أنها كانت نخلة بلا رأس وكان ذلك في الشتاء، فجعل الله تعالى لها رأساً وأنبت فيها رطباً، فذلك قوله: {النخلة تساقط عَلَيْكِ رُطَباً} أي غضاً طرياً.

قيل لها: {فَكُلِى} من الرطب، {واشربى} من النهر، {وَقَرّى عَيْناً}؛ أي طيبي نفساً بولادة عيسى. وقال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندي دواء إلا الرطب ولا للمريض إلا العسل. ثم قال تعالى: {فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البشر أَحَداً}، يعني: إن رأيت أحداً من الناس، {فَقُولِى} إن سألك أحد شيئاً فقولي: {إِنّى نَذَرْتُ للرحمن صَوْماً}، يعني: صمتاً. وروي عن ابن عباس في بعض الروايات

أنه كان يقرأ {إِنّى نَذَرْتُ للرحمن}. {صَوْماً فَلَنْ أُكَلّمَ اليوم إِنسِيّاً}؛ يعني: قولي ذلك بالإشارة لا بالقول، وكان المتقدمون يصومون من الكلام كما يصومون من الطعام.

▲ تفسير الآيات رقم [27– 33]

{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33)}

{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا}؛ وذلك أن مريم حملت عيسى عليه السلام ودخلت على أهلها، وكان أهلها أهل بيت صالحين. {قَالُواْ} لها أي قومها: {قَالُواْ يامريم لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً}، يعني: أتيت وفعلت أمراً عظيماً منكراً، لا يعرف منك ولا من أهل بيتك {فَأَرْسِلْ إلى هارون}، يعني: هارون بن ماثان، وكان من أمثل بني إسرائيل {فَأَرْسِلْ إلى هارون}، يعني: يا شبه هارون في الصلاة والصلاح، ويقال: كان رجل سوء يسمى هارون فعيّروها به وشبهوها بهارون، ويقال: كان لها أخ يقال له هارون من أبيها ولم يكن من أمها، وذكر أن أهل الكتاب قالوا: كيف تقولون إن مريم أخت هارون وكان بينهما ستمائة سنة؟ فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّهُمْ كَانُوا

يُسَمُّونَ بِأَسْمَاءِ الأنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ عَلَيْهِمْ السَّلاَمُ» يعني: أن أخا مريم سُمِّي باسم هارون النبي عليه السلام.

ثم قال: {مَا كَانَ أَبُوكِ امرأ سَوْءِ}، يعني: زانياً {وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً}، يعني: فاجرة.

{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ}، يعني: أشارت إلى عيسى عليه السلام أن كلموه، يعني: كلموا عيسى. {قَالُواْ كَيْفَ نُكَلّمُ مَن كَانَ فِى المهد صَبِيّاً}؟ يعني: من هو في الحجر وهو رضيع. ويقال: معناه كيف نكلم من هو يكون في المهد؟ ويقال: معناه كيف نكلم من يكون في المهد صبياً؟ فأنطق الله تعالى عيسى، فتكلم و{قَالَ إِنّى عَبْدُ الله}، فأول الكلام الذي تكلم به ردّ على النصارى، لأنه أقر بأنه عبد الله ورسوله. ثم قال: {الكتاب وَجَعَلَنِى}؛ روي عن ابن عباس أنه قال: معناه علمني الكتاب في بطن أمي، ويقال: معناه يؤتيني الكتاب وهو الإنجيل، {وَجَعَلَنِى نَبِيّاً}؛ أي أكرمني الله تعالى بأن جعلني نبياً، {وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً}؛ يعني: جعلني معلماً للخلق {أَيْنَمَا * كُنتُ}، يعني: حيث ما كنت، {وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً أَيْنَ}؛ يعني: أوصاني وأمرني بإتمام الصلاة وإعطاء الزكاة {مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِى}، يعني: جعلني رحيماً بوالدتي، {وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّاراً شَقِيّاً}؛ يعني: لم يخذلني حتى صرت به جباراً عصياً. {والسلام عَلَىَّ}؛ يعني: السلام عليَّ من الله تعالى {يَوْمَ وُلِدْتُّ} يعني: حين ولدت، {وَيَوْمَ أَمُوتُ}؛ يعني: حين أموت، {وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً}؛

يعني: أبعث يوم القيامة. فكلمهم بهذا ثمّ سكت، فلم يتكلم حتى كان قدر ما يتكلم الغلمان.

▲ تفسير الآيات رقم [34– 39]

{ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39)}

ثم قال عز وجل: {ذلك عِيسَى ابن مَرْيَمَ}، أي ذلك الذي قال إني عبد الله، عيسى ابن مريم، لا ما يقول النصارى إنه إله. {قَوْلَ الحق}، يعني: خبر الصدق. قرأ عاصم وابن عامر {قَوْلَ} بنصب اللام، والباقون بالضم؛ فمن قرأ بالنصب فمعناه أقول الحق، ومن قرأ بالضم معناه وهو قول الحق.
{الذى فِيهِ يَمْتُرُونَ}، يعني: يشكون في عيسى عليه السّلام ويختلفون فيما بينهم.

ثم كذبهم في قولهم فقال: {مَا كَانَ للَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ}، يعني: عيسى. ثم نزّه عن الولد فقال: {سبحانه إِذَا قضى أَمْراً}، يعني: إذا أراد أن يخلق خلقاً مثل عيسى، {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}، قرأ ابن عامر {فَيَكُونُ} بالنصب،

وقرأ الباقون بالضم، وقرأ بعضهم: {تَمْتَرُونَ} بالتاء على وجه المخاطبة، وقراءة العامة بالياء لأنها ليست فيها مخاطبة. {وَإِنَّ الله رَبّى وَرَبُّكُمْ}؛ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {رَبُّكُمْ} بالنصب على معنى البناء، والباقون {وَأَنَّ الله} بالكسر على معنى الابتداء وهي قراءة أبي عبيدة؛ وفي قراءة أبيّ {إِنَّ الله} بغير واو فتكون قراءته شاهدة على الكسر. ثم قال: {فاعبدوه}، يعني: وحدوه وأطيعوه. {هذا صراط مُّسْتَقِيمٌ}، يعني: هذا الإسلام طريق مستقيم.

{فاختلف الاحزاب مِن بَيْنِهِمْ}، يعني: الكفار من أهل النصارى من بينهم، يعني: بينهم في عيسى وتفرقوا ثلاثة فرق: قالت النسطورية: عيسى ابن الله، واليعقوبية قالوا: إن الله هو المسيح، والملكانية قالوا: إن الله ثالث ثلاثة. {فَوَيْلٌ}، يعني: الشدة من العذاب {لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ}، يعني: من عذاب يوم القيامة، بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه، ويقال: ويل صخرة في جهنم.

{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لكن الظالمون}، أي المشركون. {اليوم}، يعني: في الدنيا {فِى ضلال مُّبِينٍ}، أي في خطأ بيّن لا يسمعون الهدى ولا يبصرون ولا يرغبون فيه. {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحسرة}، يقول: وأنذرهم يا محمد أي خوفهم بهول يوم القيامة، {إِذْ قُضِىَ الامر}؛ يعني: فرغ من الأمر إذا دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار، وهو يوم القيامة. {وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ}، يعني: هم في الدنيا في غفلة من تلك الندامة والحسرة. {وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}، يعني: لا يصدقون بالبعث.

قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر المدني، عن محمد بن عمرو، عن أبي مسلمة، عن الزهري، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يؤْتَى بِالمَوْتِ فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيطلعُونَ. وَيُقَالُ: يا أَهْلَ النَّارِ، فيطلعونَ. فيقالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَم يَا رَبَّنَا، هَذا المَوْتُ. قال: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ على الصَّرَاطِ، ثم يقالُ: للفريقينِ. خُلُودٌ لا مَوْتَ فِيهَا أبداً». وروى الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، فذلك قوله: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحسرة إِذْ قُضِىَ الامر} الآية.

▲ تفسير الآيات رقم [40- 47]

{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47)}

نَحْنُ نَرِثُ الارض وَمَنْ عَلَيْهَا}، يعني: نميت أهل الأرض كلهم ومن عليها، {وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} في الآخرة. {واذكر فِى الكتاب إبراهيم}، يعني: خبر إبراهيم. {إِنَّهُ كَانَ صِدّيقاً نَّبِيّاً}، يعني: صادقاً. وقال الزجاج: الصديق اسم للمبالغة في الصدق، يقال: كل من صدق بتوحيد الله عز وجل وأنبيائه عليهم السلام وفرائضه وعمل بما صدق فيه فهو صديق، ومن ذلك سمي أبو بكر الصديق. {إِذْ قَالَ لاِبِيهِ}، وهو آزر بن تارخ بن تاخور وكان يعبد الأصنام: {لاِبِيهِ ياأبت لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ} دعاءك {وَلاَ يَبْصِرُ} عبادتك {وَلاَ يُغْنِى عَنكَ} من عذاب الله عز وجل {شَيْئاً}؛ قرأ ابن عامر: {***يَا أَبَتَ} بالنصب، والباقون بالكسر، وكذلك ما بعده. والعرب تقول في النداء: يا أبت ولا تقول يا أبتي.

ثم قال: {شَيْئاً ياأبت إِنّى قَدْ جَاءنِى مِنَ العلم} من الله تعالى من البيان، {مَا لَمْ يَأْتِكَ} أنه من عند غير الله، عذبه الله في الآخرة بالنار. {فاتبعنى}، يعني: أطعني فيما أدعوك، ويقال: اتبع دين الله؛ {أَهْدِكَ}، يعني: أرشدك {صِرَاطاً سَوِيّاً}، يعني: طريقاً عدلاً قائماً ترضاه. {سَوِيّاً ياأبت لاَ تَعْبُدِ الشيطان}، يعني: لا تطع الشيطان، فمن أطاع شيئاً فقد عبده. {إِنَّ الشيطان كَانَ للرحمن عَصِيّاً}، يعني: عاصياً.

ثم قال: {عَصِيّاً ياأبت إِنّى أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ}، يعني: أعلم أن يمسك {عَذَابِ}، إن أقمت على كفرك يصيبك عذاب. {مّنَ الرحمن}، {فَتَكُونَ للشيطان وَلِيّاً}؛ يعني: قريناً في النار. {قَالَ} له أبوه: {أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ

الهَتِى}، يعني: أتارك أنت عبادة آلهتي؟ {الِهَتِى ياإبراهيم لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لارْجُمَنَّكَ}، يقول: إن لم تنته عن مقالتك ولم ترجع عنها، لأسبنك وأشتمنك. وكل شيء في القرآن من الرجم فهو القتل غير ها هنا، فإن هاهنا المراد به السبُّ والشتم. {واهجرنى مَلِيّاً}، يعني: تباعد عني حيناً طويلاً ولا تكلمني؛ وقال السدي: {مَلِيّاً} تعني أبداً، وقال قتادة: {واهجرنى مَلِيّاً} يعني: تباعد عني سالماً؛ ويقال: لا تُكلِّمني دهراً طويلاً.

{قَالَ} إبراهيم: {سلام عَلَيْكَ}، يعني: أكرمك الله بالهدى؛ {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِي}، يعني: سأدعو لك ربي. {إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيّاً}، يعني: باراً عوّدني الإجابة إذا دعوته، ويقال: تحفَّيتُ بالرجل إذا بالغتُ في إكرامه، وهذا قول القتبي، ويقال: {حَفِيّاً} يعني: عالماً يستجيب لي إذا دعوته، وكان يستغفر له ما دام أبوه حياً؛ فلما مات كافراً، ترك الاستغفار له وكان يرجو أن يهديه الله عز وجل. قوله عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [48- 55]

{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ

وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55)}

{وَأَعْتَزِلُكُمْ} يعني: وأترككم {وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ}، يعني: أترك عبادة ما تعبدون من دون الله عز وجل، {وَأَدْعُو رَبِّى عَسَى * أَن لا ****أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّى شَقِيّا}؛ يعني: لا يخيبني إذا دعوته، فهاجر إلى بيت المقدس. {فَلَمَّا اعتزلهم وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله وَهَبْنَا لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ}، يعني: أكرمناه بالولد وهو إسحاق وولد الولد وهو يعقوب. وقال بعض الحكماء: من هاجر في طلب رضاء الله عز وجل، أكرمه الله عز وجل في الدنيا والآخرة؛ كما أن إبراهيم هاجر من قومه في طلب رضى الله تعالى عنه، فأكرمه الله تعالى بإسحاق ويعقوب عليهما السلام والثناء العمل الصالح.

ثم قال تعالى: {وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً}، يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أكرمناهم بالنبوة، {وَوَهَبْنَا لَهُمْ مّن رَّحْمَتِنَا}؛ يعني: من نعمتنا المال والولد في الدنيا؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ المالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِح». {وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً}، يعني: أكرمناهم بالثناء الحسن، وكل أهل دين يقولون دين إبراهيم بزعمهم.

{واذكر فِى الكتاب موسى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً}، يعني: أخلصه الله عز وجل، ويقال: {مُخْلِصاً} يعني: جعله الله مختاراً خالصاً. قرأ حمزة والكسائي وعاصم بنصب اللام يعني: أخلصه الله عز وجل ويقال: مخلصاً من الكفر والمعاصي وقرأ الباقون {مُخْلِصاً} بالكسر يعني: مخلصاً في العمل. {وَكَانَ

رَسُولاً نَّبِيّاً} إلى بني إسرائيل، {وناديناه مِن جَانِبِ الطور الايمن}، يعني: من يمين موسى ولم يكن للجبل يمين ولا شمال {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً}، أي كلمناه بلا وحي؛ وقال الكلبي: {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً} وقربناه حتى سمع صرير القلم في اللوح، وقال السدي: أدخل في السماء الدنيا وكلم، وقال الزجاج: {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً} مناجياً.

ثم قال عز وجل: {وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا} من نعمتنا {أَخَاهُ هارون نَبِيّاً}، فكان معه وزيراً معيناً.

{واذكر فِى الكتاب إسماعيل}، يعني: اذكر في القرآن خبر إسماعيل. {إِنَّهُ كَانَ صادق الوعد}، إذا وعد أنجز. قال مقاتل: إن إسماعيل وعد رجلاً أنْ ينتظره، فقام مكانه ثلاثة أيام للميعاد، حتى رجع الرجل إليه؛ وقال في رواية الكلبي: كان ميعادُه الذي وعد فيه صاحبه انتظره حتى حال الحول، وقال مجاهد: إنه كان صادق الوعد، يعني: لم يعد شيئاً إلا وفى به. {وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً}، يعني: كان رسولاً إلى قومه، نبياً يُخبر عن الله عز وجل. {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ}، يعني: أهل دينه وقومه {وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً}، يعني: بإتمام الصلاة وإيتاء الزكاة. {وَكَانَ عِندَ رَبّهِ مَرْضِيّاً}، يعني: صالحاً ذكياً.

▲ تفسير الآيات رقم [56– 58]

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ

نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58)}

{واذكر فِى الكتاب إِدْرِيسَ}، يعني: خبر إدريس. {إِنَّهُ كَانَ صِدّيقاً نَّبِيّاً}، يعني: صادقاً يُخبر عن الله عز وجل، وذكر عن وهب بن منبه أنه قال: إنما سمي إدريس لكثرة ما يدرس من كتاب الله عز وجل والسنن، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من لبس ثوب القطن؛ وكانوا من قبل ذلك يلبسون جلود الضأن، واسمه أخنوخ ويقال إلياس. {وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً}، يعني: الجنة؛ وقال مجاهد: يعني: في السماء الرابعة. قال: أخبرني الثقة بإسناده، عن ابن عباس أنه سئل كعب الأحبار عن إدريس فقال كعب: إن إدريس كان رجلاً خياطاً، وكان يقوم الليل ويصوم النهار ولا يفتر عن ذكر الله عز وجل، وكان يكتسب فيتصدق بالثلثين. فأتاه ملك من الملائكة يقال له إسرافيل، فبشره بالجنة وقال له: هل لك من حاجة؟ قال: وددت أني أعلم إلى متى أجلي فأزداد خيراً. فقال له: ما أعلمه، ولكن إن شئت حملتك إلى السماء. قال: فحمله إلى السماء، فلقي ملك الموت، فسأله عن أجله، ففتح كتاباً معه فقال: لم يبق من أجلك إلا ست ساعات أو سبع ساعات، وقال: أُمرتُ أن أقبض نفسك هاهنا، فقبض نفسه في السماء، فذلك رفع مكانه.

وروى الكلبي، عن زيد بن أسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن إدريس جد أبي نوح؛ وكان أهل الأرض يومئذ بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً، فكان يصعد لإدريس من العمل ما كان يصعد لجميع بني

آدم، فأحبه ملك الموت، فاستأذن الله تعالى في خلته، قال: فأذن له. قال: فهبط إليه في صورة غير صورته، على صورة آدمي لكيلا يعرفه فقال: يا إدريس إني أحب أن أصحبك وأكون معك. فقال له إدريس: إنك لا تطيق ذلك. قال: أنا أرجو أن يقويني الله عز وجل على ذلك، فكان معه يصحبه. وكان إدريس يسيح النهار كله صائماً؛ فإذا جنّه الليل أتاه رزقه حيث يمسي، فيفطر عليه ثم يحيي الليل كله. فساحا النهار كله صائمين، حتى إذا أمسيا أتى إدريس رزقه فأكله ودعا الآخر، فقال: لا والذي جعلك بشراً ما أشتهيه، فيطعم إدريس ثم يستقبلا الليل بالصلاة. فإدريس تناله السآمة والفترة من الليل والآخر لا يسأم ولا يفتر، فجعل إدريس يتعجب منه ثم أصبحا صائمين فساحا، حتى إذا جنهما الليل أتى إدريس رزقه فجعل يطعم ودعا الآخر فقال: لا والذي جعلك بشراً ما أشتهيه فيطعم.

ثم استقبلا الليل كله فإدريس تناله السآمة والفترة والآخر لا يسأم ولا يفتر، فجعل إدريس يتعجب منه ثم أصبحا اليوم الثالث صائمين، فساحا فمرا على كرم قد أينع وطاب فقال: يا إدريس لو أنا أخذنا من هذا الكرم فأكلنا. فقال إدريس: ما أرى صاحبه فأشتريه منه وإني لأكره أن آخذ بغير ثمن. قال: فمضيا حتى مرا على غنم فقال: يا إدريس لو أخذنا من هذا الغنم شاة فأكلنا من لحمها فقال له إدريس: إنك معي منذ ثلاثة أيام، فلو كنت آدمياً لطعمت؛ وإني لأدعوك كل ليلة إلى الحلال فتأبى علي، فكيف تدعوني إلى الحرام أن آخذه؟ فبصحبة ما بيني وبينك إلا ما أنبأتني من أنت. قال: إنك

ستعلم. قال: أخبرني من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. ففزع حين قال أنا ملك الموت.

قال: فإني أسألك حاجة. قال: ما هي قال: أن تذيقني الموت. قال: ما لي من ذلك شيء وليس لك بد من أن تذوقه. قال: فإنه قد بلغني عنه شدة؛ ولعلي أعلم ما شدته، فأكون له أشد استعداداً. قال: فأوحى الله عز وجل إلى ملك الموت أن يقبض روحه ساعة ثم يرسله. قال: فقبض نفسه ساعة ثم أرسله، فقال: كيف رأيت؟ قال: لقد بلغني عنه شدة فلقد كان أشد مما بلغني عنه.

قال: فإني أسألك حاجة أُخرى. قال: ما هي؟ قال: أحب أن تُريني النار. قال: ما لي من ذلك شيء، ولكن سأطلب لك، فإن قدرت عليه فعلت. فسأل ربه، فأمره فبسط جناحه فحمله عليه، حتى صعد به إلى السماء فانتهى به إلى باب من أبواب النار فدقه فقيل: من هذا؟ فقال: ملك الموت. فقال: مرحباً بأمين الله عز وجل، فهل أمرت فينا بشيء؟ فقال: لو أمرت فيكم بشيء لم أناظركم، ولكن هذا إدريس سألني أن أريه النار، فأحب أن تروها إياه. ففُتح منها بشيء، فجاءت بأمر عظيم، فخرّ إدريس مغشياً عليه؛ فحمله ملك الموت وحبسه في ناحية حتى أفاق فقال له ملك الموت؛ ما أحببت أن يصيبك هذا في صحبتي، ولكن سألتني فأحببت أن أسعفك.

قال: فإني أسألك حاجة أخرى، لا أسألك غيرها. قال: ما هي؟ قال: أحب أن تريني الجنة. قال: ما لي من ذلك شيء، ولكن سأطلب لك فإن قدرت

عليه فعلت. فانطلق به إلى خزنة الجنة، فدق باباً من أبوابها فقيل: من هذا؟ فقال: أنا ملك الموت. فقالوا: مرحباً بأمين الله عز وجل، هل أمرت فينا بشيء؟ فقال: لو أمرت فيكم بشيء لم أناظركم، ولكن هذا إدريس سألني أن أريه الجنة فأحب أن تروها إياه. قال: ففتح له الباب فدخل فنظر إلى شيء لم ينظر مثله قط، فطاف فيها ساعة ثم قال له ملك الموت: انطلق بنا فلنخرج. فانطلق إلى شجرة فتعلق بها ثم قال: والله لا أخرج، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يخرجني. فقال ملك الموت: إنه ليس حينها ولا زمانها، ولكن طلبت إليهم لترى، فانطلق بنا. فأبى عليه فقبض الله ملكاً من الملائكة فقال له ملك الموت: اجعل هذا الملك حكماً بيني وبينك؟ قال: نعم. قال الملك: ما هو يا ملك الموت؟ فأخبره بالقصة، ثم نظر الملك إلى إدريس قال: ما تقول يا إدريس؟ قال: أقول إن الله يقول: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الموت وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القيامة فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النار وَأُدْخِلَ الجنة فَقَدْ فَازَ وَما الحياة الدنيا إِلاَّ متاع الغرور} [آل عمران: 185] ويقول: {وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً} [مريم: 71] وقد وردتها وقال لأهل الجنة: {لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: 48]. فوالله لا أخرج منها حتى يكون الله عز وجل هو الذي يخرجني. قال: فسمع هاتفاً يقول: بإذني دخل وبإذني فعل فخل سبيله، فذلك قوله عز وجل: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً}«

أي الجنة؛ ويقال: ورفعناه في القدر والمنزلة، ويقال: ورفعناه في النبوة والعلم.

ثم قال عز وجل: {أولئك}، يعني: إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس وسائر الأنبياء {الذين أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مّنَ النبيين مِن ذُرّيَّةِ *** ءادَمَ **وممَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} من سائر الأنبياء وهم ولد نوح إلا إدريس، يعني: حملناهم على السفينة وهم في صلب نوح وأولاده، {وَمِن ذُرّيَّةِ إبراهيم وإسراءيل} وهو يعقوب؛ {وَمِمَّنْ هَدَيْنَا} يعني: أكرمنا بالنبوة، ويقال: أكرمنا بالإسلام، {واجتبينا}؛ يعني: واصطفينا بعد هؤلاء. {أُولَئِكَ الذين أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم}، يعني: القرآن، {خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً}؛ يعني: يسجدون ويبكون من خوف الله عز وجل. بكيّ: جمع باكي. وقوله: {سُجَّداً وَبُكِيّاً} منصوب على الحال، وقال بعضهم: {***بُكِياً} مصدر بكى يبكي بكياً، وقال الزجاج: من قال مصدر فهو خطأ، لأن {لِلاْذْقَانِ سُجَّدًا} جمع ساجد {وَبُكِيّاً} عطف عليه فهو جمع باك.

▲ تفسير الآيات رقم [59– 64]

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (63) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64)}

{فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} يعني: بقي بعد الأنبياء الذين ذكرناهم من أول السورة إلى هنا بقيات سوء، وهم اليهود والنصارى. يقال: في الرداءة خَلْفٌ بإسكان اللام وفي الصلاح خَلَفَ بفتح اللام. ثم وصفهم فقال: {فَخَلَفَ مِن}، يعني: عن وقتها، ويقال: تركوها، ويقال: تركوا الصلاة فلم يؤدُّوها وجحدوا بها فكفروا، {واتبعوا الشهوات}؛ يعني: وشربوا الخمر، ويقال: استحلوا الزنى، ويقال: استحلوا نكاح الأخت من الأب. {فَسَوْفَ يَلْقُونَ غَيّاً}، يعني: شراً، ويقال: وادي في جهنم يسمى غَيّاً، ويقال: مجازاة الغيّ كما قال الله عز وجل {والذين لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إلها ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أَثَاماً} [الفرقان: 68] أي مجازاة الآثام.

ثم استثنى فقال تعالى: {إِلاَّ مَن تَابَ}، يعني: رجع عن الكفر {وَامَنَ}، يعني: صدق بتوحيد الله عز وجل، {وَعَمِلَ صالحا} بعد التوبة. {فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجنة وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً}، يعني: لا ينقصون شيئاً من ثواب أعمالهم. ثم قال عز وجل: {جنات عَدْنٍ} صار خفضاً، لأن معناه يدخلون في جنات عَدْنٍ. {التى وَعَدَ الرحمن عِبَادَهُ بالغيب}، يعني: ما غاب عن العباد والله عز وجل لا يغيب عنه شيء. {إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً}، يعني: جائياً كائناً وقال القتبي: {مَأتِيّاً} يعني: المفعول بمعنى الفاعل، يعني: جائياً؛ وقال الزجاج: {مَأْتِيّاً} مفعول من الإتيان، لأن كل من وصل إليك فقد وصلت إليه وكل من أتاك فقد أتيته.

{لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا}، يعني: في الجنة {لَغْواً}، يعني: حَلفاً وباطلاً. {إِلاَّ سلاما}، يعني: ويسمعون السلام يسلم بعضهم على بعض. وقال الزجاج: اللغو ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه، والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة، يعني: لا يسمعون إلا سلامهم. {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً}، يعني: طعامهم على مقدار البكرة والعشي، وليس هناك بُكرة ولا عشيّ.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة قال: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجبهم ذلك، فأخبرهم الله تعالى أن لهم في الجنة هذه الحالة؛ وقال القتبي: الناس يختلفون في مطاعمهم، فمنهم من يأكل وجبة أي مرة واحدة في كل يوم، ومنهم من يأكل متى وجد بغير وقت ولا عداد، ومنهم من يأكل الغداء والعشاء. فأعدل هذه الأحوال كلها وأنفعها الغداء والعشاء. والعرب تقول: عن ترك العشاء مهرمة، ويذهب بلحم الكارة، يعني: باطن الفخذ، فجعل طعام أهل الجنة على قدر ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [65- 70]

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (70)}

ثم قال عز وجل: {تِلْكَ الجنة التى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً} يعني: مطيعاً لله عز وجل. {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبّكَ} وذلك حين أبطأ عليه الوحي، وعند سؤال أهل مكة عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وأمر الروح عاتب المصطفى جبريل، فقال الله تعالى: قل يا جبريل لمحمد ومعناه: قل: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبّكَ} {لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا} من أمر الآخرة {وَمَا خَلْفَنَا} من أمر الدنيا {وَمَا بَيْنَ ذلك} أي ما بين النفختين {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً} يعني: لم يكن ينساك ربك حيث لم يوح إليك، ويقال: {مَا بَيْنَ أَيْدِينَا} من أمر الآخرة والثواب والعقاب {وَمَا خَلْفَنَا} جميع ما مضى من أمر الدنيا {وَمَا بَيْنَ ذلك} ما يكون في هذا الوقت منا. {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً} أي قد علم الله عز وجل ما كان وما يكون وما هو كائن حافظ لذلك، ويقال: ما نسيك ربك وإن تأخر عنك الوحي. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَر مِمّا تَزُورُنَا» فنزلت هذه الآية.

ثم قال {رَبّ * السموات والارض} أي: خالق السموات وخالق الأرض {وَمَا بَيْنَهُمَا} من الخلق، ويقال: {رَبّ * السموات والارض} أي مالكهما وعالم بهما وما فيهما. {فاعبده} أي: أطعه {واصطبر لِعِبَادَتِهِ} يعني: احبس نفسك على عبادته {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً} يعني: هل تعلم أحداً يسمى الله سوى الله وهل تعلم أحداً يسمى الرحمن سواه، ويقال هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون.

{وَيَقُولُ الإنسان} يعني: أبي بن خلف {أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً} للبعث على معنى الاستفهام، قال الله عز وجل: {أَوْ لاَ *** يَذْكُرُ الإِنسان} يعني أو لا يتعظ ويعتبر {أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً} قرأ: نافع وعاصم وابن عامر {أَوْ لاَ * يُذْكَرِ} بجزم الذال مع التخفيف يعني أو لا يعلم والباقون {أَوْ لاَ * يُذْكَرِ}، بنصب الذال والتشديد ثم قال {فَوَرَبّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ} أقسم الرب بنفسه ليبعثهم وليجمعنهم يعني الذين أنكروا البعث. {والشياطين} يعني الشياطين {ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ} يعني: لنجمعنهم {حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً} يعني: جميعاً. قال أهل اللغة: الجثيُّ جمع جَاثِي مثل بارِك وبرك وساجد وسجد وقاعد وقعد، أي على ركبهم، ولا يقدرون على القيام. قال الزجاج: الأصل في الجسم، وجاز كسرها إتباعاً لكسر التاء وهو نصب على الحال {ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلّ شِيعَةٍ} يعني: لنخرجن من كل شيعة من أهل كل دين {أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرحمن عِتِيّاً} يعني: جرأة على الله عز وجل، وهم القادة في الكفر وساداتهم، نبدأ بهم فنعذبهم في النار. وروي عن سفيان عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص في قوله {أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرحمن عِتِيّاً} قال: يبدأ بالأكابر فالأكابر جرماً.

قوله عز وجل: {ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بالذين هُمْ أولى بِهَا صِلِيّاً} أي: أحق بالنار دخولاً.

▲ تفسير الآيات رقم [71– 72]

{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72)}

{وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} قال بعضهم: أي داخلها، المؤمن والكافر يدخلون على الصراط، وهو ممدود على متن جهنم، ويقال: {وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} يعني الكفار الذين تقدم ذكرهم.

وروى سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد أن نافع بن الأزرق خاصم ابن عباس وقال: لا يردها مؤمن، فقال ابن عباس: أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر بماذا نخرج منها إن خرجنا.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يرد الناس جميعاً الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يمرون على الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى أن آخرهم مثل رجل نوره على إبهامي قدميه، ثم يتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة كحدّ السيف عليه حسك كحسك العتاد، وحافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس، فبين مارٍ ناج، وبين مخدوش مكدوش في النار، والملائكة عليهم السلام يقولون: ربِّ سلِّم سلِّم.

وروى سفيان عن ثور بن خالد بن معدان قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: أَلَمْ يَعِدْنا رَبُّنَا أَنَّا نَرِدُ النَّارَ؟ قال: إنكم قد مررتم بها وهي خامدة، فذلك قوله عز وجل {وَإِن مّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} يعني: الخلائق على الصرط، والصراط في جهنم {كَانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً} يعني قضاء واجباً.

قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مندوست قال: حدثنا فارس بن مردويه قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا عدي بن عاصم قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا جرير عن أبي السليل عن غنيم بن قيس عن أبي العوام قال: قال كعب: هل تدرون ما قوله {وَإِن مّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا}؟ قالوا: ما كنا نرى ورودها إلا دخولها. قال: لا، ولكن ورودها أن يجاء بجهنم كأنها متن إهالة، حتى إذا استوت عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم نادى مناد: خذي أصحابك وذري أصحابي، فتخسف بكلّ ولي لها وهي أعلم بهم من الوالد لولده، وينجو المؤمنون نديَّة ثيابهم.

قال: وحدثني الثقة بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية كبا لها الناس كبوةً شديدة، وحزنوا حتى بلغ الحزن كل مبلغ، وليس أحداً إلا وهو يدخلها فأنشؤوا يبكون.

قال: ونزل بابن مظعون ضيف فقال لامرأته: هيئي لنا طعاماً فاستوصي بضيفك خيراً حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهى إليه وهم يبكون فقال: ما يُبْكِيكُمْ؟ قالوا: نزلت هذه الآية {وَإِن مّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً} يقول: كائناً لا يبقى أحد إلا دخلها، فأنشأ عثمان

بن مظعون يبكي، ثم انصرف إلى منزله باكياً، فلما أتى منزله سمعت امرأته بكاءه، فأنشأت تبكي، فلما سمع الضيف بكاءهما أنشأ يبكي، فلما دخل عليهما عثمان قال لها: ما يبكيك؟ قالت: سمعت بكاءك فبكيت، فقال للضيف: وأنت ما يبكيك؟ قال: عرفت أن الذي أبكاكما سيبكيني، قال عثمان فابكوا وحق لكم أن تبكوا، أنزل الله عز وجل اليوم على رسوله {وَإِن مّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} فمكثوا بعد هذه الآية سنتين، ثم قال عز وجل: {ثُمَّ نُنَجّى الذين اتقوا} وروي في بعض الأخبار أنه نزل بعد ثلاثة أيام {ثُمَّ نُنَجّى الذين اتقوا} الشرك والمعاصي {وَّنَذَرُ الظالمين فِيهَا جِثِيّاً} يعني: المشركين جميعاً فيها، ففرح المسلمون بها قرأ الكسائي.

{نُنَجّى} بالتخفيف والباقون بالنصب والتشديد، أنجى ينجي وَنَجَّى ينجي بمعنى واحد.

▲ تفسير الآيات رقم [73- 76]

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (76)}

{وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا بَيّنَاتٍ} تعرض عليهم، يعني واضحات قد بين فيها الحلال والحرام {قَالَ الذين كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ} يعني أن النضر بن الحارث قال لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويقال: أهل مكة قالوا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم {أَىُّ الفريقين خَيْرٌ مَّقَاماً} يعني أهل الدينين، يعني: منزلاً، قرأ ابن كثير {مَقَاماً} بضم الميم والباقون بالنصب، فمن قرأ بالضم فهو الإقامة، يقال: أقمت إقامة ومقاماً، ومن قرأ بالنصب فهو المكان الذي يقام فيه {وَأَحْسَنُ نَدِيّاً} يعني: مجلساً، وذلك أنهم لبسوا الثياب، ودهنوا الرؤوس، ثم قالوا للمؤمنين: أيُّ الفريقين خير منزلةً المسلمون أو المشركون؟ وأرادوا أن يصرفوهم عن دينهم {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً} يعني: أكثر أموالاً وَرِئْياً يعني: منظراً حسناً، فلم يُغن عنهم ذلك من عذاب الله شيئاً. قرأ نافع وابن عامر {***وريّاً} بتشديد الياء بغير همز، يعني النعمة، والباقون {***ورئياً} بالهمز بغير تشديد يعني المنظر. قال أبو عبيد: وهكذا نقرأ مهموزاً لأنه من رؤية العين، وإنما هي المنظر.

ثم قال عز وجل: {وَرِءياً قُلْ مَن كَانَ فِى الضلالة} يعني: قل يا محمد من كان في الكفر والشرك {فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرحمن مَدّاً} يعني: يزيد له مالاً وولداً. قوله: {فَلْيَمْدُدْ} هذا لفظ الأمر، ومعناه الخبر، وتأويله أن الله عز وجل جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها، ويمده فيها، كما قال {الله يَسْتَهْزِئ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طغيانهم يَعْمَهُونَ} [البقرة: 15] {حتى إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ} يعني في الآخرة من العذاب والثواب {إِمَّا العذاب} في الدنيا {وَإِمَّا الساعة} أي قيام الساعة {فَسَيَعْلَمُونَ} يعني: فسيعرفون يوم القيامة {مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً} يعني:

صنيعاً في الدنيا، ومنزلاً في الآخرة {وَأَضْعَفُ جُنداً} يعني: أقل عدداً وقوة ومنعة أهم أم المؤمنون، {وَيَزِيدُ الله الذين اهتدوا هُدًى} يعني: يزيد الله عز وجل الذين آمنوا بالمنسوخ هدى بالناسخ ليعملوا بالناسخ دون المنسوخ، ويقال جعل جزاءهم أن يزيدهم في يقينهم ويزيدهم بصيرة {والباقيات الصالحات خَيْرٌ عِندَ رَبّكَ ثَوَابًا} وقد ذكرناه {وَخَيْرٌ مَّرَدّاً} يعني: وأفضل مرجعاً في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [77– 82]

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآَيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82)}

{أَفَرَأَيْتَ الذى كَفَرَ بئاياتنا} يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {وَقَالَ لأوتَيَنَّ} يعني: لأعطين {مَالاً وَوَلَدًا} في الجنة. روى أسباط عن السدي أن خباب بن الأرت كان صائغاً يعمل للعاص بن وائل حلياً، فجاء يسأله أجره، فقال له العاص: أنتم تزعمون أن لنا بعثة وجنة وناراً، فإذا كان يوم القيامة، فإني سأوتى مَالاً وَولداً، وأعطيك منه، فنزل {أَفَرَأَيْتَ الذى كَفَرَ بئاياتنا وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالاً وَولَداً} في الجنة. قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو {مَالاً وَوَلَدًا} بفتح اللام والواو في كل القرآن، غير أن أبا عمرو قرأ في سورة نوح بالضم، وهكذا روي عن مجاهد، وقرأ حمزة والكسائي بضم الواو وجزم اللام من ها

هنا إلى آخر السورة، والتي في الزخرف، والتي في سورة نوح، وقال أبو عبيد: إنما قرأ هكذا لأنهما جعلا الوُلْد غير الوَلَد، فيقال: الوُلْد جماعة الأهل، والوَلَد واحد، وقال الزجاج: الوُلْد مثل أسد وأُسْد، وجائز أن يكون الوَلد بمعنى الولد قال أبو عبيد والذي عندنا في ذلك أنهما لغتان، والذي نختاره منهما بفتح اللام والواو.

قال الله عز وجل رداً على الكافرين {أَطَّلَعَ الغيب} يقول: أنظر في اللوح المحفوظ {أَمِ اتخذ عِندَ الرحمن عَهْداً} يعني: أعقد عند الله عقد التوحيد وهو قول لا إله إلاّ الله، ويقال: أعهد إليه أن يجعل له في الجنة {كَلاَّ} وهو رد عليه لا يعطى له ذلك، واعلم أنه ليس في النصف الأول كلا، وأما النصف الثاني ففيه نيف وثلاثون موضعاً، ففي بعض المواضع في معنى الرد للكلام الأول، وفي بعض المواضع للتنبيه في معنى الافتتاح، وفي بعض المواضع يحتمل كلا الوجهين. فأول ذلك {أَطَّلَعَ الغيب أَمِ اتخذ عِندَ الرحمن عَهْداً *** كَلاَّ} تم الكلام عنده أي: كلا لم يطلع الغيب ولم يتخذ عهداً، ثم ابتدأ {سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ} من ذلك قوله {فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلاَّ} لا يقتلونك. وأما الذي هو للتنبيه في معنى الافتتاح قوله عز وجل {حتى زُرْتُمُ المقابر * كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [التكاثر: 3/2] وقوله عز وجل {سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ} من الكذب، يعني: سنحفظ ما يقول {وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ العذاب} يعني: نزيد له من العذاب {مَدّاً} يعني: بعضه على إثر بعضٍ {وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ} يعني: نعطيه غير ما يقول في الجنة، ونعطي ما يدعي لنفسه لغيره {وَيَأْتِينَا فَرْداً} يعني: وحيداً بغير مال ولا ولد {واتخذوا مِن دُونِ الله ءالِهَةً لّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً}

يعني: منعة في الآخرة {كَلاًّ} رد عليهم أي لا يكون لهم منعة. وتم الكلام. ثم قال: {سَيَكْفُرُونَ بعبادتهم} يعني: الآلهة يجحدون عبادتهم {وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً} يعني: الآلهة تكون عوناً عليهم في العذاب، ويقال: عدواً لهم في الآخرة، ومن هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ طَلَبَ رِضَا المَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ عَادَ الحَامِدُ لَهُ ذَامّاً»

▲ تفسير الآيات رقم [83- 86]

{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86)}

ثم قال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشياطين} يعني: ألم تخبر في القرآن أنا سلطنا الشياطين {عَلَى الكافرين} مجازاة لهم ويقال: خلينا بينهم وبين الكفار فلم نعصمهم {تَؤُزُّهُمْ أَزّاً} يعني: تزعجهم إزعاجاً وتغريهم إغراءً حتى يركبوا المعاصي، قال الضحاك: {تَؤُزُّهُمْ أَزّاً} أي تأمرهم أمراً، وقال الحسن: تقدمهم إقداماً إلى الشر، وقال الكلبي: نزلت الآية في المستهزئين بالقرآن وهم خمسة رهط {فَلاَ تَعْجَلْ} يا محمد {عَلَيْهِمْ} بالعذاب {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً} يعني: أيام الحياة، ثم ينزل بهم العذاب ويقال: نعد عليهم النفس بعد النفس ويقال: الأيام والليالي والشهور قوله عز وجل: {يَوْمَ نَحْشُرُ المتقين} يعني: اذكر يوم نحشر المتقين الذين اتقوا الشرك والفواحش {إِلَى الرحمن وَفْداً} يعني: ركباناً على النوق والوفد جمع الوافد مثل الركب جمع راكب والوفد

الذي يأتي بالخبر والبشارة ويجازي بالحياة الكرامة. وروي عن علي بن أبي طالب أنه قرأ {يَوْمَ نَحْشُرُ المتقين إِلَى الرحمن وَفْداً} ثم قال: أتدرون على أي شيء يحشرون أما والله ما يحشرون على أقدامهم، ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها أرحال الذهب، وأزمتها من الزبرجد ثم ينطلق بهم حتى يقرعوا باب الجنة. وقال الربيع بن أنس يوفدون إلى ربهم فيكرمون ويعظمون ويشفعون ويحيون فيها بالسلام. ويقال: {إِلَى الرحمن} يعني: إلى الرحمة وهي الجنة ويقال: {إِلَى الرحمن} يعني: إلى دار الرحمن. ثم قال عز وجل {وَنَسُوقُ المجرمين إلى جَهَنَّمَ وِرْداً} يعني: عطاشاً مشاة، وأصله الورود على الماء والوارد على الماء يكون عطشاناً.

▲ تفسير الآيات رقم [87– 98]

{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (97) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98)}

قال عز وجل: {لاَّ يَمْلِكُونَ الشفاعة إِلاَّ مَنِ اتخذ عِندَ الرحمن عَهْداً} يعني: من جاء بلا إله إلا الله، وقال سفيان الثوري: إلا من قدم عملاً صالحاً {وَقَالُواْ اتخذ الرحمن وَلَداً} يعني: اليهود والنصارى {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً} يعني: قلتم قولاً عظيماً منكراً ويقال كذباً وزوراً، قال عز وجل {تَكَادُ * السموات *** يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ} يعني: من قولهم {وَتَنشَقُّ الارض} يعني: تتصدع الأرض {وَتَخِرُّ الجبال هَدّاً} تصير الجبال كسراً {أَن دَعَوْا للرحمن وَلَداً} يعني: بأن قالوا لله ولد. روي عن بعض الصحابة أنه قال كان بنو آدم لا يأتون شجرة إلا أصابوا منها منفعة حتى قالت فجرة بني آدم اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً اقشعرت الأرض وهلك الشجر، وقرأ نافع والكسائي {يَكَادُ} بالياء على لفظ التذكير والباقون بالتاء لأن الفعل مقدم، فيجوز كلاهما، وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي وعاصم في رواية حفص {يَتَفَطَّرْنَ} بالتاء والباقون بالنون ومعناهما واحد مثل ينشق وتنشق، قال الله عز وجل: {وَمَا يَنبَغِى للرحمن أَن يَتَّخِذَ وَلَداً} يعني: ما اتخذ الله عز وجل ولداً {إِن كُلُّ مَن فِى *** السموات والارض **إِلاَّ اتِى الرحمن عَبْداً} يعني: أقر بالعبودية يعني: به الملائكة وعيسى وعزيراً وغيرهم {لَّقَدْ أحصاهم} يعني: حفظ عليهم أعمالهم ليجازيهم بها {وَعَدَّهُمْ عَدّاً} يعني: علم عددهم، ويقال: {أحصاهم} أي: حفظ أعمالهم فيجازيهم {وَعَدَّهُمْ عَدّاً} أي: علم عدد أنفاسهم وحركاتهم {وَكُلُّهُمْ ءاتِيهِ يَوْمَ القيامة فَرْداً} يعني: وحيداً بغير مال ولا ولد {إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الطاعات فيما بينهم وبين ربهم {سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرحمن وُدّاً} يعني: يحبهم ويحببهم إلى الناس، وقال كعب الأحبار:

قرأت في التوراة أنها لم تكن محبة لأحد إلا كان بدؤها من الله تعالى ينزل إلى أهل السماء ثم ينزلها إلى أهل الأرض، ثم قرأت القرآن فوجدته فيه وهو قوله {سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرحمن وُدّاً} يعني: محبة في أنفس القوم، روى سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ الله عَبْدَاً نَادَى جِبْرِيْلَ قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَنَاً فَأَحِبُّوهُ فَيُنَادِي في السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ المَحَبَّةُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ الله عَبْدَاً نَادَى جِبْرِيلَ قَدْ أَبْغَضْتُ فُلاناً فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءَ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ». قوله عز وجل: {فَإِنَّمَا يسرناه بِلَسَانِكَ} يعني: هَوَّنا قراءة القرآن على لسانك {لِتُبَشّرَ بِهِ المتقين} أي: الموحدين {وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً} أي جُدلاً بالباطل شديدي الخصومة، هو جمع ألد مثل أصم وصم.

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّن قَرْنٍ} يعني: من قبل قريش {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ *** مّنْ أَحَدٍ} يعني: هل ترى منهم من أحد {أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً} أي صوتاً خفياً، والركز الصوت الذي لا يفهم، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

▲ سورة طه

▲ تفسير الآيات رقم [1– 6]

{طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)}

قوله تعالى: {طه} قرأ أهل الكوفة وحمزة والكسائي في رواية أبي بكر «طِهِ» بكسر الطاء والهاء، وقرأ ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية حفص بنصب الطاء والهاء، وقرأ نافع وسطاً بين النصب والكسر، وقرأ أبو عمرو وابن العلاء بنصب الطاء وكسر الهاء.

قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية أبي صالح: لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادة، فاشتد عليه، فجعل يصلي الليل كله حتى شق عليه ذلك، ونحل جسمه، وتغير لونه فقال أبو جهل وأصحابه: إنك شقي فأتنا بآية أنه ليس مع إلهك إله، فنزل {طه} يعني: يا رجل بلسان عك، وعنى به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال عكرمة والسدي: هو بالنبطية، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: طه كقولك يا فلان، ويقال: إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع رجلاً ووضع أُخرى، فنزل: {طه} يعني: طإ الأرض بقدميك جميعاً.

وقال مجاهد: {طه} فواتح السورة.

ويقال: طا طرب المؤمنين في الجنة وها هو أن الكافرين في النار.

ويقال: الطا طلب المؤمنين في الحرب والها: هرب الكافرين.

{مَا أَنَزَلْنَا عَلَيْكَ القرءان لتشقى} يعني: لتنصب نفسك وتتعبها {إِلاَّ تَذْكِرَةً لّمَن يخشى} يقول: لم ننزله إلا عظة لمن يسلم، وقال القتبي: في الآية تقديم، يقول: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى لا أن تشقى، ثم قال: {تَنْزِيلاً} يعني: تنزل به جبريل عليه السلام {مّمَّنْ خَلَقَ الارض والسماوات العلى} يعني: نزل من عند خالق السموات والأرض {العلى} يعني: الرفيع. وقال أهل اللغة: {العلى} جمع العليا، تقول: السماء العليا والسموات العلى ثم قال {الرحمن عَلَى العرش استوى} أي: حكمه، ويقال: كان فوق العرش حين خلق السموات والأرض ويقال: استوى استولى وملك كما يقال: استوى فلان على بلد كذا يعني: استولى عليها وملكها، فالله تعالى بين لخلقه قدرته وتمام ملكه أنه يملك العرش وله ما في السموات وما في الأرض، فذلك قوله: {لَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض *** وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثرى} يعني: ما تحت الأرض السابعة السفلى وروى أسباط عن السدي في قوله عز وجل: {وَمَا تَحْتَ الثرى} قال: الصخرة التي تحت الأرض السابعة وهي صخرة خضراء، وهي سجين التي فيها كتاب الكفار، ويقال: الثرى تراب رطب مقدار خمسمائة عام تحت الأرض، ولولا ذلك لأحرقت النار الدنيا وما فيها. وروي عن ابن عباس أنه قال: بسطت الأرض على الصخرة، والصخرة بين قرني الثور، والثور على الثرى وما يعلم ما تحت الثرى، إلا الله عز وجل.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 12]

{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)}

ثم قال: {وَإِن تَجْهَرْ بالقول} يعني: تعلن بالقرآن {فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السر وَأَخْفَى} يعني: ما أسررت في نفسك {وَأَخْفَى} يعني: ما لم تحدث في نفسك، وهذا قول الضحاك، وقال ابن عباس هكذا، وقال عكرمة: السر ما حدث الرجل به أهله وأخفى ما تكلمت به نفسك، وروى منصور بن عمار عن بعض الصحابة قال: السر ما أسررت به في نفسك، وأخفى من السر ما لم يطلع عليه أحد أنه كَائِنٌ، ثم قال عز وجل: {الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يعني: هو الله الخالق الرزاق لا خالق ولا رازق غيره {لَهُ الاسماء الحسنى} يعني: الصفات العلى.

{وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ موسى} يعني: خبر موسى عليه السلام في القرآن ثم أخبره فقال {إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لاِهْلِهِ امكثوا} يعني: انزلوا مكانكم وقفوا {إِنّى آنَسْتُ نَاراً} يعني: أبصرت ناراً وذلك حين رجع من مدين مع أهله أصابهم البرد فرأى موسى ناراً من البعد فقال لهم: {امكثوا إِنّى ءانَسْتُ نَاراً} {لَّعَلّى اتِيكُمْ مّنْهَا بِقَبَسٍ} يعني: بشعلة وهو ما اقتبس من عود {أَوْ أَجِدُ عَلَى النار هُدًى} يعني: هادياً يدلنا على الطريق وكان موسى عليه السلام ضل

الطريق وكانت ليلة مظلمة {فَلَمَّا أتاها} يعني: انتهى إلى النار {نُودِىَ} يعني: دعي {حَدِيثُ موسى} قال ابن عباس: لما أتى النار فإذا هي نار بيضاء تستوقد من شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها وهي خضراء فجعل يتعجب منها، وقال في رواية كعب: فوقف وهو يطمع أن يسقط منها شيء فيقتبسه، فلما طال ذلك أهوى إليها بضغث في يده وهو يريد أن يقتبس من لهبها، فلما فعل ذلك مالت نحوه كأنها تريده، فاستأخر عنها، ثم عاد فطاف بها، فنودي {واحدة فَإِذَا هُم بالساهرة هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ موسى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ} يعني: المطهر، قال مقاتل: طوى اسم الوادي، وقال مجاهد: أي: طي الأرض حافياً. قال عامة المفسرين: إنما أمره أن يخلع نعليه لأنهما كانا من جلد حمار ميت، وقال بعضم: أراد أن يصيب باطن قدميه من الوادي ليتبرك به، وروي عن كعب الأحبار أنه كان جالساً في المسجد فجاء رجل يصلي فخلع نعليه ثم جاء آخر يصلي فخلع نعليه، ثم جاء آخر فخلع نعليه، فقال لهم كعب الأحبار: أنبيكم صلى الله عليه وسلم أمركم بهذا؟ قالوا لا. قال: فلم تخلعون نعالكم إذا صليتم؟ قالوا: سمعنا الله تعالى يقول: {أَتَاكَ حَدِيثُ موسى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ} قال: أتدرون من أي شيء كانتا نعلاه؟ قالوا: لا. قال: إنما كانتا من جلد حمار ميت، فأمره الله تعالى أن يخلعهما ليمسه القدس كله. وقال عكرمة: {أَتَاكَ حَدِيثُ موسى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ} قال: لكي يمس راحة قدميه الأرض الطيبة. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {إِنّى أَنَاْ رَبُّكَ} بنصب الألف يعني: بأني أنا ربك على معنى البناء، والباقون بكسر الهاء، وقرأ ابن

كثير وأبو عمرو ونافع {طُوًى} بنصب الواو بغير تنوين وقرأ الباقون بالتنوين.

▲ تفسير الآيات رقم [13- 16]

{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16)}

ثم قال: {وَأَنَا اخترتك} يعني: اصطفيتك للرسالة، قرأ حمزة بكسر الألف وتشديد النون {وَأَنَا} بالنون بلفظ الجماعة، والباقون بنصب الألف وتخفيف النون و{أَنَاْ *** اخترتك} بالتاء، قال أبو عبيدة: وبهذا نقرأ لموافقة الخط يعني: بخط عثمان ثم قال: {فاستمع لِمَا يُوحَى} يعني: اعمل بما تؤمر وتنهى، ثم قال: {إِنَّنِى أَنَا الله لا إله إِلا أَنَاْ فاعبدنى} يعني: أطعني واستقم على توحيدي {إِنَّنِى أَنَا الله} يعني: لتذكرني فيها، ويقال: إن نسيت الصلاة فصلها إذا ذكرتها. وروى الزهري عن سعيد بن المسيب أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة حتى طلعت الشمس قال: «مَنْ نَسِيَ صَلاَةً فَلْيُصَلِّهَا إذا ذَكَرَهَا إِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: {أَقِمِ الصلاة *** لِذِكْرِى}» قال بعضهم: هذا خطاب لموسى وقال بعضهم: هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم إلى قوله {واتبع هَوَاهُ فتردى} ثم رجع إلى قصة موسى بقوله: {إِنَّ الساعة ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لتجزى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تسعى * فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا واتبع هَوَاهُ فتردى * وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ياموسى *** موسى}

ثم قال: {إِنَّ الساعة ءاتِيَةٌ} يعني: كائنة {أَكَادُ أُخْفِيهَا} يعني: أسرها عن نفسي فكيف أعلنها لكم يا أهل مكة؟ هكذا روي عن جماعة من المتقدمين، وقال ابن عباس في رواية أبي صالح، وقال القتبي كذلك في قراءة أبيّ أخفيها من نفسي، وهكذا روى جماعة من المتقدمين، وروى طلحة عن عطاء في قوله {إِنَّ الساعة ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} عن نفسي، وروي في إحدى الروايتين عن أبي بن كعب أنه كان يقول {أَكَادُ أُخْفِيهَا} بنصب الألف يعني: أكاد أظهرها، وهي قراءة سعيد بن جبير قال أهل اللغة: خفى أي أظهر، وقال امرؤ القيس:

خفاهن من انفاقهن كأنما

خفاهن ودق من عشيّ مجلب يذكر الفرس أنه استخرج الفأرة من جحرهن كالمطر، ثم قال: {لتجزى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تسعى} يعني: لتثاب كل نفس بما تعمل: ثم قال عز وجل: {فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا} يعني: لا يصرفنك عنها، يعني: عن الإقرار بقيام الساعة {مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا} يعني: من لا يصدق بقيام الساعة {واتبع هَوَاهُ فتردى} يعني: فتهلك، ويقال: الردى الموت والهلاك، ثم رجع إلى قصة موسى عليه السلام.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 23]

{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا

فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آَيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)}

فقال عز وجل: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ياموسى *** موسى} يعني: أي الشيء الذي بيدك، وكان عالماً بما في يده ولكن الحكمة في سؤاله لإزالة الوحشة عن موسى، لأن موسى كان خائفاً مستوحشاً كرجل دخل على ملك وهو خائف فسأله عن أي شيء فتزول بعض الوحشة عنه بذلك ويستأنس بسؤاله، وقال بعضهم: إنما سأله تقريراً له أن ما في يده عصاً لكيلا يخاف إذا صار ثعباناً {قَالَ} موسى {قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا} يعني: أعتمد عليها إذا أعييت {وَأَهُشُّ بِهَا على غَنَمِى} يعني: أخبط بها ورق الشجر لغنمي، فإن قيل إنما سأله عما في يده ولم يسأله عما يصنع بها فلم أجاب موسى عن شيء لم يسأله عنه؟ قيل له: قد قال بعضهم: في الآية إضمار يعني: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ياموسى *** موسى * قَالَ هِىَ عَصَاىَ} فقال وما تصنع بها قال {قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ} وقال بعضهم: إنما خاف موسى بذلك لأنه أمره بأن يخلع نعليه، فخاف أن يأمره بإلقاء عصاه، فجعل يذكر منافع عصاه فقال: {قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ} {وَلِىَ فِيهَا مَأَرِبُ أخرى} يعني: حوائج أُخرى وواحدها مأربة، وقال مقاتل: كان موسى يحمل زاده على عصاه إذا سار، وكان يركزها في الأرض فيخرج الماء، وتضيء له بالليل بغير قمر، فيهتدي على غنمه. وروى أسباط عن السدي قال: كانت عصا موسى من عود شجر آس من شجر الجنة، وكان

استودعها إياه ملك من الملائكة في صورة إنسان، يعني: عند شعيب، وقال علي بن أبي طالب: كانت عصا موسى من عود ورد من شجر الجنة اثني عشر ذراعاً من ذراع موسى. قوله تعالى: {قَالَ أَلْقِهَا ياموسى *** موسى} يعني: ألق عصاك من يدك فظن موسى أنه يأمره بإلقائها على وجه الرفض، فلم يجد بداً {فألقاها فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تسعى} يعني: تسرح وتسير على بطنها رافعة رأسها، فخاف موسى وولى هارباً {قَالَ} الله تعالى لموسى: {خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الاولى} يعني: سنجعلها عصاً كما كانت أول مرة وأصل السيرة الطريقة كما يقال: فلان على سيرة فلان، أي على طريقته، وإنما صار نصباً لنزع الخافض، والمعنى: سنعيدها إلى حالها الأولى، فتناولها موسى فإذا هي عصاً كما كانت، ثم قال عز وجل: {واضمم يَدَكَ إلى جَنَاحِكَ} قال الكلبي: الجناح أسفل الإبط، يعني: أدخل يدك تحت إبطك {تَخْرُجْ بَيْضَاء} لها شعاع يضي (كضوء) الشمس {مِنْ غَيْرِ سُوء} يعني: من غير برص {أخرى لِنُرِيَكَ} يعني: علامة أُخرى مع العصا {لِنُرِيَكَ مِنْ ءاياتنا الكبرى} يعني: العظمى، ومعناه: لنريك الكبرى من آياتنا ولهذا لم يقل الكبريات لأنه وقع المعنى على واحدة.

▲ تفسير الآيات رقم [24– 36]

{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي

أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36)}

ثم قال تعالى: {اذهب إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طغى}، يعني: علا وتكبر وادعى الربوبية، أي: اذهب إليه وادعه إلى الإسلام. {قَالَ} موسى عليه السلام: {رَبِّ اشرح لِى صَدْرِى}، يعني: يا رب وسع لي قلبي حتى لا أخاف منه، ويقال: لين قلبي بالإسلام حتى أثبت عليه، {وَيَسّرْ لِى أَمْرِى}؛ يعني: هون علي ما أمرتني به، {واحلل عُقْدَةً مّن لّسَانِى}؛ يعني: ابسط العقدة أي: الرثة من لساني {يَفْقَهُواْ قَوْلِي}، يعني: يفهموا كلامي. وذلك أن موسى عليه السلام في حال صغره رفعه فرعون في حجره فلطمه موسى لطمة، ويقال: أخذ بلحيته ومدها إلى الأرض، فقال فرعون: هذا من أعدائي الذين كنت أتخوف به، فقالت امرأته آسية بنت مزاحم: صبيّ جاهل، لا عقل له ضع له طستاً من ذهب وطستاً من نار، حتى نعلم ما يصنع. فوضعوا له ذلك فجاء جبريل عليه السلام فأخذ يده وأهوى بها إلى النار، فأخذ جمرة فوضعها في فيه فكانت الرثوثة من ذلك، فذلك قوله تعالى: {يَفْقَهُواْ قَوْلِي}.

{واجعل لّى وَزِيراً مّنْ أَهْلِى * هارون أَخِى}، يعني: اجعل لي معيناً من أهلي أخي هارون. {اشدد بِهِ أَزْرِى}، حتى يكون قوة لي. والأزر الظهر وجمعه أزر ويراد به القوة. يقال: آزرت فلاناً على الأمر أي: قويته عليه، وإنما نصب {هارون} لوقوع الفعل عليه، والمعنى اجعل هارون أخي وزيراً، فصار الوزير المفعول الثاني. ثم قال تعالى: {وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى}، يعني: في

نبوتي؛ قرأ ابن عامر {اشدد} بنصب الألف {وَأَشْرِكْهُ} بضم الألف على معنى الخبر عن نفسه، أي: أنا أفعل ذلك وإنما كان جزماً على الجزاء في الأمر، والباقون {اشدد} بضم الألف {وَأَشْرِكْهُ} بنصب الألف على معنى الدعاء، يعني: اللهم أشدد به أزري وأشركه في أمري، قال أبو عبيدة: بهذه القراءة نقرأ، ويكون حرف ابن مسعود شاهداً لها. وكان يقرأ {هارون أَخِي * واشدد ***** بِهِ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى} وفي حرف أُبَي {وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى * واشدد ***** بِهِ أَزْرِى} قال كأنه دعا ثم قال: {كَىْ نُسَبّحَكَ كَثِيراً}، يعني: نصلي لك كثيراً، {وَنَذْكُرَكَ} باللسان {كَثِيراً}، يعني: على كل حال {إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً}، أي: كنت عالماً بنا في الأحوال كلها {قَالَ} الله تعالى: {قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ ياموسى *** موسى}، يعني: أعطيناك ما سألته.

▲ تفسير الآيات رقم [37– 40]

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40)}

{ولقد منَّنا عليك مرة أخرى}، يعني: قد أكرمتك بكرامات قبل هذا من غير أن تسألني. ثم بيّن له الكرامات والنعم فقال: {***}، يعني: قد أكرمتك

بكرامات قبل هذا من غير أن تسألني. ثم بيّن له الكرامات والنعم فقال: {إِذْ أَوْحَيْنَا إلى أُمّكَ مَا يوحى}، أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم، أي: ألهمنا أمك ما ألهمت، ويقال: {مَا يوحى} على الحجر، يعني: كان إلهاماً ولم يكن وحياً. {أَنِ اقذفيه فِى التابوت}، يعني: اجعلي موسى في التابوت، ثم {فاقذفيه فِى اليم}، يعني: اطرحيه في البحر. {فَلْيُلْقِهِ اليم بالساحل}، يعني: شاطئ البحر. {يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لّى وَعَدُوٌّ لَّهُ}، يعني: آل فرعون {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مّنّى}، يعني: ألقيت محبتي عليك فكل من رآك أحبك. {وَلِتُصْنَعَ على عَيْنِى}، يقول ما يصنع بك على منظر مني وبعلمي وبإرادتي.

{إِذْ تَمْشِى أُخْتُكَ فَتَقُولُ}: لآل فرعون {هَلْ أَدُلُّكُمْ على مَن يَكْفُلُهُ}؟ يعني: أرشدكم على من يكفله، يعني: يضمه ويحوطه ويرضعه. {فرجعناك إلى أُمّكَ كَى تَقَرَّ عَيْنُها}، يعني: رددناك إليها لتطيب نفسها. {وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فنجيناك مِنَ الغم}، يعني: من القود، {وفتناك فُتُوناً}؛ يعني: ابتليناك ببلاء بعد بلاء ويقال: بنعمة على إثر نعمة.

قال: أخبرني الثقة بإسناده، عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس. عن قوله تعالى لموسى: {وفتناك فُتُوناً} فسألته عن الفتون ما هو؟ فقال: استأنف النهار يا ابن جبير، فإن له حديثاً طويلاً. فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس، ليخبرني ما وعدني من حديث الفتون، فقال ابن عباس: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته

أنبياء وملوكاً، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكون فيه. قال فرعون: فكيف ترون؟ فأتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار، يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون وأن الصغار يذبحون قالوا: يوشك أن يفني بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي يكفونكم، فاقتلوا عاماً ودعوا، أي: اتركوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً فنشأ الصغار مكان من يموت من الكبار فإنهم لن يكثروا فتخافون مكاثرتهم إياكم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانيةً حتى إذا كان من قابل حملت بموسى، فوقع في قلبها من الحزن والهم ما لا يعلم، فذلك من الفتون يا ابن جبير.

فأدخل عليه في بطن أمه ما يراد به فأوحى الله تعالى إليها أنْ {لا *** تَخَافِى وَلاَ تَحْزَنِى إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وجاعلوه مِنَ المرسلين} وأمرها إذا هي ولدته أن تجعله في التابوت، ثم تلقيه في اليم.

فلما ولدته فعلت ما أُمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فقالت في نفسها: ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته، كان أحب إلي من أن ألقيته بيدي إلى دواب البحر تأكله. فانطلق به الماء حتى رقا به عند فرضة مستقى جواري امرأة فرعون، فرأينه وأخذنه فهممن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن لبعض: إن في هذا مالاً، وإنَّا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه. فحملنه كهيئته حتى دخلن به عليها فدفعنه إليها.

فلما فتحنه ونظرت، فإذا فيه غلام فألقى عليه منها محبة لم يُلْقَ مثلها على أحد قط من البشر، {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ موسى فَارِغاً} من ذكر كل شيء إلا ذكر موسى؛ فلما سمع الذباحون بذكره، أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير.

فقالت للذباحين: اصبروا عليّ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ولا ينقص، حتى آتي فرعون فأستوهبه إياه؛ فإن وهبه لي فقد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم أنهكم. فلما أتت فرعون به قالت: قرة عين لي ولك لا تقتلوه، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً. فقال فرعون: يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه. فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي يَحْلِفُ بهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ بِأَنْ يَكُونَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ لَهَدَاهُ الله تَعَالَى بِمُوسَى. كَمَا هَدَى بهِ امْرَأَتَهُ». قال: فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له ظِئراً، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل من ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فأحزنها ذلك ثم أمرت به فأخرج إلى السوق واجتمع الناس ترجوا أن تجد له ظئراً تأخذه منها، فلم تجد فأصبحت أم موسى والهاً، فقالت لأخته قصي أثره فاطلبيه. هل تسمعين له ذكراً أحيٌّ ابني، أم قد أكلته الدواب في البحر؟ فبصرت به عن جنب، أي: عن بعد. والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد، وهي إلى جنبه لا يشعر بها فقالت: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المراضع مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ على أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصحون} [القصص: 12] فقالوا وما يدريك ما نصحهم له، وهل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير.

فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه، لرغبتهم في الملك ورجاء منفعته. فتركوها فانطلقت إلى أمها، فأخبرتها بالخبر، فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها، فمصه حتى امتلأ جنباه ريّاً، فانطلق البشرى إلى امرأة فرعون يبشرونها بأن قد وجدنا لابنك ظئراً، فأرسلت إليها فأتت به وبها.

فلما رأت ما تصنع به، قالت لها: امكثي عندي ترضعين ابني، فإني لم أحب مثل حبه شيئاً قط. قالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي، لا آلو خيراً. إلا فعلت به، فإن طابت نفسك؛ وإلا فإني غير تاركةٍ بيتي وولدي.

فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها، فأنجزها الله عز وجل وعده فأنبته الله نباتاً حسناً. فلم تزل بنو إسرائيل تمتنع به من الظلم والسحرة. فلما ترعرع أي: كبر، قالت امرأة فرعون لأم موسى: أريني ابني. فواعدتها يوماً وقالت لخزانها وقهارمتها: لا يبقى منكم أحد إلا استقبل ابني بهدية وكرامة. فلم تزل الهدايا والكرامة تستقبله من حيث خرج من بيت أمه إلى أن دخل إلى امرأة فرعون، فلما دخل عليها بَجَّلَتْه وأَكرمته وفرحت به وأعجبها؛ وبَجَّلت أمه بحسن أثرها عليه. ثم قالت: لأدخلن به على فرعون فليبجلنَّه وليكرمنَّه. فلما دخلت به عليه جعلته في حجره، فتناول موسى لحية فرعون ومدها إلى الأرض، فقالت له الغواة من أعداء الله تعالى: ألا ترى إلى ما وعد الله لإبراهيم؟ إنه يريد أن يصرعك وينزع عنك ملكك ويهلكك، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه، وذلك من الفتون يا ابن جبير.

فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون فقالت له: ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي؟ فقال: ألا ترينه، إنه سيصرعني؟ فقالت له: اجعل بينك وبينه أمراً لتعرف فيه الحق. ائت بجمرتين ولؤلؤتين؛ فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين، علمت أنه يعقل؛ وإن تناول الجمرتين، فاعلم بأنه لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل. فقرب ذلك إليه، فتناول الجمرتين فانتزعوهما منه مخافة أن يحرقا يديه.

فلما بلغ أشده وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم ولا بسخرة. فبينما هو يمشي في ناحية المدينة، إذا هو برجلين يقتتلان. أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتد غضبه فوكزه فقتله، وليس يراهما أحد إلا الله عز وجل والإسرائيلي. فأتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقنا. فقال: ائتوني بقاتله والذي يشهد عليه آخذ لكم بحقكم.

فبينما هم يطوفون لا يجدون شيئاً، وإذا موسى قد رأى من الغد الإسرائيلي يقاتل فرعونياً آخر، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني وقد ندم موسى على ما كان منه بالأمس، وكره الذي رأى مثل ذلك، فخاف الإسرائيلي من موسى وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال الإسرائيلي: {فَأَصْبَحَ فِى المدينة خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الذى استنصره بالامس يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ موسى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ}

[القصص: 18] فخاف الإسرائيلي وظن أنه يريده فقال: يا موسى {أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بالامس} [القصص: 19]، فتتاركا فانطلق الفرعوني إلى قومه وأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر. فأرسل فرعون إلى الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون موسى، وجاء رجل من شيعة موسى فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر؛ وذلك من الفتون يا ابن جبير.

فخرج موسى متوجهاً نحو مدين، لم يلق بلاءً قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه تعالى، فإنه قال تعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عسى ربى أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ السبيل} [القصص: 22] {وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ الناس يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امرأتين تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِى حتى يُصْدِرَ الرعآء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} [القصص: 23]. يعني: إنهما حابستان غنمهما. فقال: ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس؟ قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم، وإنما ننتظر فضل حياضهم فنسقي، فسقى لهما موسى فجعل يغدق في الدلو ماء كثيراً حتى لو كان أول الرعاة فراغاً، فانصرفتا إلى أبيهما بغنمهما، وانصرف موسى إلى شجرة فاستظل بها. فاستنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حُفلاً بطاناً فقال: إن لكما لشأناً اليوم. فحدثاه بما صنع موسى، فأمر إحداهما أن تدعوه، فأتته فدعته. فلما دخل على شعيب فأخبره بالقصة قال: {فَجَآءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى استحيآء قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القصص قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القوم الظالمين}

[القصص: 25]، أي: ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته.

وقوله تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا ياأبت استأجره إِنَّ خَيْرَ مَنِ استأجرت القوى الأمين} [القصص: 26] فاحتملته الغيرة وقال: وما يدريك ما أمانته وقوته، فقالت: أما قوته لما سقى لنا لم أر رجلاً قط أقوى منه في ذلك السقي؛ وأما أمانته فإنه ما نظرني حين أقبلت إليه صَوَّبَ رأسه ولم يرفعه، ولم ينظر إلي حين بلغته رسالتك فقال لي: امشي خلفي وانعتي إلي الطريق، يعني: صفي ودليني على الطريق، فسري عن أبيها فقال له: {قَالَ إنى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابنتى هَاتَيْنِ على أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصالحين} [القصص: 27].

فكان على موسى ثمان سنين واجبة بسنتين عدة منه؛ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله؛ كان من أمره ما قصّ الله عليك في القرآن، فشكا إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه عن كثير من الكلام، فسأل ربه أن يعينه بأخيه ليتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به.

فأعطاه الله سؤاله وحلّ عقدة من لسانه، فاندفع موسى بالعصا فلقي هارون، فانطلقا جميعاً إلى فرعون فأقاما على بابه حيناً لا يؤذن لهما بعد بالدخول، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا: إنَّا رسولا ربك. قال: فمن ربكما؟ فأخبراه

بالذي قصّ الله تعالى في القرآن. فقال: مَا تُرِيدَانِ؟ فقال موسى: أريد أن تؤمن بالله وأن ترسل معنا بني إسرائيل. فأبى عليه ذلك وقال: {مَآ أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِأَايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصادقين} [الشعراء: 154]. فألقى عصاه فتحولت حية عظيمة، فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون، فاقتحم فرعون عن سريره، واستغاث بموسى أن يكفها عنه، ففعل وأخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء، ثم أعادها إلى كمه فصارت إلى لونها الأول.
فاستشار الملأ فيما رأى فقالوا: اجمع لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير فأرسل فرعون في المدائن فحضر له كل ساحر متعالم. فلما أتوا فرعون، قالوا: بمَ يعمل هذان الساحران؟ قال: يعملان بالحيات. فقالوا: والله ما في الأرض أحد يعمل بالحيات التي نعمل. فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى.

ويوم الزينة هو اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة، وهو يوم عاشوراء، فقال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر فنتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين، يعنون بذلك موسى وهارون استهزاءً بهما.
قالت السحرة لموسى {***لِقُدْرَتِهِمْ بسحرهم} {قَالُواْ ياموسى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الملقين} [الأعراف: 115]. قال لهم موسى: ألقوا. فألقوا حبالهم وعصيهم فرأى موسى من سحرهم شيئاً عظيماً، فأوجس في نفسه خيفة فأوحى الله تعالى إليه: أن ألق عصاك. فلما ألقاها صارت ثعباناً عظيماً فاغرة فاها، فجعلت تلتقم العصي والحبال حتى ما أبقت عصاً ولا

حبلاً إلا ابتلعته. فلما عرفت السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا ساحراً لم يبلغ من سحره كل هذا، ولكن هذا أمر من أمر الله تعالى.

فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة، أمر موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً، فأصبح فرعون فبعث في المَدَائِن حَاشِرين وتبعهم بجنود عظيمة فنسي موسى أن يضرب بعصاه البحر، فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال قوم موسى إنا لمدركون، افعل ما أمرك الله تعالى. فذكر موسى ما وعده الله عز وجل، فضرب البحر بعصاه فانفلق البحر اثنتي عشرة فرقة. فلما جاوز أصحاب موسى كلهم ودخل أصحاب فرعون كلهم، التقم البحر عليهم، فقال أصحاب موسى: إنا نخاف أن لا يكون فرعون. فدعا موسى ربه فأخرجه حتى استيقنوا، فمضوا حتى أنزلهم منزلاً، ثم قال لهم: أطيعوا هارون فإني استخلفته عليكم، وإني ذاهب إلى ربي. وأجَّلهم ثلاثين يوماً وصامهن.

وكره أن يكلمه ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئاً فمضغه، فقال له ربه حين أتاه: لم أفطرت؟ وهو أعلم.

قال: يا رب إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح. قال الله تعالى: أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم عندي أطيب من ريح المسك ارجع حتى تصوم عشرة أيام، ثم ائتني. ففعل موسى الذي أمره ربه تعالى، فلما رأى قوم موسى أنه لم يأتهم للأجل، ساءهم ذلك.

وأخرج لهم السامري عجلاً جسداً، له خوار من حلي آل فرعون فتفرقت بنو إسرائيل، فقالت فرقة للسامري: ما هذا؟ قال: هذا ربكم، ولكن موسى أخطأ الطريق. فقالوا: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى. وقالت فرقة: هذا من عمل الشيطان، وليس هذا بربنا. وأسرت فرقة في قلوبهم التصديق، وقال لهم هارون: إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن. فلما كلم الله موسى، أخبره بما لقي قومه بعده، فرجع موسى إلى قومه غضبان أَسِفاً، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه كما قصَّ الله عز وجل في هذه السورة؛ وذلك من الفتون يا ابن جبير.

ويقال: {وفتناك فُتُوناً}، أي: اختبرناك اختباراً، ويقال: أخلصناك إخلاصاً. كما قال تعالى: {واذكر فِى الكتاب موسى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً} [مريم: 51].

ثم قال عز وجل: {فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِى أَهْلِ مَدْيَنَ}، أي: عشر سنين عند شعيب {ثُمَّ جِئْتَ على قَدَرٍ ياموسى *** موسى}؛ يعني: على وقت مقدور عليك يا موسى، وهذا قول ابن عباس، وقال مقاتل: على قدر، أي: على ميقات، ويقال: على موعد، ويقال: على قدر من تكلمي إياك، ويقال: على قضاء قضيته، ويقال: على تمام الذي يوحى للأنبياء أربعين سنة.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 44]

{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآَيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)}

{واصطنعتك لِنَفْسِى}، يعني: اخترتك للرسالة والنبوة ولإقامة حجتي. فقال موسى: يا رب حسبي حسبي فقد تمت كرامتي، فقال الله تعالى: {اذهب أَنتَ وَأَخُوكَ بئاياتى}، يعني: آياتي التسع، {وَلاَ تَنِيَا فِى ذِكْرِى}؛ يعني: لا تفترا ولا تعجزا ولا تضعفا عن أداء رسالتي. {اذهبا إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طغى}، يعني: تكبر وعلا. {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيّناً}، يعني: كلاماً باللين والشفقة والرفق، لأن الرؤساء بكلام اللين أقرب إلى الانقياد من الكلام العنيف. أي: قولا له: أيها الملك، ويقال: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيّناً} لوجوب حقه عليك بما رباك، وإن كان كافراً.

وروى أسباط عن السدي قال: القول اللين أن موسى جاءه، فقال له: تسلم وتؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين، على أن لك شباباً لا تهرم أبداً، ويكون لك ملك لا ينزع منك أبداً حتى تموت، ولا ينزع منك لذة الطعام والشراب والجماع أبداً حتى تموت؛ فإذا مت دخلت الجنة. قال: فكأنه أعجبه ذلك وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان هامان غائباً فقال له فرعون: إن لي من أوامره وهو غائب حتى يقدم. فلم يلبث أن قدم هامان فقال له فرعون: علمت بأن ذلك الرجل أتاني؟ فقال هامان: ومن ذلك الرجل؟ فقال فرعون: هو موسى. قال: فما قال؟ فأخبره بالذي دعاه إليه. قال: فما قلت

له؟ قال: لقد دعاني إلى أمر أعجبني. فقال له هامان: قد كنت أرى لك عقلاً وأن لك رأياً بيناً أنت رب، أفتريد أن تكون مربوباً، وبينا أنت تعبد أفتريد أن تعبد غيرك؟ فغلبه على رأيه فأبى.

ثم قال تعالى: {لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يخشى}، يعني: يتعظ أو يسلم. وقال الزجاج: لعل في اللغة للترجي والتطمع، يقول: لعله يصير إلى خير. والله سبحانه وتعالى خاطب العباد بما يعقلون، والمعنى عند سيبويه اذهبا على رجائكما وطمعكما، وقد علم الله تعالى أنه لا يتذكر ولا يخشى؛ إلا أن الحجة إنما تجب بإبائه؛ وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فعليك باللين لأنك لست بأفضل من موسى وهارون، ولا الذي تأمره بالمعروف ليس بأسوأ من فرعون؛ وقد أمرهما الله تعالى بأن يأمراه باللين، فأنت أولى أن تأمر وتنهى باللين.

▲ تفسير الآيات رقم [45- 54]

{قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54)}

ثم قال عز وجل: {قَالاَ}، أي: موسى وهارون: {رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا}؛ يعني: أن يبادر بعقوبتنا. يقال: قد فرط منه أمر، أي: قد بدر منه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ». ويقال: أن يفرط علينا، يعني: أن يضر بنا. {أَوْ أَن يطغى}، يعني: يقتلنا: قال: كان هذا القول من موسى وهارون حين رجع موسى إلى مصر، وأوحى إليهما فقالا عند ذلك: إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى؛ وقال بعضهم: قد قال الله ذلك لموسى عند طور سيناء؛ فأجابه موسى عن نفسه وعن هارون، فأضاف القول إليهما جميعاً.

{قَالَ} الله تعالى: {لاَ تَخَافَا}، أي: لا تخافا عقوبة فرعون عند أداء الرسالة. {إِنَّنِى مَعَكُمَا}، أي: معينكما. {أَسْمَعُ وأرى}، أي: أسمع ما يرد عليكما، وأرى ما يصنع بكما {فَأْتِيَاهُ}، يعني: فاذهبا إلى فرعون، {فَقُولا إِنَّا رَسُولاَ رَبّكَ}.
قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: في الآية دليل أنه يجوز رواية الأخبار بالمعنى، وإنما العبرة للمعنى دون اللفظ، لأن الله تعالى حكى معنى واحداً بألفاظ مختلفة، وقال في آية أخرى {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فقولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العالمين} [الشعراء: 16] وقال هاهنا: {إِنَّا رَسُولاَ رَبّكَ} وقال في آية أخرى: {قالوا ءَامَنَّا بِرَبِّ العالمين * رَبِّ موسى وهارون} [الأعراف: 122/121]، وقال في موضع: {امَنَّا بِرَبّ هارون وموسى}.

ثم قال تعالى: {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إسراءيل وَلاَ تُعَذّبْهُمْ}، يعني: لا تستعبدهم. {قَدْ جئناك بِئَايَةٍ مّن رَّبّكَ}، يعني: باليد والعصا. {والسلام على مَنِ اتبع الهدى}، أي: على من طلب الحق ورغب في الإسلام. قال الزجاج: {والسلام على مَنِ اتبع الهدى} معناه أن من اتبع الهدى، فقد سلم من عذاب الله وسخطه {إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَا أَنَّ العذاب} في الآخرة بالدوام {على مَن كَذَّبَ وتولى} عن التوحيد، والإيمان ولم يذكر في الآية أنهما فرعون، لأن في الكلام دليلاً عليه حيث ذكر قول فرعون، ومعناه أنهما أتيا فرعون وأديا إليه الرسالة وقالا: {إِنَّا رَسُولاَ رَبّكَ}.

{قَالَ} فرعون: {فَمَن رَّبُّكُمَا ياموسى *** موسى}، ولم يقل من ربي تكبراً منه. {قَالَ} موسى: {رَبُّنَا الذى أعطى كُلَّ شَىْء خَلْقَهُ}، يعني: شكله؛ ويقال: خلق لكل ذكر أنثى شبهه؛ {ثُمَّ هدى}، يعني: ألهمه الأكل والشرب والجماع، وقال القتبي: الإهداء أصله الإرشاد، كقوله {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عسى ربى أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ السبيل} [القصص: 22]. ثم الإرشاد مرة يكون بالدعاء، ومرة بالبيان. وقد ذكرناه في سورة الأعراف، ومرة بالإلهام كقوله: {أعطى كُلَّ شَىْء خَلْقَهُ} أي: صورته {ثُمَّ هدى} أي: ألهمه إتيان الإناث.

ويقال: ألهمه طلب المرعى وتوقي المهالك. وقال الحسن: أعطى كل شيء من خلقه ما يصلح له، ثم هداه أن موسى أخبره بالبعث والجزاء وأمر الآخرة.

وقال فرعون: {فَمَا بَالُ القرون الاولى}؟ يعني: ما حال القرون الماضية وما شأنها؟ {قَالَ} موسى: {عِلْمُهَا عِندَ رَبّى فِى كتاب}، يعني: في اللوح المحفوظ. {لاَّ يَضِلُّ رَبّى} يعني: لا يخفى على ربي، {وَلاَ يَنسَى} ما كان من أمرهم. وقال مجاهد {لاَّ يَضِلُّ رَبّى}، أي: لا يخفى على ربي شيء واحد. قال السدي: أي: لا يغفل ولا يترك، وكان الحسن يقرأ {لاَّ يَضِلُّ} بضم الياء، يعني: لا يضله الله، يعني به الكتاب. وإلى هذا الموضع حكاية كلام موسى.

ثم إن الله تبارك وتعالى قال لمشركي مكة: {الذى جَعَلَ لَكُمُ الارض مَهْداً}، يعني: موضع القرار، وهو الرب الذي ذكر موسى لفرعون ودعاه إلى عبادته. قرأ حمزة والكسائي وعاصم {مهادا} والباقون {مهادا} أي: فراشاً وبساطاً. قال أبو عبيد: المهد الفعل، يقال: مهدت مهداً؛ والمهاد اسم الموضع. {وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً}، يعني: حصل لكم فيها طرقاً، {وَأَنزَلَ مِنَ السماء مَاء}؛ يعني: المطر، {فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً}؛ يعني: أنبتنا بالمطر أصنافاً وألواناً. {مّن نبات شتى} مختلف ألوانه. {كُلُواْ وارعوا أنعامكم}. اللفظ لفظ الأمر ومعناه معنى الخبر، يعني: لتأكلوا منه وترعوا أنعامكم. {إِنَّ فِى ذَلِكَ}، يعني: إن في اختلاف ألوانه {لآيَاتٍ}، أي: لعبرات {لإوْلِى النهى}، يعني: لذوي العقول من الناس.

▲ تفسير الآيات رقم [55– 61]

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آَيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61)}

{مِنْهَا خلقناكم}، يعني: آدم خلقناه من الأرض، {وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ} أي: بعد موتكم، {وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ}؛ يعني: نحييكم ونخرجكم من الأرض {تَارَةً أخرى}. ثم رجع إلى قصة فرعون فقال: {وَلَقَدْ أريناه كُلَّهَا فَكَذَّبَ}، يعني: العلامات والدلائل، {فَكَذَّبَ} بالآيات، {وأبى} أن يسلم. {قَالَ} فرعون وقومه: {أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ ياموسى *** موسى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مّثْلِهِ فاجعل بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لاَّ نُخْلِفُهُ}، يعني: ميعاداً لا نخلفه {نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَاناً سُوًى} أي: لا نجاوزه مكاناً سوى ذلك المكان، وهذه قراءة نافع؛ وأبي عمرو والكسائي وابن كثير يقرؤون بالكسر قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة {سُوًى} بضم السين معناه الإنصاف، وقال بعضهم: سُوى وسِوَى لغتان، وقال مجاهد: مكاناً منصفاً بينهم، وقال السدي: أي: عدلاً بينهم وقال القتبي: أي: وسطاً بين الفريقين.

{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزينة}، يعني: يوم عيد لهم وهو يوم النيروز؛ وروي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: هو يوم عاشوراء. {وَأَن يُحْشَرَ الناس

ضُحًى}، يعني: إذا حشر الناس واجتمعوا على وقت الضحى، {فتولى فِرْعَوْنُ}؛ يعني: رجع إلى أهله، {فَجَمَعَ كَيْدَهُ}؛ يعني: سحرته، {ثُمَّ أتى}؛ يعني: أتى الميعاد. قرأ بعضهم: {يَوْمُ الزينة} بنصب الميم، والمعنى يقع في {يَوْمُ الزينة} وقراءة العامة يوم الزينة رفع على معنى خبر الابتداء.

{قَالَ لَهُمْ موسى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُواْ عَلَى الله كَذِباً}، يعني: ضيّق الله عليكم الدنيا، لا تفتروا على الله كذباً قال الزجاج: {وَيْلَكُمْ} منصوب على أن ألزمهم الله ويلاً، ويجوز أن يكون على النداء كما قال: {قَالَتْ ياويلتا ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وهذا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هذا لَشَىءٌ عَجِيبٌ} [هود: 72] قوله {فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ}، يعني: يأخذكم بعذاب ويهلككم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {فَيُسْحِتَكُم} بضم الياء وكسر الحاء، والباقون {فَيَسْحِتَكُم} بالنصب؛ وهما لغتان. يقال: سحته وأسحته إذا استأصله وأهلكه. {وَقَدْ خَابَ مَنِ افترى}، يعني: خسر من اختلق على الله كذباً.

▲ تفسير الآيات رقم [62- 66]

{فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66)}

{فتنازعوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} أي: تناظروا أمرهم بينهم، يعني: اختلفوا فيما بينهم سراً من فرعون وهم السحرة، وقالوا فيما بينهم: إن كان ما يقول موسى حقاً واجباً فيكون الغلبة لموسى، وذلك قوله عز وجل: {فتنازعوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ}، يعني: تناظروا أمرهم بينهم. فذلك قوله: {وَأَسَرُّواْ النجوى}، أي: أخفوا الكلام. {قَالُواْ إِنْ هاذان لساحران}، يعني: موسى وهارون، {يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا}؛ قرأ أبو عمرو: {ءانِ * هاذان لساحران} لأن إن تنصب ما بعدها. وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص {إِنْ هاذان} بجزم إن وتشديد نون هذانّ عند ابن كثير خاصة، والباقون إنَّ بالنصب والتشديد {هاذان لساحران} بالتخفيف. وقال أبو عبيد: نقرأ بهذا ورأيت في مصحف عثمان {ءانٍ} بهذا الخط ليس فيه ألف، وهكذا رأيت رفع الاثنين في جميع المصاحف بإسقاط الألف وإذا كتبوا بالنصب والخفض كتبوها بالياء. وحكى الكسائي، عن أبي الحارث بن كعب وخثعم وزيد وأهل تلك الناحية، الرفع مكان النصب قال القائل:

أَي قلوص راكب تراها *** طاروا علاهن فطر علاها

وقال آخر:

إنَّ أبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا *** قَدْ بَلَغَا فِي الجِدِّ غَايَتَاهَا

وقال آخر:

فَمَنْ يَكُ بِالْمَدِينَةِ أَمْسَى رَحْلُه *** فَإِنِّي وَقَيَّارٍ بِهَا لَغَرِيبُ

وروى وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم قالوا: كانوا يريدون أن الألف والياء في القراءة سواء {قَالُواْ إِنْ هاذان لساحران} و{ءانٍ} سواء. وفي مصحف عبد الله {إِنْ هاذان} وفي مصحف أبي {إِنْ هاذان *** إِلا}.

ثم قال الله عز وجل: {بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المثلى}، يقول برجالكم الأمثل، فالأمثل. يقول: ليغلبا على الرجال من أهل العقول والشرف، وقال القتبي: يقال: هؤلاء طريقة القوم، أي: أشرافهم، ويقال: أراد سنتكم ودينكم، وقال الزجاج: معناه يذهبا بأهل طريقتكم، كما قال: {واسئل القرية التى كُنَّا فِيهَا والعير التى أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لصادقون} [يوسف: 82].

ثم قال عز وجل: {فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ}؛ قرأ أبو عمرو {فَأَجْمِعُواْ} بجر الألف ونصب الميم، يعني: جيئوا بكل كيد تقدرون عليه، لا تبقوا منه شيئاً؛ وقرأ الباقون {فَأَجْمِعُواْ} بقطع الألف وكسر الميم، ومعناه ليكن عزمكم كلكم على الكيد مجمعاً عليه، ولا تختلفوا فتخذلوا؛ وقال أبو عبيد: بهذا نقرأ، لأن الناس عليها ولصحتها في العربية يقال: أجمعت الأمر واجتمعت عليه؛ وإنما يقال: جمعت الشيء المتفرق فتجمّع. {ثُمَّ ائتوا صَفّاً}، يعني: جميعاً. قال أبو عبيد: الصف المصلى؛ وقال الزجاج: ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم. قال: ويجوز أن قوله ثم ائتوا مصطفين، أي: مجتمعين ليكون أنظم لكم ولأمركم، وأشد لهيبتكم. {وَقَدْ أَفْلَحَ اليوم مَنِ استعلى}، يعني: قد فاز ونجا اليوم من علا بالغلبة.

ثم جمع فرعون بينهم وبين موسى عليه السلام {قَالُواْ يأَبَانَا *** موسى}، يعني: السحرة، {إِمَّا أَن تُلْقِىَ}؛ يعني: أن تطرح عصاك على الأرض، {وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ ألقى} إلى الأرض. {قَالَ} لهم موسى: {بَلْ أَلْقُواْ}، فألقوا في الكلام مضمر. {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ}، يعني: تراءت إلى موسى {مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تسعى}، يعني: كأنها حيات. وروي عن الحسن أنه كان يقرأ بالتاء {تُخَيَّلُ} لأن جمع العصي مؤنث، وقراءة العامة بالياء يعني: سعيها.

▲ تفسير الآيات رقم [67- 73]

{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)}

{فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً موسى}، يعني: أضمر في قلبه الخوف، وخاف أن لا يظفر به إن صنع القوم مثل ما صنع؛ ويقال: خاف من الحيات من

جهة الطبع. {قُلْنَا لاَ تَخَفْ}، يعني: أوْحَى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن لا تخف {إِنَّكَ أَنتَ الاعلى} يعني: الغالب.

قوله تعالى: {وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ}، يعني: اطرح ما في يمينك من العصا، {تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ}؛ يعني: تلقم ما عملوا. {إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ}، يعني: عمل سحر. قرأ عاصم في رواية حفص {تَلْقَفْ} بالجزم والتخفيف؛ وقرأ ابن كثير في الروايتين {تَلْقَفْ} بالنصب والتشديد وضم الفاء، وقرأ الباقون بجزم الفاء لأنه جواب الأمر؛ وقرأ حمزة والكسائي {كَيْدَ *** ساحر} بغير ألف، وقرأ الباقون {كَيْدُ سَاحِرٍ}، وقال أبو عبيد: بهذا نقرأ، لأن إضافة الكيد إلى الرجل أولى من إضافته إلى السحر. وقرأ بعضهم {كَيْدَ *** ساحر} بنصب الدال جعله نصباً لوقوع الفعل عليه وهو قوله تعالى: {إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ}؛ وهذا كقوله: إنما ضربت زيداً؛ وقراءة العامة بالضم، لأنه خبر إن وما اسم، ومعناه إن الذي صنعوه كيد سحار. {وَلاَ يُفْلِحُ الساحر حَيْثُ أتى}، أي: حيثما عمل؛ ويقال: لا يفوز حيثما كان وذهب.

قوله تعالى: {فَأُلْقِىَ السحرة سُجَّداً}، يعني: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا وهذا قول الأخفش؛ وقال الفراء والقتبي: وقعوا للسجود {قَالُواْ امَنَّا بِرَبِّ هارون وموسى} يعني، صدقنا به {قَالَ} لهم فرعون: {قَالَ ءامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءاذَنَ}، يعني: قبل أن آمركم {إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ}، يعني: موسى لعالمكم. {الذى عَلَّمَكُمُ السحر}؛ وإنما أراد به التلبيس على قومه، لأنه علم أنهم لم يتعلموا من موسى، وإنما علموا السحر قبل قدوم موسى وقبل ولادته. ثم قال:

{فَلاقَطّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مّنْ خِلاَفٍ}، اليد اليمنى والرجل اليسرى. {وَلاصَلّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النخل}، يعني: على أصول النخل على شاطئ النيل، {وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وأبقى}؛ يعني: وأدوم أنا أم رب موسى.

{قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ}، أي: لن نختار عبادتك وطاعتك ولن نتبع دينك {على مَا جَاءنَا مِنَ البينات}، يعني: على دين الله بعدما جاءنا من العلامات {والذى فَطَرَنَا}، يعني: ولا عبادتك على عبادة الذي خلقنا، ويقال: هو على معنى القسم، أي: لن نختارك ودينك والذي فطرنا. {فاقض مَا أَنتَ قَاضٍ}؛ يقول اصنع ما أنت صانع فاحكم فينا من القطع والصلب ما شئت. {قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ على مَا}، يقول: لست بحاكم علينا ولا تملكنا إلا في الدنيا ما دام الروح فينا.

قوله تعالى: {إِنَّا امَنَّا بِرَبّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خطايانا}، يعني: ما عملنا في حال الشرك، {وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السحر}؛ يعني: ليغفر لنا ما أجبرتنا عليه من السحر يروى أن فرعون أكرههم على تعلم السحر {والله خَيْرٌ وأبقى}، يعني: الله خير لنا منك وأدوم، وثواب الله عز وجل خير من عطائك وأبقى مما وعدتنا به من التعذيب.

تفسير الآيات رقم [74- 80]

{إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80)}

{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً} أي: مشركاً؛ والهاء للعباد وهذا قول الله تعالى عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم إنه من يأت ربه يوم القيامة كافراً، {فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يحيى}، يعني: لا يموت فيستريح من العذاب، ولا يحيى حياة تنفعه. قوله عز وجل: {وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً}، يعني: يأتي يوم القيامة مؤمناً يعني: مصدقاً، {قَدْ عَمِلَ الصالحات}؛ يعني: الطاعات. {فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدرجات العلى}، يعني: الفضائل في الجنة.

ثم قال: {جنات عَدْنٍ}، يعني: هي جنات عدن. {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا}، يعني: دائمين في الجنة. {وذلك جَزَاء مَن تزكى}، يعني: ثواب من وحَّد. قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إلى موسى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى}، يعني: سر بعبادي ليلاً {فاضرب لَهُمْ طَرِيقاً}؛ يعني: بيِّن لهم طريقاً {فِى البحر يَبَساً}، يعني: يابساً. {لاَّ تَخَافُ دَرَكاً} يعني إدراك فرعون، {وَلاَ تخشى} الغرق. قرأ حمزة: {لاَ تَخَفْ * دَرَكاً} على معنى النهي، يعني: لا تخف أن يدركك فرعون؛ وقرأ الباقون {لاَّ تَخَافُ} بالألف ومعناه لست

تخاف؛ وقال أبو عبيد بهذا نقرأ، لأن من قرأ بالجزم يلزم أن يخشى، لأنه حرف معطوف على الذي قبله. ثم قال: {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ}، يعني: لحقهم فرعون بجموعه، {فَغَشِيَهُمْ مّنَ اليم مَا غَشِيَهُمْ}؛ يعني: أصابهم من البحر ما أصابهم؛ ويقال: علاهم من البحر ما علاهم حين التقى البحر عليهم، ويقال: فغشيهم من البحر ما غرقهم. {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هدى}، يعني: أهلكهم وما نجا بنفسه، ويقال: أضلهم بحمله إياهم على الضلالة، {وَمَا هدى} يعني: ما هداهم إلى الرشاد وهذا رد لقوله: {وَقَالَ الذى ءَامَنَ ياقوم اتبعون أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرشاد} [غافر: 38] ويقال: {وَمَا هدى} يعني: ما هداه إلى الصواب. ثم ذكر نعمته على بني إسرائيل فقال عز وجل: {هدى يابنى إسراءيل قَدْ أنجيناكم مّنْ عَدُوّكُمْ}، يعني: فرعون، {وواعدناكم جَانِبَ الطور الايمن}؛ يعني: يمين موسى، {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المن والسلوى} حيث كانوا في التيه.

▲ تفسير الآيات رقم [81- 82]

{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)}

{كُلُواْ مِن طيبات مَا رزقناكم}، يعني: قال لهم: كلوا من حلالات ما رزقناكم، يعني: أعطيناكم. قرأ حمزة والكسائي {***أَنْجَيْتكُمْ وَوَاعَدْتكُمْ مَا رَزَقْتكُمْ} الثلاثة كلها بالتاء؛ وقرأ ابن كثير وعاصم ونافع وابن عامر الثلاثة بالألف

والنون، وقرأ أبو عمرو بالتاء إلا قَوْلَهُ: {قَدْ أنجيناكم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وواعدناكم}. ثم قال: {وَلاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ}، أي: لا ترفعوا منه شيئاً للغد، {فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى}؛ يعني: فيجب وينزل عليكم عذابي. {وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى}، يعني: يجب وينزل عليه غضبي، {فَقَدْ هوى}؛ يعني: هلك وتردى في النار. وقرأ الكسائي {فَيَحِلَّ} بضم الحاء ومن {يَحْلِلْ} بضم اللام، والباقون كلاهما بالكسر. فمن قرأ بالضم يعني: ينزل، ومن قرأ بالكسر يعني: يجب.

{وَإِنّى لَغَفَّارٌ لّمَن تَابَ وَامَنَ}، يعني: رجع من الشرك والذنوب {وَامَنَ} يعني: صدق بالله ورسله، {وَعَمِلَ صالحا}؛ يعني: خالصاً فيما بينه وبين ربه، {ثُمَّ اهتدى}؛ يعني: علم أن لعمله ثواباً؛ وهذا قول مقاتل. وروى جويبر عن الضحاك في قوله {ثُمَّ اهتدى} أي: ثم استقام، وروى وكيع عن سفيان قال {ثُمَّ اهتدى}، أي: مات على ذلك وقال ابن عباس: {ثُمَّ اهتدى} أي: مات على السنة.

تفسير الآيات رقم [83– 89]

{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا

جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89)}

قوله عز وجل: {وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَومِكَ ياموسى *** موسى}؛ وذلك أن موسى لما انتهى إلى الجبل مع السبعين الذين اختارهم، عجل موسى عليه السلام شوقاً إلى كلام ربه وأمرهم بأن يتبعوه إلى الجبل، فقال الله تعالى لموسى عليه السلام {وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَومِكَ ياموسى *** موسى}، يعني ما أسبقك عن قومك وتركت أصحابك خلفك؟ {قَالَ هُمْ أُوْلاء على أَثَرِى}، ويحتمل أن يكون أولاء صلة، يعني: هم على أثري يجيئون من بعدي. {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبّ لترضى}، يعني: لكي يزداد رضاك عني.

قوله عز وجل: {قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ}؛ وهذا على وجه الاختصار، لأنه لم يذكر ما جرى من القصة، لأنه ذكر في موضع آخر فها هنا اختصر الكلام وقال: {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ}، يعني: ابتلينا قومك من بعد انطلاقك إلى الجبل، {وَأَضَلَّهُمُ السامرى}؛ يعني: أمرهم السامري بعبادة العجل. {فَرَجَعَ موسى إلى قَوْمِهِ غضبان أَسِفاً}، حزيناً وقال القتبي: {أَسَفاً} أي: شديد الغضب؛ فلما دخل المحلة رآهم حول العجل فأبصر ما يصنعون حوله، {قَالَ يَاءادَمُ *** قَوْمٌ *** أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً}؛ يعني: وعداً صدقاً ومعناه وعد الله عز وجل بأن يدفع الكتاب إلى موسى ليقرأه عليهم ويهتدوا به؟ {أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العهد}، يعني: أطالت عليكم المدة؟ {أَمْ

أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ}، يعني: يجب {عَلَيْكُمْ غَضَبٌ}، يعني: سخط {مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِى}؟ بترك عبادة الله.

{قَالُواْ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا}، يعني: ما تعمدنا ذلك؛ قرأ حمزة والكسائي {بِمَلْكِنَا} بضم الميم، يعني ما فعلناه بسلطان كان لنا ولا قدرة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {بِمَلْكِنَا} بكسر الميم. والملك ما حوته اليد، وقرأ نافع وعاصم {بِمَلْكِنَا} بنصب الميم وهو بمعنى الملك. {ولكنا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً}، يعني: آثاماً {مِّن زِينَةِ القوم}، يعني: من حلي آل فرعون؛ ويقال: أوزاراً يعني: حمالاً، {فَقَذَفْنَاهَا}؛ يعني: فطرحناها في النار. قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر {حُمِّلْنَا} بالنصب والتخفيف، وقرأ الباقون بضم الحاء وتشديد الميم على فعل ما لم يُسم فاعله. {فَكَذَلِكَ أَلْقَى السامرى} يعني ألقاها في النار كما ألقينا.

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان السامري من أهل قرية يعبدون البقر، فدخل في بني إسرائيل وأظهر الإسلام معهم، وفي قلبه حب عبادة البقر، فابتلى الله عز وجل به بني إسرائيل؛ فكشف له عن بصره، فرأى أثر فرس جبريل عليه فأخذ من أثرها. وقد كان هارون قال لبني إسرائيل: إنكم قد تحملتم من حلي آل فرعون وأمتعتهم معكم، وهي نجسة فتطهروا منها، وأوقدوا لهم ناراً فأحرقوها فيه.

فجعلوا يأتون بالحلي والأمتعة فيقذفونها في النار، فانسبك الحلي. وأقبل السامري وفي يده تلك القبضة من أثر فرس الرسول يعني جبريل عليه

السلام فوقف فقال: يا نبي الله ألقها فيه. فقال: نعم. وهارون لا يظن إلا أنه من الحلي الذي يأتي به بنو إسرائيل، فقذفها فيه وقال: كن عجلاً جسداً له خوار وقال السدي: جاء جبريل ليذهب بموسى إلى ربه، وجبريل على فرس، فبصر به السامري: ويقال: إن ذلك الفرس فرس الحياة فأخذ قبضة من أثر حافر الفرس، فلما ألقى التراب في الحلي صار عجلاً جسداً له خوار، فذلك قوله تعالى: {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هذا إلهكم وإله موسى}.

وقال بعضهم: كان السامري من بني إسرائيل وقد ولدته أمه في غار مخافة أن يذبح، فرباه جبريل عليه السلام في الغار حتى كبر؛ فلما رأى جبريل على فرس الحياة، عرفه لأنه قد كان رآه في صغره. فأخذ قبضة من تراب من أثر حافر فرسه، ثم ألقاها في جوف العجل، فصار عجلاً له خوار، يعني: صوتاً. وقال مجاهد: خوار العجل كان هفيف الريح إذا دخلت جوفه؛ وهكذا روي عن علي بن أبي طالب، وإحدى الروايتين عن ابن عباس أنه قال: صار عجلاً له لحم ودم وخرج منه الصوت مرة واحدة. فقال: {هذا إلهكم}، يعني: قال السامري وَإِلَهُ مُوسَى {فَنَسِيَ}، يعني: أخطأ موسى الطريق. وروى عكرمة عن ابن عباس قوله: {فَنَسِيَ} أي نسي موسى أن يخبركم أن هنا إله، وقال قتادة: قوله {هذا إلهكم وإله موسى} ولكن موسى نسي ربه عندكم. قال الله تعالى: {أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً}؟ يعني: لم يكن لهم عقل يعلموا أنه لم يكن إلههم حيث لا يكلمهم ولا يجيبهم. {وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً}، يعني: لا يقدر على دفع مضرتهم، {وَلاَ نَفْعاً}؛ أي: ولا جر منفعة.

▲ تفسير الآيات رقم [90– 97]

{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97)}

{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هارون مِن قَبْلُ} يعني: من قبل مجيء موسى إليهم: {قَبْلُ ياقوم إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ}، يعني: إنما ابتليتم بعبادة العجل. {وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرحمن}، يعني: إلهكم الرحمن، {فاتبعونى}، يعني: اتبعوا ديني {وَأَطِيعُواْ أَمْرِى}؛ يعني: قولي. قوله تعالى: {قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عاكفين}، يعني: لا نزال على عبادة العجل مقيمين، {حتى يَرْجِعَ إِلَيْنَا موسى}. فلما جاءهم موسى، {قَالَ يَاءادَمُ *** هارون مَا *** مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ}، يعني أخطؤوا الطريق بعبادة العجل {إِلا} يعني: أن لا تتبع أمري في وصيتي فتناجزهم الحرب؟ ثم قال: {تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى}، يعني: أفتركت وصيتي؟.

{قَالَ} له موسى ذلك بعدما أخذ بشعر رأسه ولحيته، فقال هارون عليه السلام: {قَالَ ابن أُمَّ} قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {قَالَ ابن أَمِّ} بكسر الميم على معنى الإضافة، والباقون بالنصب بمنزلة اسم واحد {لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلاَ بِرَأْسِى}، أي: ولا بشعر رأسي. {إِنّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرءِيلَ}، يعني: جعلتهم فريقين وألقيت بينهم الحرب، {وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى}؛ يعني: لم تنتظر قدومي ثم أقبل على السامري، {قَالَ} له: {فَمَا خَطْبُكَ ياسامري}؟ يقول: ما شأنك، وما الذي حملك على ما صنعت؟ ف {وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ} السامري: {بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ}. قرأ حمزة والكسائي بالتاء على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون بالياء على معنى المغايبة {بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ}، يعني: رأيت ما لم يَرَوا وعلمت ما لم يعلموا به يعني: بني إسرائيل. قال موسى: ما الذي رأيت دون بني إسرائيل؟ فقال: رأيت جبريل على فرس الحياة.

قوله: {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مّنْ أَثَرِ الرسول}، يعني: من أثر فرس جبريل؛ وفي قراءة عبد الله بن مسعود {***فَقَبصتُ قَبْصَةً} بالصاد، وروي عن الحسن أنه قرأ {يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً} بالصاد، وهو الأخذ بأطراف الأصابع، وقراءة الجماعة {فَقَبَضْتُ} بالضاد وهو القبض بالكف. {فَنَبَذْتُهَا}، يعني: فطرحتها في العجل. {وكذلك سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى}، أي: زينت لي نفسي، فلا تلمني بهذا الفعل ولمهم بعبادتهم إياه.

{قَالَ} له موسى: {فاذهب فَإِنَّ لَكَ فِى الحياة}، يعني: عقوبتك في الدنيا {أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ}، يعني: لا أمس أحداً ولا يَمسَّني أحد، ويقال: ابتلي بالوسواس وأصل الوسواس من ذلك الوقت، ويقال: معناه لن تخالط أحداً ولن يخالطك أحد فنفاه عن قومه. {وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ} في الآخرة. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: {لَّن تُخْلِفَهُ} بكسر اللام، لن تغيب عنه، ومعناه تبعث يوم القيامة لا تقدر على غير ذلك ولا تخلفه، وقرأ الباقون {تُخْلَفَهُ} بنصب اللام، يعني: لن تؤخر ولن تجاوز عنه، ويقال: معناه يكافئك الله تعالى على ما فعلت والله لا يخلف الميعاد.

{وانظر إلى إلهك الذى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً}، يعني: عابداً. {لَّنُحَرّقَنَّهُ}. روى معمر، عن قتادة قال: في حرف ابن مسعود {**لَنُذَبِّحَنَّهُ} ثمَّ {عَاكِفاً لَّنُحَرّقَنَّهُ}، وقرأ الحسن {لَّنُحَرّقَنَّهُ} بالتخفيف، وقراءة العامة بالتشديد ونصب الحاء، ومعناه أنه يحرق مرة بعد مرة؛ وقرأ أبو جعفر المدني {لَّنُحَرّقَنَّهُ} بنصب النون وضم الراء، ومعناه لنبردنه بالمباريد، ويقال: حرقه وأحرقه. {ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِى اليم نَسْفاً}، يعني: لنذرينه في البحر ذرواً والنسف التذرية.

▲ تفسير الآيات رقم [98- 108]

{إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آَتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102)

يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108)}

{إِنَّمَا إلهكم الله الذى لا إله إِلاَّ هُوَ}، يعني: أن العجل ليس بإلهكم وإنما إلهكم؛ الله الذي لا إله إلا هو. {وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً}، يعني: أحاط علمه بكل شيء، وهو عالم بما كان وما يكون قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {كذلك نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاء مَا قَدْ سَبَقَ}، يعني: أخبار ما مضى. {وَقَدْ اتيناك}، يعني: أعطيناك {مِن لَّدُنَّا ذِكْراً}، يعني: أكرمناك من عندنا بالقرآن {مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ}، يعني: من يكفر بالقرآن، {فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ القيامة وِزْراً}؛ يعني: حملاً من الذنوب. {خالدين فِيهِ}، يعني: دائمين في عقوبة الوزر، {وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ القيامة حِمْلاً}؛ يعني: بئس الحمل الوزر، وبئس ما يحملون من الذنوب.

قوله عز وجل: {يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصور}، يعني: في يوم ينفخ في الصور وهو يوم القيامة. قرأ أبو عمرو {وَيَوْمَ *** وَنُفِخَ فِى الصور} بالنون، واحتج بقوله {وَنَحْشُرُ المجرمين} والباقون بالياء قال أبو عبيدة: وبهذا نقرأ، لأن النافخ ملك قد التقم الصور، وأما الحشر فالله تعالى يحشرهم. قال أبو عبيد: معناه ينفخ الأرواح في الصور وخالفه غيره. ثم قال: و{نَحْشُرُ ***

المجرمين}، أي: المشركين {يَوْمِئِذٍ زُرْقاً}، يعني: عطاشاً؛ ويقال: عمياً، ويقال: زرق الأعين. وروي عن سعيد بن جبير أن رجلاً قال لابن عباس: إن الله يقول في موضع {وَنَحْشُرُ المجرمين يَوْمِئِذٍ زُرْقاً} {وَمَن يَهْدِ الله فَهُوَ المهتد وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القيامة على وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء: 97]، فقال ابن عباس: إن يوم القيامة له حالات: في حال زرقاً وفي حال عمياً. وقال القتبي: {زُرْقاً} أي تبيض عيونهم من العمى أي ذهب السواد والناظر، وقال الزجاج: يقال عطاشاً، لأن من شدة العطش يتغير سواد الأعين حتى تزرق.

ثم قال: {يتخافتون بَيْنَهُمْ}، يعني: يتشاورون فيما بينهم. {إِن لَّبِثْتُمْ}، يعني: ما مكثتم في القبور بعد الموت، {إِلاَّ عَشْراً}؛ يعني: عشرة أيام؛ ويقال: عشر ساعات. يقول الله عز وجل: {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً}، يعني: أوفاهم عقلاً ويقال: أعدلهم رأياً عند أنفسهم. {إِن لَّبِثْتُمْ}، يعني: ما مكثتم في القبور، {إِلاَّ يَوْماً}.

{وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الجبال}؛ وذلك أن بني ثقيف من أهل مكة قالوا: يا رسول الله، كيف تكون الجبال يوم القيامة فنزل {وَيَسْئَلُونَكَ}، يعني: عن أمر الجبال. {فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبّى نَسْفاً}، يعني: يقلعها ربي قلعاً من أمكنتها. والنسف: التذرية أي تصيير الجبال كالهباء المنثور.

{فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً}؛ قال القتبي: القاع واحدة القيعة وهي الأرض التي يعلوها السراب كالماء، والصفصف: المستوي؛ وقال السدي: القاع الأملس والصفصف المستوي. {لاَّ ترى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً}، يعني: لا ترى فيها صعوداً ولا هبوطاً؛ ويقال: لا ترى فيها أودية، ولا أمتاً يعني: شخوصاً. والأمت في كلام العرب ما نشز من الأرض.

ثم قال عز وجل: {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الداعى}، أي: يقصدون نحو الداعي. {لاَ عِوَجَ لَهُ}، ومعناه لا يميلون يميناً ولا شمالاً، {وَخَشَعَتِ الاصوات للرحمن}؛ يعني: خضعت وذلت وسكنت الكلمات للرحمن، يعني: لهيبة الرحمن. {فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً}، يعني: كلاماً خفياً ويقال صوت الأقدام كهمس الإبل.

▲ تفسير الآيات رقم [109- 114]

{يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)}

قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشفاعة إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحمن} في الشفاعة، {وَرَضِىَ لَهُ قَوْلاً} يعني: إذا قال بإخلاص القلب لا إله إلا الله في الدنيا {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} من أمر الآخرة {وَمَا خَلْفَهُمْ} من أمر الدنيا، {وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً}؛ أي: لا يدركون علم الله تعالى. {وَعَنَتِ الوجوه}؛ قال قتادة: ذلَّت الوجوه {لِلْحَىّ القيوم}؛ وقال القتبي: أصله من عنيته أي: حبسته، ومنه قيل للأسير عان؛ وقال الزجاج: رحمه الله: عنت أي: خضعت، يقال: عنا يعنو أي: خضع {وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً}، أي: خسر من حمل شركاً.

ثم قال: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصالحات}، يعني: من يعمل من الطاعات ومن للصِّلة والزينة. {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} مع عمله، لأن العمل لا يقبل بغير إيمان، {فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً}؛ قال قتادة: أي: لا يزداد في سيئاته ولا ينقص من حسناته أي: لا يهضم. قال السدي رحمه الله: الظلم أن يأخذ لما لم يعمل، والهضم النقصان من حقه. قال القتبي: ومنه قيل هضيم الكشحين، أي: ضامر الجنبين، وهضمني الطعام أي أمرأني ويهضمني حقي. قرأ ابن كثير {فَلاَ يَخَافُ} على معنى النهي، والباقون {فَلاَ يَخَافُ} على معنى الخبر.

ثم قال عز وجل: {وكذلك أنزلناه قُرْءاناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الوعيد}، يعني: هكذا أنزلنا عليك جبريل، ليقرأ عليك القرآن على لغة العرب، وبينَّا في القرآن من أخبار الأمم الماضية وما أصابهم بذنوبهم {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} يعني: لكي يتقوا الشرك {أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً}، يعني: يحدث الوعيد بهذا

القرآن، أو هذا القرآن لهم اعتباراً، فيذكر به عذاب الله للأمم فيعتبروا؛ وهذا قول مقاتل، ويقال: {أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً} أي يحدث الوعيد بذكر العذاب فيزجرهم عن المعاصي، ويقال: {أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً}، أي شرفاً، والذكر الشرف.

ثم قال عز وجل: {فتعالى الله الملك الحق}، يعني: ارتفع وتعظم عن الشريك والولد {الملك الحق} أهل الربوبية؛ ويقال: {فتعالى الله الملك الحق}، يعني: ارتفع وتعظم من أن يزيد في سيئات أحد وينقص من حسنات أحد {الملك الحق} الذي يعدل بين الخلق ثم قال: {وَلاَ تَعْجَلْ بالقرءان مِن قَبْلِ إَن يقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، وذلك أن جبريل عليه السلام كان إذا قرأ القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يتعجل النبي صلى الله عليه وسلم بقراءته قبل أن يختم جبريل تلاوته مخافة أن لا يحفظ، فنزل: {وَلاَ تَعْجَلْ بالقرءان مِن قَبْلِ} أن يفرغ جبريل عليه السلام من قراءته، فيكون في الآية تعليم حفظ الأدب، وهو الاستماع إلى من يتعلم منه؛ وهذا مثل قوله: {لاَ تُحَرّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} روى جرير بن حازم عن الحسن أن رجلاً لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص قبل أن ينزل القرآن، فنزل {وَلاَ تَعْجَلْ بالقرءان} الآية، أي لا تعجل بالقصاص من قبل أن يقضى عليك بالقرآن، ونزل قوله عز وجل: {الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النساء} قال: وكان الحسن يقرأ {مِن قَبْلُ إِنَّ *** يَقْضِى *** إِلَيْكَ وَحْيُهُ} بالنصب، يعني: من قبل أن ينزل إليك جبريل بالوحي؛ وقراءة

العامة {يقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} بالرفع على فعل ما لم يسم فاعله، ومعنى القراءتين واحد.

ثم قال: {وَقُل رَّبّ زِدْنِى عِلْماً}، يعني: زدني علماً بالقرآن، معناه زدني فهماً في معناه.

▲ تفسير الآيات رقم [115- 123]

{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إلى مِن رَّبّهِ قَبْلُ}، يعني: أمرنا آدم عليه السلام بترك أكل الشجرة من قبل، يعني: من قبل محمد صلى الله عليه وسلم.
{فَنَسِىَ}، يعني: فترك أمرنا، {وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}؛ أي: حفظاً لما أمر به.
روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: {عَهِدْنَا إلى *** مِن رَّبّهِ

**قَبْلُ فَنَسِىَ} يعني: فترك أمرنا {وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}، يعني: حزماً صريماً؛ وقال قتادة: يعني: صبراً؛ وقال السدي مثله، وقال عطية: {وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}، أي: حفظاً بما أمر به. روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: عهد إلى آدم فنسي، فسمي الإنسان. وقال القتبي: النسيان ضد الحفظ. كقوله تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى الصخرة فَإِنِّى نَسِيتُ الحوت وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشيطان أَنْ أَذْكُرَهُ واتخذ سَبِيلَهُ فِى البحر عَجَبًا} [الكهف: 63]، والنسيان الترك. كقوله: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إلى مِن رَّبّهِ قَبْلُ فَنَسِىَ} وكقوله: {فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هذا} وكقوله: {وَلاَ تَنسَوُاْ الفضل بَيْنَكُمْ}.

{وَإِذْ قُلْنَا للملائكة اسجدوا لاِدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أبى}، أي: تعظم عن السجود، {فَقُلْنَا يائادم *** أَن لاَّ **هذا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ}؛ يعني: إبليس عدو لك ولزوجك حواء فاحذرا منه، {فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجنة فتشقى}؛ يعني: فتتعب ويتعبا بعمل كفيك ولا تأكل إلا كداً بعد النعمة. وقال سعيد بن جبير: لما هبط آدم من الجنة وكلّف العمل، فكان يمسح العرق عن جبينه، فذلك قوله: {فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجنة فتشقى}، وهو العرق الذي مسحه من الجبين.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ لَكَ *** أَن لا **تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تعرى}، يعني: أن حالك ما دمت في الجنة لا تجوع ولا تعرى من الثياب. {وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا}، يعني: لا تعطش في الجنة، {وَلاَ تضحى}؛ يعني: لا يصيبك

الضحى؛ وهو حر الشمس. قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر: {وَأَنَّكَ} بالكسر على معنى الابتداء، وقرأ الباقون {وَأَنَّكَ} بالنصب على معنى البناء.

قوله عز وجل: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشيطان قَالَ يٰئَادَمُ *** ءادَمَ **هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخلد} من أكل منها خلد ولم يمت {وَمُلْكٍ لاَّ يبلى}؟ يعني: هل أدلك على ملك لا يفنى؟ فهو أكل الشجرة. {فَأَكَلاَ مِنْهَا}، يعني: من الشجرة وقد ذكرنا تفسير الشجرة في سورة البقرة. {فَبَدَتْ لَهُمَا}، أي: ظهرت لهما عوراتهما، {سَوْءتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ}؛ أي: عمدا يلزقان {عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجنة وعصى *** ءادَمَ ***** رَبَّهُ}، أي: ترك أمره بأكله من الشجرة، {فغوى}؛ أي: أخطأ ولم يصب بأكله ما أراد وما وعد له من الخلود.

{ثُمَّ اجتباه رَبُّهُ}، أي: اختاره واصطفاه بالنبوة {فَتَابَ عَلَيْهِ}، يعني: تجاوز عنه وقبل توبته، {وهدى}؛ يعني: هداه الله تعالى للتوبة بكلمات تلقاها. {قَالَ اهبطا مِنْهَا جَمِيعاً}؛ يعني: من الجنة آدم وحواء وإبليس والحية {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مّنّى هُدًى}؛ يعني: يا ذرية آدم سيأتيكم مني الكتب والرسل، خاطبه به وعنى ذريته. {فَمَنِ اتبع هُدَاىَ}؛ يعني: أطاع كتبي ورسلي {فَلاَ يَضِلُّ} باتباعه إياها في الدنيا، {وَلاَ يشقى} في الآخرة. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتَّبع ما فيه، هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، فذلك قوله: {فَمَنِ اتبع هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يشقى}.

▲ تفسير الآيات رقم [124– 129]

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآَيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129)}

ثم قال عز وجل: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى}، يعني: عن القرآن والرسل ولم يؤمن؛ وقال مقاتل: من أعرض عن الإيمان، {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً}؛ يعني: معيشة ضيقة. روي عن ابن مسعود، وأبي سعيد الخدري أنهما قالا: {مَعِيشَةً ضَنكاً}؛ يقول عذاب القبر. وروى أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {مَعِيشَةً ضَنكاً}، قال: «عَذَاب القَبْرِ». {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القيامة أعمى}، أي: أعمى عن الحجة. وقال ابن عباس: وذلك حين يخرج من القبر، يخرج بصيراً؛ فإذا سيق إلى المحشر عمي. قال عكرمة رحمه الله في قوله: {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القيامة أعمى}، قال: عمي قلبه عن كل شيء إلا جهنم؛ وقال الضحاك في قوله: {مَعِيشَةً ضَنكاً}. قال: الكسب الخبيث وقيل: معيشة سوء، لأنه في معاصي الله؛ وقال السدي: {مَعِيشَةً ضَنكاً}، أي: عذاب القبر حين يأتيه الملكان؛ وقال قتادة: الضنك الضيق، يقول: ضنكاً في النار.

قوله عز وجل: {قَالَ رَبّ لِمَ حَشَرْتَنِى أعمى}، قال مجاهد: {لِمَ حَشَرْتَنِى أعمى} لا حجة لي؟ {وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً} بالحجة في الدنيا، ويقال: {لِمَ حَشَرْتَنِى أعمى} أي: أعمى العينين {وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً} في الدنيا؟ {قَالَ كذلك أَتَتْكَ اياتنا فَنَسِيتَهَا} يعني: الرسل والقرآن فنسيتها وتركت العمل بها ولم تؤمن بها. {وكذلك اليوم تنسى}، أي: تترك في النار. ويقال: {كذلك أَتَتْكَ اياتنا فَنَسِيتَهَا}، أي: تعلمت القرآن فنسيته وتركته. وقال السدي: {وكذلك اليوم تنسى} أي: تترك في النار وتترك عن الخير. ثم قال عز وجل: {وكذلك نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ} يعني: هكذا نعاقب من أشرك بالله، {وَلَمْ يُؤْمِن بئايات رَبّهِ}؛ بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. {وَلَعَذَابُ الاخرة أَشَدُّ وأبقى}، يعني: وأدوم.

قوله عز وجل: {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ}، يعني: أفلم يتبين لقومك؟ {كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّنَ القرون يَمْشُونَ فِى مساكنهم}، يعني: يمرون على منازلهم. {إِنَّ فِى ذَلِكَ لاَيَاتٍ}، يعني: في هلاكهم لعبرات {لاِوْلِى النهى}، يعني: لعبرات لذوي العقول من الناس. {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى}؛ وهذا مقدم ومؤخر، يقول: ولولا كلمة سبقت بتأخير العذاب عن هذه الأمة إلى أجل مسمى، أي: إلى يوم القيامة، أي: لكان لزاماً، أي: لأخذتهم بالعذاب كما أخذت من كان قبلهم من الأمم عند التكذيب، ولكن نؤجلهم إلى يوم القيامة {وَهُوَ *** أَجَلٍ مُّسَمًّى}. وقال القتبي: معناه ولولا أن الله عز وجل جعل الجزاء يوم القيامة وسبقت بذلك كلماته، لكان العذاب ملازماً لا

يفارقهم. وقال: في الآية تقديم، أي: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى، لكان العذاب لازماً.

▲ تفسير الآيات رقم [130– 131]

{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)}

{فاصبر على مَا يَقُولُونَ}، يعني: على ما يقول أهل مكة من تكذيبهم إياك. {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ}، يعني: صل لربك واعمل بحمد ربك وبأمره {قَبْلَ طُلُوعِ الشمس} يعني: صلاة الفجر وقبل غروبها، يعني: صلاة العصر؛ ويقال: صلاة الظهر والعصر. وروى جرير، عن عبد الله البجلي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ يعني: لا تزدحمون، مأخوذ من الضم أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته بظهوره كما في رواية الهلال. ويروى لا تضامون بالتخفيف وهو الضم أي: الظلم، أي: لا يظلم بعضكم في رؤيته بأن يراه البعض دون البعض فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ لا تُغْلَبُوا عَنِ الصَّلاةِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». ثم قرأ هذه الآية {فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ}.

{قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وَقَبْلَ غُرُوبِهَا}، على معنى التأكيد للتكرار {وَمِنْ ءانَاء اليل}، يعني: ساعات الليل. {فَسَبّحْ}، يعني: صلاة المغرب والعشاء، {وَأَطْرَافَ النهار}؛ يعني: غدوة وعشية. {لَعَلَّكَ ترضى}؛ يعني: لعلك تعطى من الشفاعة حتى ترضى. قرأ الكسائي وعاصم في رواية أبي بكر {ترضى} بضم التاء على فعل ما لم يسم فاعله، والباقون بالنصب يعني: ترضى أنت؛ وقال أبو عبيدة: وبالقراءة الأولى نقرأ بالضم، لأن فيها معنيين أحدهما ترضى أي: تعطى الرضا، والأخرى ترضى أي يرضاك الله. وتصديقه قوله تعالى: {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصلاة والزكواة وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً} [مريم: 55]؛ وليس في الأخرى وهي القراءة بالنصب، إلا وجه واحد.

ثم قال عز وجل: {وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أزواجا مّنْهُمْ}، يعني: لا تنظر بالرغبة إلى ما أعطينا رجالاً منهم من الأموال والأولاد. {زَهْرَةَ الحياة الدنيا}، يعني: فإن زينة الدنيا. {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}، يعني: لنبتليهم بالمال وقلة الشكر. {وَرِزْقُ رَبّكَ}، أي: جنة ربك {خَيْرٌ} من هذه الزينة التي في الدنيا، {وأبقى}؛ أي: وأدوم. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: حدّثنا محمد بن الفضل. قال: حدّثنا إسماعيل بن جعفر. قال: حدّثنا إبراهيم بن يوسف. قال: حدّثنا وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد بن عبد الله، عن أبي رافع قال: نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني إلى يهودي أن يبيعنا أو يسلفنا إلى أجل، فقال اليهودي: لا والله إلاَّ بِرَهْنٍ. فرجعت إليه فأخبرته فقال: «لَوْ بَاعَنِي أَوْ أَسْلَفَنِي لَقَضَيْتُهُ؛ وإِنّي لأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ وَأَمِينٌ فِي الأَرْضِ، اذْهَبْ بِدِرْعِي الحَدِيدِيّ» فذهبت بها فنزل من بعدي هذه الآية

تعزية عن الدنيا {وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أزواجا مّنْهُمْ} إلى آخر الآية.

▲ تفسير الآيات رقم [132- 135]

{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آَيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)}

ثم قال عز وجل: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصلاة}، يعني: قومك وأهلك وأهل بيتك بالصلاة. {واصطبر عَلَيْهَا}، يعني: اصبر على ما أصابك فيها من الشدة. روى عبد الرزاق، عن معمر، عن رجل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل عليه نقص في الرزق، أي: ضيق، أمر أهله بالصلاة. ثم قرأ {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصلاة واصطبر عَلَيْهَا}. {لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً} لخلقنا ولا أن ترزق نفسك؛ إنما نسألك العبادة. {نَّحْنُ نَرْزُقُكَ} في الدنيا ما دمت حياً. {والعاقبة للتقوى}، يعني: الجنة للمتقين. {وَقَالُواْ}، يعني الكفار: {لَوْلاَ يَأْتِينَا بِئَايَةٍ مّن رَّبّهِ}، يعني: هلا يأتينا محمد بعلامة لنبوته؟ قال الله تعالى: {أَوَ لَمْ *** تَأْتِهِمْ بَيّنَةُ}، يعني: بيان {مَا فِى الصحف الاولى}، يعني: ما في التوراة والإنجيل حتى يجدوا نعته فيه؛ وهذا كقوله عز وجل: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذين يَقْرَءُونَ الكتاب مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الحق مِن

رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الممترين} [يونس: 94]. ثم قال عز وجل: {وَلَوْ أَنَّا أهلكناهم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ}، يقول: لو أن أهل مكة أهلكناهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، {لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءاياتك مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ونخزى}، يعني: من قبل أن نعذب.

ثم قال عز وجل: {قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبّصٌ}، يعني: منتظر لهلاك صاحبه أنا وأنتم وقال مقاتل: كان كفار مكة يقولون نتربص بمحمد {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المنون} [الطور: 30]، يعني: الموت ووعدهم النبي صلى الله عليه وسلم العذاب، فأنزل الله تعالى: {قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبّصٌ}، يعني: أنتم متربصون بمحمد صلى الله عليه وسلم الموت، ومحمد متربص بكم العذاب، فأنزل الله تعالى: {قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبّصٌ} {فَتَرَبَّصُواْ}، أي: انتظروا، {فَسَتَعْلَمُونَ} إذا نزل بكم العذاب، {مَنْ أصحاب الصراط السوي}، أي: العدل {وَمَنِ اهتدى} منا ومنكم. قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم: {أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ} بالتاء، لأن لفظ البينة مؤنث، والباقون {أَوَلَمْ *** يَأْتِهِمْ} بالياء، لأن معناه البيان. والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/i367&n35&p1

▲ سورة الأنبياء

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (3) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (5) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (6)}

قوله تعالى: {اقترب لِلنَّاسِ حسابهم}، يعني: قربت القيامة كقوله: {اقتربت الساعة وانشق القمر} [القمر: 1]، ويقال: معناه اقترب وقت حسابهم، ويقال: دنا للناس ما وعدوا في هذا القرآن، {وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ}، أي: في جهل وعمى من أمر آخرتهم. {مُّعْرِضُونَ}، يعني: جاحدين مكذبين؛ وهم كفار مكة ومن كان مثل حالهم. ثم نعتهم فقال: {مَا يَأْتِيهِمْ مّن ذِكْرٍ مّن رَّبّهِمْ مُّحْدَثٍ}، يعني: ما يأتيهم جبريل بالقرآن محدث؛ والمحدث إتيان جبريل بالقرآن مرة بعد مرة، ويقال: قراءة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن مرة بعد مرة {إِلاَّ استمعوه وَهُمْ يَلْعَبُونَ}، يعني: يستمعون لاعبين، ويقال: {وَهُمْ يَلْعَبُونَ} يعني: يهزؤون ويسخرون.

قوله عز وجل: {لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ}، يعني: ساهية قلوبهم عن أمر الآخرة. {وَأَسَرُّواْ النجوى الذين ظَلَمُواْ}، يعني: أخفوا تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويتناجون فيما بينهم، ثم بين أمرهم فقال: {الذين ظَلَمُواْ}، معناه

وأسروا النجوى يعني: الذين ظلموا، ثم بين ما يسرون فقال: {هَلْ هذا}، يعني: يقولون ما هذا: {إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} أي: آدميّ مِثلكم؟ {أَفَتَأْتُونَ السحر}، يعني: أفتصدقون الكذب؟ {وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ} وتعلمون أنه سحر.

{قَالَ} محمد: {رَبِّى يَعْلَمُ القول}، يعني: السر، فأعلمهم الله تعالى أنه يعلم قولهم، وأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وعلانيتهم فقال: {قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ القول}. {فِى السماء والارض}، أي: يعلم سر أهل السموات وسر أهل الأرض. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ} على معنى الخبر، وقرأ الباقون على معنى الأمر. ثم قال: {وَهُوَ السميع} لمقالتهم، {العليم} بهم وبعقوبتهم.

{بَلْ قَالُواْ أضغاث أَحْلاَمٍ}، يعني: أباطيل أحلام كاذبة؛ وقال أهل اللغة: لا يكون الضغث إلا من أخلاط شتى؛ فلذلك يقال أضغاث أحلام، أي: لما فيها من التخاليط. وهو كل حلم لا يكون له تأويل ومن هذا قوله: {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً}، أي: أخلاط العيدان عدد مائة، ويقال: في الآية تقديم ومعناه بل قالوا أضغاث أحلام. {بَلِ افتراه}، يعني: اختلقه من تلقاء نفسه. {بَلْ هُوَ شَاعِرٌ}، يعني: ينقضون قولهم بعضهم ببعض، مرة يقولون سحر، ومرة يقولون أضغاث أحلام. {بَلْ قَالُواْ أضغاث أَحْلاَمٍ بَلِ}، يعني: يقولون: فأتنا بآية أي: بعلامة كما في الرسل الأولين. فأخبر الله تعالى أنهم لم يؤمنوا، وإن أتاهم بآية، فقال عز وجل: {مَا ءامَنَتْ قَبْلَهُمْ}، يعني: قبل كفار مكة. {مِن قَرْيَةٍ} من للصلة والزينة، يعني: لم يصدق قبلهم أهل قرية للرسل، أي:

إذا جاءتهم بالآيات. {أهلكناها أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ}؟ يعني: أفقومك يصدقون إذا جاءتهم الآيات؟ أي: لا يؤمنون/

▲ تفسير الآيات رقم [7– 12]

{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (8) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (9) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10) وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12)}

ثم قال عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ}، يعني: لم أرسل إليهم الملائكة بالرسالة وكانت الرسل من الآدميين. {فاسألوا أَهْلَ الذكر}، يعني: أهل التوراة والإنجيل. {إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ}، أي: لا تصدقون؛ وذلك أن أهل مكة قالوا: لو أراد الله تعالى أن يبعث إلينا رسولاً لأرسل ملائكة. قرأ عاصم في رواية حفص {نُوحِى} بالنون وكذلك في قوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نوحى إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إله إِلاَّ أَنَاْ فاعبدون} [الأنبياء: 25]، وقرأ حمزة والكسائي الأول بالياء والثاني بالنون، والباقون كليهما بالياء وهو اختيار أبي عبيد.

{وَمَا جعلناهم جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطعام}، يعني: ما خلقنا الرسل جسداً لا يأكلون ولا يشربون، ولكن جعلناهم أجساداً فيها أرواح يأكلون ويشربون.

وقال {جَسَداً} ولم يقل أجساداً، لأن الواحد ينبئ عن الجماعة، ويقال: معناه وما جعلناهم ذوي أجساد لا يأكلون الطعام، لأنهم قالوا: {وَقَالُواْ مَا لهذا الرسول يَأْكُلُ الطعام وَيَمْشِى فِى الاسواق لولا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} [الفرقان: 7] ثم قال: {وَمَا كَانُواْ خالدين}، يعني: في الدنيا. {ثُمَّ صدقناهم الوعد}، يعني: العذاب للكفار والنجاة للأنبياء. عليهم السلام. {فأنجيناهم وَمَن نَّشَاء}، يعني: فأنجينا الأنبياء عليهم السلام ومن نشاء من المؤمنين، {وَأَهْلَكْنَا المسرفين}؛ يعني: المشركين.

قوله عز وجل: {لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كتابا فِيهِ ذِكْرُكُمْ}، يعني: القرآن فيه عزكم وشرفكم، يعني: شرف العرب. والذكر يوضع موضع الشرف، لأن الشرف يذكر، ويقال {ذِكْرُكُمْ} أي: فيه تذكرة لكم ما ترجون من رحمة وتخافون من عذابه كما قال: {كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} [عبس: 11]. وقال السدي: {فِيهِ ذِكْرُكُمْ} يعني: ما تُعْنون به من أمر دنياكم وآخرتكم وما بينكم؛ وقال الحسن: {فِيهِ ذِكْرُكُمْ}، يعني: أمسك به عليكم دينكم وفيه بيان حلالكم وحرامكم، ويقال: وعدكم ووعيدكم ثم قال: {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أن فيه عزكم وشرفكم فتؤمنون به. قوله عز وجل: {وَكَمْ قَصَمْنَا} القَصم الكسر يعني كم أهلكنا {مِن قَرْيَةٍ}، يعني: أهل قرية؟ {كَانَتْ ظالمة}، أي: كافرة، {وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ}؛ يعني: خلقنا بعد هلاكها قوماً آخرين خيراً منهم، فسكنوا ديارهم. {فَلَمَّا أَحَسُّواْ بَأْسَنَا}، يعني: رأوا عذابنا، {إِذَا هُمْ *** يَرْكُضُونَ}؛ يعني: يهربون ويعدون؛ وقال القتبي: أصل الركض تحريك الرجلين. يقال: ركضت الفرس

إذا أعديته بتحريك رجليك. ومنه قوله: {اركض بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}

▲ تفسير الآيات رقم [13– 17]

{لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (15) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17)}

ثم قال عز وجل: {لاَ تَرْكُضُواْ} يعني: قالت الملائكة عليهم السلام لا تهربوا وقال قتادة: هذا على وجه الاستهزاء، وقال مقاتل: لما انهزموا قالت لهم الملائكة عليهم السلام كهيئة الاستهزاء: لا تركضوا وقال القتبي: هذا كما قال لبيد:

هَلا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَة *** يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا

قال ابن عباس: إن قرية من قرى اليمن يقال لها حصور، أرسل الله تعالى إليهم نبياً فكذبوه ثم قتلوه، فسلط الله عز وجل عليهم بختنصر فقتلهم وهزمهم، فقالت لهم الملائكة عليهم السلام حين انهزموا: لا تركضوا يعني: لا تهربوا. {وارجعوا إلى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ} يعني: خولتم فيه من أمر دنياكم {ومساكنكم لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ}. عن قتل نبيكم؛ ويقال: عن الإيمان. {قَالُواْ يأَبَانَا

*** قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظالمين} بقتل نبينا عليه السلام ويقال: بالشرك بالله عز وجل.

قوله تعالى: {فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ}، يعني: كلمة الويل قولهم. {حتى جعلناهم حَصِيداً خامدين}، يعني: محصوداً. وقال أهل اللغة: فعيل بمعنى مفعول، والحصيد بمعنى محصود، ويقع على الواحد والاثنين والجماعة؛ وقال السدي: الحصيد الذي قد حصد، ويقال: كداسة الغنم بأظلافها خامدين ميتين لا يتحركون؛ وقال مجاهد رحمه الله: {خامدين} بالسيف. قوله عز وجل: {وَمَا خَلَقْنَا السماء والارض وَمَا بَيْنَهُمَا} من الخلق والعجائب {لاَعِبِينَ}، أي: لغير شيء ولكن خلقناهم لأمر كائن، ويقال: وما خلقت هذه الأشياء، إلا ليعتبروا ويتفكروا فيها ويعلموا أن خالق هذه الأشياء أحق بالعبادة من غيره ويكون لِيَ عليهم الحجة يوم القيامة.

قوله عز وجل: {لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً} يعني: زوجةً بلغة حضرموت، {لاتخذناه مِن لَّدُنَّا}؛ يعني: من عندنا. قال ابن عباس: اللهو الولد، وقال الحسن وقتادة: اللهو المرأة، وقال القتبي: التفسيران متقاربان، لأن المرأة للرجل لهو وولده لهو كما يقال: ريحانتاه وأصل اللهو الجماع؛ فكني به بالمرأة والولد كما كني عنه باللمس. وتأويل الآية أن النصارى لما قالوا، في المسيح ما قالوا قال الله تعالى: {لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاتخذناه مِن لَّدُنَّا} أي: صاحبةً وولداً، لاتخذنا ذلك من عندنا لا من عندكم، لأن ولد الرجل

وزوجته يكونان عنده لا عند غيره. ثم قال: {إِن كُنَّا فاعلين} يعني: ما كنا فاعلين. ويجوز أن يكون إن كنا ممن يفعل ذلك، ولسنا ممن يفعله.

▲ تفسير الآيات رقم [18- 23]

{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20) أَمِ اتَّخَذُوا آَلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)}

ثم قال عز وجل: {بَلْ نَقْذِفُ بالحق}، يعني: بالحق {عَلَى الباطل}، ومعناه نبيّن الحق من الباطل. {فَيَدْمَغُهُ}، أي: يبطله ويضمحل به. ويقال: يكسره. وقال أهل الله: أصل هذا إصابة الرأس والدماغ بالضرب وهو مقتل. {فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}، يعني: هالك، ويقال: زاهق أي: زائل ذاهب. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: في الآية دليل أن النكتة إذا قابلتها نكتة أخرى على ضدها سقط الاحتجاج بها، لأنها لو كانت صحيحة ما عارضها غيرها، لأن الحق لا يعارضه الباطل ولكن يغلب عليه فيدمغه. ثم قال: {وَلَكُمُ الويل}، يعني: الشدة من العذاب وهم النصارى. {مِمَّا تَصِفُونَ}، يعني: تقولون من الكذب على الله.

{وَلَهُ مَن فِى السموات والارض} من الخلق. {وَمَنْ عِندَهُ} من الملائكة {لاَ يَسْتَكْبِرُونَ}، يعني: لا يتعظمون {عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ} يعني لا يعيون. الحسير المنقطع الواقف إعياء. روي عن عبد الله بن الحارث أنه قال: قلت لكعب الأحبار. رضي الله عنه أرأيت قوله: {يُسَبّحُونَ الليل والنهار لاَ يَفْتُرُونَ}. أما شغلهم رسالة، أما شغلهم عمل؟ فقال لي: ممن أنت؟ فقلت من بني عبد المطلب. فضمني إليه ثم قال: يا ابن أخي إنه جعل لهم التسبيح كما جعل لنا النفس ألست تأكل وتشرب وتذهب وتجيء وأنت تتنفس؟ كذلك جعل لهم التسبيح.

ثم قال عز وجل: {أَمِ اتخذوا الِهَةً}؟ الميم صلة معناه أعبدوا من دون الله آلهةً، ويقال: بل عبدوا آلهة. {مّنَ الارض}، يعني: اتخذوها من الأرض ويقال: من الأرض يعني: في الأرض. {هُمْ يُنشِرُونَ}، يعني: هل يحيون تلك الآلهة شيئاً، وقرئ أيضاً {يُنشِرُونَ} بضم الياء ونصب الشين. هل يحيون أبداً لا يموتون. ثم قال: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا الِهَةٌ إِلاَّ الله} يعني: لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله، {لَفَسَدَتَا}؛ يعني: لخربت السموات والأرض ولهلك أهلها، يعني: أن التدبير لم يكن مستوياً ثم نزّه نفسه عن الشريك فقال تعالى: {فسبحان الله رَبّ العرش عَمَّا يَصِفُونَ}؛ يعني: عما يقولون من الكذب.

قوله عز وجل: {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}، يعني: عما يحكم في خلقه من المغفرة والعقوبة، لأنه عادل ليس بجائر. {وَهُمْ يُسْئَلُونَ}، عما يفعلون بعضهم

ببعض، لأنهم يجورون ولا يعدلون ومعناه، لا يسأل عما يفعل على وجه الاحتجاج عليه، ولكن يسأل عن معنى الاستكشاف والبيان، كقوله عز وجل: {قَالَ رَبِّ لِمَ حشرتنى أعمى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً} [طه: 125]. وروي عن مجاهد أنه قال: لا يسأل عن قضائه وقدره وهم يسألون عن أعمالهم، ويقال: لا يسأل عما يفعل لأنه ليس فوقه أحد وهم يسألون، لأنهم مملوكون.

▲ تفسير الآيات رقم [24- 30]

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (29) أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)}

ثم قال عز وجل: {أَمِ اتخذوا مِن دُونِهِ ءالِهَةً} الميم صلة، يعني: أعبدوا من دونه آلهة؟ {قُلْ هَاتُواْ برهانكم}، يعني: حجتكم وكتابكم الذي فيه عذركم. {هذا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ} إلى يوم القيامة {وَذِكْرُ مَن قَبْلِى}؛ يعني: خبر من قبلي، فلا أجد فيه أن الشرك كان مباحاً في وقت من الأوقات ويقال: {هذا

ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى}، يعني: القرآن وكتب الأولين. ثم قال: {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الحق} يعني لا يصدقون بالقرآن ويقال بالتوحيد. {فَهُمْ مُّعْرِضُونَ}، يعني: مكذبون بالقرآن والتوحيد. ثم بين ما أمر في جميع الكتب للرسل، فقال عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ}، كما يوحى إليك {أَنَّهُ لا إله إِلاَّ أَنَاْ فاعبدون}، يعني: وحدون.

{وَقَالُواْ اتخذ الرحمن وَلَداً} وذلك حين قال مشركو قريش في الملائكة ما قالوا فقال الله تعالى: {سبحانه} نزه نفسه عن الولد. {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ}، يعني: بل عبيد أكرمهم الله تعالى بعبادته. {لاَ يَسْبِقُونَهُ بالقول}، يعني: لا يقولون ولا يعملون شيئاً ما لم يأمرهم. {وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} يعني: يعملون ما يأمرهم به {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} من أمر الآخرة. {وَمَا خَلْفَهُمْ} من أمر الدنيا، {وَلاَ يَشْفَعُونَ}؛ يعني: الملائكة. {إِلاَّ لِمَنِ ارتضى} يعني لمن رضي عنه بشهادة أن لا إله إلا الله. {وَهُمْ مّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}، يعني: من هيبته خائفون، لأنهم عاينوا أمر الآخرة فيخافون عاقبة الأمر.

ثم قال: {وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ}، يعني: من الملائكة: {إِنّى إله مّن دُونِهِ}، يعني: من دون الله، ولم يقل ذلك غير إبليس عدو الله. {فَذَلِكَ}، يعني: ذلك القائل {نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِى الظالمين}، أي: الكافرين. قوله عز وجل: {أَوَ لَمْ *** يَرَ الذين كَفَرُواْ}، يعني: أولم يخبروا في الكتاب؟ قرأ ابن كثير: {أَلَمْ يَرَوْاْ} بغير واو والباقون {أَوَ لَمْ} بالواو ومعناهما قريب. {ءانِ السموات والارض ***** كَانَتَا رَتْقاً ففتقناهما}، يعني: فرقناهما وأبنا بعضها من

بعض؛ وقال مجاهد: كانت السماء لا تمطر والأرض لا تنبت، ففتقناهما بالمطر والنبات، وقال القتبي: كانتا منضمتين ففتقناهما، ففتقنا السماء بالمطر، والأرض بالنبات وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كانت السموات واحدة والأرض واحدة، فتفتقت السماء سبعاً، والأرض مثلهن؛ وقال الزجاج: ذكر السموات والأرض ثم قال: {كَانَتَا رَتْقاً} ففتقناهما، لأن السموات يعبر عنها بالسماء بلفظ الواحد، وأن السموات كانت سماء واحدة وكذلك الأرض؛ والمعنى أن السموات كانت واحدة ففتقتها وجعلتها سبعاً، وكذلك الأرض. وقيل: إنما فتقت السماء بالمطر والأرض بالنبات بدليل قوله: {وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَئ حَىّ}، فقال: رتقاً ولم يقل رتقين، لأن الرتق مصدر، والمعنى كانتا ذواتي رتق، ودلهم بهذا على توحيده حيث قال: {وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَئ حَىّ} يعني: جعلنا الماء حياة كل شيء وهو قول مقاتل؛ وقال قتادة: خلق كل شيء حي من الماء؛ وقال أبو العالية رحمه الله: {وَجَعَلْنَا مِنَ الماء} يعني: من النطفة. {أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ}؟ يعني: أفلا يصدقون بتوحيد الله بعد هذه العجائب.

▲ تفسير الآيات رقم [31 -36]

{وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ (31) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آَيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (32)
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33)
وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (34) كُلُّ نَفْسٍ

ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35) وَإِذَا رَآَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آَلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (36)}

وقوله عز وجل: {وَجَعَلْنَا فِى الارض رَوَاسِىَ}، يعني: الجبال الثقال الثوابت. {أَن تَمِيدَ بِهِمْ}، يعني: كيلا تميل؛ ويقال: كراهية أن تميل بكم. {وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً}، يعني: في الأرض وفي الجبال أودية. والفجاج: جمع فج وهو كل شيء مخترق بين جبلين {سُبُلاً} يعني: طرقاً. {لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}، أي لكي يعرفوا الطرق. {وَجَعَلْنَا السماء سَقْفاً مَّحْفُوظاً} من الشياطين ويقال: محفوظاً من السقوط كيلا تسقط عليهم. {وَهُمْ عَنْ ءاياتها مُعْرِضُونَ} يعني: عن شمسها وقمرها ونجومها وما فيها من الأدلة والعبر معرضون، يعني: لا يتفكرون فيها. وقرأ بعضهم: {وَهُمْ عَنْ ءاياتها مُعْرِضُونَ} ومعناه إن السماء بنفسها أعظم آية، لأنها متمسكة بقدرته.

ثم قال عز وجل: {وَهُوَ الذى خَلَقَ اليل والنهار}، يعني: الظلمة والضوء. {والشمس والقمر كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}، أي في دوران يجرون. وقال قتادة: يعني: يجرون في فلك السلام، وقال الكلبي: كل شيء يدور فهو فلك؛ وقال القتبي: الفلك القطب الذي تدور به النجوم، وهو كوكب خفي بقرب الفرقدين وبنات نعش عليه تدور السماء فقد ذكر بلفظ النعل يسبحون، لأنه وصف منهم الفعل كما ذكر من العقلاء. ثم قال عز وجل: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مّن قَبْلِكَ الخلد}، يعني: في الدنيا {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مّن}؛ وذلك أن أناساً من

الكفار قالوا؛ إن محمداً يموت، فنزل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت وَنَبْلُوكُم بالشر والخير فِتْنَةً}، يعني: بالغنى والفقر والرخاء والشدة {فِتْنَةً}، يعني: اختباراً لهم. {وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} في الآخرة. قرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين {يَرْجِعُونَ} بالياء بلفظ المغايبة، وقرأ الباقون {تُرْجَعُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة، وقرأ ابن عامر في إحدى الروايتين {يَرْجِعُونَ} بنصب الياء.

قوله عز وجل: {وَإِذَا رَاكَ الذين كَفَرُواْ}؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأبي سفيان بن حرب، وأبي جهل بن هشام، فقال أبو جهل لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف. يقول ذلك كالمستهزئ، فنزل قوله: {وَإِذَا رَاكَ الذين كَفَرُواْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً}، يعني: ما يقولون لك إلا سخرية. ثم قال: {أهذا الذى يَذْكُرُ الِهَتَكُمْ} بالسوء؟ ويقال: أهذا الذي يعيب آلهتكم؟ {وَهُمْ بِذِكْرِ الرحمن هُمْ كافرون}، يعني: جاحدون تاركون؛ وهذا كقوله عز وجل {وَإِذَا ذُكِرَ الله وَحْدَهُ اشمأزت قُلُوبُ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة وَإِذَا ذُكِرَ الذين مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر: 45] قال الكلبي: وذلك حين نزل {إِنى أَنَاْ رَبُّكَ فاخلع نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بالواد المقدس طُوًى} [الإسراء: 110] فقال أهل مكة: ما يعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب، فنزل: {وَإِذَا رَآكَ الذين كفروا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أهذا الذى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرحمن هُمْ كافرون}

▲ تفسير الآيات رقم [37- 43]

{خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آَيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ

وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (39) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (40) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (41) قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (42) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (43)}

قوله عز وجل: {خُلِقَ الإنسان مِنْ عَجَلٍ}، أي مستعجلاً بالعذاب وهو النضر بن الحارث، وقال القتبي: {خُلِقَ الإنسان مِنْ عَجَلٍ} أي خلقت العجلة في الإنسان؛ ويقال: إن آدم عليه السلام استعجل حين خلق، واستعجل كفار قريش نزول العذاب، كما استعجل آدم عليه السلام قال الله تعالى: {عَنْ ءاياتي}؛ قال الكلبي رحمه الله: هو ما أصاب قوم نوح وقوم هود وصالح، وكانت قريش يسافرون في البلدان فيرون آثارهم ومنازلهم، ويقال: يعني: القتل ببدر، ويقال: يعني: يوم القيامة. {فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ} بنزول العذاب.

ثم قال عز وجل: {وَيَقُولُونَ متى هذا الوعد}؟ يعني: البعث {إِن كُنتُمْ صادقين}؟ يعني: إن كنت صادقاً فيما تعدنا أن نبعث؟ فنزل قوله عز وجل: {لَوْ يَعْلَمُ الذين كَفَرُواْ حِينَ لاَ يَكُفُّونَ}، يعني: لا يصرفون ولا يرفعون. {عَن وُجُوهِهِمُ النار}، لأن أيديهم تكون مغلولة، {وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ} في

الآخرة، {وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}؛ يعني: لا يمنعون عما نزل بهم من العذاب. وجوابه مضمر، يعني: لو علموا ذلك الآن لامتنعوا من الكفر والتكذيب.

{بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً}، يعني: الساعة تأتيهم فجأة، {فَتَبْهَتُهُمْ}؛ يعني: فتفجؤهم، {فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا}، أي صرفها عن أنفسهم. {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ}، يعني: لا يمهلون ولا يؤجلون. قوله عز وجل: {وَلَقَدِ استهزئ بِرُسُلٍ مّن قَبْلِكَ} كما استهزأ بك قومك، {فَحَاقَ بالذين سَخِرُواْ مِنْهُمْ}؛ أي نزل بالذين سخروا منهم، {مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ}، يعني: العذاب الذي كانوا به يستهزئون. قوله عز وجل {قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم} يعني: من يحفظكم {باليل والنهار مِنَ الرحمن} يعني: من عذاب الرحمن، معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن إلا الرحمن؟ {بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبّهِمْ}، يعني: عن التوحيد والقرآن. {مُّعْرِضُونَ} مكذبون تاركون. قوله عز وجل: {أَمْ لَهُمْ الِهَةٌ}؛ الميم صلة يعني: ألهم آلهة. {تَمْنَعُهُمْ مّن دُونِنَا}، يعني: من عذابنا. {لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ}، يعني: لا تقدر الآلهة أن تمنع نفسها من العذاب أو السوء، إن أرادوا بها فكيف ينصرونكم؟ {وَلاَ هُمْ مّنَّا يُصْحَبُونَ}، يعني: يأمنون من عذابنا، وقال مجاهد: يعني: ولا هم منا ينصرون؛ وقال السدي: لا نصحبهم فندفع عنهم في أسفارهم؛ وقال القتبي: أي لا يجارون، لأن المجير صاحب لمجاره.

▲ تفسير الآيات رقم [44- 50]

{بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (44) قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ

الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ (45) وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (46) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (50)}

ثم قال عز وجل: {بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاء}، يعني: أجلناهم وأمهلناهم {وَءابَاءهُمْ} من قبلهم. {حتى طَالَ عَلَيْهِمُ العمر}، يعني: الأجل. {أَفَلاَ يَرَوْنَ}، يعني: أفلا ينظر أهل مكة؟ {أَنَّا نَأْتِى الارض نَنقُصُهَا}، أي نأخذ ونفتح الأرض ننقصها. {مِنْ أَطْرَافِهَا}؟ ما حول مكة، أي ننقصها بمحمد صلى الله عليه وسلم من نواحيها؛ ويقال: يعني: نقبض أرواح أشراف أهل مكة ورؤسائها؛ وقال الحسن: هو ظهور المسلمين على المشركين؛ وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هو موت فقهائها وذهاب خيارها؛ وقال الكلبي: يعني: السبي والقتل والخراب. ثم قال تعالى: {أَفَهُمُ الغالبون}؟ يعني: أن الله تعالى هو الغالب وهم المغلوبون.

ثم قال عز وجل: {قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بالوحى}، يعني: بما نزل من القرآن. {وَلاَ يَسْمَعُ الصم الدعاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ}، يعني: أن من يتصامم لا يسمع الدعاء إذا ما يخوَّفون. قرأ ابن عامر {وَلاَ تُسْمِعُ الصم الدعاء} بالتاء بلفظ

المخاطبة، ومعناه أن لا تقدر أن تسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون، يعني: إذا خوفوا؛ والباقون {وَلاَ يَسْمَعُ} بالياء على وجه الحكاية.

ثم أخبر عن قلة صبرهم عند العذاب فقال: {وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ}، يعني: من أصابتهم عقوبة من عذاب ربك، ويقال: لئن أصابهم العذاب أي طرف من العذاب، ويقال: أدنى شيء من عذاب ربك. {لَيَقُولُنَّ ياويلنا *** قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظالمين}، أي ظلمنا أنفسنا بترك الطاعة لله.
{وَنَضَعُ الموازين القسط}، يعني: ميزان العدل {لِيَوْمِ القيامة}، يعني: في يوم القيامة. قال ابن عباس: هو ميزان له كفتان، وله لسانان يوزن به الأعمال الحسنات والسيئات، فيجاء بالحسنات في أحسن صورة ويجاء بالسيئات في أقبح صورة. {فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً}، يعني: لا ينقص من ثواب أعمالهم شيئاً؛ {وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ}، يعني: وزن حبة {مِّنْ خَرْدَلٍ}. قرأ نافع {مِثْقَالَ حَبَّةٍ} بضم اللام؛ وقرأ الباقون بالنصب؛ فمن قرأ بالرفع فمعناه وإن حصل للعبد مثقال حبة من خردل، ومن قرأ بالنصب معناه وإن كان العمل مِثْقَالَ حَبَّة يصير خبر كان {أَتَيْنَا بِهَا}، يعني: جئنا بها وأحضرناها، وقرأ بعضهم {ءاتَيْنَا} بالمد، يعني: جازينا بها وأعطينا بها، وقراءة العامة بغير مد. ثم قال: {وكفى بِنَا حاسبين}، يعني: مجازين.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى وهارون الفرقان}؛ يقول: النصرة والنجاة، فنصر موسى وهارون وأهلك عدوهما فرعون. {وَضِيَاء}، يعني: الذي أنزل عليهما من الحلال والحرام في الكتاب. قرأ ابن كثير {***وَضِئَاءً}

بهمزتين، والباقون بهمزة واحدة. {وَضِيَاء وَذِكْراً}، يعني: عظة {لّلْمُتَّقِينَ} الذين يتقون الكفر والفواحش والكبائر، وقال مجاهد: الفرقان الكتاب، وقال السدي: الفرقان والنصر والضياء النور وذكراً قال التوراة، وقال مقاتل: الفرقان والتوراة؛ وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى وهارون الفرقان *** ضِيَاء **وَذِكْراً}، يعني: أعطيناهما التوراة نوراً وعظة؛ ويروى، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى وهارون الفرقان *** ضِيَاء} بغير واو وقال: اجعلوا هذه الواو عند قوله: {والذين استجابوا *** لِلَّهِ}.

ثم قال عز وجل: {الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بالغيب}، يعني: يعملون لربهم في غيب عنه، والله تعالى لا يغيب عنه شيء. {وَهُمْ مّنَ الساعة مُشْفِقُونَ}، يعني: من عذاب الساعة خائفون. قوله عز وجل: {وهذا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ}، يعني: هذا القرآن ذكر مبارك، يعني: فيه السعادة والمغفرة للذنوب والنجاة لمن آمن به. {أنزلناه} لكم {أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}؟ يعني: أفأنتم للقرآن مكذبون جاحدون؟.

▲ تفسير الآيات رقم [51- 60]

{وَلَقَدْ آَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ

وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا إبراهيم رُشْدَهُ مِن قَبْلُ}، يعني: أكرمناه بالمغفرة من قبل النبوة؛ وقال مقاتل: من قبل موسى وهارون؛ وقال مجاهد: من قبل بلوغه؛ وقال الكلبي: يقول ألهمناه رشدَه الخير، وهديناه قبل بلوغه؛ ويقال من قبل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن. {وَكُنَّا بِهِ عالمين} بأنه أهل للرشد، ويقال: للنبوة، ويقال: {وَكُنَّا بِهِ عالمين}. {إِذْ قَالَ}، يعني: حين قال {لاِبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هذه التماثيل}؟ أي التصاوير، يعني: الأصنام، {التى أَنتُمْ لَهَا عاكفون}؛ أي عابدون؛ ويقال: التي عليها مقيمين. روى ميسرة النهدي أن علياً رضي الله عنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: {مَا هذه التماثيل التى أَنتُمْ لَهَا عاكفون}.

فلما قال لهم ذلك إبراهيم، {قَالُواْ وَجَدْنَا ءابَاءنَا لَهَا عابدين}، يعني: فنحن نعبدها. {قَالَ} لهم إبراهيم: {لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءابَاؤُكُمْ فِى ضلال مُّبِينٍ}، يعني: في خطإ بَيِّنٍ. قال السدي: كان أبوه يصنع الأصنام، يبعث بها مع بنيه فيبيعونها، فبعث إبراهيم بصنم ليبيعه، فجعل ينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه؛ وكان إخوته يبيعون ولا يبيع هو شيئاً، وقال أنتم في ضلال مبين.

{قَالُواْ أَجِئْتَنَا بالحق أَمْ أَنتَ مِنَ اللاعبين * قَالَ} إبراهيم بل أقول لكم حقاً وأدعوكم إلى عبادة الله تعالى. {بَلِ} هو {رَبُّكُمْ}، أي خالقكم ورازقكم. {رَبّ * السموات والارض}، هو ربكم {الذى فطَرَهُنَّ}، يعني: هو الذي خلقهن. {وَأَنَاْ على ذلكم مّنَ الشاهدين} بأن الَّذِي خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ هو ربكم، قال عز وجل: {وتالله لاكِيدَنَّ أصنامكم}، يعني: قال إبراهيم: والله لأكسرن أصنامكم. {بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ}، يعني: بعد أن تنطلقوا ذاهبين إلى عيدكم.

وذلك أن القوم كانوا أرادوا أن يخرجوا إلى عيد لهم، فقالوا لإبراهيم: اخرج معنا حتى تنظر إلى عيدنا. وكان القوم في ذلك الزمان ينظرون إلى النجوم فينظر أحدهم ويقول: إنه يصيبني كذا وكذا من الأمر. وكان ذلك معروفاً عندهم، وكانوا إذا خرجوا إلى عيدهم لم يخلفوا بعدهم إلا من كان مريضاً {فَنَظَرَ *** إِبْرَاهِيمَ **نَظْرَةً فِى النجوم * فَقَالَ إِنّى سَقِيمٌ} يعني: أشتكي غداً. فأصبح من الغد معصوباً رأسه، وخرج القوم إلى عيدهم، ولم يتخلف أحد غيره. فلما خرج القوم، قال إبراهيم: أما والله لأكيدن أصنامكم. فسمعه رجل منهم فحفظها عليه. فأخذ إبراهيم فأساً ويقال قَدُوماً، جاء إلى بيت أصنامهم؛ وكانوا قد وضعوا ألوان الطعام بين أيديهم؛ فإذا رجعوا من عيدهم، رفعوا ذلك الطعام ويأكلون تبركاً. ودخل إبراهيم بيت الأصنام، فرأى ذلك الطعام بين أيديهم، فقال: أَلاَ تَأَكُلُونَ؟ فلم يجيبوه، فقال: {مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ *** فَأَقْبَلَ * عَلَيْهِمْ ضَرْباً باليمين}، يعني: جعل يضرب القوم بيده؛ وقال السدي: قطع رؤوسها كلها؛ وقال ابن عباس: كسرها كسراً؛ وقال بعضهم: نَحَتَ وجوههم؛ وقال بعضهم: قطع يد بعضهم ورجل بعضهم وأُذُنَ

بعضهم، فذلك قوله تعالى: {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً}، يعني: فتاتاً؛ ويقال كسرهم قطعاً قطعاً.

وقال أهل اللغة: كل شيء كسرته فقد جذذته؛ وقال أبو عبيد: يعني: فتاتاً ويقال: كسرهم أي استأصلهم، ويقال: جذَّ الله دابرهم أي استأصلهم؛ وقرأ الكسائي: {جِذَاذاً} بالكسر؛ والباقون بالضم. وقُرِئَ في الشاذ {جُذَاذاً} بالنصب، ومعناه قريب بعضها من بعض، وهو الكسر.

{إِلاَّ كَبِيراً لَّهُمْ} لم يكسره وتركه على حاله، وقال الزجاج: يحتمل الكبير في الخلقة، ويحتمل أكبر ما عندهم في تعظيمهم. {لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ}، يعني: إلى الصنم الأكبر؛ ويقال: يرجعون إلى قوله باحتجاجه عليهم لوجوب الحجة عليهم، فجعل القدوم على عنق ذلك الصنم الأكبر. فلما رجعوا من عيدهم، نظروا إلى آلهتهم مكسرة؛ ويقال: حين دخل إبراهيم بيت الأصنام، كان عندهم خدم، يعني: الوصائف، فخرجن وقلن: إن هذا الرجل مريض، جاء يطلب من الآلهة العافية. فلما خرج إبراهيم ودخلن، فنظرن إلى الأصنام مقطوعة الرأس، فخرجن إلى الناس بالويل والصياح وأخبرنهم بالقصة، فتركوا عيدهم ودخلوا فلما رأوا ذلك، {قَالُواْ مَن فَعَلَ هذا بِئَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظالمين} في فعله. {قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ}، أي يَعيبهُمْ؛ ويقال: أخبر الرجل الذي سمع منه فقال: إني سمعت فتى يذكرهم قال: تالله لأكيدن أصنامكم. {يُقَالُ لَهُ إبراهيم}. صار إبراهيمُ رفعاً، بمعنى يقال له هو إبراهيم؛ وقال: يحتمل يقال له إبراهيم رفع على معنى النداء المفرد.

▲ تفسير الآيات رقم [61– 71]

{قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71)}

قوله عز وجل: {قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِ على أَعْيُنِ الناس لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ}، يعني: يشهدون عليه بما يعرفون منه؛ ويقال: يشهدون عقوبتهم له. قال: فجاؤوا به إلى ملكهم النمرود بن كنعان. {قَالُواْ}، أي قال له الملك: {قَالُواْ ءأَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِئَالِهَتِنَا *** إِبْرَاهِيمَ *** قَالَ} إبراهيم؛ {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا}، يعني: عظيم عندكم. وإنما قال هذا على وجه الاستهزاء، لا على وجه الجد. {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ}، يعني: إن كانوا يتكلمون، فسألوهم من فعل هذا بكم. {فَرَجَعُواْ إلى أَنفُسِهِمْ}، فلاموها يعني: إلى أصحابهم. {فَقَالُواْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظالمون}، يعني: حَيْثُ قلتم إن إبراهيم كَسَّرها.

{ثُمَّ نُكِسُواْ على *** رُؤُوسَهُمْ}، يعني: رجعوا إلى قولهم الأول، وقال القتبي: أي ردوا إلى ما كانوا يعرفون من أنها لا تنطق، فقالوا: {لَقَدْ عَلِمْتَ

مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ} يا إبراهيم، يعني: تعلم أنهم لا يتكلمون يا إبراهيم. {قَالَ} لهم إبراهيم: {أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً}؟ إنْ عبدتموهم، {وَلاَ يَضُرُّكُمْ} إن تركتموهم. {أُفٍّ لَّكُمْ}، يعني: قذراً لكم وسحقاً لكم وتعساً لكم؛ والاختلاف في قوله: {أُفّ} مثل ما سبق. {وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله}، يعني: أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله. {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}؟ أن من ليس له ذهن ولا قوة ولا منفعة ولا مضرة أن لا تعبدوه.

قوله عز وجل: {قَالُواْ}، يعني: قال ملكهم: {حَرِّقُوهُ وانصروا ءالِهَتَكُمْ}، يعني: انتقموا لآلهتكم، {إِن كُنتُمْ فاعلين} به شيئاً، فافعلوا فأمر النمرود أهل القرى أن يجمعوا له حطباً أياماً كثيرة، وأمر بأن يبنى بنياناً، فبنى حائطاً مستديراً وجمعوا الحطب ما شاء الله، ثم أضرموا فيه النار، فارتفعت النار حتى بلغت السماء في أعين الناظرين؛ وكانت الطير تمر بها فيصيبها حر النار، فلا تستطيع أن تجوز فيه فتقع ميتة. فلما أرادوا أن يلقوه فيها، لم يستطيعوا لشدة حرها، ولم يقدر أحد أن يدنو منها، فبطل تدبيرهم وكادوا أن يتركوه.

حتى جاء إبليس عدو الله لعنه الله فدلهم على المنجنيق؛ وهو أول منجنيق صُنِعَ وجاؤوا بإبراهيم، فأوثقوا يديه وجعلوه في المنجنيق. وروي في الخبر: أن السموات والأرض والجبال بكوا عليه، وبكت عليه ملائكة السموات، وقالوا: ربنا عبدك إبراهيم يحرق فيك. فقال لهم: إن استغاث بكم فأغيثوه. فلما رمي في المنجنيق، قال: حسبي الله ونعم الوكيل. فرمي به بالمنجنيق في الهواء، فجعل يهوي نحو النار. فقال جبريل: يا رب، عبدك إبراهيم

يحرق فيك، قال الله تعالى: إن استغاث بك فأَغِثْهُ. فأتاه جبريل وهو يهوي نحو النار، فقال: أتطلب النجاة؟ فقال: أما منك فلا.

قال: أفلا تسأل الله أن ينجيك منها؟ فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي. فلما أخلص قلبه لله تعالى، فعند ذلك قال الله تعالى: {قُلْنَا ياذا *** نَّارِ *** كُونِى بَرْداً وسلاما على إبراهيم}، يعني: سلميه من حرِّك وبردك.

قال عكرمة: بردت نار الدنيا كلها يومئذ، فلم ينتفع بها أحد من أهلها؛ وقال كعب: ما أحرقت النار من إبراهيم غير وثاقه؛ وقال قتادة: إن الخطاف كانت تطفئ النار بأجنحتها، وكانت الوزغة تنفخها؛ وروت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقْتُلُوا الوَزَغَةَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْفُخُ عَلَى إبْرَاهِيمَ النَّارَ» وكانت تقتلهن؛ وقال علي بن أبي طالب في قوله: {بَرْداً وسلاما} لو لم يقل وسلاماً، لأهلكه البرد؛ وكذلك قال ابن عباس: فضمه جبريل بجناحه ووضعه على الأرض، وضرب جناحه على الأرض، فأظهر الماء واخضرت الأرض. فلما كان في اليوم الثالث، خرج النمرود مع جيشه وأَشْرَفَ على موضع مرتفع لينظر إلى النار، فرأى في وسط ذلك الموضع ماء وخضرة، ورأى هناك شخصين والنار حواليهما، فقال: إنا قد رمينا إنساناً واحداً، فما لي أَرى فيها شخصين؟ فرجع متحيراً. قال الله تعالى: {وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً}، يعني: حرقاً، {فجعلناهم الاخسرين}؛ يعني: الأذلين الأسفلين، {ونجيناه وَلُوطاً إِلَى الارض التى بَارَكْنَا فِيهَا للعالمين}؛ يعني: إلى الأرض المقدسة، فخرج إبراهيم من ذلك الموضع وقال للوط: إني أريد أن أهاجر،

فصدقه واتبعه، فخرجا إلى بيت المقدس، ويقال إلى الشام {التى بَارَكْنَا فِيهَا} بالماء والثمار للناس.

▲ تفسير الآيات رقم [72– 79]

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77) وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79)}

{وَوَهَبْنَا لَهُ إسحاق{، يعني: الولد. {وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً}، يعني: زيادة؛ وذلك أنه سأل الله تعالى الولد، فأعطاه الله تعالى الولد وهو إسحاق عليه السلام وولد الولد فضله على مسألته وهو يعقوب عليه السلام ويقال: نافلة أي غنيمة. {وَكُلاًّ جَعَلْنَا صالحين}، يعني: أكرمناهم بالإسلام؛ وقال الكلبي: كان لوط ابن أخي إبراهيم، فكان لوط بن هازر بن آزر وهو عم لوط؛ وقال بعضهم: كان ابن عمه، وكانت سارة أخت لوط. ثم قال عز وجل: {وجعلناهم أَئِمَّةً}،

يعني: قادة في الخير؛ ويقال: أكرمناهم بالأمانة والنبوة. {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}، يعني: يدعون الخلق {بِأَمْرِنَا} إلى أمرنا وإلى ديننا. {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخيرات}، يعني: أمرناهم بالأعمال الصالحة، ويقال: بالدعاء إلى الله تعالى، أي قول لا إله إلا الله. {لَّيْسَ البر}، يعني: تمام الصلاة، {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً}؛ يعني: الزكاة المفروضة وصدقة التطوع. {وَكَانُواْ لَنَا عابدين}، يعني: مطيعين.

وقوله عز وجل: {وَلُوطاً}، يعني: واذكر لوطاً إذ {اتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا}، يعني: النبوة والفهم؛ ويقال: {لُوطاً}، يعني: وأوحينا إليهم وآتينا لوطاً حكماً وعلماً، يعني: النبوة والفهم. {ونجيناه مِنَ القرية}، يعني: مدينة سدوما {التى كَانَت تَّعْمَلُ الخبائث}، يعني: اللواطة. {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءِ فاسقين}، يعني: عاصين. {وَأَدْخِلْنَا فِي *** رَّحْمَتِنَا}، يعني: أكرمنا لوطاً في الدنيا بطاعتنا وفي الآخرة بالجنة. {إِنَّهُ مِنَ الصالحين}، يعني: من المرسلين.

قوله عز وجل: {وَنُوحاً}، يعني: واذكر نوحاً {إِذْ نادى مِن قَبْلُ}، يعني: دعا على قومه من قبل إبراهيم وإسحاق، {فاستجبنا لَهُ فنجيناه وَأَهْلَهُ مِنَ الكرب العظيم}؛ يعني: الغرق وتكذيب قومه. {ونصرناه مِنَ القوم}، يعني: على القوم {الذين كَذَّبُواْ بئاياتنا}، يعني: كذبوا نوحاً بما أنذرهم من الغرق، ويقال: {ونصرناه مِنَ القوم}، أي نجيناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا. {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ}، أي كافرين، {فأغرقناهم أَجْمَعِينَ}؛ يعني: الصغير والكبير فلم يبق منهم أحد إلا هلك بالطوفان، قال عز وجل {وَدَاوُودَ وسليمان}، يعني:

واذكر داود وسليمان، {إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الحرث إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القوم وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهدين}؛ وذلك أن غنماً لقوم وقعت في زرع رجل، فأفسدته. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن غنم قوم وقعت في كرم قوم ليلاً حين خرج عناقيده، فأفسدته؛ فاختصموا إلى داود بن أيشا عليه السلام فقوَّم داود الكرم والغنم، فكانت القيمتان سواء، يعني: قيمة الغنم وقيمة ما أفسدت من الكرم؛ فدفع الغنم إلى صاحب الكرم. فخرجوا من عنده، فمروا بسليمان عليه السلام فقال: بمَ قضى بينكم الملك؟ فأخبروه فقال: نِعْمَ ما قضى به، وغير هذا أرفق للفريقين جميعاً.

فرجع أصحاب الكرم والغنم إلى داود، فأخبروه بما قال سليمان؛ فأرسل داود إلى سليمان فقال: كيف رأيت قضائي بين هؤلاء؟ فإني لم أقض بالوحي، إنما قضيت بالرأي. فقال: نِعْمَ ما قضيت. فقال: عزمت عليك أي أنشدك بحق النبوة وبحق الوالد على ولده إلا أخبرتني. فقال سليمان: غير هذا كان أرفق بالفريقين. فقال: وما هو؟ قال سليمان: يأخذ أهل الكرم الغنم، ينتفعون بألبانها وسمنها وصوفها ونسلها؛ ويعمل أهل الغنم لأهل الكرم في كرمهم، حتى إذا عاد الكرم كما كان، ردوه. فقال داود: نِعْمَ ما قضيت به. فقضى داود بينهم بذلك.

وقال بعضهم: كان ذلك القضاء نافذاً فلم ينقض ذلك. وكان سليمان في ذلك اليوم ابن إحدى عشرة سنة فذلك قوله: {إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القوم} يعني: دخلت فيه غنم القوم، ويقال: نفشت أي دخلت فيه بالليل من غير حافظ

لها؛ وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن الزهري رحمهم الله قال: النفش لا يكون إلا ليلاً، والهمل بالنهار؛ وروى قتادة، عن الشعبي أن شاة وقعت في غزل الحواك، فاختصموا إلى شريح رحمه الله فقال شريح: انظروا أوقعت ليلاً أو نهاراً. فإن كان بالليل يضمن، وإن كان بالنهار لا يضمن، ثم قرأ شريح: {إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القوم} وقال: النفش بالليل والهمل بالنهار، وكلاهما الرعي بلا راع.

وروى سعيد بن المسيب أن ناقة البراء بن عازب دخلت حَائِطاً لقوم فأفسدته، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حفظ الأموال على أهلها بالنهار، وعلى أهل الماشية ما أصابت الماشية بالليل. وبهذا الخبر أخذ أهل المدينة، وقال أهل العراق: لا يضمن ليلاً كان أو نهاراً، إلا أن يتعمد صاحبها فيرسلها فيه، وذهبوا إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جُرْحُ العَجْماءِ جُبَارٌ». {وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهدين}، يعني: عالمين.

قوله عز وجل: {ففهمناها سليمان}، يعني: ألهمناها سليمان. {وَكُلاًّ ءاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً}، يعني: النبوة والفهم بالحكم. وروي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: لولا هذه الآية، لم يجرؤ أحد منا أن يفتي في الحوادث. ثم قال: {وَسَخَّرْنَا مَعَ * دَاوُدُ ***الجبال يُسَبّحْنَ والطير}، يعني: كلما سبح داود، يسبح معه الجبال والطير، يعني: سخرنا الجبال والطير يسبحن معه إذا سبح؛ وقال: كان داود يمر بالجبال صبحاً، وهي تجاوبه وكذلك الطير؛ وقال قتادة: {يُسَبّحْنَ} أي يصلين معه إذا صلى، يعني: كل ما سبح داود

تسبح معه الجبال والطير، يعني: سخرنا الطير والجبال يسبحن معه. {وَكُنَّا فاعلين}، يعني: نحن فعلنا ذلك بهما.

▲ تفسير الآيات رقم [80- 83]

{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (82) وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)}

قوله عز وجل: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ}، يعني: دروع الحديد؛ وذلك أن داود خرج يوماً متنكراً، ليسأل عن سيرته في مملكته، فقال جبريل: نِعْمَ الرجل هو، لولا أن فيه خصلة واحدة. قال: وما هي؟ قال: بلغني أنه يأكل من بيت المال، وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كدّ يده. فرجع داود عليه السلام وسأل الله عز وجل أن يجعل رزقه من كدّ يديه، فألان له الحديد، وكان يتخذ منها الدروع ويبيعها ويأكل من ذلك؛ فذلك قوله:
{وَعَلَّمْنَاهُ} يعني: ألهمناه، ويقال: {علمناه} بالوحي صنعة اللبوس لكم.
{لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ}، يعني: يمنعكم قتال عدوكم. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالتاء {لِتُحْصِنَكُمْ}، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {***لنحصنكم} بالنون بدليل قوله وعلمناه وقرأ الباقون بالياء للفظ التذكير يعني: ليحصنكم الله عز وجل، ويقال: يعني: اللبوس، ومن قرأ بالتاء فهو

كناية عن الصنعة، واختار أبو عبيد بالتاء {لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ}، لأن اللبوس أقرب إليه ثم قال: {فَهَلْ أَنتُمْ شاكرون}. اللفظ لفظ الاستفهام، يعني: اشكروا وارث هذه النعم ووحدوه.

قوله عز وجل: {ولسليمان الريح}؛ قرأ عبد الرحمن {الريح} بضم الحاء على معنى الابتداء، وقراءة العامة {الريح} بالنصب، ومعناه وسخرنا لسليمان الريح {عَاصِفَةً}، يعني: قاصفة شديدة، وقال في موضع آخر {فَسَخَّرْنَا لَهُ الريح تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ} [ص: 36] يعني: لينة، فإنها كانت تشتد إذا أراد وتلين إذا أراد {تَجْرِى بِأَمْرِهِ}، يعني: تسير بأمر الله عز وجل، ويقال: بأمر سليمان. {إِلَى الارض التى بَارَكْنَا فِيهَا} بالماء والشجر {وَكُنَّا بِكُلِّ شَئٍ عالمين}، يعني: من أمر سليمان وغيره.

قوله عز وجل: {وَمِنَ الشياطين مَن يَغُوصُونَ لَهُ}، يعني: سخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر، {وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلك} من البنيان وغيره، {وَكُنَّا لَهُمْ حافظين} من أن يهيجوا أحداً في زمانه، ويقال: يحفظهم أن لا يفسدوا ما عملوا، ويقال: {وَكُنَّا لَهُمْ حافظين} ليطيعوا سليمان ولا يعصوه.

قوله عز وجل: {وَأَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ}، يعني: اذكر أيوب عليه السلام روي في الخبر أن أيوب كان بمنزلة الملك، وهو أيوب بن مرضي النبي عليه السلام وكانت له أموال من صنوف مختلفة، وكانت له ضياع كثيرة، وكان له ثلاثمائة زوج ثيران، وغلمان يعملون له في ضياعه، وأموال السوائم من

الغنم والإبل والبقر، وكان متعبداً ناسكاً منفقاً متصدقاً، فحسده إبليس عدو الله وقال: إن هذا يذهب بالدنيا والآخرة. وأراد أن يفسد عليه إحدى الدارين أو كلتيهما، فسأل الله تعالى وقال: إن عبدك أيوب يعبدك، لأنك أعطيته السعة في الدنيا، ولولا ذلك لم يعبدك قال الله تعالى: إني أعلم منه أنه يعبدني ويشكرني، وإن لم يكن له سعة في الدنيا.

فقال: يا رب سلطني عليه. فسلطه على كل شيء منه إلا على روحه.

وجاء إبليس إلى غنمه كهيئة النار، وضرب عليها فأهلك جميع غنمه، فجاءت رعاته فأخبروه بالقصة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال: هو الذي أعطى وهو الذي أخذ، وهو أحق به. ويقال: إنه أحرق غنمه ورعاته، فجاء إبليس على هيئة راع من رعاته فأخبره بذلك، فقال له أيوب: لو كان فيك خير لهلكت مع أصحابك. ثم جاء إلى إبله وبقره ففعل مثل ذلك، ثم جاء إلى زرعه كهيئة النار فأفسد جميع زرعه، فأخبر بذلك، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، وقال: هو الذي أعطى وهو الذي أخذ، وهو أحق به.

وكان له سبعة بنين وثلاث بنات؛ ويقال: سبعة بنين وسبع بنات في بيت، فجاء إبليس عليه اللعنة فهدم البيت عليهم فماتوا كلهم، فذكر ذلك لأيوب فحمد الله تعالى، وأثنى عليه على ذلك، ولم يجزع وقال: هو الذي أعطى ثم أخذ. ثم جاء إلى أيوب وهو في الصلاة، فلما سجد نفخ في أنفه وفمه نفخة، فانتفخ أيوب عليه السلام وخرجت به قروح، وجعل تسيل منها الصديد، وتفرق عنه أقرباؤه وأصدقاؤه، ولم يبق معه إلا امرأته.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: كان اسم امرأته ماحين بنت ميشا بن يوسف بن يعقوب، ويقال: كان اسمها رحمة. فتأذى به جيرانه، وقالوا لامرأته: احمليه من هاهنا، فإنا نتأذى به. فحملته حتى أخرجته إلى كناسة قوم، ووضعته عليها، وجعلت تدخل على الناس وتخدمهم، وتأخذ شيئاً وتنفقه عليه. فكان ذلك البلاء ما شاء الله، فجاء إبليس في صورة طبيب، وقال للمرأة: إن أردت أن يبرأ من علته، فمريه يشرب الخمر، ويتكلم بكلمة الكفر. فأخبرته المرأة بذلك، فقال لها: ذلك إبليس الذي أمرك بهذا، فألحَّت عليه، فغضب وقال: والله لئن برئت، لأضربنك مائة سوط. فقالت: متى تبرأ؟ فقال عند ذلك: ربِ {أَنّى مَسَّنِيَ الضر}.

ويقال: إنه اشتهى شيئاً يتخذ بالسمن، فدخلت امرأته على امرأة غني من الأغنياء وسألتها ذلك، فأبت عليها؛ ثم نظرت إلى ذوائبها، فرأت ذوائبها مثل الحبل، فقالت: لئن دفعت إليّ ذوائبك، دفعت إليك ما تطلبين مني. فدفعت بالمقراض وقطعت ذوائبها ودفعتها إليها، وأخذت منها ما سألت، وجاءت به إلى أيوب فقال لها: من أين لك هذا؟ فأخبرته بالقصة، فبكى أيوب عند ذلك، وقال: رَبِّ {أَنّى مَسَّنِيَ الضر}.

قال بعضهم: مكث أيوب في بلائه سبع سنين، وقال بعضهم: عشر سنين، وروى بعضهم، عن أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

»إنَّ أيُّوبَ نَبِيَّ الله لَبِثَ فِي بَلاَئِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ، إلاَّ رَجُلَيْنِ مِنْ إخْوَانِهِ كَانا يَعُودَانِهِ وَيَغْدُوانِ إلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا

لِصَاحِبِهِ: وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْباً مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ العَالَمِينَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وما ذلك؟ قالَ لَهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ تَعَالَى، فَيَكْشِف ما بِهِ. ثُمَّ رَاحَا إِلَيْهِ فَلَمْ يَصْبِرَا، حَتَّى ذَكَرا ذلكَ لَهُ، فَعِنْدَ ذلكَ قالَ: ربِّ {مَسَّنِيَ الضر}». قال: فلما كان ذات يوم، خرجت امرأته، فأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام في مكانه أن {اركض بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص: 42] فشرب واغتسل، فأذهب الله عز وجل ما به من البلاء، فقال أيوب: كان الركض برجلي أشد علي من البلاء الذي كنت فيه. قال ابن عباس: لما قال الله تعالى له: {اركض بِرِجْلِكَ} ففعل، فانفجرت عين اغتسل منها فصح جسده. ثم قيل له: اركض برجلك ففعل، فخرجت عين فشرب منها، فالتأم ما في جوفه. فلما رجعت إليه المرأة، لم تعرفه، فقالت له: بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله المبتلى؟ فوالله ما رأيت أحداً أشبه به منك إذ كان صحيحاً. قال: فإني أيوب. قال: وكان له آنذاك أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين: إحداهما على أندر القمح فأفرغت الذهب حتى فاض، وأفرغت الأُخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض؛ ذلك قوله تعالى: {إِذْ نادى رَبَّهُ أَنّى مَسَّنِيَ الضر}، أصابني البلاء والشدة {وَأَنتَ أَرْحَمُ الرحمين} فعرض ولم يفصل بالدعاء.

▲ تفسير الآيات رقم [84- 86]

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (86)}

قال الله تعالى: {فاستجبنا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرّ}، يعني: رفعنا ما به من شدة {فاستجبنا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا}؛ قال مقاتل: ولدت امرأة أيوب منه سبعة بنين وثلاث بنات قبل البلاء، فأحياهم الله تعالى؛ ثم ولدت بعد كشف البلاء سبعة بنين وثلاث بنات، فذلك قوله: {وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ}. وقال الكلبي: ولدت سبعة بنين وسبع بنات، فنشروا له، وولدت امرأته مثلهم سبعة بنين وسبع بنات؛ ويقال: آتاه الله عز وجل أهله في الدنيا، ومثلهم معهم في الآخرة. وروى وكيع، عن ابن سفيان، عن الضحاك: أن ابن مسعود بلغه أن مروان بن الحكم قال: {فاستجبنا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا} أي أهلاً غير أهله. فقال ابن مسعود: لا بل أهله بأعيانهم ومثلهم معهم.

ثم قال: {رَحْمَةً مّنْ عِندِنَا}، يعني: نعمة منا. {وذكرى للعابدين}؛ يعني: عظة للمطيعين؛ وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليعتبروا به، لأن أيوب عليه السلام لم يفتر عن عبادة ربه عز وجل في بلائه. ثم قال تعالى: {وإسماعيل وَإِدْرِيسَ}، يعني: واذكر إسماعيل، وهو إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وإدريس وهو جد أبي نوح. {وَذَا الكفل}. قال بعضهم: كان ذو الكفل نبياً؛ وقال مجاهد: ذو الكفل لم يكن نبياً، وكان رجلاً صالحاً، تكفل لبني قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقضي بينهم بالعدل؛ ولذلك سمي ذا الكفل؛

ويقال: إنما ذكره مع الأنبياء عليهم السلام لأنه عمل عمل الأنبياء؛ وقال قتادة: كفل عن رجل صلاته، كان يصلي كل يوم ألف ركعة، فكفل عنه فكان يصلي بعد موته؛ فسمي ذا الكفل؛ ويقال: إنه كفل مائة نبي، وأنجاهم من القتل، وضمهم إلى نفسه، فسمي ذا الكفل. {كُلٌّ مّنَ الصابرين}، يعني: صبروا على طاعة الله عز وجل وعلى ما أصابهم من الشدة في الله تعالى: {وأدخلناهم فِى رَحْمَتِنَا}، يعني: أكرمناهم بالنبوة، ويقال: أدْخلناهم في الجنةِ {إِنَّهُمْ مّنَ الصالحين}، يعني: المطيعين لله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [87- 88]

{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)}

{وَذَا النُّونِ}، يعني: واذكر ذا النون، يعني: ذا السمكة؛ وهو يونس بن متى عليه السلام، يعني: واذكر ذا النون، يعني: ذا السمكة؛ وهو يونس بن متى عليه السلام {إِذ ذَّهَبَ مغاضبا}، يعني: مصارعاً من قومه؛ ويقال: كان ضيق الصدر سريع الغضب؛ وذلك أنه لما دعا قومه إلى الله تعالى، كذبوه فأخبرهم بأن العذاب نازل بهم، فأتاهم العذاب؛ فأخلصوا لله تعالى بالدعاء، فصرف عنهم. وكان يونس اعتزلهم ينتظر هلاكهم، فسأل بعض من مر عليه من أهل تلك المدينة، فلما علم أنهم لم يهلكوا، أنف أن يرجع إليهم

مخافة أن ينسب إلى الكذب وَيُعَيَّرَ به؛ و{ذَّهَبَ مغاضبا}، يعني: أنفاً. قال القتبي: غضب وأنف بمعنى واحد لقربهما.

وقال بعضهم: إنما غضب على الملك؛ وذلك أن ملكاً من الملوك، يقال له ابن تغلب، غزا بني إسرائيل ونزل أيام عافيتهم، أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل، يسمَّى شعياء أن ائت حَزْقِيا الملك، ومره ليبعث نبياً قوياً أميناً. وكان في ملكه خمسة من الأنبياء، فجاء شعياء إلى حزقيا وأخبره بذلك، فدعا الملك يونس بن متى، وأمره بأن يخرج، فأبى أن يخرج وقال: إن في بني إسرائيل أنبياء أقوياء غيري، فعزم عليه الملك، فخرج وهو كاره، فغضب على الملك.

فوجد قوماً قد شحنوا سفينتهم، فقال لهم: أتحملونني معكم؟ فعرفوه فحملوه. فلما شحنت السفينة بهم وأسرعت في البحر، انكفأت وغرقت بهم، فقال ملاحوها: يا هؤلاء، إن فيكم رجلاً عاصياً، وإن السفينة لا تفعل هذا من غير ريح، إلا وفيكم رجل عاصٍ، فاقترعوا فخرج بينهم يونس عليه السلام فقال التجار: نحن أولى بالمعصية من نبي الله. ثم أعادوا الثانية والثالثة، فخرج سهم يونس، فقال: يا هؤلاء، أنا والله العاصي. قال: فتلفف في كسائه وقام على رأس السفينة، فرمى بنفسه فابتلعته السمكة؛ فذلك قوله تعالى: {إِذ ذَّهَبَ مغاضبا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ} يعني: لن يقدر عليه العقوبة، ويقال: إن ذنبه لم يبلغ الذي نقدر عليه العقوبة؛ ويقال: ظن أنا لن نضيق عليه الحبس، كقوله: {وَأَمَّآ إِذَا مَا ابتلاه فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ ربى أَهَانَنِ}

[الفجر: 16] أي ضيق. وقرأ بعضهم: {فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ} بالتشديد، فهو من التقدير، وقراءة العامة بالتخفيف. {فنادى فِى الظلمات}، يعني: في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت: {أَن لاَّ إله إِلاَّ أَنتَ}، أي ليس أحد له سجن كسجنك. {سبحانك} إني تبت إليك. {إِنّى كُنتُ مِنَ الظالمين} لنفسي.

قال الله تعالى: {فاستجبنا لَهُ ونجيناه مِنَ الغم}، يعني: غم الماء في بطن الحوت، ويقال: من غم الذنب وقد بقي في بطن الحوت أربعين يوماً، ويقال: أقل من ذلك.

ثم قال: {وكذلك نُنجِى المؤمنين}. قرأ عاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر في إحدى الروايتين {***نُجِّي} بنون واحدة وتشديد الجيم؛ وقال الزجاج: هو لحن، لأن فعل ما لم يسم فاعله، لا يكون بغير فاعل؛ وإنما كتب في المصحف بنون واحدة، لأن الثانية تخفى مع الجيم؛ وقال أبو عبيدة: والذي عندنا أنه ليس بلحن، وله مخرجان في العربية: أحدهما أنه يريد {ثُمَّ نُنَجّى} مشددة كقوله: ونجيناه من الغم، ثم يدغم النون الثانية في الجيم؛ والآخر معناه نجِّي نجاة المؤمنين. قال: هذه القراءة أحب إلي، لأن المصاحف كلها كتبت بنون واحدة، وهكذا رأيت في مصحف الإمام عثمان رضي الله عنه وقرأ الباقون {نُنجِى المؤمنين} بنونين.

▲ تفسير الآيات رقم [89– 94]

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91) إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (93) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94)}

قوله تعالى: {وَزَكَرِيَّا} يعني: واذكروا زكريا {إِذْ نادى رَبَّهُ}، يعني: إذ دعا ربه: {رَبّ لاَ تَذَرْنِى فَرْداً}، يعني: وحيداً لا وارث لي. {وَأَنتَ خَيْرُ الوارثين}، يعني: أفضل الوارثين. قال الله تعالى: {فاستجبنا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يحيى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}، يعني: رحم امرأته وكانت عقيماً لم تلد قط، سيئة الخلق، فأصلحها الله تعالى. {إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِى الخيرات}، يعني: يبادرون في الطاعات، وهو زكريا وامرأته ويحيى عليهم السلام ويقال: الأنبياء الذين سبق ذكرهم. {وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً}، يعني: رغبة فيما عند الله من الثواب والجنة، ورهباً أي فرقاً من عذاب الله تعالى. {وَكَانُواْ لَنَا خاشعين}، يعني: مطيعين، ويقال: متواضعين.

قوله عز وجل: {والتى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا}، يعني: واذكر مريم التي حفظت نفسها من الفواحش. {فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا}، يعني: نفخ جبريل في نفسها بأمرنا {وجعلناها وابنها ءايَةً} يعني عبرة {للعالمين} أي: لجميع الخلق ويقال آية، ولم يقل آيتين لأن شأنهما واحد الآية فيهما بمعنى واحد بغير أب.

قوله عز وجل: {إِنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}، يعني: دينكم دين الإسلام ديناً واحداً، قرأ بعضهم: {أُمَّةً وَاحِدَةً} بالضم ومعناه إن هذه أمتكم وقد تم الكلام، ثم يقول: {أُمَّةٍ}، يعني: هذه أمة واحدة؛ وقرأ العامة بالنصب على معنى التفسير ثم قال: {وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فاعبدون}، يعني: فوحدوني.

ثم قال: {وَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} يعني: عرفوا فيما بينهم وهم اليهود والنصارى. {كُلٌّ إِلَيْنَا راجعون} في الآخرة، فهذا تهديد للذين تفرقوا في الدين. ثم بيَّن ثواب الذين ثبتوا على الإسلام، فقال تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصالحات}، يعني: الطاعات {وَهُوَ مُؤْمِنٌ}، يعني: مصدق بتوحيد الله عز وجل، {فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ}، يعني: لا يُجحد ولا يُنسى ثواب عمله. والكفران مصدر مثل الشكران والغفران. {وَإِنَّا لَهُ كاتبون}، يعني: حافظين مجازين.

▲ تفسير الآيات رقم [95– 99]

{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آَلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (99)}

قوله عز وجل: {وَحَرَامٌ على قَرْيَةٍ}، يعني: على قرية فيما مضى {أهلكناها} بالعذاب في الدنيا، {أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} إلى الدنيا، قرأ حمزة والكسائي وعاصم

في رواية أبي بكر {وَحَرَّمَ}، الباقون {وَحَرَامٌ} بنصب الحاء والألف. وَحُرْمٌ وَحَرَامٌ بمعنى واحد، كقوله: حلّ وحلال، وروي عن عكرمة، عن ابن عباس أنه كان يقرأ {وَحَرَّمَ} وقال: واجب عليهم أن لا يرجع منهم راجع، ويقال معناه وحرام على أهل قرية أهلكناها أن يتقبل منهم عمل، لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون؛ ويقال: {لاَ يَرْجِعُونَ} لا: زيادة ومعناه حرام عليهم أن يرجعوا.

ثم قال تعالى: {حتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ}، قرأ ابن عامر {فُتِحَتْ} بالتشديد على معنى المبالغة والتكثير؛ وقرأ الباقون بالتخفيف؛ وقرأ عاصم {يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ} بالهمز والباقون بغير همز. {وَهُمْ مّن كُلّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ}، قال مقاتل: يعني: من كل مكان يخرجون، من كل جبل أو أرض أو واد، وخروجهم عند قيام الساعة؛ وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لا يموت واحد منهم إلا ترك من صلبه ألف ذرية فصاعداً. وروى قتادة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أنه قال: الإنس عشرة أجزاء منهم يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء، وجزء واحد سائر الإنس.

وروى سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزبعرى، عن عبد الله بن مسعود قال: يَخْرُجُ يَأْجُوجُ ومأجوج بعد الدجال، يموجون في الأرض فيفسدون فيها، ثم قرأ {وَهُمْ مّن كُلّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ}، أي يخرجون فيبعث الله تعالى عليهم دابة مثل هذا النغف، فتلج في أسماعهم ومناخرهم فيموتون، فتنتن الأرض؛ فيرسل الله تعالى ماء فيطهر منهم، فذلك قوله عز وجل: {إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ}، يعني: أرسلت كقوله: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القرى ءامَنُواْ

واتقوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بركات مِّنَ السمآء والارض ولكن كَذَّبُواْ فأخذناهم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} [الأعراف: 96]، يعني: أرسلنا {وَهُمْ مّن كُلّ حَدَبٍ}، أي من كل أكمة ونشرة من الأرض يخرجون، وقال بعضهم: يكون خروجهم قبل الدجال. والأصح ما روي عن عبد الله بن مسعود.

قوله تعالى: {واقترب الوعد الحق}، يعني: قيام الساعة. {فَإِذَا هِىَ شاخصة}، أي فاتحة {أبصار الذين كَفَرُواْ ياويلنا}، يعني: يقولون: يَا وَيْلَنَا {ياويلنا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ}؛ يعني: في جهل {مّنْ هذا} اليوم. ثم ذكروا أن المرسلين كانوا أخبروهم، فقالوا: {بَلْ كُنَّا ظالمين}، يعني: قد أخبرونا فكذبناهم.

قوله عز وجل: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ}؛ وروي عن علي بن أبي طالب أنه كان يقرأ حطب جهنم، وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ حضب جهنم، بالضاد، وقراءة العامة {حَصَبُ} بالصاد، يعني: رمياً في جهنم.

وكل ما يرمى في جهنم فهو حصب، ويقال: حصب هو الحطب بلسان الزنجية. ومن قرأ: حطب، أي كل ما يوقد به جهنم، ومن قرأ حضب، بالضاد معناه ما يهيج به النار. {أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}، أي داخلون.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قريشاً وهم في المسجد مجتمعون، وثلاثمائة وستون صنماً مصفوفة،

وصنم كل قوم بحيالهم؛ فقال: «{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ} يعني: من هذه الأصنام، فِي النَّارِ». ثم انصرف عنهم، فشق ذلك عليهم مشقة عظيمة شديدة. وأتاهم عبد الله بن الزبعرى، وكان شاعراً، فقال: ما لي أراكم بحال لم أركم عليها قبل؟ فقالوا: إن محمداً يزعم أنا وما نعبد في النار. فقال: لو كنت هاهنا لخصمته. فقالوا: هل لك أن نرسل إليه؟ فقال: نعم. فبعثوا إليه، فأتاهم، فقال له ابن الزبعرى: أرأيت ما قلت لقومك آنفاً، أخاص لهم أم عام؟ فقال: بل عام، كل من عبد من دون الله فهو وما يعبد في النار. قال: أرأيت عيسى ابن مريم عليه السلام هذه النصارى تعبده، فعيسى والنصارى في النار؟ وهذا عزير تعبده اليهود، فعزير واليهود في النار؟ وهذا حي يقال لهم بنو مليح يعبدون الملائكة، فالملائكة وهم في النار؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم، فضج أصحابه وضحكوا فنزل: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابن مَرْيَمَ مَثَلاً}، ونزل في عيسى وعزير والملائكة {إِنَّ الذين سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الحسنى أولئك عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء: 101].

يقال إن هذه القصة لا تصح، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب، وأنطقهم لساناً، وأحضرهم جواباً كما وصف نفسه: «أَنَا أَفْصَحُ العَرَبِ» فلا يجوز أن يسكت على مثل هذا السؤال، ولم يكن السؤال لازماً؛ ويقال: كان سكوته الاستخفاف، لأنه سئل سؤالاً محالاً، لأنه قال: إنكم وما تعبدون من دون الله، ولم يقل ومن تعبدون. وما لا يقع على النواطق، ومن تقع على النواطق؛ ويقال: هذا القول يقال لهم يوم القيامة، لأنه قال: {قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مّنْ هذا بَلْ كُنَّا ظالمين}. يقال لهم عند ذلك: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ

مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ}، فإن قيل: ما الحكمة في إدخال الأصنام في النار؟ قيل: زيادة عقوبة للكفار، لأن الأصنام أحجار، فيكون الحر فيها أشد؛ ويقال: الفائدة في إدخال المعبود النار زيادة ذل وإصغار عليهم، حيث رأوا معبودهم في النار معهم من غير أن يكون للأصنام عقوبة، لأنه لا يجوز التعذيب بذنب غيرهم. ثم قال تعالى: {لَوْ كَانَ هَؤُلاء ءالِهَةً}، يعني: الأصنام {مَّا وَرَدُوهَا}، أي ما دخلوها ومنعوا أنفسهم من النار. {وَكُلٌّ فِيهَا خالدون}، يعني: العابد والمعبود.

▲ تفسير الآيات رقم [100- 104]

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (100) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104)}

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ}، يعني: في النار صوتهم مثل نهيق الحمار. {وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ}، يعني: عيسى وعزيراً في الجنة لا يسمعون زفيرهم؛ ويقال: يعني: أن أهل النار لا يسمعون في النار الصوت، وذلك حين يقال لهم: {اخسئوا فِيهَا وَلاَ تُكَلّمُونِ}، فصاروا صماً بكماً عمياً ثم قال عز وجل: {إِنَّ الذين سَبَقَتْ لَهُمْ مّنَّا الحسنى}، يعني: الذين وجبت لهم منا الجنة، يعني: عيسى وعزيراً. {أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}، يعني: منجون من النار.

قوله: {لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيَسَهَا}، يعني: صوت جهنم {وَهُمْ *** فِيمَا *** اشتهت أَنفُسُهُمْ}، يعني: لهم ما تمنت أنفسهم في الجنة. {خالدون}، يعني: دائمين. {لاَ يَحْزُنُهُمُ الفزع الاكبر}؛ قال ابن عباس رضي الله عنه يعني: النفخة الأخيرة دليل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصور فَفَزِعَ مَن فِى السماوات وَمَن فِى الارض إِلاَّ مَن شَآءَ الله وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخرين} [النمل: 87]، وقال الحسن: حين يؤمر بالعبد إلى النار؛ وقال مقاتل: إذا ذبح الموت بين الجنة والنار، فيأمن أهل الجنة من الموت ويفزع أهل النار، فيفزعون حين أيسوا من الموت؛ وقال الكلبي، وسعيد بن جبير، والضحاك: إنه حين وضع الطبق على النار بعد ما أخرج منها من أخرج، فيفزعوا لذلك فزعاً لم يفزعوا لشيء قط؛ وذلك الفزع الأكبر. وقال مقاتل، وابن شريح: حين يذبح الموت على هيئة كبش أملح على الأعراف، والفريقان ينظرون فينادى: يا أهل الجنة، خلود لا موت؛ ويا أهل النار، خلود لا موت. وقال ذو النون المصري: هو القطيعة والفراق؛ ويقال: إنه الموت، لأن أول هول يراه الإنسان من أمر الآخرة هو الموت؛ ويقال: الفزع الأكبر عند قوله: {وامتازوا اليوم أَيُّهَا المجرمون} [يس: 59] ويقال: هذا حين دعوا إلى الحساب؛ ويقال: عند الصراط.

ثم قال تعالى: {وتتلقاهم الملئكة}، يعني: يوم القيامة لأهل الجنة. قال مقاتل: يعني الملائكة الذين كتبوا أعمال بني آدم، حين خرجوا من قبورهم فيقولون للمؤمنين: {هذا يَوْمُكُمُ الذى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} في الجنة؛ وقال الكلبي:

تتلقاهم الملائكة عند باب الجنة ويبشرونهم بذلك، ويقولون: {هذا يَوْمُكُمُ الذى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} في الدنيا.

قوله عز وجل: {يَوْمَ نَطْوِى السماء}، يعني: واذكر يوم نطوي السماء، {كَطَىِّ السجل لِلْكُتُبِ}. قال السدي: السجل ملك موكل بالصحف؛ فإذا مات الإنسان، دفع كتابه إلى السجل فطواه؛ ويقال: السجل الصحيفة، ويقال: السجل الكاتب.

وروى أبو الجوزاء، عن ابن عباس قال: السجل كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الله تعالى أنه يطوي السماء يوم القيامة، كما يطوي السجل الكتاب. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {لِلْكُتُبِ} بلفظ الجماعة؛ وقرأ الباقون: {للكتاب} بلفظ الواحد، وقرأ أبو حفص المدني {فِى السماء} بالتاء والضم على فعل ما لم يسم فاعله؛ وقراءة العامة {نَطْوِى السماء} بالنون؛ وقرأ بعضهم: السجل بجزم الجيم والتخفيف، وقراءة العامة بالتشديد وبكسر الجيم.

ثم استأنف الكلام فقال تعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}، يعني: خلقهم في الدنيا يعيدهم في الآخرة؛ ويقال: كما بدأناهم شقياً وسعيداً في الدنيا. فكذلك يكونون في الآخرة؛ ويقال: كما بدأنا أول خلق من نطفة في الدنيا، نعيده وأن تمطر السماء أربعين يوماً كمني الرجال فينبتون فيه. {وَعْداً عَلَيْنَا}، يعني: وعدنا البعث صدقاً وحقاً لا خلاف فيه، كقوله {تَنزِيلُ الكتاب لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العالمين} [السجدة: 2] {وَعْداً} صار نصباً للمصدر. {إِنَّا كُنَّا

فاعلين} بهم، أي باعثين بعد الموت. وروي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً، ثمَّ قال: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}».

▲ تفسير الآيات رقم [105- 112]

{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (106) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107) قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (109) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (110) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (111) قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112)}

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزبور}، يعني: في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وكل كتاب زبور. {مِن بَعْدِ الذكر}، يعني: من بعد اللوح المحفوظ؛ ويقال: الذكر التوراة، يعني: كتبنا في الإنجيل والزبور والفرقان من بعد التوراة، أي بيَّنا في هذه الكتب {إِنَّ الارض}، يعني: أرض الجنة {يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصالحون}، يعني: ينزلها عبادي المؤمنون، وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل رضي الله عنه ويقال: إن الأرض المقدسة يرثها، أي ينزلها، بنو إسرائيل؛ ويقال: يعني أرض الشام يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ويقال جميع الأرض تكون في آخر الزمان. كما قال النبي

صلى الله عليه وسلم: «سَيَبْلُغُ مُلْكُ أمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا». قوله عز وجل: {إِنَّ فِى هذا}، أي في هذا القرآن. {لبلاغا} إلى الجنة {لِّقَوْمٍ عابدين}، أي موحدين؛ ويقال: في هذا القرآن لبلاغاً بلغهم من الله عز وجل لقوم مطيعين. وعن كعب أنه قال: إنهم أهل الصلوات الخمس. قوله عز وجل: {وَمَا أرسلناك إِلاَّ رَحْمَةً للعالمين}، يعني: ما بعثناك يا محمد إلاَّ رحمة للعالمين، يعني: نعمة للجن والإنس؛ ويقال: {للعالمين} أي لجميع الخلق، لأن الناس كانوا ثلاثة أصناف: مؤمن وكافر ومنافق. وكان رحمة للمؤمنين، حيث هداهم طريق الجنة؛ ورحمة للمنافقين، حيث أمنوا القتل؛ ورحمة للكافرين بتأخير العذاب. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: من آمن بالله ورسوله فله الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي أن يصيبه ما كان يصيب الأمم السالفة قبل ذلك؛ فهو رحمة للمؤمنين والكافرين. وذكر في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: يقول الله عز وجل: {وَمَا أرسلناك إِلاَّ رَحْمَةً للعالمين}، فهل أصابك من هذه الرحمة؟ قال: نعم أصابني من هذه الرحمة. أني كنت أخشى عاقبة الأمر، فآمنت بك لثناء أثنى الله تعالى عليّ بقوله عز وجل: {ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى العرش مَكِينٍ * مطاع ثَمَّ أَمِينٍ} [التكوير: 20/21].

قوله عز وجل: {قُلْ إِنَّمَا يوحى إِلَيَّ أَنَّمَا إلهكم إله واحد}، أي ربكم رب واحد. {فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ}؟ أي مخلصون بالتوحيد، ويقال: مخلصون بالعبادة. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر يعني: أسلموا. ثم قال: {فَإِن تَوَلَّوْاْ}؛ قال: فإن أعرضوا عن الإيمان، {فَقُلْ ءاذَنتُكُمْ} يعني: أعلمتكم {على

سَوَاء}، أي على بيان علانية غير سر؛ ويقال: أعلمتكم بالوحي الذي يوحى إليّ، لنستوي في الإيمان به؛ ويقال: معناه أعلمتكم، فقد صرت أنا وأنتم على سواء. وهذا من الاختصار.

ثم قال عز وجل: {وَإِنْ أَدْرِى}، يعني: وما أدري، {أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ} من نزول العذاب بكم في الدنيا فقل لهم: {إِنَّهُ يَعْلَمُ الجهر مِنَ القول}، يعني: العلانية. {وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ}، يعني: ما تسرون من التكذيب بالعذاب. ثم قال عز وجل: {وَإِنْ أَدْرِى}، يعني: وما أدري {لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ}، لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا فتنة لكم، لأنهم كانوا يقولون: لو كان حقاً لنزل بنا العذاب. {ومتاع إلى حِينٍ}، أي بلاغ إلى منتهى آجالكم، يعني: تعيشون إلى الموت.

قوله عز وجل: {قَالَ رَبّ احكم بالحق}، يعني: اقض بيني وبين أهل مكة بالعدل، ويقال: بالعذاب {وَرَبُّنَا الرحمن}، أي العاطف على خلقه بالرزق. {المستعان على مَا تَصِفُونَ}، يعني: أستعين به على ما تقولون وتكذبون؛ ويقال: المطلوب منه العون والنصرة. وروي عن الضحاك أنه قرأ {قُل رَّبّ * احكم بالحق} على معنى الخبر على ميزان افعل، يعني: هو أحكم الحاكمين. قال: لأنه لا يجوز أن يسأل أن يحكم بالحق، وهو لا يحكم إلاَّ بالحق. وقرأه العامة {قُل رَّبّ *** أَحْكَمُ} على معنى السؤال؛ معناه احكم بحكمك. ثم يخبر عن ذلك الحكم أنه حق، قرأ عاصم في رواية حفص {قَالَ رَبّ احكم} على معنى الحكاية؛ وقرأ الباقون {قُل رَّبّ *** أَحْكَمُ}. وقرأ ابن

عامر في إحدى الروايتين {على مَا * يَصِفُونَ} بالياء بلفظ المغايبة، وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة، وقرأ حمزة {الزبور} بضم الزاي؛ وقرأ الباقون بالنصب؛ والله أعلم بالصواب.

▲ سورة الحج

▲ تفسير الآيات رقم [1– 2]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)}

ياأيُّها النَّاسُ اتّقُوا رَبَّكُمْ}، يقول: أطيعوا ربكم؛ ويقال: اخشوا ربكم.، يقول: أطيعوا ربكم؛ ويقال: اخشوا ربكم. {إِنَّ زَلْزَلَةَ الساعة شَئ}، يعني: قيام الساعة {شَئ عَظِيمٌ}؛ يقول: هولها عظيم. والزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحال الهائلة من قولهم: زلت قدمه، إذا زالت عن الجهة سرعة. ثم وصف ذلك اليوم فقال: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ}، يعني: تشغل كل مرضعة {عَمَّا أَرْضَعَتْ}، يعني: كل ذات ولد رضيع؛ ويقال: تحَير كل والدة عن ولدها. {وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا}، أي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم.

وروى منصور، عن إبراهيم، عن عَلْقَمَة {إِنَّ زَلْزَلَةَ الساعة شَئ عَظِيمٌ} قال: هذا بين يدي الساعة؛ وقال مقاتل: وذلك قبل النفخة الأولى، ينادي ملك من

السماء: يا أيها الناس أتى أمر الله. فيسمع الصوت أهل الأرض جميعاً، فيفزعون فزعاً شديداً، ويموج بعضهم في بعض، فيشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، وتضع الحوامل ما في بطونها؛ وتزلزلت الأرض، وطارت القلوب. وعن سعيد بن جبير أنه قال: إنما هو عند النفخة الأولى التي هي الفزع الأكبر؛ ويقال: هو يوم القيامة. وقال: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم قال: حدّثنا الدبيلي قال: حدّثنا أبو عبد الله قال: حدّثنا سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان قال: سمعت الحسن يقول: حدّثنا عمران بن الحسين قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير، فنزلت عليه هذه {تَصِفُونَ ياأيها الناس اتقوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ الساعة شَئ عَظِيمٌ}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم،» " أَتَدْرُونَ أيُّ يَوْمٍ ذلكَ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يَوْمَ يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ لآدَمَ. قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ أَهْلِ الجَنَّةِ. قالَ: فيقولُ آدَمْ: وَمَا بَعْثُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ يقولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعٌ وَتِسْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الجَنَّةِ. قال: فَأَنْشَأَ القَوْمُ يبكون«". فقال النبي صلى الله عليه وسلم:» " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَطَّ، إلاَّ كَانَتْ قَبْلَهُ جَاهِلِيَّةٌ، فَيُؤْخَذُ العَدَدُ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ. فإنْ لَمْ يَكُنْ كملَ العددُ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ، أخذَ من المنافقينَ. وَمَا مَثَلُكُمْ في الأمَمِ، إلا كَمَثَلِ الرّقْمَةِ في ذِراعٍ، وَكالشَّامَةِ في جَنْبِ البَعِيرِ«". ثم قال عليه الصلاة والسلام: "»إِنِّي لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ«" فَكبروا، ثم قال: "»إِنَّ مَعَكُمْ لَخَلِيقَتَيْنِ ما كانتا في شَيْءٍ إلا كَثَّرَتَاهُ: يأجوجُ ومأجوجُ ومن مات من كفرةِ الجَنَّةِ وَالإِنْسِ«". وروى أبو سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يَقُولُ الله

تَعَالَى لآدَمَ: قُمْ فَابْعَثْ أَهْلَ النَّارِ. فقالَ: يا رَبِّ وَمَا بَعْثُ أَهْلِ النَّارِ؟ فيقولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وتسعةٌ وتسعون. فَعِنْدَ ذلكَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ الحَامِلُ ما فِي بَطْنِها«"

ويقال: هذا على وجه المثل، لأن يوم القيامة لا يكون فيه حامل ولا صغير، ولكنه بيَّن هول ذلك اليوم، أنه لو كان فيه حاملاً، لوضعت حملها من شدة ذلك اليوم.

ثم قال تعالى: {وَتَرَى الناس سكارى وَمَا هُم بسكارى}، يعني: ترى الناس سكارى من الهول، أي كالسكارى وما هم بسكارى من الشراب. {ولكن عَذَابَ الله شَدِيدٌ}؛ قرأ حمزة والكسائي {وَتَرَى الناس سكارى وَمَا هُم بسكارى} بغير ألف؛ وقرأ الباقون كلاهما بالألف. وروي عن ابن مسعود وحذيفة أنهما قرآ {سكارى} وهو اختيار أبي عبيدة؛ وروي عن أبي زرعة أنه قرأ على الربيع بن خثيم {وَتَرَى} بضم التاء؛ وقراءة العامة بالنصب.

▲ تفسير الآيات رقم [3- 6]

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (4) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ

يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)}

قوله عز وجل: {وَمِنَ الناس مَن يجادل فِى الله}، يعني: يخاصم في الله، يعني: في وحدانية الله؛ ويقال: في دين الله. {بِغَيْرِ عِلْمٍ}، يعني: بغير حجة؛ ويقال: بغير علم يعلمه، وهو النضر بن الحارث وأصحابه. {وَيَتَّبِعُ كُلَّ شيطان مَّرِيدٍ}، يعني: يطيع ويعمل بأمر كل شيطان متمرد في معصية الله عز وجل؛ ويقال: معناه ويتبع ما سول له الشيطان. والمريد: الفاسد، يقال: مرد الشيء إذا بلغ في الشر غايته؛ ويقال: مرد الشيء إذا جاوز حد مثله.

ثم قال عز وجل: {كُتِبَ عَلَيْهِ}، يعني: قضي عليه، يعني: الشيطان. {أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ}، يعني: من يتبع الشيطان؛ {فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ} عن الهدى، {وَيَهْدِيهِ}؛ يعني: يدعوه {إلى عَذَابِ السعير}، يعني: إلى عمل عذاب النار. قوله عز وجل: {يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس}، يعني: يا كفار مكة. {إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ}، يعني: في شك {مِّنَ البعث} بعد الموت، فانظروا إلى بدء خلقكم. {فَإِنَّا خلقناكم مّن تُرَابٍ} يعني: من آدم عليه السلام من تراب. {ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ}، وهي الدم العبيط الجامد وجمعها علق. {ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ}، وهي اللحمة القليلة قدر ما يمضغ مثل قطعة كبد. {مُّخَلَّقَةٍ}، أي تامة {وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ}، يعني: غير تامة، وهو السقط؛ ويقال: مصورة وغير مصورة.

{لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ} بدء خلقكم؛ ويقال: يخرج السقط من بطن أمه مصوراً أو غير مصور لنبين لكم بدء خلقكم كيف نخلقكم في بطون أمهاتكم؛ ويقال: لنبين لكم في القرآن أنكم كنتم كذلك. {وَنُقِرُّ فِى الارحام مَا نَشَاء} فلا يكون سقطاً. {إِلى أَجَلٍ مٌّسَمًّى}، يعني: إلى وقت خروجه من بطن أمه؛ ويقال: إلى وقت معلوم لتسعة أشهر. {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً} من بطون أمهاتكم أطفالاً صغاراً؛ وقال القتبي: لم يقل أطفالاً، لأنهم لم يخرجوا من أم واحدة، ولكنه أخرجهم من أمهات شتى، فكأنه قال: يخرجكم طفلاً طفلاً.

{ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ}، يعني: ثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة، ويقال: إلى ست وثلاثين سنة. والأشد هو الكمال في القوة والخير. {وَمِنكُمْ مَّن يتوفى} مِنْ قَبْل أن يبلغ أشده، {وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ العمر}، أي أضعف العمر وهو الهرم؛ ويقال: يعني: يرجع إلى أسفل العمر، يعني: يذهب عقله. {لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً}، يعني: لكيلا يعقل بعد عقله الأول.

ثم دلهم على إحياء الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: {وَتَرَى الارض هَامِدَةً}، يعني: ميتة يابسة جافة ذات تراب. {فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الماء}، يعني: المطر، {اهتزت}؛ يعني: تحركت بالنبات.

كقوله عز وجل: {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ولى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ياموسى لاَ تَخَفْ إِنّى لاَ يَخَافُ لَدَىَّ المرسلون} [النمل: 10] يعني: تتحرك؛ ويقال: اهتزت، يعني: استبشرت. {وَرَبَتْ}، يعني: انتفخت للنبات. وأصلهُ من ربا يربو، وهو الزيادة. {وَأَنبَتَتْ مِن كُلّ زَوْجٍ}، يعني: من كل

صنف من ألوان النبات. {بَهِيجٍ}، يعني: حسناً حتى يُبْهَجَ به، فدلهم للبعث بعد إحياء الأرض، ليعتبروا ويعلموا بأن الله هو الحق، وعبادته هي الحق، وغيره من الآلهة باطل. {ذلك بِأَنَّ الله هُوَ الحق وَأَنَّهُ يُحْيِ الموتى}؛ أي يعلم أنه يحيي الموتى. {وَأَنَّهُ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ}، أي قادر على كل شيء من البعث وغيره.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 11]

{وَأَنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (10) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)}

قوله عز وجل: {وَأَنَّ الساعة}، يعني: يَعْلَمُوا أَنَّ السّاعَة {ءاتِيَةٌ}، أي كائنة أي جائية. {لاَ رَيْبَ فِيهَا}، أي لا شك فيها عند المؤمنين، وعند كل من كان له عقل وذهن. {وَأَنَّ الله يَبْعَثُ مَن فِى القبور}. قوله عز وجل: {وَمِنَ الناس مَن يجادل فِى الله}، يعني: يخاصم في دين الله عز وجل {بِغَيْرِ عِلْمٍ}، أي بلا بيان وحجة، {وَلاَ هُدًى}؛ يعني: ولا دليل واضح من المعقول، {وَلاَ كتاب مُّنِيرٍ} يعني: ولا كتاب منزل مضيء فيه حجة.

{ثَانِىَ عِطْفِهِ}، يعني: لاوي عنقه عن الإيمان، وهو على وجه الكِنَايَةِ، ومعناه يجادل في الله بغير علم متكبراً؛ ويقال {ثَانِىَ عِطْفِهِ}، أي معرضاً عنه. {لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ}؛ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: {لِيَضِلَّ} بنصب الياء، يعني: ليعرض عن دين الله عز وجل، والباقون بالضم، يعني: ليصرف الناس عن دين الإسلام. قال الله تعالى: {لَهُ فِى الدنيا خِزْىٌ}، يعني: النضر بن الحارث قتل يوم بدر صبراً، {وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القيامة عَذَابَ الحريق}؛ يعني: عذاب النار فأخبر الله تعالى أن ما أصابه في الدنيا من الخزي، لم يكن كفارة لذنوبه.

ثم قال عز وجل: {ذلك}، يعني: ذلك العذاب، يعني: يقال له يوم القيامة: هذا العَذَابُ {بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ}، يعني: بما عملت يداك. وذكر اليدين كناية، يعني: ذلك العذاب بكفرك وتكذيبك. {وَأَنَّ الله لَيْسَ بظلام لّلْعَبِيدِ}، يعني: لا يعذب أحداً بغير ذنب.

قوله عز وجل: {وَمِنَ الناس مَن يَعْبُدُ الله على حَرْفٍ}، يعني: على شك، وعلى وجه الرياء، ولا يريد به وجه الله تعالى؛ ويقال: على شك. والعرب تقول: أنت على حرف، أي على شك؛ ويقال: على حرف بلسانه دون قلبه. وروي عن الحسن أنه قال: {يَعْبُدُ الله على حَرْفٍ} أي على إيمان ظاهر وكفر باطن؛ ويقال: {على حَرْفٍ}، أي على انتظار الرزق. وهذه الآية مدنية، نزلت في أناس من بني أسد أصابتهم شدة شديدة فاحتملوا العيال، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأغلوا الأسعار بالمدينة.

{فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطمأن بِهِ}، يعني: إن أصابه سعة وغنية وخصب اطمأن به؛ وقال: نعم الدين دين محمد صلى الله عليه وسلم. {وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ}، أي بلية وضيق في المعيشة، {انقلب على وَجْهِهِ}؛ أي رجع إلى كفره الأول؛ وقال: بئس الدين دين محمد. {خَسِرَ الدنيا والاخرة}، أي غبن الدنيا والآخرة؛ في الدنيا بذهاب ماله، وفي الآخرة بذهاب ثوابه؛ ويقال: خسر الدنيا والآخرة، لأنه لم يدرك ما طلب من المال، وفي الآخرة بذهاب الجنة. وروي عن حميد أنه كان يقرأ {***خَاسِرَ} بالألف، وقراءة العامة {لَفِى خُسْرٍ} بغير ألف. {ذلك هُوَ الخسران المبين}، يعني: الظاهر البين.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 15]

{يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (13) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (14) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15)}

قوله عز وجل: {يَدْعُواْ *** مِن دُونِ الله}، يعني: يعبد من دون الله {مَا لاَ يَضُرُّهُ}، إن لم يعبده، يعني: الصنم، {وَمَا لاَ يَنفَعُهُ} إن عبده. {ذلك هُوَ الضلال البعيد}، يعني: الخطأ البين؛ ويقال: في خطأ طويل بعيد عن الحق. {يَدْعُواْ *** لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ}، يعني: يعبد لمن إثمه وعقوبته أكثر من ثوابه ومنفعته؛ ويقال: ضره في الآخرة أكثر من نفعه في

الدنيا؛ فإن قيل: لم يكن في عبادته نفع البتة، فكيف يقال: من نفعه ولا نفع له؟ قيل له: إنما قال هذا على عاداتهم؛ وهم يقولون لشيء لا منفعة فيه: ضره أكثر من نفعه، كما يقولون لشيء لا يكون هَنَا بَعِيدٌ، كما قالوا {أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ} [ق: 3].

ثم قال تعالى: {لَبِئْسَ المولى}، يعني: بئس الصاحب، {وَلَبِئْسَ العشير}؛ يعني: بئس الخليط؛ ويقال: معناه من كانت عبادته عقوبة عليه، فبئس المعبود هو. ثم ذكر ما أعد الله تعالى لأهل الصلاح والإيمان، فقال تعالى: {إِنَّ الله يُدْخِلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}، يعني: يحكم في خلقه ما يشاء من السعادة والشقاوة.

قوله تعالى: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ الله}، الهاء كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويجوز في اللغة الإضمار في الكناية وإن لم تكن مذكورة إذا كان الأمر ظاهراً، كقوله تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله الناس بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ولكن يُؤَخِّرُهُمْ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ الله كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً} [فاطر: 45]، يعني: على ظهر الأرض، وكقوله عز وجل: {فَقَالَ إِنى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخير عَن ذِكْرِ رَبِى حتى تَوَارَتْ بالحجاب} [ص: 32] يعني: الشمس. ومعناه من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالغلبة والحجة. {فِى الدنيا والاخرة} الشفاعة في {الاخرة}.

قوله: {فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السماء}، يعني: فليربط بحبل من سقف البيت، لأن كل ما علاك فهو سماء. {ثُمَّ لْيَقْطَعْ}، يعني: ليختنق، {فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ}، يعني: اخْتِنَاقُه. {مَا يَغِيظُ}، معناه هل ينفعه ذلك. قال ابن عباس: نزلت الآية في نفر من أسد وغطفان، فقالوا: نخافُ أن لن ينصر الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فيقطع ما بيننا وبين حلفائنا من المودة يعني: اليهود وقال القتبي: كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين، يستبطئون ما وعد لهم من النصرة، وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يتم لهم أمره، فنزل {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ الله}، يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم بعدما سمعوا منه النصرة والإظهار.

ولكن كلام العرب على وجه الاختصار، يعني: إن لم تثق بما أقول لك، فاذهب واختنق أو اجتهد جهدك.

قال: وفيه وجه آخر، وهو أن يكون هاهنا السماء بعينها لا السقف، فكأنه قال {فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السماء} أي بحبل وليرتق فيه، ثم ليقطع، يعني: الحبل، حتى يخر فيهلك، فلينظر هل ينفعه، كقوله عز وجل: {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِن استطعت أَن تَبْتَغِىَ نَفَقاً فِى الارض أَوْ سُلَّماً فِى السمآء فَتَأْتِيَهُمْ بِأايَةٍ وَلَوْ شَآءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهدى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجاهلين} [الأنعام: 35] وقال أبو عبيدة: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ الله فِى الدنيا والاخرة} يعني: أن لن يرزقه الله. وذهب إلى قول العرب: أرض منصورة، أي ممطورة؛ فكأنه قال: من كان قانطاً من رزق الله ورحمته، فليفعل ذلك

{فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ}، أي حيلته ما يغيظ، أي غيظه لتأخير الرزق عنه؛ وقال الزجاج: من كان يظن أن لن ينصره الله، يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم، حتى يظهره الله على الدين كله فليمت غيظاً.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 18]

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)}

ثم قال تعالى: {وكذلك أنزلناه}، يعني: جبريل عليه السلام بالقرآن {بَيّنَاتٍ فاسأل}، يعني: واضحات بالحلال والحرام. {وَأَنَّ الله يَهْدِى مَن يُرِيدُ}، يعني: يرشد إلى دينه من كان أهلاً لذلك، فيوفقه لذلك؛ وهذا كقوله: {والله يدعوا إلى دَارِ السلام وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [يونس: 25].

{إِنَّ الذين ءامَنُواْ}، يعني: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن كان مثل حالهم، {والذين هَادُواْ}؛ يعني: مالوا عن الإسلام يعني: اليهود {والصابئين}؛ وقد ذكرناه من قبل، {والنصارى والمجوس}، يعني: عبدة النيران، {والذين أَشْرَكُواْ}؛ يعني: عبدة الأوثان والأديان ستة: فواحد لله

تعالى، والخمسة للشيطان. {إِنَّ الله يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ}، يعني: يقضي ويحكم بينهم {يَوْمُ القيامة}، يعني: بين هذه الأديان الستة؛ وقال بعضهم: إن الفاء مضمرة في الكلام ومعناه: فإن الله يفصل بينهم على معنى جواب الشرط؛ ويقال: جوابه في قوله: {فالذين كَفَرُواْ}.

ثم قال: {إِنَّ الله على كُلّ شَئ شَهِيدٌ}، من أعمالهم. ثم قال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ}، يعني: ألم تعلم؟ ويقال: ألست تعلم، ويقال: ألم تخبر في الكتاب؟ {أَنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى * السموات} من الملائكة، {وَمَن فِى الارض} من الخلق، {والشمس والقمر والنجوم والجبال}. قال مقاتل: سجود هؤلاء حين تغرب الشمس تحت العرش؛ ويقال: سجودها دورانها {***وَ} سجود {الشجر *** والدواب}، إذا تحول ظل كل شيء فهو سجوده.

قوله: {وَكَثِيرٌ مّنَ الناس}، أي المؤمنين. {وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العذاب} أي: بترك سجودهم في الدنيا ويقال {وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العذاب} بعدم الطاعة؛ ويقال: سجود الشجر، أي هو سجود ظلّها، ويقال: يسجد أي يخضع. وفيه آية الخلق، فهو سجودهم. {وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ}، يعني: من قضى الله عز وجل عليه بالشقاوة، فما له من مسعد. {إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاء}، يعني: يحكم ما يشاء في خلقه من الإهانة والإكرام.

▲ تفسير الآيات رقم [19- 24]

{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (21) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (24)}

قوله عز وجل: {هذان خَصْمَانِ}، يعني: أهل دينين {اختصموا فِى رَبِّهِمْ}، يعني: احتجوا في دين ربهم. قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه نزلت هذه الآية في الذين بارزوا يوم بدر، يعني: حمزة، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث من المؤمنين رضي الله عنهم وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة من المشركين، يعني: أن المؤمنين يخاصمون الكفار ويجاهدونهم ويقاتلونهم.

ثم بيَّن مصير كلا الفريقين بقوله: {فالذين كَفَرُواْ}؛ وقال مجاهد: {هذان خَصْمَانِ}، يعني: المؤمنين والكافرين اختصما في البعث، فالكافرون {قُطّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مّن نَّارٍ}، والمؤمنون يدخلون جنات تجري من تحتها الأنهار، وقال عكرمة: {هذان خَصْمَانِ اختصموا}، أي اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: خلقت للرحمة، وقالت النار: خلقت للعذاب.

وروي عن ابن عباس أنه قال: {هذان خَصْمَانِ}، وذلك أن اليهود قالوا: كتابنا ونبينا أفضل، وقالت النصارى: ونبينا كان يحيي الموتى وهو أفضل من نبيكم، فنحن أولى بالله؛ وقال المؤمنون: نحن آمنا بالله وبجميع الأنبياء عليهم السلام وبجميع الكتب، وأنتم كفرتم ببعض الرسل وببعض الكتب، فديننا أولى من دينكم، فنزل: {هذان خَصْمَانِ} الآية؛ وقال: {هذان خَصْمَانِ اختصموا}، ولم يقل اختصما، لأن كل واحد من الخصمين جمع. قرأ ابن كثير {هذان} بتشديد النون، والباقون بالتخفيف. وفي الآية دليل أن الكفر كله ملة واحدة، لأنه ذكر ستة ملل من الأديان.

ثم قال: {هذان خَصْمَانِ} ثم بيَّن مصير كلا الفريقين، فقال: {فالذين كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مّن نَّارِ}، أي جحدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، هيئت لهم ثياب أي قُمُصٌ من نار، ويقال: نحاس. {يُصَبُّ مِن فَوْقِ * رُؤُوسَهُمْ ****الحميم}؛ قال مقاتل: يضرب الملك رأسَه بالمقمع، فيثقب رأسه. ثم يصب من فوق رؤوسهم الحميم، الذي قد انتهى حَرُّهُ. {يُصْهَرُ} به، يعني: يذاب به {مَا فِى بُطُونِهِمْ والجلود}، يعني: تنضج الجلود فتسلخ. {وَلَهُمْ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ}، يضرب بها هامتهم، {كُلَّمَا أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ}، يعني: من الغم والشدة التي أدركته، ضرب بمقمعة من حديد، فيهوي بها كذلك. فذلك قوله: {غَمّ أُعِيدُواْ فِيهَا}، أي ردوا إليها. {وَذُوقُواْ عَذَابَ الحريق}، أي المحرق، يعني: يقال لهم: ذوقوا عذاب النار؛ وهذا الجزاء لأحد الخصمين.

ثم بين جزاء الخصم الآخر، فقال عز وجل: {إِنَّ الله يُدْخِلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار يُحَلَّوْنَ فِيهَا}، يعني: يلبسون في الجنة. {مِنْ أَسَاوِرَ}، يعني: أقلبة. {مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً}. قرأ نافع وعاصم في رواية حفص {وَلُؤْلُؤاً} بالهمز والنصب، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر هكذا إلا أنه لم يهمز الواو الأولى؛ وقرأ الباقون بالهمز والكسر. فمن قرأ بالكسر، فلأجل مِنْ، ومن قرأ بالنصب فمعناه يحلون. لؤلؤاً نصب لوقوع الفعل عليه، وهو اختيار أبي عبيد. ثم قال: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}، أي في الجنة. قوله عز وجل: {وَهُدُواْ إِلَى الطيب مِنَ القول}، يعني: أرشدوا؛ ويقال: دعوا إلى قول التوحيد، لا إله إلا الله، ويقال: القرآن. {وَهُدُواْ إلى صراط الحميد}، يعني: الطريق المحمود في أفعاله وهو دين الإسلام.

▲ تفسير الآية رقم [25]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (25)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني: أهل مكة. {وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله}، يعني: صرفوا الناس عن دين الإسلام. {والمسجد الحرام}؛ يعني: وعن المسجد الحرام. وهذه الآية مدنية، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج مع أصحابه من الحديبية، منعهم المشركون عن المسجد الحرام. ثم وصف المسجد الحرام، فقال: {الذى جعلناه لِلنَّاسِ سَوَاء}، يعني: عاماً

للمؤمنين جميعاً {العاكف فِيهِ والباد}، يعني: سواء المقيم في الحرم، ومن دخل مكة من غير أهلهما؛ ومعناه المقيم والغريب فيه سواء؛ ويقال: في تعظيمه وحرمته؛ ويقال: المسجد الحرام أراد به جميع الحرم المقيم وغيره، في حق النزول سواء. وقال عمر رضي الله عنه: يا أهل مكة، لا تتخذوا لدوركم أبواباً، لينزل البادي حيث يشاء. ولهذا قال أبو حنيفة: إن بيع دور مكة لا يجوز. وفي إحدى الروايتين يجوز، وهذا قول أبي يوسف، والأول قول محمد. قرأ عاصم في رواية حفص {سَوَآء} بالنصب، يعني: جعلناه سواء، وقرأ الباقون {سَوَآء} بالضم على معنى الابتداء.

ثم قال: {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ}، وهو الظلم والميل عن الحق؛ ويقال: أصله ومن يرد فيه إلحاداً، فزيد فيه الباء، كما قال: {تَنبُتُ بالدهن}، ويقال: من اشترى الطعام بمكة للاحتكار، فقد ألحد. {بِظُلْمٍ}، يعني: بشرك أو بقتل. {نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}، أي مؤلم. قال الزجاج: الإلحاد في اللغة العدول عن القصد، وقال مقاتل: نزلت الآية في عبد الله بن أنيس بن خطل القرشيّ، وذلك أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعث رجلين أحدهما مهاجريّ، والآخر أنصاريّ، فافتخرا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنس، فقتل الأنصاري، ثم ارتد عن الإسلام، وهرب إلى مكة. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بقتله، فقتل. قرأ أبو عمرو: {***وَالبَادِي} بالياء عند الوصل، وكذلك نافع في رواية ورش، وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر بغير ياء في الوصل والقطع، وقرأ ابن كثير بالياء في الوصل والقطع. وهو الأصل في اللغة. ومن أسقطه، لأن الكسر يدل عليه.

▲ تفسير الآيات رقم [26– 27]

{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)}

قوله عز وجل: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لإبراهيم مَكَانَ البيت}، قال مقاتل: يعني: دللنا لإبراهيم موضع البيت، فبناه مع إسماعيل عليهما السلام ولم يكن له أثر ولا أساس البيت، لأن البيت كان أيام الطوفان مرفوعاً، قد رفعه الله إلى السماء وهو البيت المعمور؛ وقال الكلبي: {وَإِذْ بَوَّأْنَا} أي جعلنا لإبراهيم مكان البيت يتكلم، فيقول: بموضع البيت. جعله الله منزلاً لإبراهيم، بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت فيها رأس يتكلم، فيقول: يا إبراهيم، ابن على قدري وحيالي، فأسس عليها البيت، وذهبت السحابة. ثم بناه حتى فرغ منه، فأوحى الله تعالى إليه: {أَن لاَّ تُشْرِكْ بِى شَيْئاً}؛ وقال أبو قلابة: بناه من خمسة أجبل: حراء، وثبير، وطور سيناء، ولبنان، وجبل أحد؛ وقال الزجاج: {وَإِذْ بَوَّأْنَا}، أي جعلنا مكان البيت مبوأ لإبراهيم. والمبوأ المنزل، يعني أن الله تعالى علم إبراهيم عليه السلام مكان البيت، فبناه على أسه القديم، وكان البيت قد رفع إلى السماء. قال: ويروى أن البيت الأول كان من ياقوتة حمراء.

وروي عن ابن عباس أنه قال: رفع السماء إلى السادسة، يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك، وهو بحيال الكعبة. ثم قال؛ {وَطَهِّرْ بَيْتِىَ}، يعني: أوحى

الله تعالى إلى إبراهيم أن طهر بيتي من النجاسات ومن عبادة الأوثان {لِلطَّائِفِينَ}، يعني: لأجل الطائفين بالبيت من غير أهل مكة {والقائمين}، يعني: المقيمين من أهل مكة {والركع السجود}، يعني: أهل الصلاة بالأوقات من كل وجه.

ثم قال الله عز وجل: {وَأَذّن فِى الناس بالحج}، يعني: ناد في الناس، وذلك أن إبراهيم لما فرغ من بناء الكعبة، أمره الله تعالى أن ينادي، فصعد إبراهيم على أبي قبيس ونادى: يا أيها الناس، أجيبوا ربكم. إن الله تعالى قد بنى بيتاً وأمركم بأن تحجوه؛ وقال مجاهد: فقام إبراهيم على المقام، فنادى بصوت أسمع من بين المشرق والمغرب: يا أيها الناس، أجيبوا ربكم، فأجابوه من أصلاب الرجال: لبيك. قال: فإنما يحج من أجاب إبراهيم يومئذٍ؛ ويقال: التلبية اليوم جواب الله عز وجل من نداء إبراهيم عن أمر ربه، فذلك قوله: {يَأْتُوكَ رِجَالاً}، يعني: على أرجلهم مشاة {وعلى كُلّ ضَامِرٍ}، يعني: على الإبل وغيرها. فلا يدخل بعيره ولا غيره الحرم، إلا وقد ضمر من طول الطريق.

{يَأْتِينَ مِن كُلّ فَجّ عَمِيقٍ}، أي من نواحي الأرض {عَمِيقٍ}، يعني: بعيد. وقال مجاهد: الفج الطريق، والعميق البعيد، وقال: إن إبراهيم وإسماعيل. عليهما السلام حجا ماشيين؛ وقال ابن عباس: ما آسى على شيء، إلا أني وددت أني كنت حججت ماشياً، لأن الله تعالى قال: {يَأْتُوكَ رِجَالاً وعلى كُلّ ضَامِرٍ}. قال الفقيه أبو الليث: هذا إذا كان بيته قريباً من مكة؛ فإذا حج

ماشياً، فهو أحسن. وأما إذا كان بيته بعيداً، فالركوب أفضل. وروي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: الراكب أفضل، لأن في المشي يتعب نفسه ويسوء خلقه. وإن كان الرجل يأمن على نفسه أن يصبر، فالمشي أفضل، لأنه روي في الخبر أن الملائكة عليهم السلام تتلقى الحاج، فيسلمون على أصحاب المحامل، ويصافحون أصحاب البعير والبغال والحمير ويعانقون المشاة.

▲ تفسير الآيات رقم [28- 31]

{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)}

ثم قال عز وجل: {لِّيَشْهَدُواْ منافع لَهُمْ}، يعني: الأجر في الآخرة في مناسكهم؛ ويقال: وليحضروا مناحرهم وقضاء مناسكهم. {وَيَذْكُرُواْ اسم الله}، يعني: ولكي يذكروا الله {فِى أَيَّامٍ معلومات}، يعني: يوم النحر ويومين بعده؛ وقال مجاهد وقتادة: المعلومات أيام العشر، والمعدودات أيام التشريق؛ وقال سعيد بن جبير: كلاهما أيام التشريق؛ ويقال: المعلومات أيام النحر،

والمعدودات أيام التشريق، وهو طريق الفقهاء وأشبه بتأويل الكتاب، لأنه ذكر في أيام معلومات الذبح، وذكر في أيام معدودات الذكر عند الرمي، ورخص بتركه في اليوم الآخر بقوله: {واذكروا الله فى أَيَّامٍ معدودات فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتقى واتقوا الله واعلموا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [البقرة: 203].

ثم قال: {على مَا رَزَقَهُمْ مّن بَهِيمَةِ الانعام}، يعني: ليذكروا اسم الله عند الذبح والنحر على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وهو البقر والإبل والغنم. ثم قال: {فَكُلُواْ مِنْهَا}، يعني: من لحوم الأنعام، {وَأَطْعِمُواْ البائس الفقير}؛ يعني: الضرير والزمن والفقير، الذي ليس له شيء؛ وقال الزجاج: البائس الذي أصابه البؤس وهو الشدة.

قوله عز وجل: {ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ}، يعني: مناسكهم؛ وقال مجاهد: التفث حلق الرأس وتقليم الأظفار. وروي عن عطاء، عن ابن عباس وقال: التفث: الرمي، والحلق، والتقصير، وحلق العانة، ونتف الإبط، وقص الأضافير، والشارب، والذبح. وروى نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: التفث: ما عليه من المناسك؛ وقال الزجاج: التفث، لا يعرف أهل اللغة ما هو؛ وإنما عرفوا في التفسير، وهو الأخذ من الشارب، وتقليم الأظافر، والأخذ من الشعر، كأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال.

ثم قال: {وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ}، يقول: من كان عليه نذر في الحج والعمرة مما أوجب على نفسه من هدي أو غيره؛ فإذا نحر يوم النحر، فقد أوفى بنذره.

ثم قال: {وَلْيَطَّوَّفُواْ بالبيت العتيق}، يعني: طواف الزيارة، بعدما حلق رأسه أو قصر؛ وقال مقاتل: {العتيق} يعني: عتقه في الجاهلية من القتل والسبي والجراحات، وغيرها؛ وقال الحسن: {العتيق} يعني: القديم، كما قال: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى للعالمين} [آل عمران: 96]؛ وقال مجاهد: عتيق، يعني: أعتق من الجبابرة، ويقال: أعتق من الغرق يوم الطوفان؛ وهذا قول الكلبي؛ وقرأ حمزة والكسائي وعاصم: {لْيَقْضُواْ} بجزم اللام وكذلك {وَلْيُوفُواْ}؛ وقرأ أبو عمرو الثلاثة كلها بالكسر، بمعنى لام كي؛ وقرأ ابن كثير بكسر اللام الأولى خاصة. فمن قرأ بالجزم، جعلها أمر الغائب؛ ومن قرأ بالكسر، جعله خبراً عطفاً على قوله: {لّيَذْكُرُواْ}. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {وَلْيُوفُواْ} بنصب الواو وتشديد الفاء، وقرأ الباقون بالتخفيف من أوفى يوفي، والأول من وفَّى يوفّي؛ ومعناهما واحد.

ثم قال عز وجل: {ذلك}، يعني: هذا الذي ذكر من أمور المناسك. ثم قال: {وَمَن يُعَظّمْ حرمات الله}، يعني: أمر المناسك كلها، {فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبّهِ}؛ يعني: أعظم لأجره، {وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الانعام}؛ يعني: الإبل والبقر والغنم وغيره. {إِلاَّ مَا يتلى عَلَيْكُمْ} في التحريم في سورة المائدة. {فاجتنبوا الرجس مِنَ الاوثان}، يعني: اتركوا عبادة الأوثان، {واجتنبوا}؛ يعني: اتركوا {قَوْلَ الزور}، يعني: الكذب؛ وهو قولهم: هذا حلال وهذا حرام؛ ويقال: معناه اتركوا الشرك؛ ويقال: اتركوا شهادة الزور.

ثم قال عز وجل: {حُنَفَاء لِلَّهِ}، يعني: مخلصين مسلمين لله؛ ويقال: معناه كونوا مخلصين بالتلبية، لأن أهل الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك. ويقال: إن هذا القول بالزور الذي أمرهم الله باجتنابه. ثم قال: {غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السماء}، أي وقع من السماء، {فَتَخْطَفُهُ الطير}، يعني: تختلسه الطير، {أَوْ تَهْوِى بِهِ الريح}، يعني: تذهب به الريح {فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ}، يعني: بعيد؛ فكذلك الكافر في البعد من الله عز وجل؛ ويقال: معناه من يشرك بالله، فقد ذهب أصله. وقال الزجاج: الخطف هو أخذ الشيء بسرعة، فهذا مثل ضربه الله عز وجل للكافرين في بعدهم من الحق، فأخبر أن بعد من أشرك من الحق، كبعد من خر من السماء، فذهبت به الطير وهوت به الريح في مكان {سَحِيقٍ}، يعني: بعيد. قرأ نافع: {فَتَخَطَّفُهُ الطير} بنصب الخاء والتشديد، وقرأ الباقون بالجزم والتخفيف من خطف. ومن قرأ بالتشديد، فلأن أصله فتخطفه فأدغم التاء في الطاء، وألقيت حركة التاء على الخاء.

▲ تفسير الآيات رقم [32– 35]

{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (33) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34(الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (35)}

ثم قال عز وجل: {ذلك}، يقول هذا الذي أمر من اجتناب الأوثان. {وَمَن يُعَظِّمْ شعائر الله}، يعني: البدن فيذبح أعظمها وأسمنها. وروي عن ابن عباس أنه قال: تعظيمها استعظامها، وأيضاً استسمانها واستحسانها. ثم قال: {فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى القلوب}، يعني: من إخلاص القلوب؛ ويقال: من صفاء القلوب، وشعائر الله: معالم الله ودينه، ندب الله إليها وأمر بالقيام بها، وواحدها شعيرة.

قوله عز وجل: {لَكُمْ فِيهَا منافع}، يعني: في البدن؛ وقال مجاهد: يعني: في ركوبها وشرب ألبانها وأوبارها. {إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى}، يعني: إلى أجَلٍ مسمًّى بدناً، فمحلها إلى البيت العتيق. وروي عن ابن عباس نحو هذا قول بعض الناس: إنه يجوز ركوب البدن؛ وقال أهل العراق: لا يجوز إلا عند الضرورة، ويضمن ما نقصها الركوب، وهذا القول أحوط الوجهين. {ثُمَّ مَحِلُّهَا إلى البيت العتيق}، يعني: منحرها في الحرم. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جَمِيعُ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ». ثم قال عز وجل: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ}، أي لكل أهل دين؛ ويقال: لكل قوم من المؤمنين فيما خلا، {جَعَلْنَا مَنسَكًا}؛ يعني: ذبحاً لهراقة دمائهم؛ ويقال: مذبحاً يذبحون فيه. قال الزجاج: معناه جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله تعالى. قرأ حمزة والكسائي {مَنسَكًا} بكسر السين، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالكسر، يعني: مكان النسك؛ ومن قرأ بالنصب، فعلى المصدر؛ وقال أبو عبيد: قراءتنا هي بالنصب لفخامتها.

ثم قال: {لِّيَذْكُرُواْ اسم الله على مَا رَزَقَهُمْ مّن بَهِيمَةِ الانعام}، يعني: يذكرون اسم الله تعالى عند الذبح. {فإلهكم إله واحد}، أي ربكم رب واحد. {فَلَهُ أَسْلِمُواْ}، يعني: أخلصوا بالتسمية عند الذبيحة وفي التلبية. {وَبَشّرِ المخبتين}، يعني: المخلصين بالجنة؛ ويقال: {المخبتين} المجتهدين في العبادة والسكون فيها. قال قتادة: المخبتون المتواضعون؛ وقال الزجاج: أصله من الخبت من الأرض، وهو المكان المنخفض من الأرض؛ ويقال: المخبت الذي فيه الخصال التي ذكرها الله بعده، وهو قوله: {الذين إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، يعني: خافت قلوبهم {والصابرين على مَا أَصَابَهُمْ} من أمر الله من المرازي والمصائب {الذين إِذَا} يعني: يقيمونها بمواقيتها، {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ}؛ يعني: يتصدقون وينفقون في الطاعة. ثم ذكر البدن، يعني: ينحرون البدن. فهذه الخصال الحسنة صفة المخبتين.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 37]

{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37)}

قوله عز وجل: {والبدن جعلناها لَكُمْ}؛ قرأ بعضهم: {والبدن} بضم الدال والباء، وقراءة العامة بسكون الدال والمعنى واحد. {مِن شَعَائِرِ الله}، يعني: جعلنا البدن من مناسك الحج. {لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ}، يعني: في نحرها أجر في

الآخرة ومنفعة في الدنيا. {فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافَّ}، يعني: إذا نحرتم، فاذكروا اسم الله عليها {صَوَافَّ} أي قائمة قد صفت قوائمها. والآية تدل على أن الإبل تنحر قائمة. وروي عن عبد الله بن عمر، أنه أمر برجل قد أناخ بعيره لينحره، فقال له: انحره قائماً، فإنه صفة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، وروي عن ابن مسعود، وابن عباس أنهما كانا يقرآن {فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا}، والصوافن التي تقوم على ثلاثة قوائم، إذا أرادوا نحره، تعقل إحدى يديه فهو الصافن، وجماعته صوافن؛ وقال مجاهد: من قرأ صوافن، قال: قائمة معقولة. من قرأها صواف، قال يصف بين يديها. وروي عن زيد بن أسلم أنه قرأ {***صوافي} بالياء منتصبة، ويقال: خالصة من الشرك؛ وروي عن الحسن مثله وقال: خالصة لله تعالى، وهكذا روى عنهما أبو عبيدة، وحكى القتبي عن الحسن قال: كان يقرأ {عَلَيْهَا صَوَافَّ} مثل قاض وغاز أي خالصة لله تعالى، يعني: لا تشرك به في حال التسمية على نحرها.

ثم قال: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا}، يعني: إذا ضربت بجنبيها على الأرض بعد نحرها، يقال: وجب الحائط إذا سقط، ووجب القلب إذا تحرك من الفزع؛ ويقال: وجب البيع إذا أبرم. {فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ القانع والمعتر}، فالقانع الراضي الذي يقنع بما أعطي وهو السائل والمعتر الذي يتعرض للمسألة ولا يتكلم؛ ويقال: القانع المتعفف الذي لا يسأل ويقنع بما أرسلت إليه والمعتر: السائل الذي يعتريك للسؤال.

وقال الزهري: السنة أن يأكل الرجل من لحم أضحيته قبل أن يتصدق، وروي عن عطاء، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ مِنْ لَحْمِ أُضْحِيَتِه». وروى منصور، عن إبراهيم قال: كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم، فرخص للمسلمين بقوله: {فَكُلُواْ مِنْهَا *** فَمَن شَاء ***** أَكَلَ *** وَمَن شَاء ***** لَمْ ***** يَأْكُلُ}. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: والأفضل أن يتصدق بثلثه على المساكين، ويعطي ثلثه للجيران والقرابة أغنياء كانوا أو فقراء ويمسك لنفسه ثلثه. وروي عن ابن مسعود نحو هذا. وروي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن القانع والمعتر، فقال: القانع الذي يقنع بما أعطي، والمعتر الذي يعتري بالأبواب، قال: أما سمعت قول زهير:

عَلَى مُكْثِرِيهِمُ حَقٌّ مَنِ يَعتَرِيهِم *** وَعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالبَذْلُ

وقال مجاهد: القانع جارك وإن كان غنياً. ثم قال تعالى: {كذلك سخرناها لَكُمْ}، أي ذللناها لكم وهي البدن. {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، يعني: لكي تشكروا رب النعمة. قوله عز وجل: {لَن يَنَالَ الله لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا}، وذلك أن أهل الجاهلية، كانوا إذا نحروا البدن عند زمزم، أخذوا دماءها، ولطخوها حول الكعبة، وعلقوا لحومها بالبيت، وقالوا: اللهم تقبل منا. فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فنزل: {لَن يَنَالَ الله لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا}، يعني: لن يصل إلى الله عز وجل لحومها ولا دماؤها. {ولكن يَنَالُهُ التقوى مِنكُمْ}، أي يصل إليه التقوى من أعمالكم الزاكية والنية الخالصة. قرأ الحضرمي: {لَن تَنَالُواْ ***

الله} بالتاء، لأن لفظ اللحوم مؤنثة، ولكن تناله بالتاء، لأن لفظ التقوى مؤنث، وقراءة العامة بالياء، وانصرف إلى المعنى، لأن الفعل مقدم.

ثم قال: {كذلك سَخَّرَهَا لَكُمْ}، يعني: ذلَّلها لكُم، {لِتُكَبّرُواْ الله}؛ يقول: لتعظموا الله {على مَا هَدَاكُمْ}، يعني: أرشدكم لأمر دينه. {وَبَشّرِ المحسنين} بالجنة، فمن فعل ما ذكر في هذه الآيات، فهو محسن؛ ويقال: المحسن الذي يحسن الذبيحة فيختار بغير عيب.

▲ تفسير الآيات رقم [38- 41]

{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)}

قوله تعالى: {إِنَّ الله يُدَافِعُ عَنِ الذين ءامَنُواْ}، يعني: يدفع كفار مكة عن الذين آمنوا، فلا ينالون منهم شيئاً؛ وقال الزجاج: إذا فعلتم هذا وخالفتم أهل الجاهلية، فيما يفعلون في نحرهم وإشراكهم، فإن الله يدافع عن حزبه، أي المؤمنين؛ ويقال: إن أهل مكة آذوا المسلمين قبل الهجرة، فاستأذنوا النبي

صلى الله عليه وسلم في قتالهم في السر، فنهاهم الله عز وجل عند ذلك. ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله يُدَافِعُ عَنِ الذين ءامَنُواْ}، يعني: يدفع أذاهم عن المسلمين، فأمرهم بالصبر. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {إِنَّ الله}، بغير ألف، والباقون {الله يُدَافِعُ} بالألف، من دافع يدافع، بمعنى دفع. ثم قال: {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}، يعني: أثيم لأمانته، كفور لربه ولنعمته؛ وقال أهل اللغة: الخوان الفعال من الخيانة، وهو المبالغة في الخيانة، فمن ذكر اسماً غير اسم الله وتقرب إلى الأصنام بذبيحته، فهو خوان كفور.

قوله عز وجل: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يقاتلون}، يعني: أذن للمؤمنين بقتال المشركين. {بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ}، يعني: أذن لهم بالقتال بسبب أنهم ظلموا. قرأ عاصم في رواية حفص {أَذِنَ} بضم الألف على معنى فعل ما لم يسم فاعله. أذن الله للذين يقاتلون بنصب التاء على معنى أنهم مفعولون، وقرأ ابن عامر: {أَذِنَ} بنصب الألف على معنى أذن الله للذين يقاتلون بنصب التاء؛ وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو {أَذِنَ} بالضم {يقاتلون} بالكسر؛ وقرأ الباقون بالنصب. قرأ حمزة والكسائي وابن كثير {يقاتلون} بالكسر ثم قال: {وَإِنَّ الله على نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}، يعني: قادر، وكان المشركون لا يزالون يؤذونهم باللسان وباليد، فشكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلما هاجروا، أمروا بالقتال.

ثم أخبر الله عن ظلم كفار مكة، فقال عز وجل: {الذين أُخْرِجُواْ مِن ديارهم بِغَيْرِ حَقّ}، يعني: بلا جرم أجرموا. {إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا الله}، يعني: لم يخرج

كفار مكة المؤمنين بسبب، سوى أنهم كانوا يقولون: ربنا الله، فأخرجوهم بهذا السبب ويقال: في الآية تقديم ومعناه {أُذِنَ لِلَّذِينَ يقاتلون} الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، إلا أن يقولوا: ربنا الله: {وَإِنَّ الله على نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}.

ثم قال: {وَلَوْلاَ دَفْعُ الله الناس بَعْضَهُم بِبَعْضٍ} بالجهاد وإقامة الحدود وكف الظلم؛ يقول: لولا أن يدفع المشركين بالمؤمنين، لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين. {لَّهُدّمَتْ صوامع وَبِيَعٌ}؛ ويقال: ولولا دفع الله بالأنبياء وبالمؤمنين من غيرهم، لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى. {وصلوات}، يعني: كنائس اليهود، {ومساجد} المسلمين. {يُذْكَرُ فِيهَا اسم الله كَثِيراً}؛ وقال مجاهد: لولا دفع الله تعالى الناس بعضهم ببعض في الشهادة في الحق، لهدمت هذه الصوامع، وما ذكر معها.

وقال الزجاج: تأويل هذا، ولولا أن دفع الله بعض الناس ببعض، لهدمت في شريعة كل نبي المكان الذي يصلي فيه، فكان معناه: لولا دفع الله، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع، وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء المساجد. قرأ نافع: {وَلَوْلاَ *** عَبْدُ الله} بالألف، والباقون بغير ألف؛ وقرأ ابن كثير ونافع {لَّهُدّمَتْ} بالتخفيف، والباقون بالتشديد على معنى المبالغة والتكثير.

ثم قال: {وَلَيَنصُرَنَّ الله مَن يَنصُرُهُ}، يعني: لينصرن بالغلبة على عدوه من ينصره بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ويقال: لينصرن الله من ينصره، يعني: ينصر الله من ينصر دينه بالغلبة، كما قال في آية أخرى: {ياأيها

الذين ءامنوا إِن تَنصُرُواْ الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: 7]. ثم قال: {إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}، أي منيع قادر على أن ينصر محمداً صلى الله عليه وسلم بغير عونكم.

قوله عز وجل: {الذين إِنْ مكناهم فِى الارض}، يعني: إن أنزلناهم بالمدينة، وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. قوله: {الذين إِنْ مكناهم فِى الارض أَقَامُواْ}، يعني: بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم، {وَنَهَوْاْ عَنِ المنكر}؛ أي عن الشرك. {وَلِلَّهِ عاقبة الامور}، يعني: لله ترجع عواقب الأمور، يعني: عاقبة أمور العباد في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [42- 45]

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (44) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45)}

قوله عز وجل: {وَإِن يُكَذِّبُوكَ}، يعني: إن يكذبوك يا محمد أهل مكة، {فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ}؛ يعني: قبل قومك. {قَوْمُ نُوحٍ} كذبوا نوحاً، {وَعَادٌ} كذبت هوداً، {وَثَمُودُ} كذبوا صالحاً، {وَقَوْمِ إبراهيم} كذبوا إبراهيم، {وَقَوْمُ لُوطٍ} كذبوا لوطاً {وأصحاب مَدْيَنَ} كذبوا شعيباً، {وَكُذِّبَ موسى} يعني: كذبه قومه. {فَأَمْلَيْتُ للكافرين}؛ يعني: أمهلتهم. {ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ}؛ يعني: عاقبتهم بعد المهل بالعذاب.

{فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}؟ يعني: كيف رأيت تغييري وإنكاري عليهم؟ يعني: أليس قد وجدوا حقاً؟ فكذلك كفار مكة تصيبهم العقوبة، كما أصابهم.

ثم قال عز وجل: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ}، يعني: وكم من أهل قرية {أهلكناها}، يعني: أهلكنا أهلها، {وَهِيَ ظالمة}؛ يعني: كافرة. {فَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا}، يعني: ساقطة حيطانها على سقوفها {وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ}، يعني: خالية ليس عندها ساكن، {وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ}؛ يعني: طويلاً في السماء؛ ويقال: معناه كم من بئر معطلة، عطلها أربابها وليس عليها أحد يستسقي، وقصر مشيد يعني: كم من حصن طويل مشيد ليس فيه ساكن؛ ويقال: المشيد هو المبني بالشيد، وهو الجص وهو المشيد المطول؛ ويقال: المشيد والمشيد سواء، أي المطول. قرأ أبو عمرو: {***أهلكتها} بالتاء، وقرأ الباقون: {قَرْيَةٍ أهلكناها} بلفظ الجماعة، وقرأ نافع في رواية ورش، وأبو عمرو في إحدى الروايتين وبير بالتخفيف، وهي لغة لبعض العرب؛ وقرأ الباقون بالهمز، وهي اللغة المعروفة.

▲ تفسير الآيات رقم [46- 51]

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (48) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (49) فَالَّذِينَ آَمَنُوا

وَعمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (50) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آَيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (51)}

ثم قال عز وجل: {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الارض}؛ يعني: أو لم يسافروا في الأرض فيعتبروا. {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا}، يعني: فتصير لهم قلوب بالنظر والعبرة يعقلون بها، {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الارض} التخويف. {فَإِنَّهَا}، أي النظرة بغير عبرة؛ ويقال: كلمة الشرك. {لاَ تَعْمَى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فِى الصدور}، يعني: العقول التي في الصدور؛ وذكر الصدر للتأكيد.

ثم قال عز وجل: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعذاب}؛ وهو النضر بن الحارث. {وَلَن يُخْلِفَ الله وَعْدَهُ} في العذاب. {وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبّكَ}، يعني: إن يوماً من الأيام التي وعد لهم في العذاب عند ربك في الآخرة، {كَأَلْفِ سَنَةٍ مّمَّا تَعُدُّونَ} في الدنيا. ثم بيَّن لهم العذاب في الآخرة، حيث قال: {وَلَن يُخْلِفَ الله وَعْدَهُ}، ووصف طول عذابهم؛ ويقال: إنه أراد بذلك قدرته عليهم بحال استعجالهم، أنه يأخذهم متى شاء. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي {مّمَّا * يَعُدُّونَ} بالياء، وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة.

ثم قال عز وجل: {وَكَأَيّن مّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا}، فلم أعجل عليها العقوبة. {وَهِىَ ظالمة}، أي كافرة. {ثُمَّ أَخَذْتُهَا} بالعذاب، ولكن لم يذكر العذاب لأنه سبق ذكره. ثم قال: {وَإِلَىَّ المصير}، يعني: المرجع في الآخرة.

قوله عز وجل: {قُلْ يأَيُّهَا الناس إِنَّمَا أَنَاْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}، يعني: رسول مبين أبلغكم بلغة تعرفونها. {فالذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات}، يعني: الطاعات، {لَهُم مَّغْفِرَةٌ} لذنوبهم، {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} حسن في الجنة. {والذين سَعَوْاْ فِى ءاياتنا}، يعني: عملوا في القرآن بالتكذيب {معاجزين}. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: {معاجزين} بغير ألف والتشديد في جميع القرآن، والباقون بالألف والتخفيف. فمن قرأ: {معاجزين}، أي يعجزون من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويثبطونهم، ومن قرأ: {معاجزين}، أي ظانين أنهم يعجزوننا، لأنهم يظنون أنهم لا يبعثون. وقيل: {معاجزين} أي معاندين، ومعناه ليسوا بفائتين. {أولئك أصحاب الجحيم}، يعني: النار.

▲ تفسير الآيات رقم [52- 54]

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (54)}

قوله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِىّ إِلاَّ إِذَا تمنى}، يعني: حدث نفسه، {أَلْقَى الشيطان فِى أُمْنِيَّتِهِ}؛ أي في حديثه؛ ويقال: تمنى أي قرأ، كما قال القائل:

تَمَنَّى كِتَابَ الله أوَّلَ لَيْلِه *** وَآخِرَهُ لاَقَى حِمَامَ المَقَادِرِ

وقال آخر:

تَمَنَّى دَاوُدُ الزَّبُورَ عَلَى الرِّسْلِ أَلْقَى الشيطان فِى أُمْنِيَّتِهِ***

أي في تلاوته: {فَيَنسَخُ الله مَا يُلْقِى الشيطان}، يعني: يذهب الله به ويبطله. {ثُمَّ يُحْكِمُ الله ءاياته}، يعني: بيَّن الله عز وجل الناسخ من المنسوخ. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أتاه الشيطان في صورة جبريل، وهو يقرأ سورة {والنجم إِذَا هوى} (النجم 1) عند الكعبة، حتى انتهى إلى قوله: {أَفَرَءَيْتُمُ اللات والعزى * ومناة الثالثة الاخرى} [النجم: 19، 20]، ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى، فلما سمعه المشركون يقرأ ذلك، أعجبهم: فلما انتهى إلى آخرها، سجد وسجد المشركون معه والمسلمون. فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ما جئتك بهذا. فنزل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ} الآية.

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحو هذا قال: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا إبراهيم بن محمد قال: حدّثنا جعفر بن زيد الطيالسي قال: حدّثنا إبراهيم بن محمد قال: حدّثنا أبو عاصم، عن عمار بن الأسود، عن سعيد بن جبير، وعن ابن عباس قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم {ومناة الثالثة الاخرى} ثم قال: تلك الغرانيق العلى وإن الشفاعة منها ترتجى، فقال المشركون: قد ذكر آلهتنا. فنزلت الآية.

وقال مقاتل: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم والنجم بمكة عند مقام إبراهيم، فنعس، فقرأ تلك الغرانيق العلى. فلما فرغ من السورة، سجد وسجد من خلفه فنزل {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ}؛ وقال قتادة: لما ألقى الشيطان، ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر الله آلهتنا بخير ففرحوا بذلك؛ فذلك قوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ إِلاَّ إِذَا تمنى أَلْقَى الشيطان فى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ الله مَا يُلْقِى الشيطان ثُمَّ يُحْكِمُ الله ءاياته والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشيطان فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ والقاسية قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظالمين لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [الحج: 53/52].

روى أسباط، عن السدي، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فقرأ سورة النجم، فلما انتهى إلى قوله: {ومناة الثالثة الاخرى} [النجم: 20] فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، حتى بلغ إلى آخر السورة، سجد وسجد أصحابه وسجد المشركون لذكره آلهتهم. فلما رفع رأسه، حملوه وأسندوا به بين قطري مكة؛ حتى إذا جاءه جبريل عليه السلام عرض عليه، فقرأ عليه الحرفين، فقال جبريل عليه السلام معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا واشتد عليه، فأنزل الله تعالى لتطييب نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره أن الأنبياء عليهم السلام قبله قد كانوا مثله.

ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وجلس عنده جماعة من المشركين، فتمنى في نفسه أن لا يأتيه من الله شيء ينفرون منه، فابتلاه الله

تعالى بما ألقى الشيطان في أمنيته؛ وقال بعضهم: تمنى: أي تفكر وحدث تلك الغرانيق العلى، ولم يتكلم به، لأن قول النبي صلى الله عليه وسلم كان حجة، فلا يجوز أن يكون يجري على لسانه كلمة الكفر. وقال بعضهم: لما رآه الشيطان يقرأ، خلط صوته بصوت النبي صلى الله عليه وسلم: فقرأ الشيطان: تلك الغرانيق، فظن الناس أنه قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرأها؛ وقال بعضهم: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه التعيير والزجر، يعني: أنكم تعبدونها كأنهن الغرانيق العلى، كما قال إبراهيم عليه السلام {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ} [الأنبياء: 63] وقال الزجاج: ألقى الشيطان في تلاوة؛ فذلك محنة يمتحن الله تعالى بها من يشاء؛ فجرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم شيء من صفة الأصنام، فافتتن بذلك أهل الشقاوة والنفاق. وروي عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار: أن ابن عباس كان يقرأ (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) والمحدث الذي يرى أمره في منامه من غير أن يأتيه الوحي.

ثم قال: {والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ}، أي عليم بمَا ألقى الشيطان {حَكِيمٌ} حكم بالناسخ. وبيّن قوله عز وجل: {لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشيطان فِتْنَةً}، يعني: بلية {لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ}، أي شك، {والقاسية قُلُوبُهُمْ}؛ يعني: الذين قست قلوبهم عن ذكر الله وهم المشركون. {وَإِنَّ الظالمين لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ}، عن الحق؛ يعني: المشركين في خلاف طويل عن الحق.

ثم ذكر المؤمنين فقال: {وَلِيَعْلَمَ الذين أُوتُواْ العلم}، يعني: الذين أكرموا بالتوحيد والقرآن؛ ويقال: هم مؤمنو أهل الكتاب. {أَنَّهُ الحق مِن رَّبّكَ}، يعني: القرآن. {فَيُؤْمِنُواْ بِهِ}، أي فيصدقوا به؛ ويقال: لكي يعلموا أن ما أحكم الله في آياته حق، وأن ما ألقى الشيطان باطل، ويزداد لهم يقين وبيان، فذلك قوله: {فَيُؤْمِنُواْ بِهِ}، أي يثبتوا على إيمانهم. {فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ}، يعني: فتخلص له قلوبهم. {وَلِيَعْلَمَ الذين أُوتُواْ العلم أَنَّهُ الحق مِن رَّبّكَ}، يعني: إن الله عز وجل لحافظ قلوب المؤمنين في هذه المحنة، حتى لم ينزع المعرفة من قلوبهم عند إلقاء الشيطان

▲ تفسير الآيات رقم [55– 59]

{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (55) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (56) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (57) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (58) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (59)}

{وَلاَ يَزَالُ الذين كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مّنْهُ}، أي في شك منه، يعني: من القرآن. {حتى تَأْتِيَهُمُ الساعة بَغْتَةً}، يعني: فجأة، {أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} لا فرح فيه ولا راحة ولا رحمة ولا رأفة، وهو عذاب يوم القيامة؛ وقال السدي وقتادة: {يَوْمٍ عَقِيمٍ}؛ يوم بدر؛ ويقال: إنما سمي يوم عقيم، لأنه أعقم كثيراً

من النساء؛ وقال عمرو بن قيس: {يَوْمٍ عَقِيمٍ} يوم القيامة يوم، ليس له ليلة ولا بعده يوم. والعقيم أصله في اللغة المرأة التي لا تلد؛ وكذلك رجل عقيم، إذا كان لا يولد له؛ وكذلك كل شيء لا يكون فيه خير، يعني: لا يكون للكافرين خير في يوم القيامة، كما قال الله تعالى: {عَلَى الكافرين غَيْرُ يَسِيرٍ} [المدثر: 10] ثم وصف ذلك اليوم، فقال عز وجل: {الملك يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ} لا ينازع فيه أحد {يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ}، يعني: يقضي بين الخلق لا حاكم في ذلك اليوم غيره. ثم قال: {فالذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات}، يعني: أن حكمه في يوم القيامة أن المؤمنين {فِي جنات النعيم}.

قوله عز وجل: {الذين كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بئاياتنا * فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}، يعني: الشدة. ثم قال عز وجل: {والذين هاجروا}، وذلك أن المسلمين قاتلوا فاستشهدوا {فِى سَبِيلِ الله}، فقال الذين لم يستشهدوا: وهل لنا أجر؟ فنزل: {والذين هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ الله}، يعني: في طاعة الله من مكة إلى المدينة. {ثُمَّ قُتِلُواْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ الله رِزْقاً حَسَناً}، يعني: يرزقهم الغنيمة في الدنيا لمن لم يموتوا ولم يقتلوا. {وَإِنَّ الله لَهُوَ خَيْرُ الرزقين}، يعني: أفضل الرازقين وأقوى المعطين. {لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ}، يعني: الجنة إذا قتلوا وماتوا. {وَإِنَّ الله لَعَلِيمٌ * حَكِيمٌ}، حيث لم يعجل بالعقوبة؛ وهذه الآية مدنية.

▲ تفسير الآيات رقم [60- 62]

{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (60) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ

اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (61) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (62)}

قوله عز وجل: {ذلك وَمَنْ عَاقَبَ}؛ قال مقاتل: وذلك أن مشركي العرب لقوا المسلمين في الشهر الحرام، فكره المسلمون القتال، فقاتلهم المشركون فبغوا عليهم، فنصر الله المسلمين عليهم. فوقع في أنفس المؤمنين من القتال في الشهر الحرام، فنزل: {ذلك وَمَنْ عَاقَبَ}؛ يقول: هذا جزاء من عاقب {بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ}؛ وقال بعضهم: ذلك يعني: ما وصفنا من صفة أهل الجنة وأهل النار، فهو كذلك. فقد تم الكلام {وَمَنْ عَاقَبَ} ابتداء الكلام بمثل ما عوقب به في الدنيا؛ وقال الكلبي: الرجل يقتل وله الحميم، فله أن يقتل به قاتله.

{ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ الله} على من بغى عليه؛ ويقال: إذا زاد على القتل لينصرنه الله؛ ويقال: إن الرجل إذا وجب له القصاص، فله أن يقتل أو يأخذ الدية. فإن أخذ أكثر من حقه بالقتل وأخذ الدية {ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ}، أي ظلم عليه، يعني: غضب عليه أولياء المقتول باستيفاء حقه، فجنوا عليه؛ لينصرنه الله، أي له أن يطلب بجنايته؛ ويقال له: إذا ظلم على ولي المقتول بالاستطالة بالقتل، أو بأخذ الدية لينصرنه الله بأخذ حقه. {إِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} بقتالهم.

ثم قال عز وجل: {ذلك}، يعني: ذلك القدرة {ذلك بِأَنَّ الله يُولِجُ اليل فِى النهار وَيُولِجُ النهار فِى اليل وَأَنَّ الله سَمِيعٌ}. ثم قال: {ذلك}، يعني: هذا

الذي ذكر من صفته وقدرته، {بِأَنَّ اللهُ}؛ يعني: لعلموا أن الله {هُوَ الحق}، وأن عبادته الحق، {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الباطل}؛ ولا يقدرون على شيء. {وَأَنَّ الله هُوَ العلى الكبير}؛ يعني: هو أعلى وأكبر من أن يعدل به الباطل. قرأ ابن عامر: {ثُمَّ قُتِلُواْ} بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ} بالياء بلفظ المغايبة، وقرأ الباقون بالتاء، وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر {لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلاً} بنصب الميم، وقرأ الباقون بالضم.

▲ تفسير الآيات رقم [63– 71]

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (64) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (66) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (67) وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (68) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (69) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (70) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (71)}

ثم قال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السماء مَاء}، يعني: المطر. {فَتُصْبِحُ الارض مُخْضَرَّةً}، يعني: تصير الأرض مخضرة بالنبات؛ ويقال: ذات خضرة. {إِنَّ الله لَطِيفٌ} باستخراج النبات، {خَبِيرٌ}؛ أي عليم به وبمكانه. ثم قال عز وجل: {لَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض} من الخلق. {وَإِنَّ الله لَهُوَ الغنى} عن الخلق وعن عبادتهم، {الحميد}؛ يعني: المحمود في أفعاله.

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُم}، يعني: ذلل لكم {مَّا فِى الارض والفلك تَجْرِى}، يعني: تسير {فِى البحر بِأَمْرِهِ}، يعني: بإذنه. وروي عن عبد الرحمن الأعرج أنه قرأ: {الفلك} بضم الكاف على معنى الابتداء، وقراءة العامة بالنصب لوقوع التسخير عليها، يعني: سخر لكم الفلك؛ ويقال صار نسباً بمنطلق على أن تعني أن الفلك تجري.

ثم قال: {وَيُمْسِكُ السماء أَن تَقَعَ عَلَى الارض}، يعني: لكيلا تقع على الأرض؛ ويقال: كراهية أن تقع على الأرض، {إِلاَّ بِإِذْنِهِ}، يعني: بأمره يوم القيامة. {إِنَّ الله بالناس *** لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}، يعني: رحيم مع شركهم ومعصيتهم، حيث يرزقهم في الدنيا ولم يعاقبهم في العاجل. ثم قال عز وجل: {وَهُوَ الذى أَحْيَاكُمْ}، يعني: خلقكم ولم تكونوا شيئاً، {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} في الدنيا، {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} للبعث. {إِنَّ الإنسان لَكَفُورٌ}، أي كفور لنعمه لا يشكره ولا يطيعه.

قوله عز وجل: {لِكُلّ أُمَّةٍ}، يعني: لكل قوم {جَعَلْنَا مَنسَكًا}، يعني: مذبحاً. {هُمْ نَاسِكُوهُ}، يعني: ذابحوه؛ وفي منسك من الاختلاف ما سبق. {فَلاَ ينازعنك فِى الامر}، لا يخالفنك في أمر الذبيحة. نزلت في قوم من خزاعة قالوا: ما ذبح الله، فهو أحل مما ذبحتم؛ وقال الزجاج: المعنى فيه، أي فلا يجادلنك ولا تجادلهم، والدليل عليه وإن جادلوك؛ ويقال: فلا ينازعنك في الأمر، يعني: لا يغلبونك في المنازعة. {وادع إلى رَبّكَ}، يعني: ادع الخلق إلى معرفة ربك، وإلى توحيد ربك. {إِنَّكَ لعلى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ}، يعني: على دين مستقيم.

قوله عز وجل: {وَإِن جادلوك}، يعني: إن حاججوك في أمر الذبيحة والتوحيد، {فَقُلِ الله أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ}؛ يعني: عالماً بأعمالكم فيجازيكم، وذلك قوله: {الله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ}، يقضي بينكم {يَوْمَ القيامة فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} من الدين والذبيحة. قال عز وجل: {أَلَمْ تَعْلَمْ} يا محمد، {أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِى *** السموات والارض *** إِنَّ ذلك فِى كتاب}، يعني: إن ذلك العلم مكتوب في اللوح المحفوظ.

{إِنَّ ذلك فِى كتاب} يعني: إن كتابته. {عَلَى الله يَسِيرٌ}، يعني: هين حال حفظه على الله، أي كتابته على الله يسير. ثم قال عز وجل: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ سلطانا}، يعني: عذر ولا حجة. قرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين {مَا لَمْ يُنَزّلْ} بالتخفيف، والباقون بالتشديد. {وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ

عِلْمٌ}، يعني: ليس لهم بذلك حجة من المعقول. {وَمَا للظالمين مِن نَّصِيرٍ}، أي مانع يمنعهم من العذاب.

▲ تفسير الآيات رقم [72– 73]

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (72) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73)}

ثم قال عز وجل: {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا بَيّنَاتٍ}، يعني: يعرض عليهم القرآن. {تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ الذين كَفَرُواْ المنكر}، يعني: الغم والحزن والكراهية. {يكادون يَسْطُونَ}، أي هموا لو قدروا يضربون ويبطشون أشد البطش {بالذين يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءاياتنا}، يعني: يقرؤون عليهم القرآن؛ وقال القتبي: {يَسْطُونَ} أي يتناولونهم بالمكروه من الضرب والشتم؛ ويقال: {يَسْطُونَ} يعني: يفرطون عليهم، والسطوة العقوبة.

{قُلْ أَفَأُنَبّئُكُم بِشَرّ مّن ذلكم النار}، يعني: بأشد وأسوأ من ضربكم وبطشكم؛ ويقال: إنهم كانوا يعيرون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ببذاذة حالهم ورثاثتها. قال الله تعالى: قل لهم يا محمد: أفأنبئكم بشر من ذلك يعني: مما قلتم للمؤمنين؟ قالوا: ما هي؟ قال: النَّارُ. {وَعَدَهَا الله الذين كَفَرُواْ} يعني:

للكافرين. قوله: {وَبِئْسَ المصير} صاروا إليه. قوله عز وجل: {المصير يأَيُّهَا الناس ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمعوا لَهُ} يعني: بين ووصف شبه به لآلهتكم، أي أجيبوا عنه؛ وقال بعضهم: ليس هاهنا مثل، وإنما أراد به قطع الشغب لأنهم كانوا يقولون: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لهذا القرءان والغوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت: 26]، فقال: يا أيها الناس ضرب مثل، فاصغوا إليه استماعاً للمثل. فأوقع في أسماعهم عيب آلهتهم، فقال: {إِنَّ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله}، ويقال مثلكم مثل من عبد آلهة، {لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً}، أي يقدروا على خلق الذباب؛ ويقال: المثل في الآية لا غير، وهو قوله: {إِنَّ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً}، أي لن يقدروا أن يخلقوا ذباباً من الذباب في المثل. {وَلَوِ اجتمعوا لَهُ}، أي على تخليقه.

ثم ذكر من أمرها ما هو أضعف من خلق الذباب، فقال: {وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذباب شَيْئاً}، وذلك أنَّهم كانوا يلطخون العسل على فم الأصنام، فيجيء الذباب فيسلب منها ما لطخوا عليها. {لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ}، أي لا يقدرون أن يستنقذوا من الذباب ما أخذ منهم. {ضَعُفَ الطالب والمطلوب}، يعني: الذباب والصنم؛ ويقال: ضعف العابد والمعبود.

▲ تفسير الآيات رقم [74- 78]

{مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (76) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ

وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)}

قوله عز وجل: {مَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ}، أي ما عظموا الله حق عظمته، حين أشركوا به غيره ولم يوحدوه؛ ويقال: ما وصفوه حق صفته؛ ويقال: ما عرفوه حق معرفته كما ينبغي. وقال ابن عباس: نزلت الآية في يهود المدينة، حين قالوا: خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استلقى فاستراح ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وكذب أعداء الله، فنزل {مَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ}. {إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}، أي قوي في أمره، {عَزِيزٌ}؛ يعني: منيع في ملكه، ومعبودهم لا قوة له ولا منفعة؛ ويقال: إن الله لقوي على عقوبة من جعل له شريكاً، عزيز للانتقام منهم.

قوله عز وجل: {الله يَصْطَفِى مِنَ الملائكة رُسُلاً}؛ قيل: جبريل، وإسرافيل، وميكائيل، وملك الموت، والحفظة الذين يكتبون أعمال بني آدم. {وَمِنَ الناس}، يعني: ويختار من الناس مثل، منهم محمد، وعيسى، وموسى، ونوح عليهم السلام فجعلهم أنبياء ورسلاً إلى خلقه. {إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ}، سميع لمقالتهم، بصير بمن يتخذه رسولاً؛ وذلك أن الوليد بن المغيرة قال:

أأنزل عليه الذكر من بيننا؟ فأخبر الله تعالى أنه سميع مقالة من يكفر، بصير بمن يصلح للرسالة فيختاره ويجعله رسولاً.

ثم قال عز وجل: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}، يعني: من أمر الآخرة وأمر الدنيا. {وَإِلَى الله تُرْجَعُ الامور}، يعني: عواقب الأمور في الآخرة؛ ويقال: معناه منه بدأ وإليه يرجع. قوله عز وجل: {الامور يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اركعوا واسجدوا}، يعني: صلوا لله تعالى؛ وقال: بعض الناس يسجد في هذا الموضع، يذكر ذلك عن عمر وابن عمر؛ وروي عن ابن عباس أنه قال: السجدة في الحج في الأولى منهما، وهذا قول أهل العراق، لأن السجدة سجدة الصلاة، بدليل أنها مقرونة بالركوع. معناه: اركعوا واسجدوا في الصلوات المفروضات والتطوع؛ وروي عن ابن عباس أنه قال: أول ما أسلموا، كانوا يسجدون بغير ركوع، فأمرهم الله تعالى بأن يركعوا ويسجدوا. ثم قال: {وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ}، أي وحدوه وأطيعوه، {وافعلوا الخير}؛ أي أكثروا من الطاعات والخيرات ما استطعتم، وبادروا إليها؛ ويقال: التسبيحات. {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، يعني: تنجون من عذاب الله تعالى.

قوله عز وجل: {وجاهدوا فِى الله حَقَّ جهاده}، يعني: اعملوا لله عز وجل حق عمله؛ ويقال: جاهدوا في طاعة الله عز وجل وطلب مرضاته؛ وقال الحسن: {حَقَّ جهاده} أن تؤدي جميع ما أمرك الله عز وجل به، وتجتنب جميع ما نهاك الله عنه، وأن تترك رغبة الدنيا لرهبة الآخرة. وروي عن

النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً سأله، فقال: أي الجهاد أفضل؟ فقال: كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ السُّلْطَانِ.

ثم قال: {هُوَ اجتباكم}، يعني: اختاركم واصطفاكم. {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكمْ فِى الدين مِنْ حَرَجٍ}، يعني: في الإسلام من ضيق، ولكن جعله واسعاً ولم يكلفكم مجهود الطاقة، وإنما كلفكم دون ما تطيقون؛ ويقال: وضع عنكم إصركم والأغلال التي كانت عليكم؛ ويقال: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكمْ فِى الدين مِنْ حَرَجٍ} وهو ما رخص في الإفطار في السفر، والصلاة قاعداً عند العلة؛ وقال قتادة: أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم يعطها إلا نبي، كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: اذهب فليس عليك من حرج، وقال لهذه الأمة {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكمْ فِى الدين مِنْ حَرَجٍ}؛ وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أنت شهيد على قومك، وقال لهذه الأمة: {وَتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى الناس}؛ وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: سل تعط، وقال لهذه الأمة: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادعونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الذين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخرين} [غافر: 60].

ثم قال: {مّلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم}، قال الزجاج: إنما صار منصوباً، لأن معناه اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم. قال: وجائز أن يكون وافعلوا الخير فعل أبيكم إبراهيم؛ ويقال: معناه {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكمْ فِى الدين مِنْ حَرَجٍ} ولكن جعل لكم ملة سمحة سهلة كملة أبيكم إبراهيم. {هُوَ سماكم المسلمين مِن قَبْلُ}، يعني: الله تعالى سماكم المسلمين؛ ويقال: إبراهيم سماكم، أي من آمن بمحمد

صلى الله عليه وسلم والقرآن؛ ويقال: إبراهيم سماكم المسلمين يا أمة محمد؛ والطريق الأول أصح، لأنه قال: من قبل هذا القرآن. {وَفِى هذا}، يعني: القرآن، الله سماكم المسلمين في سائر الكتب من قبل هذا القرآن. وفي هذا القرآن، {لِيَكُونَ الرسول شَهِيداً عَلَيْكُمْ}؛ يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم على أمته بأنه بلغهم الرسالة بالتصديق لهم {وَتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى الناس}؛ يعني: على سائر الأمم أن الرسل قد بلغتهم؛ وقال مقاتل: {وَتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى الناس}، يعني: للناس، يعني: للرسل على قومهم، كقوله: وما ذبح على النصب أي المنصب.

ثم قال: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ}، يعني: أقروا بها وأتموها، {وَإِذْ أَخَذْنَا}؛ يعني: أقروا بها وأدوها. ثم قال: {واعتصموا بالله}، يعني: وثقوا بالله إذا فعلتم ذلك، ويقال: معناه تمسكوا بتوحيد الله، وهو قول لا إله إلا الله. {هُوَ مولاكم}، أي وليكم وناصركم وحافظكم. {فَنِعْمَ المولى}، يعني: نعم الحافظ، {وَنِعْمَ النصير}؛ يعني: نعم المانع لكم برحمته؛ والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

▲ سورة المؤمنون

▲ تفسير الآيات رقم [1- 11]

{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)}

قال: حدثنا الفقيه أبو الليث. رحمه الله: حدثنا أبو جعفر قال: حدثنا أبو بكر بن أبي سعيد قال: حدثنا محمد بن علي بن طرخان قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا عبد الرزاق، عن يونس بن سليم، عن زيد الأيلي، عن الزهري، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عيد القارئ، عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ:

{قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون} إلى عشر آيات، وروي عن كعب الأحبار قال: إن الله تعالى، لما خلق الجنة، قال لها: تكلمي، فقالت: {قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون}. وروي عن غيره. أنها قالت: أنا حرام على كل بخيل ومرائي؛ وروي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا. وقوله: {قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون}؛ أي سعد وفاز ونجا المصدقون بإيمانهم، ثم نعتهم ووصف أعمالهم، فقال: {الذين هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خاشعون}، يعني: متواضعين؛ وقال الزهري: سكون المرء في صلاته، لا يلتفت يميناً ولا شمالاً؛ وقال الحسن البصري: أي خائفون؛ وروي عنه أنه قال: {خاشعون} الذين لا يرفعون أيديهم في الصلاة إلا في التكبيرة الأولى؛ وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: الخشوع في

الصلاة، أن لا تلتفت في صلاتك يميناً ولا شمالاً وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان إذا قام في الصلاة، رفع بصره إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية، رمى بصره نحو مسجده؛ وروي عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ». ثم قال عز وجل: {والذين هُمْ عَنِ اللغو مُّعْرِضُونَ}، يعني: الحلف والباطل من الكلام تاركون. قال قتادة: كل كلام أو عمل لا يحتاج إليه فهو لغو؛ ويقال الذين هم عن الشتم والأذى معرضون، كقوله عز وجل: {والذين لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِراماً} [الفرقان: 72]. ثم قال: {والذين هُمْ للزكواة فاعلون}، يعني: مؤدون. {والذين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافظون} عن الفواحش وعن ما لا يحل لهم. ثم استثنى، فقال: {إِلاَّ على أزواجهم}، يعني: على نسائهم الأربع، وذكر عن القراءة أنه قال، على بمعنى من يعني: إلا من نسائهم مثنى وثلاث ورباع. {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهم}، يعني: الإماء، {فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}، لا يلامون على الحلال. {فَمَنِ ابتغى وَرَاء ذلك}، يعني: طلب بعد ذلك ما سوى نسائه وإِمائه، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ العادون}، يعني: المعتدين من الحلال إلى الحرام؛ ويقال: وأُولئك هم الظالمون الجائرون الذين تعمدوا الظلم.

{والذين هُمْ لاماناتهم وَعَهْدِهِمْ راعون}، يعني: ما ائتمنوا عليه من أمر دينهم، مما لا يطلع عليه أحد ومما يأتمن الناس بعضهم بعضاً. {وَعَهْدِهِمْ}، يعني: وفاء بالعهد راعون، يعني: حافظين. وأصل الرعي في اللغة، القيام

على إصلاح ما يتولاه. قرأ ابن كثير {والذين هُم} بلفظ الوحدان، وقرأ الباقون بلفظ الجمع، يعني: بيع الأمانات.

ثم قال عز وجل: {قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ على صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ}، يعني: على المواقيت يحافظون، لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ويتمونها بركوعها وسجودها. قرأ حمزة والكسائي {على صَلاَتِهِمْ} بلفظ الوحدان، وقرأ الباقون {صلواتهم} بلفظ الجماعة، ومعناهما واحد، لأن الصلاة اسم جنس يقع على الواحد والأكثر، فهذه الخصال صفة المؤمنين المخلصين في أعمالهم.

ثم بين ثوابهم، فقال عز وجل: {أُوْلَئِكَ هُمُ الوارثون}، يعني: النازلين. ثم بيّن ما يرثون، فقال: {الذين يَرِثُونَ الفردوس}، وهي البساتين بلغة الروم عليها حيطان، ويقال: لم يكن أحد من أهل الجنة إلا وله نصيب في الفردوس، لأن هناك كلها بساتين وأشجار؛ ويقال: {أُوْلَئِكَ هُمُ الوارثون}، يعني: يرثون المنازل التي للكفار في الجنة؛ وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقال: الفردوس البستان الحسن. {هُمْ فِيهَا خالدون}، يعني: في الجنة دائمون؛ وقال القتبي: حدثني أبو حاتم السجستاني قال: كنت عند الأخفش، وعنده الثوري، فقال: يا أبا حاتم، ما صنعت بكتاب المذكر والمؤنث؟ قلت: قد عملت شيئاً. فقال: ما تقول في الفردوس؟ قلت: مذكر. قال: فإن الله يقول: {هُمْ فِيهَا خالدون}. قلت: أراد الجنة، فأنث. فقال: يا غافل، أما تسمع الناس يقولون أسألك الفردوس الأعلى؟ فقلت: يا نائم، إنما الأعلى هاهنا أفعل وليس بفعلى.

▲ تفسير الآيات رقم [12– 14]

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سلالة مّن طِينٍ}، يعني: آدم. قال الكلبي ومقاتل: السلالة إذا عصر الطين؛ يسيل الطين والماء بين أصابعه؛ وقال الكلبي: خلقنا الإنسان يعني: ابن آدم من نطفة سُلَّت تلك النطفة من طين، والطين آدم عليه السلام والنطفة ما يخرج من صلبه فيقع في رحم المرأة؛ وقال الزجاج: {سلالة مّن طِينٍ}، أي من طين آدم، والسلالة القليل من أن ينسل. وكل مبني على فعالة، فهو يراد به القليل، مثل النخالة، والنطفة سلالة. وإنما سميت النطفة سلالة، لأنها تنسل من بين الصلب والترائب. ثم جعلناه {نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ}، يعني: في مكان حريز حصين. {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً}، أي حولنا الماء دماً، {فَخَلَقْنَا العلقة مُضْغَةً}، أي حولنا الدم مضغة، {فَخَلَقْنَا المضغة عظاما}؛ أي خلقنا في المضغة عظاماً؛ {فَكَسَوْنَا العظام لَحْماً ثُمَّ أنشأناه خَلْقاً ءاخَرَ}. قال عكرمة وأبو العالية والشعبي: معناه نفخ فيه الروح.

وروى الأخفش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود أنه قَالَ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْل ذَلِكَ، ثُمَّ

يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله عز وجل مَلَكاً، فَيُأْمَرُ بأنْ يَكْتُبَ أَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَهِيَ أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ».

وروي، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً} قال: نفخ فيه الروح، وروى ابن نجيح، عن مجاهد: {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً} قال: حين استوى شاباً؛ وروى معمر، عن قتادة: {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً}، قال: هو نبات الشعر والأسنان، وقال بعضهم: هو نفخ الروح؛ ويقال: ذكراً أو أنثى؛ ويقال: معناه {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً}، يعني: الجلد. وروي عن عطاء، عن ابن عباس أنه قال: ينفخ فيه الروح، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ: «ثم أنشأته خلقاً آخر».

{فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخالقين}، يعني: أحكم المصورين؛ وروى أبو صالح عن عبد الله بن عباس قال: كان عبد الله بن أبي سرح يكتب هذه الآيات للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما انتهى إلى قوله: {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً}، عجب من تفضل الإنسان أي من تفضل خلق الإنسان فقال: {فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخالقين}؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اكْتُبْ هاكذا أُنْزِلَتْ " فشك عند ذلك، وقال: لئن كان محمد صادقاً فيما يقول إنه يوحى إليه، فقد أوحي إلي كما أوحي إليه؛ ولئن قال من ذات نفسه، فلقد قلت مثل ما قال.

فكفر بالله تعالى.

وقال مقاتل والزجاج: كان عمر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذْ أُنْزِلَتْ عليه هذه الآية، فقال عمر: {فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخالقين}، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: {هاكذا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ} فكأنه أجرى على لسانه هذه الآية قبل قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقد قيل إن الحكاية الأولى غير صحيحة، لأن ارتداد عبد الله بن أبي سرح كان بالمدينة، وهذه الآية مكية. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {فَخَلَقْنَا المضغة عظاما فَكَسَوْنَا العظام لَحْماً}، وقرأ الباقون بالألف، ومعناهما واحد، لأن الواحد يغني عن الجنس.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 20]

{ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (17) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (18) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (20)}

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلك لَمَيِّتُونَ}، يعني: تموتون عند انقضاء آجالكم. {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة تُبْعَثُونَ}، يعني: تحيون بعد الموت؛ فذكر أول الخلق، لأنهم كانوا مقرين بذلك؛ ثم أثبت الموت، لأنهم كانوا يشاهدونه؛ ثم أثبت البعث الذي كانوا ينكرونه؛ ثم ذكر قدرته، فقال عز وجل: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ}، يعني: سبع سموات بعضها فوق بعض كالقبة؛ وقال مقاتل

والكلبي: غِلَظُ كل سماء خمسمائة عام، وبين كل سماءين كذلك؛ وقال أهل اللغة: الطرائق واحدها طريقة؛ ويقال: طارقت الشيء، يعني: إذا جعلت بعضه فوق بعض. وإنما سميت الطرائق، لأن بعضها فوق بعض.

ثم قال: {وَمَا كُنَّا عَنِ الخلق غافلين}، أي عن خلقهن عاجزين تاركين؛ ويقال: لكل سماء طريقة، لأن على كل سماء ملائكة عبادتهم مخالفة لعبادة ملائكة السماء الأخرى، يعني: لكل أهل سماء طريقة من العبادة: {وَمَا كُنَّا عَنِ الخلق غافلين}، أي لم نكن نغفل عن حفظهن، كما قال: {وَجَعَلْنَا السمآء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ ءاياتها مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 32].

قوله عز وجل: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السماء مَاء بِقَدَرٍ}، يعني: بوزن، ويقال: بقدر ما يكفيهم لمعايشهم؛ ويقال: {بِقَدَرٍ}، يعني: كل سنة تمطر بقدر السنة الأولى، كما روي عن ابن مسعود أنه قال: ليست سنة بأمطر من سنة، ولكن الله عز وجل يصرفه حيث يشاء ويقال: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السماء مَاء}، أي أربعة أنهار، تخرج من الجنة دجلة والفرات وسيحان وجيحان. {فَأَسْكَنَّاهُ فِى الارض}، أي فأدخلناه في الأرض؛ ويقال: جعلناه ثابتاً فيها من الغدران والعيون والركايا. {وَإِنَّا على ذَهَابٍ بِهِ لقادرون}، يعني: يغور في الأرض، فلا يقدر عليه، كقوله عز وجل: {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ} [الملك: 30].

{فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جنات}، يعني: وأخرجنا بالماء جنات، يعني: الخضرة؛ ويقال: جعلنا لكم بالماء البساتين. {مّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ}، يعني: الكروم {لَّكُمْ

فِيهَا فواكه كَثِيرَةٌ}، يعني: ألوان الفواكه سوى النخيل والأعناب. {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}. ثم قال عز وجل: {وَشَجَرَةً}، أي وأنبتنا شجرة، ويقال: خلقنا شجرة، {تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء}؛ قال قتادة: طور سيناء جبل حسن؛ وقال الكلبي: جبل ذو شجرة؛ وقال مجاهد: الطور جبل والسيناء حجارة؛ وقال القتبي: الطور جبل والسيناء اسم؛ وقال مقاتل: خلقنا في الجبل الحسن الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام قرأ ابن كثير وأبو عمر ونافع {طُورِ سَيْنَاء} بكسر السين، وقرأ الباقون بالنصب، ومعناهما واحد. ثم قال: {تَنبُتُ بالدهن}، أي تخرج بالدهن. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {تُنبِتُ} بضم التاء وكسر الباء، يعني: تخرج الدهن، وقرأ الباقون {تُنبِتُ} بنصب التاء وضم الباء، وهو اختيار أبي عبيد، أي تنبت معه الدهن، كما يقال: جاءني فلان بالسيف. {وَصِبْغٍ لّلاكِلِينَ}، يعني: الزيت يصطبغ به، وجعل الله عز وجل في هذه الشجرة إداماً ودهناً، وهي صبغ للآكلين.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 25]

{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (21) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (22) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى
قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23) فَقَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ
جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25)}

ثم قال عز وجل: {وَإِنَّ لَكُمْ فِى الانعام لَعِبْرَةً}، يعني: في الإبل والبقر والغنم لمن يعتبر فيها، يقال العبر بأوقار والمعتبر بمثقال. {نُّسْقِيكُمْ مّمَّا فِى بُطُونِهَا}، يعني: من ألبانها وهي تخرج من بين فرث ودم. قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {نَّسْقِيكُمْ} بنصب النون، وقرأ الباقون بالضم، وهذا مثل ما في سورة النحل.

ثم قال: {وَلَكُمْ فيِهَا منافع كَثِيرَةٌ}، يعني: في ظهورها وأصوافها وألبانها وأشعارها، {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}؛ يعني: من لبنها ولحومها وأولادها. {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفلك تُحْمَلُونَ}، يعني: على الأنعام في المفازة وعلى السفينة في البحر تسافرون.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ}، يعني: أرسلناه إلى قومه كما أرسلناك إلى قومك. فإن قيل: إيش الحكمة في تكرار القصص؟ قيل له: لأن في كل قصة كررها ألفاظاً وفوائد ونكتاً ما ليس في الأخرى، ونظمها سوى نظم الأخرى. وقال الحسن: للقصة ظهر وبطن، فالظهر خبر يخبرهم، والبطن عظة تعظهم؛ ويقال: إنما كررها تأكيداً للحجة والعظة، كما أنه كرر الدلائل ويكفي دليل واحد لمن يستدل به تفضلاً من الله تعالى ورحمة منه.

فقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ}، {فَقَالَ ياقوم *** قَوْمٌ *** اعبدوا الله}؛ يعني: أطيعوا الله عز وجل ووحدوه. {مَا لَكُم مّنْ إله غَيْرُهُ}، يعني: ليس لكم رب سواه، {أَفَلاَ تَتَّقُونَ} عبادة غير الله عز وجل فتوحدونه؟ يعني: اتقوه ووحدوه.

قوله عز وجل: {فَقَالَ الملا الذين كَفَرُواْ}، يعني: الأشراف الذين كفروا {مِن قَوْمِهِ مَا هذا إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ}، يعني: خلقاً آدمياً مثلكم. {يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ}. بالرسالة، ويقال: يريد أن يتفضل عليكم، يعني: يريد أن يجعل لنفسه فضلاً عليكم بالرسالة. {وَلَوْ شَاء الله لأَنزَلَ ملائكة}، أي لو شاء أن يرسل إلينا رسولاً، لأنزل ملائكة. {مَّا سَمِعْنَا بهذا}، يعني: مما يدعونا إليه نوح من التوحيد. {فَقَالَ الملؤا الذين * إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ}، يعني: الجنون، {فَتَرَبَّصُواْ بِهِ حتى حِينٍ}؛ يعني: انتظروا به حتى يتبين لكم أمره وصدقه من كذبه؛ ويقال: {حتى حِينٍ}، أي حتى يموت فتنجوا منه. فلما أبوا على نوح، دعا عليهم.

▲ تفسير الآيات رقم [26 – 35]

{قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (26) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ
إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ
(27) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (29)
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ
(31) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ
(32) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا

تَشْرَبُونَ (33) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (34) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (35)}

{قَالَ رَبِّ انصرنى} يعني: أعني عليهم بالعذاب. {بِمَا كَذَّبُونِ}، يعني: بتحقيق قولي في العذاب، لأنه أنذر قومه بالعذاب، فكذبوه. قوله عز وجل: {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصنع الفلك بِأَعْيُنِنَا}، أي اعمل السفينة بأعيننا، يعني: بمنظر منا وبعلمنا. ثم قال: {وَوَحْيِنَا}، يعني: بوحينا إليك وأمرنا. {فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا}، يعني: عذابنا، {وَفَارَ التنور}؛ يعني: بنبع الماء من أسفل التنور، {فاسلك فِيهَا}؛ يعني: فأدخل في السفينة {مِن كُلّ زَوْجَيْنِ اثنين}، يعني: من كل حيوان صنفين ولونين ذكراً وأنثى، {وَأَهْلَكَ}؛ يعني: وأدخل فيها أهلك، {إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ القول مِنْهُمْ}؛ يعني: إلا من وجب عليه العذاب، وهو ابنه كنعان. {وَلاَ تخاطبنى فِى الذين ظَلَمُواْ} يعني: ولا تراجعني بالدعاء في الذين كفرُوا وهو ابنه. {إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ} بالطوفان. قرأ عاصم في رواية حفص {مِن كُلّ زَوْجَيْنِ} بتنوين اللام، وقرأ الباقون بغير تنوين.

ثم قال عز وجل: {فَإِذَا استويت أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الفلك}، يعني: ركِبت في السفينة، {فَقُلِ الحمد للَّهِ}، يعني: الشكر لله {الذى نَجَّانَا مِنَ القوم الظالمين} المشركين. قوله عز وجل: {وَقُل رَّبّ أَنزِلْنِى}، يعني: إذا نزلت من السفينة إلى البر، فقل: رب أنزلني {مُنزَلاً مُّبَارَكاً}. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {مُنزَلاً} بنصب الميم وكسر الزاي، يعني: موضع النزول؛ وقرأ الباقون {مُنزَلاً} بضم الميم ونصب الزاي، وهو اختيار أبي عبيدة، وهو

المصدر من أنزل ينزل، فصار بمعنى أنزلني إنزالاً مباركاً. {وَأَنتَ خَيْرُ المنزلين} من غيرك؛ وقد قرأ في الشواذ {وَأَنتَ خَيْرُ المنزلين} بنصب الزاي، يعني: أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام: قل هذا القول، حتى تكون خير المنزلين.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ فِى ذَلِكَ}، يعني: في إهلاك قوم نوح. {لآيَاتٍ}، يعني: لعبراً لمن بعدهم. {وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ}، يعني: وقد كنا لمختبرين بالغرق؛ ويقال: بالطاعة والمعصية. وإن بمعنى قد، كقوله {قَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ الله مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبال} [إبراهيم: 46]، يعني: وقد كان مكرهم.

قوله عز وجل: {ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ}، أي خلقنا من بعدهم {قَرْنٍ مكناهم} وهم قوم هود، {فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ}؛ يعني: نبيّهم هوداً عليه السلام {أَنِ اعبدوا الله}، يعني: قال لهم هود: احمدوا الله وأطيعوه، {مَا لَكُمْ مّنْ إله غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ}، يعني: اتقوه. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر.

قوله عز وجل: {وَقَالَ الملا مِن قَوْمِهِ الذين كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاء الاخرة}، يعني: بالبعث بعد الموت، {وأترفناهم}؛ يعني: أنعمنا عليهم، ويقال: وسعنا عليهم حتى أترفوا. {وَقَالَ الملا مِن قَوْمِهِ الذين}، يعني قالوا: ما هذا {إِلاَّ بَشَرٌ}، يعني: آدمياً {مّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ}، يعني: كما تأكلون منه، {وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ}؛ يعني: كما تشربون. {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً}، يعني:

آدمياً {مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لخاسرون}، أي لمغبونون {أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً}، أي صرتم تراباً {وعظاما أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ}، يعني: محيون.

▲ تفسير الآيات رقم [36– 48]

{هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (38) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (39) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (40) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (41) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (42) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (43) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48)}

قوله عز وجل: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ} قرأ أبو جعفر المدني {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ} كلاهما بكسر التاء. قال أبو عبيد: قراءتها بالنصب، لأنه أظهر اللغتين وأفشاهما، وقال بعضهم: قد قُرئ هذا الحرف بسبع قراءات بالكسر، والنصب، والرفع، والتنوين، وغير التنوين، والسكون. وهذه الكلمة يعبر بها عن البعد، يعني: بعيداً بعيداً، ومعناه أنهم قالوا: هذا لا يكون أبداً، يعني: البعث. {لِمَا تُوعَدُونَ}، يعني: بَعِيداً بَعيداً لِمَا تُوْعَدُونَ.

{إِنْ هِيَ}، يعني: ما هي {إِلاَّ حَيَاتُنَا الدنيا نَمُوتُ وَنَحْيَا}، يعني: نحيا ونموت على وجه التقديم؛ ويقال: معناه يموت الآباء وتعيش الأبناء. {وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}، يعني: لا نبعث بعد الموت. {إِنْ هُوَ}، يعني: ما هو {إِلاَّ رَجُلٌ افترى على الله كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ}، أي بمصدقين، فلما كذبوه دعا عليهم، {قَالَ رَبّ انصرنى}، يعني: قال هود: أعني عليهم بالعذاب {بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ} الله تعالى: {عَمَّا قَلِيلٍ}، يعني: عن قريب. وما صلة، كقوله {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القلب لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فاعف عَنْهُمْ واستغفر لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الامر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ المتوكلين} [آل عمران: 159]. {لَّيُصْبِحُنَّ نادمين}، يعني: ليصيرن نادمين، فأخبر الله تعالى عن معاملة الذين كانوا من قبل مع أنبيائهم وسوء جزائهم وأذاهم لأنبيائهم، ليصبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى قومه.

ثم أخبر عن عاقبة أمرهم، فقال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الصيحة بالحق}؛ يعني: العذاب وهو الريح العقيم؛ ويقال: وهي صيحة جبريل عليه السلام {فجعلناهم غُثَاء}، يعني: يابساً؛ ويقال: هلكى كالغثاء، وهو جمع غثاء وهو ما على السيل من الزبد، لأنه يذهب ويتفرق؛ وقال الزجاج: الغثاء البالي من ورق الشجر، أي جعلناه يبساً كيابس الغثاء؛ ويقال: الغثاء النبات اليابس كقوله: {فَجَعَلَهُ غُثَآءً أحوى} [الأعلى: 5]. ثم قال: {فَبُعْداً}، يعني: سحقاً ونكساً {لّلْقَوْمِ الظالمين}، يعني: بعداً من رحمة الله تعالى.

قوله عز وجل: {ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُوناً}، يعني: خلقنا من بعدهم قروناً {ءاخَرِينَ *** مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا}؛ وفي الآية مضمر ومعناه: فأهلكناهم بالعذاب في الدنيا ما تسبق من أمة، يعني: ما يتقدم ولا تموت قبل أجلها طرفة عين، {وَمَا يَسْتَخِرُونَ} بعد أجلهم طرفة عين.

قوله عز وجل: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا}، يعني: بعضها على إثر بعض قرأ ابن كثير وأبو عمرو {رُسُلَنَا تَتْرَى} بالتنوين، وقرأ حمزة والكسائي بكسر الراء بغير تنوين، وقرأ الباقون بنصب الراء وبغير تنوين وهو التواتر. قال مقاتل: كلّ ما في القرآن «تَتْرا وَمِدْرَاراً وَأَبَابِيلَ وَمُرْدِفِينَ»، يعني: بعضها على إثر بعض.

قال القتبي: أصل تترى وتراً، فقلبت الواو تاءً كما قلبوها في التقوى والتخمة وأصلها وتراً، والتخمة وأصلها.

ثم قال عز وجل: {كُلَّمَا جَاءهُمْ *** أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً} بالهلاك الأول فالأول، {فجعلناهم أَحَادِيثَ}؛ أي أخباراً وعبراً لمن بعدهم؛ ويقال: فجعلناهم أحاديث لمن بعدهم، يتحدثون بأمرهم وشأنهم؛ وقال الكلبي: ولو بقي واحد منهم لم يكونوا أحاديث. {فَبُعْداً} لِلْهَالِكِ؛ ويقال: فسحقاً {لّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ}، يعني: لا يصدقون.

قوله عز وجل: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا موسى وَأَخَاهُ هارون بئاياتنا} التسع، {وسلطان مٌّبِينٍ}؛ يعني: بحجة بينة {إلى فِرْعَوْنَ}، أي قومه: {عَادٌ فاستكبروا}؛ يعني:

تعظموا عن الإيمان والطاعة، {وَكَانُواْ قَوْماً عالين}؛ يعني: متكبرين. {فَقَالُواْ أَنُؤْمِنُ}، يعني: أنُصدق {لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا}؟ يعني: خلقين آدميين. {وَقَوْمُهُمَا لَنَا عابدون}، أي مستهزئين ذليلين. {فَكَذَّبُوهُمَا}، يعني: موسى وهارون، {فَكَانُواْ مِنَ المهلكين}؛ يعني: صاروا مغرقين في البحر.

▲ تفسير الآيات رقم [49– 53]

{وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آَيَةً وَآَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50) يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب}، يعني: التوراة، {لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}؛ يعني: لكي يهتدوا، يعني: بني إسرائيل. قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءايَةً}، يعني: عبرة وعلامة لبني إسرائيل، ولم يقل آيتين؛ وقد ذكرناه. ثم قال: {وَجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ}، يعني: أنزلناهما إلى ربوة، وذلك أنها لما ولدت عيسى عليه السلام هم قومها أن يرجموها، فخرجت من بيت المقدس إلى أرض دمشق، والربوة المكان المرتفع. {ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}، يعني: أرضاً مستوية {وَمَعِينٍ} يعني: الماء الجاري الطاهر، وهو مفعول من العين، وأصله معيون، كما يقال: ثوب مخيط؛ وقال سعيد بن المسيب: الربوة هي دمشق؛ ويقال: هي بيت المقدس، لأنها أقرب إلى السموات من سائر

الأرض؛ ويقال: إنها الرملة وفلسطين. قرأ ابن عامر وعاصم {رَبْوَةٍ} بنصب الراء، وقرأ الباقون بالضم، ومعناهما واحد.

قوله عز وجل: {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل}، يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم. وإنما خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وأراد به النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، كما يجيء في مخاطبتهم. {كُلُواْ مِنَ الطيبات}، يعني: من الحلالات. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا ابن صاعد قال: حدثنا أحمد بن منصور قال: حدثنا الفضيل بن دكين قال: حدثنا الفضل بن مرزوق قال: أخبرني عدي بن ثابت، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً، وَإِنَّ الله تَعَالَى أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {وَمَعِينٍ يأَيُّهَا الرسل كُلُواْ مِنَ الطيبات} وقال: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغمام وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ المن والسلوى كُلُواْ مِن طيبات مَا رزقناكم وَمَا ظَلَمُونَا ولكن كانوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [البقرة: 57]. ثمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ، يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك» وقال الزجاج: خوطب بهذا النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل: {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل} وتضمن هذا الخطاب أن الرسل عليهم السلام جميعاً كذا أمروا. قال: ويروى أن عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمه، وكان رزق النبي صلى الله عليه وسلم من الغنيمة وأطيب الطيبات الغنائم. ثم قال تعالى: {واعملوا صالحا}؛ يعني: خالصاً. {إِنّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، يعني: قبل أن تعملوا.

قوله عز وجل: {وَإِنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدة}، يعني: دينكم الذي أنتم عليه، يعني: ملة الإسلام دين واحد، عليه كانت الأنبياء عليهم السلام والمؤمنون.

{وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فاتقون}، يعني: أنا شرعته لكم فأطيعون. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: {ءانٍ} بنصب الألف وتشديد النون، وقرأ ابن عامر بنصب الألف وسكون النون، وقرأ الباقون بكسر الألف والتشديد على معنى الابتداء.

ثم قال عز وجل: {فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ}، يقول: فرقوا دينهم وتفرقوا في دينهم، ومعناه: أن دين الله تعالى واحد، فجعلوه أدياناً مختلفة زبراً. قرأ ابن عامر: {زُبَرًا} بنصب الباء، أي قطعاً وفرقاً، وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي {زُبُراً}. بضم الباء، أي كتباً، معناه: جعلوا دينهم كتباً مختلفة؛ ويقال: فتقطعوا كتاب الله وحرفوه وغيروه {زُبُراً}. {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}، يعني: بما هم عليه من الدين معجبون، راضون به.

▲ تفسير الآيات رقم [54– 61]

{فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (54) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56) إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61)}

قوله عز وجل: {فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ}، يعني: اتركهم في جهالتهم {حتى حِينٍ}، يعني: إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذاب. {أَيَحْسَبُونَ}، يعني: أيظنون وهم أهل الفرق، {أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ} يعني: أن الذي نزيدهم به {مِن مَّالٍ وَبَنِينَ} في الدنيا. {نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الخيرات}، يعني: هو خير لهم في الآخرة؟ قرأ بعضهم {***يُسَارَعُ} بالياء ونصب الراء على معنى فعل ما لم يسم فاعله، وقراءة العامة {وَبَنِينَ نُسَارِعُ} بالنون وكسر الراء، يعني: يظنون أنا نسارع لهم في الخيرات، بزيادة المال والولد؛ بل هو استدراج لهم.

وروي في الخبر، أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام أيفرح عبدي أن أبسط له في الدنيا، وهو أبعد له مني ويجزع عبدي المؤمن أن أقبض منه الدنيا، وهو أقرب له مني؟ ثم قال: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ}، وقد تم الكلام، يعني: أيظنون أن ذلك خير لهم في الدنيا؟ ثم قال: {نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الخيرات} {بَل لاَّ يَشْعُرُونَ} أن ذلك فتنة لهم؛ ويقال: {أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ} وقد تم الكلام، يعني: أيظنون أن ذلك خير لهم في الدنيا؟ ثم قال عز وجل: {نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الخيرات} يعني: نبادرهم في الطاعات وهو خير لهم، أي في الآخرة {بَل لاَّ يَشْعُرُونَ} أن زيادة المال والولد أن ذلك مكر بهم وشر لهم في الآخرة.

ثم ذكر المؤمنين، فقال عز وجل: {إِنَّ الذين هُم مّنْ خَشْيةِ رَبّهِمْ مُّشْفِقُونَ}، يعني: خائفين من عذابه؛ ويقال: هذا عطف على قوله: {والذين هُمْ لاماناتهم وَعَهْدِهِمْ راعون * والذين هُمْ على صلواتهم يحافظون * والذين هُم

مّنْ *** خَشْيةِ رَبّهِمْ مُّشْفِقُونَ} ثم قال: {والذين هُم بئايات رَبَّهِمْ يُؤْمِنُونَ}، يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يصدقون.

قوله: {والذين هُم بِرَبّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ}، يعني: لا يشركون معه غيره، ولكنهم يوحدون ربهم؛ ويقال: بربهم لا يشركون، وهو أن يقول: لولا فلان ما وجدت هذا. ثم قال عز وجل: {والذين يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ}، يعني: يعطون ما أعطوا من الصدقة والخير. {وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}، يعني: خائفة. وروى سالم بن معول، عن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني: أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية {والذين يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ويزنون، قال: «ا يا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، ولكنهم هُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيُصَلُّونَ». وروي عن أبي بكر بن خلف أنه قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقلنا: كيف تقرئين يا أم المؤمنين {والذين يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ}، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ {والذين يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ}، فقلت يا نبي الله، هو الرجل الذي يسرق ويشرب الخمر؟ قال:

»ا يا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُ». وقال الزجاج: من قرأ {يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ}، معناه يعطون ما أعطوا، ويخافون أن لا يقبل منهم؛ ومن قرأ {يَأْتُونَ * مَا ءاتَواْ} أي يعملون من الخيرات ما يعملون، ويخافون مع اجتهادهم أنهم مقصرون. ثم قال

تعالى: {أَنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ راجعون}، يعني: لأنهم إلى ربهم راجعون، ومعناه يعملون ويوقنون أنهم يبعثون بعد الموت.

قوله عز وجل: {أُوْلَئِكَ يسارعون فِى الخيرات}، يعني: يبادرون في الطاعات من الأعمال الصالحة، {وَهُمْ لَهَا سابقون}، يعني: هم لها عاملون، يعني: الخيرات، وقال الزجاج: فيه قولان: أحدهما معناه هم إليها سابقون، كقوله عز وجل: {بِأَنَّ رَبَّكَ أوحى لَهَا} يعني: إليها، ويجوز هم لها سابقون أي لأجلها، أي من أجل اكتسابها، كقولك: أنا أكرم فلاناً لك، أي من أجلك.

▲ تفسير الآيات رقم [62– 67]

{وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (64) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (65) قَدْ كَانَتْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67)}

قوله عز وجل: {وَلاَ نُكَلّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}، يعني: بقدر طاقتها. {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ}، يعني: وعندنا نسخة أعمالهم التي يعملون، وهي التي تكتب الحفظة عليهم {يَنطِقُ بالحق}، يعني: يشهد عليهم بالصدق؛ وقال الكلبي: {وَلاَ نُكَلّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}، أي طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائماً، فليصلِّ قاعداً. {وَعِندَنَا كتاب * يَنطِقُ بالحق}؛ وهو الذكر، يعني: اللوح

المحفوظ. {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}، يعني: لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم. {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مّنْ هذا}، يعني: في غفلة من الإيمان بهذا القرآن؛ ويقال: هم في غفلة من هذا الذي وصفنا من كتابة الأعمال. {وَلَهُمْ أعمال مّن دُونِ ذلك}؛ قال مقاتل: يقول: لهم أعمال خبيثة دون الشرك {هُمْ لَهَا عاملون}، أي لتلك الأعمال لا محالة التي في اللوح المحفوظ. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة قال: ذكر الله تعالى: {الذين هُم مّنْ خَشْيةِ رَبّهِمْ مُّشْفِقُونَ}. ثم قال للكفار: {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مّنْ هذا} ثم رجع إلى المؤمنين، فقال: {وَلَهُمْ أعمال مّن دُونِ ذلك} الأعمال التي عددتهم لها عاملون.

ثم قال عز وجل: {حتى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بالعذاب}، يعني: أغنياءهم وجبابرتهم بالعذاب. قال مجاهد: يعني: بالسيوف يوم بدر، وقال الكلبي: بالجوع سبع سنين، حتى أكلوا الجيف. {حتى إِذَا أَخَذْنَا}، أي يصيحون ويتضرعون إلى الله تعالى، حين نزل بهم العذاب؛ ويقال يدعون ويستغيثون. قول الله تعالى: {لاَ تَجْئَرُواْ اليوم}، يعني: لا تضجوا ولا تتضرعوا اليوم. {إِنَّكُمْ مّنَّا لاَ تُنصَرُونَ}، يعني: من عذابنا لا تمنعون.

قوله عز وجل: {قَدْ كَانَتْ ءايَتِى تتلى عَلَيْكُمْ}، أي تقرأ وتعرض عليكم، {فَكُنتُمْ على أعقابكم تَنكِصُونَ}، أي ترجعون إلى الشرك وتميلون إليه. {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ}، أي متعظمين؛ ويقال {تَنكِصُونَ} أي تقيمون عليه {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} يعني: بالبيت، صار هذا كناية من غير أن يسبق ذكر

البيت، لأن ذلك البيت كان معروفاً عندهم. وقال مجاهد: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} أي بمكة بالبلد. {سامرا} بالليل لجلسائهم. {تَهْجُرُونَ} بالقول الذي في القرآن؛ ويقال: {تَهْجُرُونَ} يعني: تتكلمون بالفحش وسب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم: «زُورُوها يعني: المقابر ولا تَقُولُوا هُجْراً» يعني: فحشاً؛ وقال القتبي: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ}، يعني: بالبيت العتيق تهجرون به، ويقولون: نحن أهله سامراً. والسمر حديث الليل؛ وقال أهل اللغة: السمر في اللغة ظل القمر؛ ولهذا سمي حديث الليل سمراً، لأنهم كانوا يجتمعون في ظل القمر ويتحدثون. قرأ نافع {سامرا تَهْجُرُونَ} بضم التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بنصب التاء وضم الجيم، وقال أبو عبيد: هذه القراءة أحب إلينا، فيكون من الصدود والهجران، كقوله: {فَكُنتُمْ على أعقابكم تَنكِصُونَ}، يعني: تهجرون القرآن ولا تؤمنون به. ومن قرأ: {تَهْجُرُونَ} أراد الإفحاش في المنطق، وقد فسرها بعضهم على الشرك.

تفسير الآيات رقم [68- 74]

{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آَبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (68) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (70) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (72) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (73) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74)}

ثم قال عز وجل: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ القول}؛ وأصله يتدبروا فأدغم التاء في الدال، يعني: أفلم يتفكروا في القرآن؟ {أَمْ جَاءهُمْ} من الأمان {مَّا لَمْ يَأْتِ ءابَاءهُمُ الاولين}، حتى يؤمنوا؛ وقال: معناه جاءهم الذي لم يجئ آباءهم الأولين؛ وهذا كقوله: {لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ ءابَاؤُهُمْ}؛ وقال الكلبي: {مَّا لَمْ يَأْتِ ءابَاءهُمُ الاولين أَمْ لَمْ} من البراءة من العذاب ثم قال تعالى: {أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ}، يعني: نسبة رسولهم. {فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}، يعني: جاحدين؛ قال أبو صالح: عرفوه ولكن حسدوه.

{أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ}، يعني: بل يقولون به جنون. {بَلْ جَاءهُمْ بالحق}، يعني: الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والقرآن من عند الله عز وجل، أن لا تعبدوا إلا الله. {وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقّ كارهون}، يعني: جاحدين مكذبين، وهم الكفار.

قوله عز وجل: {وَلَوِ اتبع الحق أَهْوَاءهُمْ}، والحق هو الله تعالى، يعني: لو اتبع الله أهواءهم يعني: مرادهم، {لَفَسَدَتِ *** السموات والارض *** وَمَن فِيهِنَّ}، يعني: لهلكت، لأن أهواءهم ومرادهم مختلفة؛ ويقال: لو كانت الآلهة بأهوائهم، كما قالوا: لفسدت السموات، كقوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا فسبحان الله رَبِّ العرش عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: 22]. ثم قال: {بَلْ أتيناهم بِذِكْرِهِمْ}، يعني: أنزلنا إليهم جبريل عليه السلام بعزهم وشرفهم، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم. {فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ}، يعني: عن القرآن، أي تاركوه لا يؤمنون به. {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً}، قرأ حمزة

والكسائي {***خراجاً}. {خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبّكَ خَيْرٌ}، يعني: فثواب ربك خير، ويقال: قوت ربك من الحلال خير من جعلهم وثوابهم. {وَهُوَ خَيْرُ الرزقين}، أي أفضل الرازقين.

قوله عز وجل: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ}، يعني: دين مستقيم، وهو الإسلام لا عوج فيه. {وأَنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة}، يعني: لا يصدقون بالبعث {عَنِ الصراط لناكبون}، أي عن الدين لعادلون ومائلون.

▲ تفسير الآيات رقم [75– 77]

{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (77)}

{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرّ}، يعني: من الجوع الذي أصابهم، يعني: من الجوع الذي أصابهم، {لَّلَجُّواْ}؛ أي مضوا وتمادوا {فِي طغيانهم يَعْمَهُونَ}، يعني: في ضلالتهم يترددون. قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أخذناهم بالعذاب}، يعني: بالجوع، {فَمَا استكانوا لِرَبّهِمْ}؛ يعني: ما تضعفوا وما خضعوا لربهم. {وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}؛ يقول: ما يرغبون إلى الله في الدعاء وبالطاعة، {حتى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ}؛ يعني: نفتح عليهم. قال السدي: هو فتح مكة. {إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}، قال: أبلسوا يومئذٍ وتغيرت وجوههم وألوانهم، حين ينظرون أصنامهم تكسرت، وقال عكرمة: ذا عذاب

شديد، يعني: فتح مكة؛ ويقال: الجوع الشديد {إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}، أي آيسون من كل خير ورزق.

▲ تفسير الآيات رقم [78– 90]

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (78) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (79) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (80) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (81) قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (82) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (83) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90)}

قوله عز وجل: {وَهُوَ الذى أَنْشَأَ لَكُمُ السمع والابصار والافئدة}، فهذه الأشياء من النعم. {قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}، يعني: أنتم لا تشكرون؛ ويقال: شكركم فيما صنع إليكم قليل. {وَهُوَ الذى ذَرَأَكُمْ}، يعني: خلقكم في الأرض. {وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} في الآخرة، {وَهُوَ الذى يُحىِ وَيُمِيتُ}؛ أي يحيي الموتى ويميت الأحياء. {وَلَهُ اختلاف اليل والنهار}، أي ذهاب الليل ومجيء النهار، {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أمر الله؟ ويقال: أفلا تعقلون توحيد ربكم فيما ترون

من صنعه فتعتبرون؟ ثم قال عز وجل: {بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ الاولون}، يعني: كذبوا مثل ما كذب الأولون. {قَالُواْ * أَءذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وعظاما أَءنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءابَاؤُنَا هذا مِن قَبْلُ}، يعني: هذا القول. {إِنَّ هَذَا}، يعني: ما هذا {إِلاَّ أساطير الاولين}، يعني: أحاديثهم وكذبهم.

قوله عز وجل: {قُلْ} لكفار مكة: {لّمَنِ الارض وَمَن فِيهَا} من الخلق. {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} أن أحداً يفعل ذلك غير الله تعالى، فأجيبوني. {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ}، يعني: تتعظون فتطيعونه وتوحدونه. {قُلْ مَن رَّبُّ *** السموات **السبع وَرَبُّ العرش العظيم * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ}، وكلهم قرؤوا الأول بغير ألف، وأما الآخر فإن كلهم قرؤوا بغير ألف غير أبي عمرو، فإنه قرأ الله؛ والباقون لله. قال أبو عبيد: وجدت في مصحف الإمام كلها بغير ألف. قال: وحدثني عاصم الجحدري أن أول من قرأ هاتين الألفين نصر بن عاصم الليثي. فأما من قرأ {الله}، فهو ظاهر لأنه جواب السائل عما يسأل، ومن قرأ {لِلَّهِ}، فله مخرج في العربية سهل، وهو ما حكى الكسائي عن العرب أنه يقال للرجل: من رب هذه الدار؟ فيقول: لفلان، يعني: هي لفلان. والمعنى في ذلك أنه إذا قيل: من صاحب هذه الدار؟ فكأنه يقول: لمن هذه الدار. وإذا قال المجيب: هي لفلان أو قال: فلان، فهو جائز ولو كان الأول {الله}، لكان يجوز في اللغة، ولكنه لم يقرأ والاختلاف في الآخرين.

ثم قال: {قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} عبادة غير الله تعالى، فتوحدوه.

قوله عز وجل: {قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَئ}، يعني: خزائن كل شيء.
{وَهُوَ يُجْيِرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ}، يعني: يقضي ولا يقضى عليه، ويقال: وهو يؤمن من العذاب ولا يؤمن عليه، أي ليس له أحد يؤمن الكفار من عذابه.
{إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *** سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فأنى تُسْحَرُونَ}، يعني: من الذين تصرفون عن الإسلام وعن الحق. ثم قال عز وجل: {بَلْ أتيناهم بالحق}، قال الكلبي: يعني: القرآن؛ وقال مقاتل: يعني: جئناهم بالتوحيد. {وَإِنَّهُمْ لكاذبون} في قولهم إن الملائكة عليهم السلام كذا وكذا ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [91– 98]

{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (95) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (96) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)}

{مَا اتخذ الله مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ}، أي من شريك. {إِذاً لَّذَهَبَ}، يعني: لو كان معه آلهة لذهب {كُلُّ إله بِمَا خَلَقَ}، يعني: لاستولى كل إله بما خلق وجمع لنفسه كلما خلق. {وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ}، يعني: ولغلب بعضهم على بعض. {سبحان الله عَمَّا يَصِفُونَ} من الكذب.

قوله عز وجل: {عالم الغيب والشهادة}، يعني: عالم السر والعلانية؛ ويقال: عالم بما مضى وما هو كائن. {فتعالى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ}، يعني: هو أجلُّ وأعلى مما يوصف له من الشريك والولد. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص: {عالم الغيب} بكسر الميم على معنى النعت لقوله {سبحان الله}، وقرأ الباقون بالضم على معنى الابتداء.

قوله: {قُل رَّبّ إِمَّا تُرِيَنّى مَا يُوعَدُونَ} من العذاب وما صلة؛ ويقال: إن أريتني عذابهم. {رَبّ فَلاَ تَجْعَلْنِى فِى القوم الظالمين}، يعني: أخرجني منهم قبل أن تعذبهم، فلا تعذبني معهم بذنوبهم. {وَإِنَّا على أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ} من العذاب {لقادرون}؛ قال الكلبي: هذا أمر قد كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهده أصحابه وقد مضى بعد الفتنة التي وقعت في الصحابة، بعد قتل عثمان رضي الله عنه وذكر: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير بعد نزول هذه الآية ضاحكاً ولا مبتسماً؛ وقال مقاتل: {وَإِنَّا على أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لقادرون} يعني: يوم بدر؛ ويقال: يوم فتح مكة؛ ويقال: قل: {رَّبّ إِمَّا تُرِيَنّى مَا يُوعَدُونَ} يعني: الفتنة {رَبّ فَلاَ تَجْعَلْنِى فِى القوم الظالمين}، يعني: مع الفئة الباغية، وهذا كقوله: {واتقوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الذين ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً واعلموا أَنَّ الله شَدِيدُ العقاب} [الأنفال: 25]. وذكر عن الزبير أنه كان إذا قرأ هذه الآية، يقول قد حذرنا الله فلم نحذر.

ثم قال عز وجل: {ادفع بالتى هِىَ أَحْسَنُ السيئة}، يعني: ادفع بحلمك جهلهم؛ ويقال: بالكلام الحسن الكلام القبيح؛ ويقال: ادفع بقول لا إله إلا الله

الشرك من أهل مكة. ثم قال: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ}، يعني: بما يقولون من الكذب؛ ويقال: معناه نحن أعلم بما يقولون فلا تعجل أنت أيضاً. {وَقُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشياطين}، يعني: أعتصم بك من نزغات الشيطان وضرباته ووساوسه. ثم قال: {وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ}، يعني: قل: رب أعوذ بك من قبل أن يحضرون الشياطين عند تلاوة القرآن؛ ويقال:
يحضرون عند الموت؛ ويقال: عند الصلاة. وأصله أن يحضرونني، إلا أنه يكتب {يَحْضُرُونِ} بحذف إحدى النونين للتخفيف.

▲ تفسير الآيات رقم [99- 111]

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (111)}

قوله عز وجل: {حتى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الموت}، يعني: أمهلهم وأجلهم، حتى إذا حضر أحدهم الموت وهم الكفار، {قَالَ رَبّ ارجعون}؛ يعني: يقول لملك الموت وأعوانه: يا سيدي ردني؛ ويقال: يدعو الله تعالى، ويقول: يا رب ارجعون؛ ويقال: إنما قال بلفظ الجماعة، لأن العرب تخاطب جليل الشأن بلفظ الجماعة؛ ويقال: معناه يا رب مرهم ليرجعوني إلى الدنيا. {لَعَلّى أَعْمَلُ صالحا}، يعني: خالصاً {فِيمَا تَرَكْتُ} في الدنيا. قال الله تعالى: {كَلاَّ}، وهو رد عليهم، يعني: أنه لا يرد إلى الدنيا. ثم قال: {إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا}، يعني: مقولها ولا تنفعه. ثم قال: {وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ}، يعني: من بعدهم القبر {إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}، أي والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة؛ ويقال: كل حاجز بين الشيئين. فهو برزخ؛ ويقال: هو بين النفختين؛ وقال قتادة: البرزخ بقية الدنيا؛ وقال الحسن: القبر بين الدنيا والآخرة.

قوله عز وجل: {فَإِذَا نُفِخَ فِى الصور}، يعني: النفخة الأخيرة، {فَلاَ أنساب بَيْنَهُمْ}؛ يعني: لا ينفعهم {يَوْمَئِذٍ} النسبُ، {وَلاَ يَتَسَاءلُونَ} عن ذلك. فهذه حالات لا يتساءلون في موضع، ويتساءلون في موضع آخر. {فَمَن ثَقُلَتْ موازينه}، يعني: رجحت حسناته على سيئاته، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ المفلحون}؛ يعني: الناجون من الآخرة، {وَمَنْ خَفَّتْ موازينه}؛ يعني: رجحت سيئاته على حسناته، {فأُوْلَئِكَ الذين خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خالدون * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النار}؛ يعني: تنفح. قال أهل اللغة: النفح واللفح بمعنى واحد، إلا أن اللفح أشد تأثيراً وهو الدفع، يعني: تضرب وجوههم النار. {وَهُمْ فِيهَا}، يعني: في النار، {كالحون}؛ يعني: كلحت وعبست وجوههم، والكالح الذي قد قلصت

شفتاه عن أسنانه، ونحو ما تُرى من رؤوس الغنم مشوية إذا بدت الأسنان، يعني: كلحت وجوههم فلم تلتق شفاههم. وقال ابن مسعود: كالرأس النضوج. ثم قال: {أَلَمْ تَكُنْ}، يعني: يقال لهم: ألم تكن {تتلى عَلَيْكُمْ فاستكبرتم}، يعني: ألم يكن يقرأ عليكم القرآن فيه بيان هذا اليوم، وما هو كائن فيه؟ {فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ}، يعني: بالآيات.

قوله عز وجل: {قَالُواْ}، يعني: إن الكفار قالوا: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا}، التي كتبت علينا والتي قدرت علينا في اللوح المحفوظ. {وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ} عن الهدى. قرأ حمزة والكسائي {***شقاوتنا} بنصب الشين والألف، وقرأ الباقون {عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} بكسر الشين وسكون القاف بغير ألف. وروي عن ابن مسعود {***شقاوتنا} و{عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} ومعناهما قريب. {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا}، يعني: من النار، {فَإِنْ عُدْنَا} إلى الكفر والتكذيب، {فَإِنَّا ظالمون *** قَالَ}، أي فحينئذٍ يقول الله تعالى: {اخسئوا فِيهَا}، يعني: اصغروا فيها واسكتوا، أي كونوا صاغرين.

{وَلاَ تُكَلِّمُونِ}، أي ولا تكلمون بعد ذلك.

قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا أبو حفص، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل النار يدعون مالكاً، فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يرد عليهم: إنكم ماكثون. ثم يدعون ربهم: ربنا أخرجنا منها، فإن عدنا فإنا ظالمون. فلا

يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا مرتين، ثم يجيبهم: {اخسئوا فِيهَا وَلاَ تُكَلّمُونِ}، فوالله ما نبت بعد هذا بكلمة إلا الزفير والشهيق.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لما قال الله تعالى: {اخسئوا فِيهَا وَلاَ تُكَلّمُونِ}، فإنما بقت أفواههم وانكسرت ألسنتهم، فمن الأجواف يعوون عواء الكلب؛ ويقال: {اخسئوا} أي تباعدوا تباعد سخط. يقال: خسأت الكلب، إذا زجرته ليتباعد. ثم بيّن لهم السبب الذي استحقوا تلك العقوبة به، فقال: {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ} وهم المؤمنون: {رَبَّنَا ءامَنَّا}، أي صدقنا، {فاغفر لَنَا وارحمنا وَأَنتَ خَيْرُ الرحمين}.

قوله عز وجل: {فاتخذتموهم سِخْرِيّاً}، يعني: هزواً، {حتى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى}؛ يعني: أنساكم الهزء بهم العمل بطاعتي، {وَكُنْتُمْ مّنْهُمْ تَضْحَكُونَ} في الدنيا. قرأ عاصم، وابن عامر، وابن كثير، وأبو عمرو {سِخْرِيّاً} بكسر السين، وكذلك في سورة ص، وكانوا يقرؤون في الزخرف بالرفع، قالوا: لأن في هذين الموضعين من الاستهزاء. وهناك في الزخرف من السخرة والعبودية، فما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وما كان من التسخير فهو بالضم. وقرأ حمزة والكسائي ونافع {سِخْرِيّاً} كل ذلك بالضم؛ وقال أبو عبيد: هكذا نقرأ، لأنهن يرجعن إلى معنى واحد، وهما لغتان سِخْرِيٌّ وسُخْرِيّ؛ وذكر عن الخليل، وعن سيبويه أن كليهما واحد.

قوله عز وجل: {إِنِى جَزَيْتُهُمُ اليوم بِمَا صَبَرُواْ}، يعني: جعلت جزاءهم الجنة وهم المؤمنون بما صبروا، يعني: بصبرهم على الأذى وعلى أمر الله تعالى.

{أَنَّهُمْ هُمُ الفائزون}، يعني: الناجون. قرأ حمزة والكسائي {أَنَّهُمْ} بكسر الألف على معنى الابتداء، والمعنى إني جزيتهم. ثم أخبر فقال: إنهم هم الفائزون، وقال أبو عبيد، وقرأ الباقون {أَنَّهُمْ} بالنصب أَنّي جزيتهم لأنهم هم الفائزون؛ وقال أبو عبيد: الكسر أحب إليَّ على ابتداء المدح من الله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [112– 118]

{قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (114) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (118)}

قوله عز وجل: {قال كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الارض عَدَدَ سِنِينَ}، يعني: في القبر؛ ويقال: في الدنيا. ويروى عن ابن عباس في بعض الروايات أنه قال: لا أدري في الأرض أم في القبر؟ وقال مقاتل: {كَمْ لَبِثْتُمْ} فِي القبر عدد سنين. {قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العادين}، قال الأعمش: يعني: الحافظين؛ وقال مقاتل: يعني: ملك الموت وأعوانه، وقال قتادة: يعني: فاسأل الحسَّاب؛ وقال مجاهد: يعني: الملائكة عليهم السلام وهكذا قال السدي. {قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ} في القبر أو في الدنيا، {إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}، يعني: لو كنتم تصدقون أنبيائي عليهم السلام في الدنيا، لعرفتم

أنكم ما مكثتم في القبور إلا قليلاً. قرأ حمزة والكسائي وابن كثير: {قال كَمْ لَبِثْتُمْ} على معنى الأمر، وكذلك قوله {قُلْ إِنْ * لَّبِثْتُمْ}، وقرأ الباقون: {قَالَ} بالألف، وقرأ حمزة والكسائي: {فَاسْأَلِ العادين} بغير همز، وقرأ الباقون: {فَاسْأَلِ} بالهمزة.

ثم قال: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خلقناكم عَبَثاً}، أي لعباً وباطلاً لغير شيء، يعني: أظننتم أنكم لا تعذبون بما فعلتم؟ {وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ} بعد الموت. قرأ حمزة والكسائي: {لاَ تُرْجَعُونَ} بنصب التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بضم التاء ونصب الجيم، وكذلك التي في القصص قالوا: لأنها من مرجع الآخرة، وما كان من مرجع الدنيا، فقد اتفقوا في فتحه، مثل قوله: {فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ} [يس: 50]. قال أبو عبيد: وبالفتح نقرأ، لأنهم اتفقوا في قوله تعالى: {وَحَرَامٌ على قَرْيَةٍ أهلكناهآ أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} [الأنبياء: 95]، وقال إنهم لاَ يرجعون وَقَال {والذين يُؤْتُونَ مَآ ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ راجعون} [المؤمنون: 60]، كقوله: {الذين إِذَآ أصابتهم مُّصِيبَةٌ قالوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ راجعون} [البقرة: 156]، فأضاف الفعل إليهم.

ثم قال عز وجل: {فتعالى الله الملك الحق}، يقول: ارتفع وتعظم من أن يكون خلق شيئاً عبثاً، وإنما خلق لأمر كائن. ثم وحد نفسه، فقال: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ رَبُّ العرش الكريم}، يعني: السرير الحسن.

قوله عز وجل: {وَمَن يَدْعُ مَعَ الله إِلَهَا ءاخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}، يقول: لا حجة له بالكفر ولا عذر يوم القيامة. {فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبّهِ} في الآخرة،

يعني: عذابه. {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكافرون}، يعني: لا يأمن الكافرون من عذابه؛ ويقال: معناه جزاء كل كافر أنه لا يفلح الكافرون في الآخرة عند ربهم.

قوله عز وجل: {وَقُل رَّبّ اغفر وارحم}، يعني: تجاوز عني. {وَأَنتَ خَيْرُ الرحمين}، يعني: من الأبوين؛ وهذا قول الحسن، ويقال: من غيرك؛ ويقال: إنما حسابه عند ربه فيجازيه، كما قال: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية: 26] {وَقُل رَّبّ اغفر وارحم} فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يستغفر للمؤمنين، ويسأل لهم المغفرة؛ ويقال: أمره بأن يستغفر لنفسه، ليعلم غيره أنه محتاج إلى الاستغفار. كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنِّي أَسْتَغْفِرُ الله رَبِّي وَأَتُوبُ إِلَى الله فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَوْ قالَ مِائَةَ مَرَّةٍ» والله سبحانه وتعالى أعلم.

سورة النور

تفسير الآيات رقم [1- 2]

{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)}

قوله سبحانه وتعالى: {سُورَةٌ أنزلناها}؛ قرأ بعضهم: {سُورَةٌ} بنصب الهاء، وقراءة العامة بالضم. فمن قرأ بالضم فمعناه هذه سورة أنزلناها، ومن قرأ

بالنصب فمعناه أنزلنا سورة؛ ويقال: اقرأ سورة وقد قرئت {سُورَةٌ} بالهمزة وبغير همز؛ فمن قرأ بالهمز، جعلها من أسأرت، يعني: أفضلت كأنها قطعت من القرآن؛ ومن لم يهمز جعلها من سور المدينة سوراً. وقال النابغة للنعمان بن المنذر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَة *** تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

وإنما خص هذه السورة بذكر السورة لما فيها من الأحكام، فذلك كله يرجع إلى أمر واحد وهو أمر النساء. ثم قال تعالى: {وفرضناها}، يعني: بيَّنا حلالها وحرامها، وقال القتبي: أصل الفريضة الوجوب، وهاهنا يجوز أن يكون بمعنى بيّناها، وقد يجوز أوجبنا العمل بما فيها؛ وقال بعض أهل اللغة: أصل الفرض هو القطع، ولهذا سمي ما يقطع من حافة النهر فرضة؛ ويسمى الموضع الذي يقطع من السواك، أي ليشد فيه الخيط فرض؛ ولهذا يسمى الميراث فريضة، لأن كل واحد قطع له نصيب معلوم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: {وفرضناها} بتشديد الراء، وقرأ الباقون بالتخفيف. فمن قرأ بالتخفيف، فمعناه ألزمناكم العمل بما فرض؛ ومن قرأ بالتشديد، فهو على وجهين: أحدهما على معنى التكثير، أي إنا فرضنا فيها فروضاً، ومعنى آخر: وبيَّنا وفصلنا فيها من الحلال والحرام.

ثم قال: {وَأَنزَلْنَا فِيهَا}، يعني: في السورة {بَيّنَاتٍ فاسأل}، يعني: الحدود والفرائض والأمر والنهي؛ ويقال: الآيات، يعني: العلامات والعبرات؛ ويقال:

يعني: آيات القرآن. {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، يعني: تتعظون، فلا تعطلون الأحكام والحدود.

قوله عز وجل: {الزانية والزانى}؛ وقرأ بعضهم: {الزانية} بالنصب على معنى: اجلدوا الزانية والزاني، وهكذا السارق والسارقة بالنصب على هذا المعنى؛ ويقال: في الزنى بدأ بذكر المرأة، لأن الزنى في النساء أكثر؛ وفي السرقة بدأ بالرجال، لأن السرقة في الرجال أكثر. وقراءة العامة بالرفع على معنى الابتداء، وقيل: إنما بدأ بالمرأة، لأنها أحرص على الزنى من الرجال؛ ويقال: لأن الفعل ينتهي إليها، ولا يكون إلا برضاها.

ثم قال: {فاجلدوا كُلَّ وَاحِدٍ مّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ}، يعني: إذا كانا غير محصنين؛ {وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ الله}. قرأ ابن كثير {رَأْفَةٌ} بالهمزة والمد، وقرأ أبو عمرو بالمد بغير همز؛ وقرأ الباقون بالهمز بلا مد؛ ومعنى الكل واحد وهو الرحمة؛ وقال بعضهم: الرأفة اسم جنس، والرحمة اسم نوع. قال بعضهم: الرأفة للمذنبين، والرحمة للتائبين، وهو قول سفيان الثوري؛ وقال بعضهم: الرأفة تكون دفع المكروه، والرحمة إيصال المحبوب، يعني: لا تحملنكم الشفقة عليهما على ترك الحد، {إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله}؛ يعني: في دين الله، أي في حكم الله إن كنتم تؤمنون بالله، {واليوم الاخر}؛ يعني: يوم القيامة.

وإنما سمي اليوم الآخر، لأنه لا يكون بعده ليل ولا نهار، فيصير كله بمنزلة يوم واحد؛ وقد قيل: إنه تجتمع الأنوار كلها، وتصير في الجنة يوماً واحداً، وجمعت الظلمات كلها في النار، وتصير كلها ليلة واحدة.

ثم قال: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مّنَ المؤمنين}، يعني: ليحضر عند إقامة الحد طائفة من المؤمنين. وفي حضور الطائفة ثلاث فوائد: أولها أنهم يعتبرون بذلك، ويبلغ الشاهد الغائب والثانية أن الإمام إذا احتاج إلى الإعانة أعانوه، والثالثة لكي يستحي المضروب، فيكون زجراً له من العود إلى مثل ذلك الفعل؛ وقال الزهري: الطائفة ثلاثة فصاعداً، وذكر عن أنس بن مالك أنه قال: أربعة فصاعداً، لأن الشهادة على الزنى لا تكون أقل من أربعة؛ وقال بعضهم: اثنان فصاعداً؛ وقال بعضهم: الواحد فصاعداً؛ وهو قول أهل العراق؛ وهو استحباب وليس بواجب، وروي عن ابن عباس أنه قال: رجلان، وعن مجاهد قال: واحد فما فوقه طائفة؛ وروي عن ابن عباس مثله.

تفسير الآيات رقم [3– 5]

{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)}

قوله عز وجل: {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً}. روي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رجلاً يقال له مرثد بن أبي مرثد، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أأنكح عناقاً، يعني: امرأة بغيَّة كانت بمكة؟ قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى نزلت هذه الآية {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً}، {أَوْ مُشْرِكَةً}، فقال: «يا مَرْثَدُ لا تَنْكِحْهَا» وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ليس هو على النكاح، ولكنه الجماع؛ ويقال: إن أصحاب الصفة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يتزوجوا الزواني، وكانت لهن رايات كعلامة البيطار ليُعرف أنها زانية، وقالوا: لنا في تزويجهن مراد، فأذن لنا فإنهن أخصب أهل المدينة وأكثرهم خيراً؛ والمدينة غالية السعر، وقد أصابنا الجهد. فإذا جاءنا الله تعالى بالخير، طلقناهن وتزوجنا المسلمات، فنزلت الآية {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً}.

وقال سعيد بن جبير، والضحاك: {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً} أي لا يزني حين يزني إلا بزانية مثله في الزنى، والزانية لا تزني إلا بزان مثلها في الزنى. {والزانية لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرّمَ ذلك عَلَى المؤمنين}، يعني: الزنى؛ وقال الحسن البصري: الزاني المجلود بالزنى، لا ينكح إلا زانية مجلودة مثله في الزنى. وروي عن علي بن أبي طالب: أن مجلوداً تزوج امرأة غير مجلودة، ففرق بينهما؛ ويقال: أراد به النكاح، لا ينكح، يعني: لا يتزوج. وكان التزويج حراماً بهذه الآية، ثم نسخ بما روي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن امرأتي لا ترد يد لامس، فقال: طَلِّقْهَا. قال: إني أحبها، فقال: أَمْسِكْهَا. وقال سعيد بن المسيب: {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ

زَانِيَةً}. كانوا يرون الآية التي بعدها نسختها {وَأَنْكِحُواْ الأيامى مِنْكُمْ والصالحين مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور: 32] الآية.

ثم قال عز وجل: {والذين يَرْمُونَ المحصنات}، يعني: يقذفون العفائف من النساء الحرائر المسلمات، {ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء} على صدق مقالتهم، {فاجلدوهم}؛ يقول: للحكام؛ ويقال: هذا الخطاب لجميع المسلمين. ثم إن المسلمين فوضوا الأمر إلى الإمام وإلى القاضي، ليقيم عليهم الحد. {ثَمَانِينَ جَلْدَةً}، يعني: ثمانين سوطاً. {وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً}، أي لا تقبلوا لهم شهادة بعد إقامة الحد عليهم. {وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفاسقون}، يعني: العاصين.

قال عز وجل: {إِلاَّ الذين تَابُواْ مِن بَعْدِ ذلك}، يعني: القذف. {وَأَصْلَحُواْ}، يعني: العمل بعد التوبة، {فَإِنَّ الله غَفُورٌ} لذنوبهم بعد التوبة، {رَّحِيمٌ} بهم بعد التوبة؛ وقال شريح: يقبل توبته فيما بينه وبين الله تعالى. فأما شهادته، فلا تقبل أبداً؛ وقال إبراهيم النخعي رحمه الله: إذا تاب ذهب عنه الفسق، ولا تقبل شهادته أبداً. وروي عن ابن عباس أنه قال: {إِلاَّ الذين تَابُواْ} تاب الله عليهم من الفسق وأما الشهادة، فلا تقبل أبداً؛ وهكذا عن سعيد بن جبير ومجاهد. وروي عن جماعة من التابعين أن شهادته تقبل إذا تاب، مثل عطاء وطاوس وسعيد بن المسيب والشعبي وغيرهم؛ وهو قول أهل المدينة، والأول قول أهل العراق وبه نأخذ.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 10]

{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10)}

ثم قوله عز وجل: {والذين يَرْمُونَ أزواجهم}، يعني: يقذفون أزواجهم بالزنى. قال أبو الليث: حدّثنا أبو جعفر قال: حدّثنا أبو الحسن علي بن أحمد قال: حدّثنا محمد بن الفضل قال: حدّثنا يزيد بن هارون، عن عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما نزل {والذين يَرْمُونَ المحصنات} الآية، قال مسعد بن عبادة، وهو سيد الأنصار: أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، ألا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟». فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق، وأنها من الله تعالى، ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل، لم يكن لي أن أهيجه، حتى آتي بأربعة شهداء. فوالله إني لا آتي بأربعة شهداء، حتى يقضي حاجته. قال: فما لبثوا إلا يسيراً، حتى جاء هلال بن أمية، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. فجاء من أرضه عشاء، فوجد عند امرأته رجلاً، فرأى بعينه وسمع بأذنه، فلم يهجه حتى أصبح، فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً، فرأيت بعيني وسمعت بأذني. فكره النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه.

واجتمعت الأنصار، فقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة. الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية، ويبطل شهادته في المسلمين، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي مخرجاً. فوالله إن النبي صلى الله عليه وسلم ليريد أن يأمر بضربه، إذ نزل عليه الوحي، فعرفوا بذلك في تربد وجهه، فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزل {والذين يَرْمُونَ أزواجهم}.

{وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ شُهَدَاء إِلاَّ أَنفُسُهُمْ}، فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أَبْشِرْ يا هِلالُ فَقَدْ جَعَلَ الله لَكَ مَخْرَجاً». فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي. فأرسلوا إليها، فجاءت فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وذكرهما، وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا. فقال هلال: والله يا رسول الله لقد صدقت عليهما. فقالت: كذب علي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لاعِنُوا بَيْنَهُما». فقيل لهلال: اشهد. فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين؛ فلما كانت الخامسة، قيل: يا هلال، اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب. قال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها، فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

ثم قيل لها: اشهدي. فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فلما كانت الخامسة، قيل لها: اتقي الله، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب، فمكثت ساعة ثم قالت:

والله لا أفضح قومي، فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما، وقضى أن لا يدعى ولدها لأب، وقال: إن جاءت به أصيهب أريسج أثيبج خمش الساقين، فهو لهلال. وإن جاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الأليتين، فهو للذي رميت به. فجاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الأليتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْلاَ الأَيْمَانُ، لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ» قال عكرمة: فكان بعد ذلك أميراً على مصر ولا يدعى لأب.

وروى ابن شهاب، عن سهل بن سعد الساعدي: أن عويمر العجلاني أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن وجد الرجل مع امرأته رجلاً إن قتله قتلتموه أو كيف يفعل؟ قال: «قَدْ أَنْزَلَ الله فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ قُرْآناً فَاذْهَبْ فَأْت بِهَا» فتلاعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما فرغا، قال: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها فهي طالق ثلاثاً. فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن شهاب: تلك سنة المتلاعنين؛ وفي رواية أخرى: أنه فرق بينهما؛ وقال الزهري: صار ذلك سنة في المتلاعنين، فذلك قوله: {والذين يَرْمُونَ أزواجهم وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ شُهَدَاء إِلاَّ أَنفُسُهُمْ} يعني: الزوج خاصة.

{فشهادة أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شهادات بالله إِنَّهُ لَمِنَ الصادقين}، أي يحلف الزوج أربع مرات، فيقول في كل مرة: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أني صادق

فيما رميتها به من الزنى، {والخامسة}؛ يعني: ويقول في المرة الْخَامِسَةِ: {أَنَّ لَعْنَةَ الله عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الكاذبين} فيما رماها به من الزنى.

قوله: {وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا العذاب}، يعني: يدفع الحاكم الحد عن المرأة {أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بالله إِنَّهُ لَمِنَ الكاذبين}، يعني: بعد ما تحلف المرأة أربع مرات، فتقول في كل مرة: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أن الزوج من الكاذبين في قوله، {والخامسة}؛ يعني: وتقول المرأة في الخامسة: {أَنَّ غَضَبَ الله عَلَيْهَا إِن كَانَ} الزوج {مِنَ الصادقين} في مقالته. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {أَرْبَعُ شهادات} بضم العين، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالضم، يكون على معنى خبر الابتداء، فشهادة أحدهم التي تدرأ حد القذف أربع شهادات. ومن قرأ بالنصب، فالمعنى فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات.

قال أبو عبيد: وبهذا نقرأ، ومعناه فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات، فيكون الجواب في قوله: إنه لمن الصادقين.

وقرأ عاصم: {أَن لَّعْنَةُ الله} بتخفيف أنْ والجزم، وقرأ الباقون بالتشديد، وقرأ عاصم في رواية حفص {والخامسة أَنَّ غَضَبَ الله عَلَيْهَا} بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. فإذا فرغا من اللعان، فرق القاضي بينهما وقال بعضهم: بعد اللعان؛ وهو قول الشافعي رحمه الله أو في قول علمائنا رحمهم الله لا تقع الفرقة، ما لم يفرق بينهما.

ثم قال عز وجل: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ}؛ وجوابه مضمر ، ومعناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته، لبين لكم الصادق من الكاذب؛ ويقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته، لنال الكاذب منكم بما ذكرناه من عذاب عظيم. ثم قال: {وَأَنَّ الله تَوَّابٌ حَكِيمٌ}، يعني: تواب لمن تاب ورجع، حكيم بينهما بالملاعنة.

قوله عز وجل: {إِنَّ الذين جَاءوا بالإفك عُصْبَةٌ مّنْكُمْ}، يعني: قالوا بالكذب؛ وقال الأخفش: الإفك أسوأ الكذب، وهذه الآية نزلت ببراءة عائشة رضي الله عنها. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله أخبرني الثقة بإسناده، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج في سفر أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. قالت: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد ما نزلت آية الحجاب، وكان ذلك في غزوة بني المصطلق. قالت: فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه في مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وقفل ودنونا من المدينة، أذن ليلة بالرحيل، فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش. فلما قضيت شأني، أقبلت إلى الرحل فلمست صدري، فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي. فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني، فحملوا هودجي ورحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلهن ولم يغشهن اللحم. إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج، حين رحلوه ورفعوه.

وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا. ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب. قالت: فجلست مكاني، فظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي، إذ غلبني النوم، فنمت وقد كان صفوان بن المعطل السلمي يمكث في المعسكر؛ إذا ارتحل الناس، يتبع ما يقع من الناس من أمتعتهم، فيحمله إلى المنزل الآخر، فيعرفه فتجيء الناس ويأخذون أمتعتهم. وكان لا يكاد يذهب من العسكر شيء، فأصبح صفوان عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني؛ وقد كان يراني قبل أن يضرب عليَّ الحجاب فاسترجع، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي.

فوالله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق بي يقود بي الراحلة.

قالت: وكان عبد الله بن أبي، إذا نزل في العسكر، نزل في أقصى العسكر، فيجتمع إليه ناس فيحدثهم ويتحدثون. قالت: وكان معه في مجلسه يومئذ حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، فافتقد الناس عائشة حين نزلوا صحوة، وهاج الناس في ذكرها أن عائشة قد فقدت، ودخل علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره أن عائشة قد فقدت. فبينما الناس كذلك إذ دنا صفوان بن المعطل، فتكلم عبد الله بن أبيّ بما تكلم، وحسان بن ثابت

وسائرهم، وأفشوه في العسكر. وخاض أهل العسكر فيه، فجعل يرويه بعضهم عن بعض، ويحدث بعضهم بعضاً.

قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي. إنما يدخل ويسلم ثم يقول: «كَيْفَ تِيكُمْ» فذلك يُرِيبُني؟ ولا أشعر بالسر. فلما رأيت ذلك، قلت: يا رسول الله، لو أذنت لي فانقلبت إلى أبويّ يمرضاني. قال: «لا بَأْس عَلَيْكِ» وإنما قلت ذلك لما رأيت من جفائه. قالت: فانقلبت إلى أمي، ولا علم لي بشيء مما كان، حتى قمت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة.

قالت: وكانوا لا يتخذون الكنف في بيوتهم، إنما كانوا يذهبون في فسح المدينة. قالت: فخرجت في بعض الليل، ومعي أم مسطح، حتى فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما صنعت، تسبين رجلاً وقد شهد بدراً. فقالت: أولم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي، وأخذتني الحمى مكاني، فرجعت أبكي.

ثم قلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي منه شيئاً. فقالت: هوني عليك، فوالله لقلَّ ما كانت امرأة قط رضية عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا كثرن عليها. قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت

لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم؛ ثم أصبحت أبكي. ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حيت استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله. فأما علي بن أبي طالب، فقال: لم يضيق الله عليك والنساء كثير فاستبدل. وأما أسامة بن زيد، فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه من الود.

فقال يا رسول الله، ما علمت منها إلا خيراً، فلا تعجل وانظر واسأل أهلك. قال: فسأل حفصة بنت عمر عنها، فقالت: يا رسول الله، ما رأيت عليها سوءاً قط. وسأل زينب بنت جحش، فقالت مثل ذلك، وسأل بريرة فقال: «أيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يُرِيبُكِ مِنْ أَمْرِ عَائِشَةَ؟» قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق نبياً، ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها، غير أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.

قالت: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل علي، وعندي أبواي، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «يا عَائِشَةُ، لَقَدْ بَلَغَكِ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَإِنْ كَانَ مَا يَكُونُ مِنْكِ زَلَّةَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ، فَتُوبي إلى الله تَعَالَى؛ فإنَّ الله يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ. فَإنَّ العَبْدَ إذا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ الله عَلَيْهِ». فانتظرت أبويَّ أن يجيبا عني، فلم يفعلا، فقلت: يا أبت أجبه، فقال: ماذا أقول؟ فقلت: يا أماه أجيبيه. فقالت: ماذا أقول؟ ثم استعبرت فبكيت، فقلت: لا والله لا أتوب مما ذكروني به وإني لأعلم أنني لو أقررت بما يقول

الناس، لقلت وأنا منه بريئة، ولا أقول فيما لم يكن حقاً. ولئن أنكرت، فلا تصدقني.

قالت: ثم أنسيت اسم يعقوب، فلم أذكره، فقلت: ولكني أقول كما قال العبد الصالح أبو يوسف {وَجَآءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ والله المستعان على مَا تَصِفُونَ} [يوسف: 18] قالت: فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى تغشاه من الله ما كان يغشاه. قالت: أنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله عز وجل يبرئني، ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحياً يتلى، ولساني كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بقرآن يقرأ به في المساجد، ولكنني كنت أرجو أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه شيئاً ببراءتي فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها أن قال: «يا عَائِشَةُ أبْشِرِي، أَمَا والله فَقَدْ بَرَّأَكِ الله تَعَالَى». فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله تعالى، هو الذي أنزل براءتي.

وفي رواية قالت: أحمد الله تعالى وأذمكم. قالت: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصعد المنبر، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه ثم قال: «يا أَيُّها النَّاسُ مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ، قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي برَجُلٍ ما رَأَيْتُ عَلَيْهِ سُوءاً قَطُّ، وَلا دَخَلَ على أهْلِي إلاَّ وأنَا مَعَهُ».

فقام سعد بن معاذ، فقال: أخبرنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو؟ فإن يكن من الأوس نقتله، وإن يكن من الخزرج نرى فيه رأياً، أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن حملته الحمية، فقال: كلا ولكنها عداوتك للخزرج. قال: فاسْتَبًّا، فقام أسيد بن حضير الأوسي، وقال: يا سعد بن عبادة، أتقول هذا. كلا والله ولكنك منافق تحب المنافقين، فاستب حي هذا وحي هذا، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللغط، نزل وتركهم، وقد تلا عليهم ما أنزل الله عليه في أمر عائشة رضي الله عنها

▲ تفسير الآية رقم [11]

{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)}

{إِنَّ الذين *** جَاءُوا بالإفك عُصْبَةٌ مّنْكُمْ} يعني جماعة منكم، وهو ما قال عبد الله بن أبيّ وأصحابه: ما برئت عائشة من صفوان، وما برئ عنها صفوان، والعصبة عشرة، فما فوقها، كما قال الكلبي.

{لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ}، يعني: عائشة ومن كان ينسبها والنبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، {بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}؛ لأنه لو لم يكن قولهم لم يظهر فضل عائشة رضي الله عنها وإنما ظهر فضل عائشة بما صبرت على المحنة،

فنزل بسببها سبع عشرة آية من القرآن من قوله: {إِنَّ الذين جَاءوا بالإفك} إلى قوله: {لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ووجه آخر، بل هو خير لكم، لأنه يؤخذ من حسناته ويوضع في ميزانه، يعني: عائشة وصفوان، وهذا خير له.

ثم قال: {لِكُلّ امرئ مّنْهُمْ مَّا اكتسب مِنَ الإثم}، يعني: لكل واحد منهم العقوبة بمقدار ما شرع في ذلك الأمر، لأن بعضهم قد تكلم بذلك، وبعضهم ضحك، وبعضهم سكت. فكل واحد منهم ما اكتسب من الإثم بقدر ذلك.

{والذى تولى كِبْرَهُ}، يعني: الذي تكلم بالقذف {مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، يعني: الحد في الدنيا. فأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحد عليهم، وكان حميد يقرأ {والذى تولى كِبْرَهُ} بضم الكاف، يعني: عظمه. قال أبو عبيد: والقراءة عندنا بالكسر، وإنما الكبر في النسب وفي الولاء.

تفسير الآيات رقم [12- 15]

{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)}

ثم قال عز وجل: {لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ}، يعني: هلا إذ سمعتم قذف عائشة وصفوان. {ظَنَّ المؤمنون والمؤمنات بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً}، يعني: هلا ظننتم به كظنكم بأنفسكم؟ ويقال: ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم، كظن المؤمنين والمؤمنات بأمثالهم وبأهل دينهم خيراً؛ ويقال: يعني: هلا ظننتم كما ظن المؤمنون والمؤمنات؟ {وَقَالُواْ هذا إِفْكٌ مُّبِينٌ}، يعني: هلا قلتم حين بلغكم هذا الكذب، هذا كذب بيّن، وعلمتم أن أمكم لا تفعل ذلك؟ {لَّوْلاَ جَاءو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء}، يعني: هلا جاؤوا بها. {فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ الله هُمُ الكاذبون} في قولهم: اللفظ لفظ الماضي، والمراد به المستقبل، يعني: اطلبوا منهم أربعة شهداء، فإن لم يأتوا بها؛ فأقم عليهم الحد.

ثم قال عز وجل: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ}، يعني: منته ونعمته عليكم. {فِى الدنيا والاخرة لَمَسَّكُمْ}، يعني: أصابكم {فِيمَا *** أَفَضْتُمْ فِيهِ}، يعني: فيما قلتم من القذف {عَذَابٌ عظِيمٌ} في الدنيا والآخرة على وجه التقديم.

قوله عز وجل: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ}، أي يرويه بعضكم من بعض، ويتلقاه بعضكم من بعض. وقرئ {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ} بكسر اللام وضم القاف والتخفيف، أي تكذبون بألسنتكم؛ ويقال: معناه تسرعون إلى الكذب. يقال: ولق يلق، إذا أسرع إلى الكذب. وروى ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ} بكسر اللام، وقال ابن أبي مليكة هي أعلم، لأن الآية نزلت فيها. وروي عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرأ: {إِذْ}، وقال أبو عبيد: لولا

قراءة أبي وكراهة الخلاف على الناس، ما كان أحد أولى أن يتبع فيها من عائشة، كما احتج ابن أبي مليكة. ثم قال تعالى: {بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بأفواهكم مَّا لَّيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} من الفرية، {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً}؛ أي تحسبون عقوبته هينة. {وَهُوَ عِندَ الله عَظِيمٌ} في الوزر والعقوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 20]

{وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20)}

قوله تعالى: {وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ}، يعني: وهلا إذ سمعتم القذف. {قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا}، يعني: ما ينبغي لنا ولا يجوز لنا {أَن نَّتَكَلَّمَ بهذا سبحانك هذا بهتان عَظِيمٌ}. وفي هذا بيان فضل عائشة رضي الله عنها حيث نزهها الله باللفظ الذي نزه به نفسه، وهو لفظ سبحان الله؛ ويقال: سبحان الله أن تكون امرأة النبي صلى الله عليه وسلم زانية، ما كانت امرأة نبي زانية قط. ثم وعظ الذين يخوضون في أمر عائشة، فقال عز وجل: {يَعِظُكُمُ الله}، يعني: ينهاكم الله عز وجل: {أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً}، يعني: القذف {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، يعني: مصدقين بالله وبرسوله عليه السلام وباليوم الآخر.

{وَيُبَيّنُ الله لَكُمُ الايات}، يعني: الأمر والنهي {والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ}؛ ونزل في عبد الله بن أبيّ وأصحابه. {إِنَّ الذين يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفاحشة}، يعني: يظهر الزنى ويفشو ويقال: تحبوا ما شاع لعائشة رضي الله عنها من الثناء السيئ {إِنَّ الذين يُحِبُّونَ}، يعني: عائشة وصفوان. {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدنيا} الحد {والاخرة} النار إن لم يتوبوا. {والله} تعالى {يَعْلَمْ} أنهما لم يزنيا {وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} ذلك منهما. ثم قال عز وجل: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ}، وجوابه مضمر، يعني: لولا منُّ الله عليكم ونعمته لعاقبكم فيما قلتم في أمر عائشة وصفوان. {وَأَنَّ الله * رَءوفٌ ***** رَّحِيمٌ}، حيث لم يعجل بالعقوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [21– 22]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)}

قوله عز وجل: {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان}، يعني: لا تتبعوا تزيين الشيطان ووساوسه بقذف المؤمنين والمؤمنات، {وَمَن يَتَّبِعْ خطوات الشيطان}. وفي الآية مضمر، ومعناه ومن يتبع خطوات الشيطان، وقع في الفحشاء والمنكر. {فَإِنَّهُ}، يعني: به الشيطان {يَأْمُرُ بالفحشاء}

يعني: المعاصي {والمنكر} ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. وروي عن أبي مجلز قال: {خطوات الشيطان}، النذور في معصية الله تعالى فيه.

قال: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم}، يعني: ما ظهر وما صلح منكم {مّنْ أَحَدٍ أَبَداً}، يعني: أحداً ومن صلة. {ولكن الله يُزَكّى}، يعني: يوفق للتوحيد {مَن يَشَآء}، ويقال: ما زكى، أي ما وحد ولكن الله يزكي أي يطهر. {والله سَمِيعٌ} لِمَقالتهم، {عَلِيمٌ} بهم. ثم قال عز وجل: {وَلاَ يَأْتَلِ}، يعني: لا يحلف وهو يفتعل من الألية وهي اليمين. قرأ أبو جعفر المدني، وزيد بن أسلم {وَلاَ} على معنى يتفعل، ويقال: معناه ولا يدع أن ينفق ويتصدق، وهو يتفعل من ألوت أني أصنع كذا؛ ويقال: ما ألوت جهدي، أي ما تركت طاقتي؛ وذلك أن أبا بكر كان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره، فلما تكلم بما تكلم به، حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق عليه، فنزلت هذه الآية: {عَلِيمٌ وَلاَ يَأْتَلِ}.

{أُوْلُو *** الفضل مِنكُمْ} في طاعة الله، لأنه كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. {مِنكُمْ والسعة} يعني السعة في المال. وهذا من مناقب أبي بكر رضي الله عنه حيث سماه الله {أُوْلُو * الفضل} في الإسلام؛ ويقال: {وَلاَ يَأْتَلِ} يعني: ولا يحلف {أُوْلُو *** الفضل مِنكُمْ}، يعني: أولو الغنى والسعة في المال، والأول أشبه لكي لا يكون حمل الكلام على التكرار. {أَن يُؤْتُواْ}، أولي القربى، يعني: لا يحلف أن لا يعطي ولا ينفق على {أُوْلِى القربى}، يعني: على ذوي القربى وهو مسطح {والمساكين

والمهاجرين فِى سَبِيلِ الله}، وكان مسطح من فقراء المهاجرين ومن أقرباء أبي بكر.

{وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ}، يقول: ليتركوا وليتجاوزوا. {أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ}، فقال أبو بكر: أنا أحب أن يغفر الله لي، فقد تجاوزت عن قرابتي، ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: «أَلاَ تُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكَ» قال: نعم. فقرأ عليه هذه الآية، وأمره بأن ينفق على مسطح. وفي الآية دليل على أن من حلف على أمر، فرأى الحنث أفضل منه، فله أن يحنث ويكفر عن يمينه، ويكون له ثلاثة أجور: أحدها ائتماره بأمر الله تعالى، والثاني أجر بره وذلك صلته في قرابته، والثالث أجر التكفير. ثم قال تعالى: {والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، يعني: غفور لذنوبكم رحيم بالمؤمنين.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 26]

{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (26)}

قوله عز وجل: {إِنَّ الذين يَرْمُونَ المحصنات}، يعني: العفائف {الغافلات}، يعني: عن الزنى والفواحش. {المؤمنات}، أي المصدقات بالألسن والقلوب،

{لُعِنُواْ فِى الدنيا والاخرة}؛ وأصل اللعنة، هي الطرد والبعد؛ ويقال للشيطان: اللعين، لبعده عن الرحمة. وروي في الخبر أن يوم القيامة تكون هذه الأمة شاهدة على الأمم الأولين، إلا الذين تجري على لسانهم اللعنة. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يلعن بعيره، فقال: «أَتَلْعَنُهَا وَتَرْكَبُهَا؟» فنزل عنها، ولم يركبها أحد.

قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ}، أي شديد يوم القيامة. وذكر أن حسان بن ثابت ذهب بصره في آخر عمره، فدخل يوماً على عائشة، فجلس عندها ساعة، ثم خرج، فقيل لها: إن الله تعالى قال: {لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. فقالت عائشة: أوليس هذا أعظم؟ يعني: ذهاب بصره؛ ويقال: عذاب عظيم إن لم يتوبوا. {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}، أي بِمَا تكلموا. ثم قال: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله دِينَهُمُ الحق}، يعني: يوفيهم جزاء أعمالهم. قرأ حمزة والكسائي {يَشْهَدُ} بالياء بلفظ المذكر، والباقون بالتاء بلفظ التأنيث، لأن الفعل مقدم، فيجوز أن يذكر ويؤنث؛ وقرأ مجاهد {الحق} بضم القاف، فيكون الحق نعت لله، وتكون قراءة أبي بن كعب شاهدة له، كأنه يقول: يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم؛ وقراءة العامة الحق بالنصب. وإنما يكون نصباً، لنزع الخافض، أي يوفيهم الله ثواب دينهم بالحق، أي بالعدل. وجه أخر أن يكون الحق نعتاً للدين، ويكون كقوله: {حَقّاً} ثم يدخل عليه الألف واللام.

قوله تعالى: {وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الله هُوَ الحق المبين}، أي عبادة الله هي الحق المبين؛ ويقال: ما يعلمون أن ما قال الله هو الحق. {الخبيثات لِلْخَبِيثِينَ}؛ قال الكلبي: الخبيات من الكلام للخبيثين من الرجال، يعني: عبد الله بن أبي، {والخبيثون} من الرجال {للخبيثات} من الكلام على معنى التكرار والتأكيد؛ ويقال: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، مثل عبد الله بن أبي تكون له زوجة خبيثة زانية، وامرأة النبي صلى الله عليه وسلم لا تكون زانية خبيثة. ويقال: {الخبيثات لِلْخَبِيثِينَ}، يعني: لا يتكلم بكلام الخبيث إلا الخبيث، ولا يليق إلا بالخبيث؛ ويقال: الكلمات الخبيثات إنما تلتصق بالخبيثين من الرجال.

ثم قال: {والطيبات لِلطَّيّبِينَ}، يعني: الطيبات من الكلام للطيبين من الرجال، ويقال الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، {والطيبون للطيبات} على معنى التكرار والتأكيد. ثم قال: {أُوْلَئِكَ مُبَرَّءونَ مِمَّا يَقُولُونَ}، يعني: عائشة رضي الله عنها وصفوان مما يقولون من الفرية، {لَهُم مَّغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، يعني: رزقاً في الجنة كثيراً؛ ويقال: {كَرِيمٌ} يعني: حسن. وذكر ابن عباس أنه دخل على عائشة رضي الله عنها في مرضها الذي ماتت فيه، فذكرت ما كان منها من الخروج في يوم الجمل وغيره، فقال لها ابن عباس: أبشري، فإن الله تعالى يقول: {لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، والله تعالى ينجز وعده. فسري بذلك عنها.

▲ تفسير الآيات رقم [27– 29]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (29)}

قوله عز وجل: {كَرِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ}، يعني: بيوتاً ليست لكم حتى تستأنسوا، يعني: حتى تستأذنوا. وروي عن سعيد بن جبير: أن عبد الله بن عباس كان يقرأ: {حتى} ويقال: تستأذنوا خطأ من الكاتب. وروي عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أخطأ الكاتب في قوله: {بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُواْ}، وقراءة العامة {تَسْتَأْنِسُواْ}. وقال القتبي: الاستئناس أن تعلم من في الدار، يقال: استأنست فما رأيت أحداً، أي استعلمت وتعرفت، ومنه. قوله: {وابتلوا اليتامى حتى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءانَسْتُمْ مّنْهُمْ رُشْداً فادفعوا إِلَيْهِمْ أموالهم وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمعروف فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أموالهم فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وكفى بالله حَسِيباً} [النساء: 6]، أي علمتم. وروي، عن عدي بن ثابت، عن رجل من الأنصار قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد، فيأتي الأب فيدخل، فكيف أصنع؟ قال: ارجعي. فنزلت هذه الآية: {كَرِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ}، {حتى تَسْتَأْنِسُواْ}. قال مجاهد: وهو التنحنح. {وَتُسَلّمُواْ على أَهْلِهَا ذلكم خَيْرٌ

لَّكُمْ}، يعني: التسليم والاستئذان خير لكم من أن تدخلوا بغير إذن وسلام، {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} أن التسليم والاستئذان خير لكم. قال عز وجل: {فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَا أَحَداً}، يعني: في البيوت يأذن لكم في الدخول، {فَلاَ تَدْخُلُوهَا حتى يُؤْذَنَ لَكُمُ} في الدخول، {وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارجعوا فارجعوا}، ولا تقيموا على أبواب الناس، فلعل لهم حوائج. {هُوَ أزكى لَكُمْ}، يعني: الرجوع أصلح لكم من القيام والقعود على أبواب الناس. {والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، إذا دخلتم بإذن أو بغير إذن ثم رخص لهم في البيوت على طريق الناس مثل الرباطات والخانات، وذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله، فكيف بالبيوت التي بين الشام ومكة والمدينة التي على ظهر الطريق، ليس لها ساكن، فنزل قوله عز وجل: {لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ}، مثل الخانات وبيوت السوق. {فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ}، يعني: منافع لكم؛ ويقال: في الخربات التي يدخل فيها لقضاء الحوائج فيها منفعة لكم؛ ويقال: في الخانات منفعة لكم من الحر والبرد. {والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} من التسليم والاستئذان.

قوله عز وجل: {قُلْ لّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أبصارهم}، يعني: يكفوا أبصارهم ومن صلة في الكلام. {وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ} عما لا يحل لهم؛ وقال أبو العالية الرياحي: كلما ذكر حفظ الفرج في القرآن، أراد به الحفظ عن الزنى؛ إلا هاهنا، فإن المراد به هاهنا الستر عن النظر، يعني: قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم عن عورات النساء، ويحفظوا فروجهم عن أبصار الناس؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم، لعلي رضي الله عنه:

»يا عَلِيُّ لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإنَّ الأُولَى لَكَ وَالأُخْرَى عَلَيْكَ«. وروي عن عيسى ابن مريم أنه قال: إياكم والنظرة، فإنها تزرع في القلب. قوله: {ذلك أزكى * لَكُمْ} وأطهر من الزينة، يعني: غض البصر والحفظ خير لكم من ترك الحفظ والنظر. ثم قال: {إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}، يعني: عالم بهم.

▲ تفسير الآيات رقم [30– 34]

{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31) وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ

غَفُورٌ رَحِيمٌ (33) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آَيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (34)}

قوله عز وجل: {وَقُل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أبصارهن}، يعني: يحفظن أبصارهن عن الحرام، {وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} عن الفواحش، {وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ}؛ يعني: لا يظهرن مواضع زينتهن، {إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا}. روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: وجهها وكفيها، وهكذا قال إبراهيم النخعي. وروي أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الوجه والكفان، وهكذا قال الشعبي. وروى نافع، عن ابن عمر أنه قال: الوجه والكفان، وقال مجاهد: الكحل والخضاب. وروى أبو صالح، عن ابن عباس: الكحل والخاتم. وروي، عن ابن عباس في رواية أُخرى، إلا ما ظهر منها، أي فوق الثياب. وروى أبو إسحاق، عن ابن مسعود أنه قال: ثيابها، وروي عن ابن مسعود رواية أُخرى أنه سئل عن قوله: {إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا} فتقنع عبد الله بن مسعود، وغطى وجهه وأبدى عن إحدى عينيه.

ثم قال: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ}، يعني: على الصدر والنحر. قال ابن عباس: وكان النساء قبل هذه الآية يسدلن خمرهن من ورائهن، كما تفعل النبط. فلما نزلت هذه الآية، سدلن الخمر على الصدر والنحر. ثم قال: {وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ}، يعني: لا يظهرن مواضع زينتهن، وهو الصدر والساق والساعد والرأس، لأن الصدر موضع الوشاح، والساعد موضع الخلخال، والساق موضع السوار، والرأس موضع الإكليل، فقد ذكر الزينة

وأراد بها موضع الزينة. {إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ}، يعني: لأزواجهن، {وَقُل للمؤمنات}؛ يعني: يجوز للآباء النظر إلى مواضع زينتهن، {وَقُل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أبصارهن وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ}. وقد ذكر في الآية بعض ذوي الرحم المحرم، فيكون فيه دليل على ما كان بمعناه، لأنه لم يذكر فيها الأعمام والأخوال، ولكن الآية إذا نزلت في شيء، فقد نزلت فيما هو في معناه، والأعمام والأخوال بمعنى الإخوة وبني الإخوة، لأنه ذو رحم محرم. وقد ذكر الأبناء في آية أُخرى، وهي قوله: {لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فى ءَابَآئِهِنَّ وَلاَ أَبْنَآئِهِنَّ وَلاَ إخوانهن وَلاَ أَبْنَآءِ إخوانهن وَلاَ أَبْنَآءِ أخواتهن وَلاَ نِسَآئِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ واتقين الله إِنَّ الله كَانَ على كُلِّ شَئ شَهِيداً} [الأحزاب: 55].

والنظر إلى النساء على أربع مراتب: في وجه يجوز النظر إلى جميع أعضائها، وهو النظر إلى زوجته وأمته، وفي وجه يجوز النظر إلى الوجه والكفين، وهو النظر إلى المرأة التي لا يكون محرماً لها، ويأمن كل واحد منهما على نفسه، فلا بأس بالنظر عند الحاجة؛ وفي وجه يجوز النظر إلى الصدر والرأس والساق والساعد، وهو النظر إلى امرأة ذي رحم أو ذات رحم محرم، مثل الأخت والأم والعمة والخالة وأولاد الأخ والأخت وامرأة الأب وامرأة الابن وأم المرأة سواء كان من قبل الرضاع أو من قبل النسب، وفي وجه لا يجوز النظر إلى شيء، وهو أن يخاف أن يقع في الإثم إذا نظر.

ثم قال تعالى: {أَوْ نِسَائِهِنَّ} يعني: نساء أهل دينهن ويكره للمرأة أن تظهر مواضع زينتها عند امرأة كتابية لأنها تصف ذلك عند غيرها ويقال: نسائهن يعني: العفائف ولا ينبغي أن تنظر إليها المرأة الفاجرة، لأنها تصف ذلك عند الرجال. ثم قال: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهن}، يعني: الجواري، فإنها نزلت في الإماء؛ وقال سعيد بن المسيب: لا تغرنكم هذه الآية. {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهن}، يعني: الجواري، فإنها نزلت في الإماء لا ينبغي للمرأة أن ينظر العبد إلى شعرها، ولا إلى شيء من محاسنها؛ وقال مجاهد: في بعض القراءات {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهن}، الذين لم يبلغوا الحلم. وروى سفيان، عن ليث قال: كان بعضهم يقرأ: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهن} من الصغار وقال الشعبي: لا ينظر العبد إلى مولاته، ولا إلى شعرة منها.

ثم قال تعالى: {أَوِ التابعين غَيْرِ أُوْلِى الإربة}، يعني: الخادم أو الأجير للمرأة، يعني: غير ذوي الحاجة مثل الشيخ الكبير ونحوه، وقال مجاهد: هو الذي لا إرب له، أي لا حاجة له بالنساء، مثل فلان، وكذا روى الشعبي عن علقمة، وقال الحسن والزهري: غير أولي الإربة هو الأحمق؛ وقال الضحاك هو الأبله؛ ويقال: هو الذي طبعه طبع النساء، فلا يكون له شهوة الرجال. وسئلت عائشة رضي الله عنها هل يرى الخصي حسن المرأة قالت: لا، ولا كرامة، أليس هو رجل؟ قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {غَيْرِ أُوْلِى الإربة} بنصب الراء، وقرأ الباقون بالكسر. فمن قرأ بالكسر، يكون على النعت للتابعين، فيكون معناها التابعين الذين هذه حالهم؛ ومن نصب، أراد به الاستثناء، والمعنى إلا أولي الإربة.

ثم قال: {مِنَ الرجال أَوِ الطفل الذين لَمْ يَظْهَرُواْ على عورات النساء}، يعني: لم يطلعوا ولم يشتهوا الجماع. ثم قال: {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ}، يعني: لا يضربن بإحدى أرجلهن على الأخرى ليقرع الخلخال بالخلخال، {لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ}؛ يعني: ما يواري الثياب من زينتهن. وروى سفيان، عن السدي قال: كانت المرأة تمر على المجلس وفي رجلها الخلخال؛ فإذا جازت بالقوم، ضربت رجلها ليصوت خلخالها، فنزلت: {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ} وقال بعض المفسرين: قد علم الله تعالى أن من النساء من تكون حمقاء، فتحرك رجلها ليعلم أن لها خلخالاً، فنهي النساء أن يفعلن، كما تفعل الحمقاء.

ثم قال: {وَتُوبُواْ إِلَى الله جَمِيعاً}، يعني: من جميع ما وقع التقصير من الأوامر والنواهي التي ذكر من أول السورة إلى هاهنا.

{أَيُّهَ المؤمنون}، يعني: أيها المصدقون بالله ورسوله، وفي هذه الآية دليل أن الذنب لا يخرج العبد من الإيمان، لأنه أمر بالتوبة. والتوبة لا تكون إلا من الذنب، ولم يفصل بين الكبائر وغيرها، فقال، بعدما أمر بالتوبة {أَيُّهَ المؤمنون}، سماهم مؤمنين بعد الذنب. ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، أي تنجون من العذاب. قرأ ابن عامر {أَيُّهَ} بضم الهاء، وكذلك في قوله: {وَقَالُواْ يأَيُّهَ الساحر}، {أَيُّهَا الثقلان}، وقرأ الباقون بالنصب.

قوله عز وجل: {وَأَنْكِحُواْ الايامى مِنْكُمْ}، والأيَامَى الرجال والنساء الذين لا أزواج لهم، يقال: رجل أيم وامرأة أيم، كما يقال: رجل بكر وامرأة بكر، ويقال: الأيم من النساء خاصة كل امرأة لا زوج لها، فهي أيم؛ فأمر الأولياء

بأن يزوجوا النساء، وأمر الموالي بأن يزوجوا العبيد والإماء إذا احتاجوا إلى ذلك، فقال للأولياء: {وَأَنْكِحُواْ الايامى مِنْكُمْ}، يعني: من قومكم ومن عشيرتكم. ثم قال المولى سبحانه: {والصالحين مِنْ عِبَادِكُمْ}، يعني: من عبيدكم زوجوهم امرأة، وهذا أمر استحباب وليس بحتم، {وَإِمائِكُمْ}؛ يعني: زوجوا إماءكم لكيلا يقعن في الزنى. {إِن يَكُونُواْ فُقَرَاء يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ}، يعني: يرزقهم الله من فضله وسعته.

وقال بعضهم: هذا منصرف إلى الحرائر خاصة دون العبيد والإماء؛ وقال بعضهم: انصرف إلى جميع ما سبق ذكرهم من الأحرار والمماليك {يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ} يعني: من رزقه، والغنى على وجهين، غني بالمال وهو أضعف الحالين، وغنى بالقناعة وهو أقوى الحالين. كما روي في الخبر: الغنى غنى النفس. وروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَنْكِحُوا النِّسَاءَ فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَكُمْ بِالْمَالِ». وقال عمر رضي الله عنه: ابتغوا الغنى في النكاح. ثم قرأ {يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ}. وروي عن جعفر بن محمد أن رجلاً شكا إليه الفقر، فأمره أن يتزوج فتزوج الرجل، ثم جاء فشكا إليه الفقر، فأمره بأن يطلقها؛ فسأل عن ذلك، فقال: قلت لعله من أهل هذه الآية {إِن يَكُونُواْ فُقَرَاء يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ}. فلما لم يكن من أهلها قلت لعله من أهل آية أخرى {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ الله كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ الله واسعا حَكِيماً} [النساء: 130].

ثم قال: {والله واسع عَلِيمٌ}، أي واسع الفضل؛ ويقال: واسع أي موسع في الرزق، يوسع على من يشاء عليم بقدر ما يحتاج إليه كل واحد منهم. ثم أخبر أنه لا رخصة لمن لم يجد النكاح في الزنى، وأمر بالتعفف للذي لا امرأة له، فقال عز وجل: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الذين}، أي ليحفظ نفسه عن الحرام الَّذِينَ {لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً}، يعني: سعة بالنكاح، المهر والنفقة ويقال: يعني: امرأة موافقة، {حتى يُغْنِيَهُمُ الله مِن فَضْلِهِ}؛ يعني: من رزقه بالنكاح.

وقد قيل: إنَّ الصبر والطلب خير من الهرب.

{والذين يَبْتَغُونَ الكتاب}؛ قال ابن عباس: وذلك أن مملوكاً لحُويطب، يقال له صبيح، سأل مولاه أن يكاتبه، فأبى عليه، فنزلت الآية {والذين يَبْتَغُونَ الكتاب} يعني: يطلبون الكتابة {مِمَّا مَلَكَتْ أيمانكم فكاتبوهم إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً}، يعني: حرفة. قال مجاهد وعطاء، يعني: مالاً.

وروي، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني قال أدَباً وصلاحاً، وقال إبراهيم: يعني: وفاءً وصدقاً. وروى يحيى بن أبي كثير، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً}، أي حِرْفَةً وَلا تُرْسِلُوهُمْ كَلاًّ عَلَى النَّاسِ} وقال ابن عباس: الخير المال، كقوله {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموت إِن تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حَقًّا عَلَى المتقين} [البقرة: 180] أي مالاً، وقيل: {خَيْرًا}، يعني: صلاحاً في دينه، لكيلا يقع في الفساد بعد العتق، وهذا أمر استحباب لا إيجاب؛ وقال بعضهم: هو واجب. وروى معمر، عن قتادة قال: سأل سيرين أبو محمد بن

سيرين، أنس بن مالك بأن يكاتبهُ، فأبى أنس بن مالك، فرفع عليه عمر الدرة وتلا عليه هذه الآية: {فكاتبوهم إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً}.

{وَلْيَسْتَعْفِفِ الذين لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حتى}، يعني: أعطاكم، يعني: يعطيه من الكتابة شيئاً، ويقال: يعطى من بيت المال، حتى يؤدي كتابه. وقال عمرو، عن علي رضي الله عنه: يترك له ربع الكتابة، وقال قتادة: يترك له العشر؛ وقال: آتوهم أي حث الموالي وغيرهم أن يعينوهم، هذا أمر استحباب وليس بواجب، وقال بعضهم: الحط واجب، والأول أصح. {وَلاَ تُكْرِهُواْ فتياتكم عَلَى البغاء{، يعني: لا تكرهوا إماءكم على الزنى. وقال عكرمة: كانت جارية لعبد الله بن أبيّ، يقال لها معاذة، وكان يكلفها الخراج على الزنى، فنزل: {وَلاَ تُكْرِهُواْ فتياتكم عَلَى البغاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً} يعني: تعففاً {لّتَبْتَغُواْ عَرَضَ الحياة الدنيا}، يعني: لتطلبوا بكسبهن وولدهن المال. {وَمَن يُكْرِههُنَّ}، يعني: يجبرهن على الزنى، {فِإِنَّ الله مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ}؛ يعني: من بعد إجبارهن على الزنى، {غَفُورٌ رَّحِيمٌ} بهن، يعني: الإماء، لأنهن كن مكرهات على فعل الزنى. قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءايات مبينات} يعني: واضحات {وَمَثَلاً مّنَ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ}، يعني: فيه خير من قبلكم من الأمم الماضية {وَمَوْعِظَةً لّلْمُتَّقِينَ}، لكي يعتبروا بما أصابهم.

▲ تفسير الآية رقم [35]

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ

وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)}

قوله عز وجل: {اللّه نُورُ * السموات والارض}؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: هادي أهل السموات وأهل الأرض، ويقال: هادي أهل السموات والأرض من يشاء، وبين ذلك في آخر الآية بقوله: {يَهْدِى لِنُورِهِ مَن يَشَاء} ويقال: معناه الله مُنَوِّرُ السموات والأرض، وقال ابن عباس: بدليل قوله: {مَثَلُ نُورِهِ}، فأضاف النور إليه، وبدليل ما قال في سياق الآية {أَوْ كظلمات فِى بَحْرٍ لُّجِّيّ يغشاه مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظلمات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ} [النور: 40]. وروي عن أبي العالية أنه قال: معناه الله منور قلوب أهل السموات وقلوب أهل الأرض بالمغفرة والتوحيد، يعني: من كان أهلاً للإيمان؛ ويقال: الله منور السموات والأرض. أما السموات، فنورها بالشمس والقمر والكواكب، وأما الأرض، فنورها بالأنبياء والعلماء والعباد عليهم السلام.

ثم قال تعالى: {مَثَلُ نُورِهِ}، يعني: مثل نور المعرفة في قلب المؤمن، {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}؛ يعني: كمثل كوة فيها سراج، ويقال: المشكاة الكوة التي ليست بنافذة وهي بلغة الحبشة. وروي في قراءة ابن مسعود {مَثَلُ نُورِهِ} في قلب المؤمن، {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}. ثم وصف المصباح، فقال: {المصباح فِى زُجَاجَةٍ}، يعني: كمثل سراج في قنديل في كوة، فكذلك

الإيمان والمعرفة في قلب المؤمن؛ والقلب في الصدر، والصدر في الجسد. فشبه القلب بالقنديل، والماء الذي في القنديل شبه بالعلم، والدهن بالرفق. وحسن المعاملة، وشبه الفتيلة باللسان، وشبه النار بالجوف في زجاجة. يعني: في قلب مضيء؛ ويقال: إنما شبَّه القلب بالزجاجة، لأن ما في الزجاجة يرى من خارجها، فكذلك ما في القلب يرى من ظاهره، ويبيّن ذلك في أعضائه؛ ويقال: لأن الزجاجة تسرع الكسر بأدنى آفة تصيبها؛ فكذلك القلب بأدنى آفة تدخل فيه فإنه يفسد.

ثم وصف {الزجاجة}، فقال: {كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}، يعني: استنار القنديل بصفاء الزجاجة. من قرأ بضم الدال، فهو منسوب إلى الدر، يعني: يشبه في ضوئه الدر، ومن قرأ بكسر الدال، يعني: الذي يدرأ عن نفسه، يعني: لا يكاد يقدر النظر إليه من شدة ضوئه. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية حفص {دُرِّيٌّ} بضم الدال غير مهموز، وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال وبهمز الياء، وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر بالضم والهمز.

ثم قال تعالى: {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مباركة}، يعني: السراج يوقد بدهن من شجرة مباركة {زَيْتُونَةٍ}؛ قرأ أبو عمر وابن كثير {***توقد} بنصب التاء والواو والقاف بلفظ التأنيث؛ وأصله تتوقد فحذف إحدى التاءين، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي بضم التاء والتخفيف بلفظ التأنيث، على

فعل ما لم يسم فاعله؛ وقرأ الباقون {***توقد} بلفظ التذكير والتفسير، على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

فمن قرأ بالتأنيث، انصرف إلى الزجاجة؛ ومن قرأ بالتذكير، انصرف إلى المصباح والسراج.

ثم وصف الشجرة المباركة، فقال: زَيْتُونَةٍ {زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، أي لم تكن بحال تصيبها الشمس في أول النهار وآخره، فكذلك هذا المؤمن تكون كلمة الإخلاص في قلبه ثابتة مثل ثبوت الشجرة، فلا يكون مشبهياً، ولا معطلياً، ولا قدرياً، ولا جبرياً؛ ولكنه على الاستقامة؛ ويقال: {لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، يعني: تكون في وسط الأشجار، حتى لا تحرقها الشمس؛ فكذلك هذا المؤمن بين أصحاب صلحاء، يثبتونه على الاستقامة. وروي، عن الحسن أنه قال: ليس هذه من أشجار الدنيا، لكن من أشجار الآخرة، يعني: أن أشجار الدنيا لا تخلو من أن تكون شرقية أو غربية، ولكن هذه من أشجار الآخرة، فكذلك هذا المؤمن أصاب المعرفة بتوفيق الله عز وجل.

قال: {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} يعني: أن الزيت في الزجاجة. يكاد أن يضيء، وإن لم يكن موقداً؛ فكذلك المؤمن يعرف الله تعالى ويخافه ويطيعه، وإن لم يكن له أحد يذكره ويأمره وينهاه. ثم قال: {نُّورٌ على نُورٍ}، يعني: الزجاجة نور، والسراج نور، والزيت نور، فكذلك المؤمن اعتقاده نور، وقوله نور، وفعله نور. وقال أبو العالية: فهو يتقلب في خمسة أنوار،

فكلامه نور، وعمله نور، ومخرجه نور، ومدخله نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة.

{يَهْدِى الله لِنُورِهِ مَن يَشَاء}، يعني: يوفق ويعطي من يشاء، يعني: الهدى وللآية وجه آخر {الله نُورُ * السموات والارض} يعني: الله مرسل الرسل لأهل السموات وأهل الأرض {مَثَلُ نُورِهِ} يعني: مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم، فسماه نوراً كقوله: «ياأهل الكتاب قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكتاب وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ الله نُورٌ وكتاب مُّبِينٌ» [المائدة: 15]. ثم قال: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}، يعني: مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم في صلب أبيه، كالقنديل يضيء البيت المظلم. فكما أن البيت يكون مضيئاً بالقنديل، فإذا أخذ منه القنديل يبقى البيت مظلماً؛ فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان كالقنديل في صلب أبيه فلما خرج بقي صلب أبيه مظلماً. {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مباركة}، يعني: نور محمد صلى الله عليه وسلم من نور إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام {زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، يعني: لم يكن إبراهيم عليه السلام يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً؛ ويقال: {لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، يعني: يعطي الله النبوة لمن يشاء، ولها وجه آخر {الله نُورُ * السموات والارض}، يعني: منزل القرآن، فنور بالقرآن السموات والأرض.

{مَثَلُ نُورِهِ} يعني: مثل نور القرآن في قلب المؤمن {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}، يعني: قلب المؤمن بالقرآن، {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مباركة} يعني: ينزل القرآن من

رب كريم ذي بركة {لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، أي ليس القرآن بلغة السريانية ولا بلغة العبرانية، ولكنه عربي مبين {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}، يعني: القرآن يضيء وألفاظه مهذبة، وإن لم تفهم معانيه {يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَن يَشَاء}، يعني: يوفق ويكرم بفهم القرآن من يشاء. {وَيَضْرِبُ الله الامثال لِلنَّاسِ}؛ يعني: الله عز وجل يبيّن الأشياء للناس لكي يفهموا، ويقال: المثل كالمرآة يظهر عنده الحق {والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ} من ضرب الأمثال.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 38]

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)}

ثم قال الله عز وجل: {فِى بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ}، يعني: ما ذكر من القنديل المضيء، يعني: هو في المساجد. ثم وصف المساجد؛ ويقال هذا ابتداء القصة، وفيه معنى التقديم، يعني: أذن الله أن ترفع البيوت وهي المساجد {أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ}، أي تبنى وتعظم، {وَيُذْكَرَ فِيهَا اسمه}؛ يعني: توحيده؛ ويقال: بالأذان والإقامة. {يُسَبّحُ لَهُ} فيها، يعني: يصلي لله في المساجد {بالغدو والاصال}، يعني: عند الغداة والعشي. قرأ ابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر {يُسَبّحُ} بنصب الباء على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

ثم قال عز وجل: {رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تجارة} يعني: هم رجال، وقرأ الباقون {يُسَبّحُ} بكسر الباء، ويكون الفعل للرجال، يعني: يسبح فيها {رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ}، يعني: لا يشغلهم البيع والشراء عن ذكر الله، يعني: عن طاعة الله، وعن مواقيت الصلاة. {وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصلاة}، يعني: عن إتمام الصلاة.

قال بعضهم: نزلت الآية في أصحاب الصفة وأمثالهم، الذين تركوا التجارة ولزموا المسجد؛ وقال بعضهم: هم الذين يتجرون ولا تشغلهم تجارة عن الصلوات في مواقيتها، وهذا أشبه، لأنه قال: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً}، وأصحاب الصفة وأمثالهم لم يكن عليهم الزكاة، وقال الحسن: {رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تجارة}. أما أنهم كانوا يتجرون، ولم تكن تشغلهم تجارة عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. وروي عن ابن مسعود أنه رأى قوماً من أهل السوق سمعوا الأذان، فتركوا بياعاتهم، وقاموا إلى الصلاة، فقال: هؤلاء من الذين. {لاَّ تُلْهِيهِمْ تجارة وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله}.

ثم قال: {يخافون يَوْماً} يعني: من اليوم الذي {تَتَقَلَّبُ فِيهِ القلوب والابصار} يعني: يتردد فيه القلوب والأبصار في الصدر، إن كان كافراً فإنه يبلغ الحناجر من الخوف، وإن كان تقيّاً مؤمناً تقول الملائكة {هذا يَوْمُكُمُ الذى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} فبين ما في قلبه في البصر، وإن كان حزناً فحزن، وإن كان سروراً فسرور، ويقال يتقلب يعني: يتحول حالاً بعد حال مرة، يعرفون ومرة

لا يعرفون، ويقال ينقلب يعني: يتحول عما كانت عليه في الدنيا من الشك حين رأى بالمعاينة فيتحول قلبه وبصره من الشك إلى اليقين.

ثم قال عز وجل: {لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ} يعني: يجزيهم الله بإحسانهم، ويقال: يجزيهم أحسن وأفضل من أعمالهم وهو الجنة، ويقال: ويجزيهم أكثر من أعمالهم بكل حسنة عشرةً وأضعافاً مضاعفة ويقال يجزيه ويغفر له بأحسن أعماله ويبقى سائر أعماله فضلاً.

ثم قال: {وَيَزِيدَهُم مّن فَضْلِهِ} أي يرزقهم من عطائه {والله يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ} أي يرزقه ولايحاسبه، ويقال: يرزقه رزقاً لا يدرك حسابه، ويقال: ليس أحد يحاسبه فيما يُعطي، ويقال: بغير حساب، أي من غير حساب، أي من حيث لا يحتسب.

ثم ضرب مثلاً لعمل الكفار، فقال عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [39– 40]

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40)}

{والذين كَفَرُواْ أعمالهم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} يعني: مثل أعمالهم الخبيثة في الآخرة {كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} يعني: كمثل سراب في مفازة، ويقال: قاع وقيعة وقيعان، يعني: أرضاً مستوية كما يقال: صبي وصبية وصبيان.

ثم قال: {يَحْسَبُهُ الظمان مَاء} يعني: العطشان إذا رأى السراب من بعيد يحسبه ماء {حتى إِذَا جَاءهُ} يعني: فإذا أتاه ليشرب منه {لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً}، يعني: لم يجده ماء ويقال لم يجده شيئاً مما طلبه وأراده، فكذلك الكافر يظن أنه يثاب في صدقته وعتقه وسائر أعماله، فإذا جاءه يوم القيامة وجده هباءً منثوراً ولا ثواب له.

قوله: {وَوَجَدَ الله عِندَهُ} أي يوم القيامة عند عمله وهذا كما قال {إِنَّ رَبَّكَ لبالمرصاد}، يعني: مصير الخلائق إليه {فوفاه حِسَابَهُ}، يعني: يوفيه ثواب عمله {والله سَرِيعُ الحساب}، فكأنه حاسب، ويقال: سريع الحفظ، ويقال: إذا حاسب فحسابه سريع، فيحاسبهم جميعاً، فيظن كل واحد منهم أنه يحاسبه خاصة، فلا يشغله حساب أحدهم عن الآخر، لأنه لا يحتاج إلى أخذ الحساب، ولا يجري فيه الغلط، ولا يلتبس عليه، ويحفظ على كل صاحب حسابٍ حسابه ليذكره، فهذا المثل لأعمال الكفار، والتي في ظاهرها طاعة، فأخبر أنه لا ثواب لهم بها.

ثم ضرب مثلاً آخر للكافر، فقال عز وجل: {أَوْ كظلمات} قال بعضهم: الألف زيادة، ومعناه وكظلمات، يعني: مثلهم أيضاً كظلمات. ويقال: أو للتخيير، يعني: إن شئت فاضرب لهم المثل بالسراب، وإن شئت بالظلمات،

فقال: {أَوْ كظلمات} {فِى بَحْرٍ لُّجِّىّ} يعني: مثل الكافر كمثل رجل يكون في بحر عميق في الليل، كثير الماء {يغشاه مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظلمات} يعني: يكون في ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة السحاب، فكذلك الكافر في ظلمة الكفر، وظلمة الجهل، وظلمة الجور والظلم. ويقال: {يغشاه مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ مَوْجٌ} يعني: المعاصي، ومن فوقه العداوة والحسد والبغضاء، و{مّن فَوْقِهِ سَحَابٌ} يعني: الخذلان من الله تعالى.

ثم قال: {ظلمات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} كما قال للمؤمن: {نُّورٌ على نُورٍ} فيكون للكافر ظلمة على ظلمة، قوله ظلمة، وعمله ظلمة، واعتقاده ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمة، وهو النار. ويقال: شبه قلب الكافر بالبحر العميق، وشبه أعضاءه بالأمواج الثلاث، طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، فهذه الظلمات الثلاث تمنعه عن الحق.

ثم قال: {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} يعني: لم يكن أقرب إليه من نفسه، فإذا أبرز يده لم يكد يراها من شدة الظلمة، ومع ذلك لم ير نفسه/

فكذلك الكافر لم ينظر إلى القبر ولم يتفكر في أمر نفسه أيضاً، كقوله عز وجل: {وفى أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21].

ثم قال: {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ} يعني: من لم يكرمه الله بالهدى فما له من مكرم بالمعرفة. قرأ ابن كثير {ظلمات} بكسر التاء

والتنوين، فكأنه يجعله بمنزلة قوله كظلمات. وقرأ الباقون بالضم على معنى الابتداء. وقرئ في الشاذ: سحاب ظلمات، على معنى الإضافة.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 44]

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (42) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44)}

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُسَبّحُ لَهُ} يعني: يصلي له ويذكر له. ويقال: يخضع له. {مَن فِى *** السموات والارض} أي من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق. {والطير صافات} يعني: مفتوحة الأجنحة. وأصل الصّفّ هو البسط، ولهذا يُسمى اللحم القديد صفيفاً لأنه يبسط {كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ والله عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} يعني: كل واحد من المسبحين يعلم كيف يصلي، وكيف يسبح، يعني: والله يعلم عمل كل عامل، فيجازيهم بأعمالهم، إلا أنه لا يعجل بعقوبة المذنبين والكافرين، لأنه قادر عليهم.

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السماوات والارض} وهذا معنى قوله وَلِلَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قال مجاهد في قوله: {كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ} الصلاة للإنسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه، ثم قال: {وإلى الله المصير} يعني: إليه المرجع في الآخرة.

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُزْجِى سَحَاباً} يعني: يسوق سحاباً {ثُمَّ يُؤَلّفُ بَيْنَهُ} يعني: يجمع بينه {ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً} يعني: قطعاً قطعاً، ويقال: يجعل بعضها فوق بعض. {فَتَرَى الودق} يعني: المطر {يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ} يعني: من وسط السحاب. قرأ ابن عباس: يخرج من خلله وقراءة العامة {مِنْ خِلاَلِهِ}، وهي جمع خلل. {وَيُنَزّلُ مِنَ السماء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ} يعني: من جبال في السماء. قال مقاتل: روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: جبال السماء أكثر من جبال الأرض، فيها من برد أي في الجبال من برد، ويقال: وهو الجبال من البرد، أي: ينزل من السماء من جبال البرد. وروي عن ابن عباس أنه قال: البرد هو الثلج، وما رأيته. ويقال: الجبال عبارة عن الكثرة، يعني: ينزل الثلج مقدار الجبال، كما يقال: عند فلان جبال من مال، أي: مقدار جبال من كثرته. ويقال البرد هو الذي له صلابة كهيئة الجمد {فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء} يعني: البرد، يصيب الزرع والإنسان إذا كان في مفازة.

قوله: {وَيَصْرِفُهُ *** مَا يَشَاء} فلا يصيبه، ويقال: يصيب به، يعني: يعذب به من يشاء، ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه.

قوله: {يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ} يعني: ضوء برقه. {يَذْهَبُ بالابصار} يعني: من شدة نوره. قرأ أبو جعفر المدني: يذهب، بضمِّ الياء وكسر الهاء، وقراءة العامة يذهب بنصب الياء والهاء.

ثم قال: {يُقَلّبُ الله اليل والنهار} يعني: يذهب الله بالليل ويجيء بالنهار، ويقال ينقص من النهار، ويزيد من الليل. {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعني: في تقلبهما، واختلاف ألوانهما {لَعِبْرَةً} يعني: لآية {لإوْلِى الابصار} يعني: لذوي العقول والفهم في الدين. وسئل سعيد بن المسيب: أي العبادة أفضل؟ فقال: التفكير في خلقه والتَّفَقُّه في دينه. ويقال العِبَرُ بِالوِقَارِ، وَالْمُعْتَبِرُ بِمِثْقَالٍ.

ثم قال:

تفسير الآيات رقم [45– 46]

{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (46)}

قوله عز وجل: {والله خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مّن مَّاء} يعني: من ماء الذكور. قرأ حمزة والكسائي {خالق كُلّ دَابَّةٍ} على معنى الإضافة. وقرأ الباقون {خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ} على معنى فعل الماضي، ويقال هذا معطوف على ما سبق.

{يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء} فكأنَّه يقول: يهدي من يشاء ويضلُّ من يشاء كما أنه يخلق ما يشاء من الخلق ألواناً.

ثم وصف الخلق فقال تعالى: {فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِى على بَطْنِهِ} مثل الحية ونحو ذلك فإن قيل لا يقال للدواب منهم، وإن هذا اللفظ يستعمل للعقلاء، قيل له: الدابة اسم عام وهو يقع على ذي روح، فيقع ذلك على العقلاء وغيرهم، فإذا كان هذا اللفظ يقع على العقلاء وغيرهم فذكر بلفظ العقلاء، ولو قال: فمنه كان جائزاً، وينصرف إلى قوله كل، ولكنه لم يقرأ، وإنما قال: يمشي على وَجْهِ المجاز، وإن كان حقيقته المشي بالرِّجل، لأنه جمعه مع الذي يمشي على وجه التبع.

ثم قال: {وَمِنهُمْ مَّن يَمْشِى على رِجْلَيْنِ} مثل الإنسان ونحوه {وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِى على أَرْبَعٍ} أي على أربع قوائم مثل الدوابّ وأشباهها، فإن قيل: إيش الحكمة في خلق كل شيء من الماء؟ قيل له: لأن الخلق من الماء أعجب، لأنه ليس شيء من الأشياء أشدّ طوعاً من الماء، لأن الإنسان لو أراد أن يمسكه بيده، أو أراد أن يبني عليه، أو يتخذ منه شيئاً لا يمكنه، والناس يتخذون من سائر الأشياء أنواع الأشياء، قيل: فالله تعالى أخبر أنه يخلق الماء ألواناً من الخلق، وهو قادر على كل شيء.

ثم قال: {يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاء} يعني: كما يشاء، وكيف يشاء {إِنَّ اللهَ على كُلِّ شَئ} من الخلق وخلقه {قَدِيرٌ} أي قادر.

قوله عز وجل: {لَّقَدْ أَنزَلْنَا ءايات مبينات} قرأ أبو عمرو وعاصم ونافع وابن كثير وأبو بكر: {مبينات} بنصب الياء في جميع القرآن، يعني: مفصلات. وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر {مبينات} بكسر الياء، يعني: يبين للناس دينهم.

{والله يَهْدِى مَن يَشَاء} أي يرشد من كان أهلاً لذلك {إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: دين مستقيم وهو دين الإسلام.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 51]

{وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)}

قوله عز وجل: {وَيقُولُونَ امَنَّا بالله وبالرسول} قال مقاتل نزلت في شأن بشر المنافق وذلك أن رجلاً من اليهود كانت بينه وبين خصومة، وأن اليهودي دعا بشراً إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال بشر، نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فإنَّ محمداً يحيف علينا فنزل: {وَإِذَا دُعُواْ إِلَى الله وَرَسُولِهِ} وقال في رواية أخرى: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه اشترى أرضاً من

عليّ، فَنَدَّمَهُ قومه، وقالوا: عمدت إلى أرض سَبْخَةٍ لا ينالها الماء فاشتريتها: رُدَّها عليه، فقال: قد ابتعتها منه، فقالوا: ردها، فلم يزالوا به حتى أتاه فقال: اقبض مني أرضك، فإني قد اشتريتها، ولم أرضها لأنه لا ينالها الماء، فقال له عليّ رضي الله عنه: بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها مني، وأنت تعرفها، وتعلم ما هي، فلا أقبلها منك. قال: فدعا عليٌّ عثمان رضي الله عنهما أن يخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال قوم عثمان: لا تخاصمه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فإن أنت خاصمته إليه قَضَى له عليك، وهو ابن عمه، وأكرم عليه منك، ثم اختصما إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقضى لعليّ على عثمان، فنزل في قوم عثمان {وَيِقُولُونَ امَنَّا بالله وبالرسول} {وَأَطَعْنَا} يعني: صدقنا بالله وبالرسول، وأطعنا. {ثُمَّ يتولى فَرِيقٌ مّنْهُمْ} أي يعرض عن طاعتهما طائفة منهم {مِن بَعْدِ ذلك} الإقرار {وَمَا أُوْلَئِكَ بالمؤمنين} يعني: بمصدقين.

قال بعضهم: هذا التفسير الذي ذكره الكلبي غير صحيح، لأن قوم عثمان إن كانوا مؤمنين من الذين هاجروا معه إلى المدينة، وقد ذكر أنهم ليسوا بمؤمنين. وقال بعضهم هو الصحيح لأن قوم عثمان بعضهم منافقون مبغضون لبني هاشم لعداوة كانت بينهم في الجاهلية، وكان عثمان يميل إلى قرابته، ولا يعرف نفاقهم. ويقال: {وَمَا أُوْلَئِكَ بالمؤمنين} يعني: ليس عملهم عمل المؤمنين المخلصين.

ثم قال عز وجل: {وَإِذَا دُعُواْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ} يعني: إلى حكم الله ورسوله ويقال: إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم {لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} يعني: ليقضي بينهم بالقرآن {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ} يعني: طائفة منهم معرضون عن طاعة الله ورسوله.

قوله عز وجل: {وَإِن يَكُنْ لَّهُمُ الحق} يعني: القضاء {يَأْتُواْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ} يعني: خاضعين، مسرعين، طائعين قال الزجاج: الإذعان الإسراع مع الطاعة.

ثم قال: {أَفِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} أي: شك ونفاق {أَمِ ارتابوا} يعني: شكوا في القرآن {أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ الله عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ} يعني: يجور الله عليهم ورسوله. قال بعضهم: اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الإفهام، فكأن الله تعالى يعلمنا بأن في قلوبهم مرضاً، وأنهم شكوا.

ويقال في قلوبهم مرض، يعني: بل في قلوبهم مرض أم {ارتابوا} بل شكوا ونافقوا.

ثم قال تعالى: {بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون} يعني: هم الظالمون لا النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المؤمنين} يعني: المصدقين {إِذَا دُعُواْ إِلَى الله وَرَسُولِهِ} يعني: إلى كتاب الله ورسوله يعني: أمر رسوله {لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ}

يعني: ليقضي بينهم بالقرآن {أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} أي: سمعنا قول النبي صلى الله عليه وسلم وأطعنا أمره، فإن فعلوا ذلك {وأولئك هُمُ المفلحون} يعني: الناجون الفائزون.

▲ تفسير الآيات رقم [52– 55]

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (53) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)}

ثم قال عز وجل: {وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ} يعني: يطع الله في الفرائض، ويطع الرسول في السنن. {وَيَخْشَ الله} فيما مضى {وَيَتَّقْهِ} فيما يستقبل {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفائزون} أي الناجون. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ} فيوحده، ورسوله فيصدقه بالرسالة، ويخشَ الله فيما مضى من ذنوبه، ويتقه فيما بقي من عمره، فأولئك هم الفائزون، يعني: الناجون من العذاب آمنون عند سكرات الموت. قال: فلما نزلت هذه الآية أقبل، عثمان إلى النبيّ صلى

الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله إن شئت لأخرجن من أرضي ولأدفعنها إليه، وحلف على ذلك، فمدحه الله عز وجل بذلك فقال عز وجل: {وَأَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} يعني: حلفوا بالله، وإذا حلفوا بالله كان ذلك جهد اليمين. {لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ} من الأموال. قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُل لاَّ تُقْسِمُواْ} أي لا تحلفوا {طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ} يعني: هذه منكم طاعة معروفة، لا طاعة نفاق، فكأن فيه مضمراً، لأن بعض الناس منافقون، فأخبر أن هذه طاعة ليس فيها نفاق.

ثم قال: {إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} يعني: في السر والعلانية ثم قال عز وجل {قُلْ أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرسول} يعني: أطيعوا الله في الفرائض، وأطيعوا الرسول في السنن.

{فَإِن تَوَلَّوْاْ} يعني: أعرضوا عن الطاعة لله والرسول {فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمّلَ} يعني: ما أمر بتبليغ الرسالة وليس عليه من وزركم شيء، {وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمّلْتُمْ} يعني: ما أمرتم، والإثم عليكم، وإذا تركتم الإجابة {وَإِن تُطِيعُوهُ} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم {تَهْتَدُواْ} من الضلالة.

ثم قال: {وَمَا عَلَى الرسول إِلاَّ البلاغ المبين} وفي الآية مضمر، فكأنه يقول: وإن تعصوه {وَمَا عَلَى الرسول إِلاَّ البلاغ المبين} يعني: ليس عليه إلا التبليغ.

قوله عز وجل: {وَعَدَ الله الذين ءامَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصالحات} وذلك أن كفار مكة لما صَدُّوا المسلمين عن مكة عام الحديبية، فقال المسلمون: لو فتح الله مكة ودخلناها آمنين، فنزل قوله {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الارض} يعني: لينزلنهم في أرض مكة {كَمَا استخلف الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل وغيرهم، {وَلَيُمَكّنَنَّ لَهُمْ} يعني: ليظهرن لهم {دِينَهُمُ} الإسلام {الذى ارتضى لَهُمْ وَلَيُبَدّلَنَّهُمْ مّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً} من الكفار {يَعْبُدُونَنِى} يعني: لكي يعبدوني {لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً} ويقال: معناه يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، أي: يظهر عبادة الله تعالى، ويبطل الشرك.

وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة زماناً، نحواً من عشر سنين، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال، حتى إذا أمروا بالهجرة إلى المدينة، فقدموا المدينة، أمرهم الله تعالى بالقتال، فكانوا بها خائفين يُمسون في السلاح، ويصبحون في السلاح، فقال رجل من أصحابه يا رسول الله نحن أبداً خائفون، هل يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع فيه السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَكُونُ إلاّ يَسِيراً حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي المَلإِ العَظِيمِ مُحْتَبِياً لَيْسَتْ فِيهِ حَدِيدَةٌ» ونزلت هذه الآية {وَعَدَ الله الذين ءامَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصالحات *** ضَلَلْنَا فِى الارض} الآية.

ويقال: نزلت في شأن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ} يعني: يكونوا خلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً بعد واحد.

ثم قال: {وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلك} يعني: بعد الأمن والتمكين {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفاسقون} أي العاصون. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {كَمَا استخلف} بضم التاء على فعل ما لم يُسَمَّ فاعله. وقرأ الباقون بنصب التاء لأنه سبق ذكر الله تعالى. وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر {وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ} بالتخفيف. وقرأ الباقون بتشديد الدال من بدَّل يبدِّل والأول من أَبْدَلَ يُبْدِلُ.

▲ تفسير الآيات رقم [56– 59]

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (57) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59)}

قوله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: أقروا بها وأتموها. {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: أقروا بها وأعطوها. {وَأَطِيعُواْ الرسول} فيما يأمركم به من التوحيد والطاعة {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} فلا تعذبون.

قوله عز وجل: {لاَ تَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى الارض} يعني: فائتين، ويقال سابقين أمر الله تعالى، ويقال: معناه لا تظن أنهم يهربون منا وأنهم يفوتون من عذابنا. {وَمَأْوَاهُمُ النار وَبِئْسَ *** المصير} يعني: صاروا إليه وبئس المرجع. قرأ حمزة وابن عامر {لا * يَحْسَبَنَّ} بالياء ونصب السين، وقرأ الباقون بالتاء بلفظ المخاطبة وكسر السين.

قوله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} قال ابن عباس: وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظهيرة ليدعوه فانطلق الغلام ليدعوه، فوجده نائماً قد أغلق الباب، فأخبر الغلام أنه في هذا البيت، فقرع الباب على عمر فلم يستيقظ، فدخل فاستيقظ عمر، فجلس، فانكشف منه شيء، فرآه الغلام، فعرف عمر أنه قد رآه، فقال عمر: وددت أن الله تعالى نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا علينا هذه الساعة إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية {المصير ياأيها الذين ءامَنُواْ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الذين مَلَكَتْ أيمانكم} يعني: العبيد والإماء والولاية {والذين لَمْ يَبْلُغُواْ الحلم مِنكُمْ} يعني: وليستأذنكم الذين لم يبلغوا الحلم، يعني: الاحتلام، وهم الأحرار من الغلمان {ثَلاَثَ مَرَّاتٍ} لأنها ساعات غرة وغفلة، ثم بين الساعات

الثلاث، فقال: {مِّن قَبْلِ صلاة الفجر} لأن ذلك وقت لبس الثياب {وَحِينَ تَضَعُونَ ثيابكم مِّنَ الظهيرة} أي وقت القيلولة {وَمِن بَعْدِ صلاة العشاء} وذلك وقت النوم {ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ} يعني: ثلاث ساعات وقت غرة، أي: عورة وغفلة، وهن أوقات التجرد وظهور العورة.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية واحدة {ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ} بنصب الثاء، وقرأ الباقون بالضم، فمن قرأ بالنصب فمعناه ليستأذنكم ثلاث عورات أي ثلاث ساعات، ومن قرأ بالضم معناه هي ثلاث عورات، فيكون خبراً عن الأوقات الثلاثة.

وروى عكرمة أن رجلين من أهل العراق سألا ابن عباس عن قوله:
{لِيَسْتَأْذِنكُمُ الذين مَلَكَتْ أيمانكم والذين لَمْ يَبْلُغُواْ الحلم مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ} فقال ابن عباس: إنَّ الله تعالى سِتِّيرٌ يحب الستر، وكان الناس لم يكن لهم ستور على أبوابهم، ولا حجاب في بيوتهم، فربما فاجأ الرجلَ ولده أو خادمه أو يتيم في حجره وهو مع أهله، فأمرهم الله تعالى أن يستأذنوا في ثلاث ساعات التي سمى الله تعالى، ثم جاء الله باليسر، وبسط الرزق عليهم، فاتخذوا الستور، واتخذوا الحجاب، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي قد أمروا به، وقد قيل إن فيه دليلاً أن ذلك الحكم إذا ثبت فإذا زال المعنى زال الحكم.

وقال مجاهد: الاستئذان هو التنحنح.

ثم قال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ} أي ليس عليكم معشر المؤمنين، ولا عليهم، يعني: الخدم {جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} يعني: بعد الساعات الثلاث {طَوفُونَ عَلَيْكُمْ} يعني: يتقلبون فيكم ليلاً ونهاراً يدخلون عليكم بغير استئذان في الخدمة {بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ} أي يدخل بعضكم على بعض بغير إذن {كذلك يُبيّنُ الله لَكُمُ الآيات} يعني: أمره ونهيه في الاستئذان {والله عَلِيمٌ} بصلاح الناس {حَكِيمٌ} حكم بالاستئذان.

قوله عز وجل: {وَإِذَا بَلَغَ الاطفال مِنكُمُ الحلم} يعني: الاحتلام {فَلْيَسْتَأْذِنُواْ كَمَا استأذن الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: الكبار من ولد الرجل وأقربائه معناه فليستأذنوا في كل وقت، كما استأذن الذين من قبلكم، يعني: من الرجال {كَذَلِكَ يُبَيّنُ الله لَكُمْ آياته} أي أمره ونهيه في كل وقت، {والله عَليمٌ} بِصَلاَحِكُم {حَكِيمٌ} حكم بالاستئذان.

▲ تفسير الآيات رقم [60- 61]

{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (60) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ

أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61)}

{والقواعد مِنَ النساء} يعني: الآيسات من الحيض. والقاعدة: المرأة التي قعدت عن الزوج، وعن الحيض والولد، والجماعة قواعد {اللاتى لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً} يعني: لا يحتجن إلى الزوج، ولا يرغب فيهن. {فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ} أي جلبابهن ويخرجن بغير جلباب {غَيْرَ متبرجات بِزِينَةٍ} والتبرج: إظهار الزينة، يعني: لا يردن بوضع الجلباب أن ترى زينتهن. {وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ} يعني: يتعففن، فلا يضعن الجلباب. {خَيْرٌ لَّهُنَّ} من الوضع. {والله سَمِيعٌ} لمقالتهن يعني: أن العجوز إذا وضعت جلبابها، وتبدي زينتها وتقول: من يرغب فيَّ {عَلِيمٌ} بنيتها وبفعلها. ويقال: سميع عليم بجميع ما سبق في هذه السورة. ويقال: سميع عليم انصرف إلى ما بعده فيما يتحرجون عن الأكل.

قوله عز وجل: {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ} قال في رواية الكلبي: كانت الأنصار يتنزهون عن الأكل مع الأعمى والمريض والأعرج، وقالوا: إن هؤلاء لا يقدرون أن يأكلوا مثل ما نأكل، فنزل {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ} يعني: ليس على من أكل مع الأعمى حَرَجٌ {وَلاَ عَلَى} من أكل مع {الاعرج حَرَجٌ وَلاَ عَلَى} من أكل مع {المريض حَرَجٌ} إذا أنصف في مؤاكلته. وقال بعضهم: هذا التفسير خطأ، وهو غير محتمل في اللغة، لأنه أضاف الحرج إلى الأعمى لا إلى من أكل معه، وقد قيل: إن هذا صحيح، لأنه ذكر

الأعمى، وأراد به الأكل مع الأعمى، كقوله {وَإِذْ أَخَذْنَا ميثاقكم وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطور خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ واسمعوا قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ العجل بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إيمانكم إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: 93] أي حب العجل، قال: وكما قال: {واسئل القرية} وللآية وجه آخر، وهو أن الأعمى كان يتحرج عن الأكل مع الناس مخافة أن يأكل أكثر منهم وهو لا يشعر، والأعرج أيضاً يقول: إني أحتاج لزمانتي أن يوسع لي في المجلس، فيكون عليهم مضرة، والمريض يقول: الناس يتأذون مني لمرضي، ويقذرونني، فيفسد عليهم الطعام، فنزل {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الاعرج حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المريض حَرَجٌ} يعني: لا بأس بأن يأكلوا مع الناس، ولا مأثم عليهم. ولها وجه آخر وهو ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان الناس يخرجون إلى الغزو، ويدفعون مفاتيحهم إلى الزَّمْنى والمرضى، ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا في منازلنا. وكانوا يتورعون منازلهم حتى نزلت هذه الآية، وإلى هذا يذهب الزهري رضي الله عنه.

وذكر أيضاً أن مالك بن زيد، وكان صديقه الحارث بن عمرو خرج غازياً، وخلف مالكاً في أهله وماله وولده، فلما رجع الحارث رأى مالكاً متغيراً لونه، فقال: ما أصابك، فقال: لم يكن عندي شيء آكله، فجهدت من الشدة والجوع، ولم يكن يحل لي أن آكل شيئاً من مالك، فنزلت هذه الآية إلى قوله {أَوْ صَدِيقِكُمْ} وقوله: {وَلاَ على أَنفُسِكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ} أي: لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم، أو من بيوت عيالكم وأزواجكم.

ويقال: بيوتكم أي بيوت أولادكم. ويقال: من بيوتكم، يعني: من بيوت بعضكم، وذلك أنه لما نزل {وَلاَ تَأْكُلُواْ أموالكم بَيْنَكُم بالباطل} امتنع الناس من أن يأكل بعضهم من طعام بعض، فنزل في ذلك: {وَلاَ على أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ} يعني: من بيوت بعضكم بعضاً. {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الاعرج حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المريض حَرَجٌ وَلاَ على أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ} يعني: لا بأس أن يأكل من بيت هؤلاء بغير إذنهم، لأنه يجري بينهما من الانبساط ما يغني عن الإذن.

ثم قال: {أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحهُ} أي: خزائنه يعني: عبيدكم وإماءكم، إذا كان له عبد مأذون، فلا بأس أن يأكل من ماله، لأن ذلك من مال مواليه.
ويقال: يعني: حافظ البيوت، فلا بأس أن يأكل مقدار حاجته.

ثم قال: {***وَصَدِيقِكُمْ} يعني: لا جناح على الصديق أن يأكل من بيت صديقه إذا كان بينهما انبساط. وروي عن قتادة أنه قال: لو دخلت على صديق، ثم أكلت من طعامه بغير إذنه كان حلالاً.

ثم قال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً} يعني: جماعة أو متفرقين في بيت هؤلاء. ويقال: إنهم كانوا يمتنعون عن الأكل وحده، وذكر في قوله تعالى: {إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات: 6] يعني: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويضرب عبده، فرخص في هذه الآية، لأن الإنسان لا يمكنه أن يطلب في كل مرة أحداً يأكل معه. وروى معمر عن قتادة قال: نزلت الآية في حي من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، وكان

يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكل معه، فنزل {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً}.

ثم قال: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً} قال مقاتل: يعني: دخلتم بيوتاً للمسلمين {فَسَلّمُواْ على أَنفُسِكُمْ} يعني: بعضكم على بعض، كما قال: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ} يعني: بعضكم بعضاً. وروى عمرو بن دينار، عن ابن عباس، قال: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً} قال: هو المسجد {فَسَلّمُواْ على أَنفُسِكُمْ} فقولوا السلام علينا من ربنا {تَحِيَّةً مّنْ عِندِ الله} يعني: السلام {مباركة} بالأَجْرِ {طَيّبَةً} بالمغفرة. وقال إبراهيم النخعي: {فَسَلّمُواْ على أَنفُسِكُمْ} إذا كان في البيت إنسان يقول: السلام عليكم، وإذا لم يكن فيه أحد يقول: السلام علينا من ربنا، وعلى عباد الله الصالحين، وهكذا قال مجاهد، وقال الحسن والكلبي: {فَسَلّمُواْ على أَنفُسِكُمْ} يعني: بعضكم على بعض.

وروى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أبْخَلُ النَّاسِ الَّذِي يَبْخَلُ بِالسَّلامِ» ويقال: معنى السلام: إذا قال السلام عليكم يعني: السلامة لكم مني، فكأنه أمنه من شر نفسه. ويقال: يعني: حفظكم الله من الآفات. ويقال: السلام هو الله، فكأنه الله حفيظ عليكم، ومطلع على ضمائركم، فإن كنتم في خير فزيدوا، وإن كنتم في شر فانزجروا {تَحِيَّةً مّنْ عِندِ الله} وأصل التحية هو البقاء والحياة كقوله: حَيَّاكَ الله. وإنما صار نصباً على المصدر، ثم قال: {كذلك يُبيّنُ الله لَكُمُ الآيات} يعني: أمره ونهيه في أمر الطعام والشراب {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أي لكي تعقلوا وتفهموا.

▲ تفسير الآيات رقم [62– 64]

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (62) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (64)}

قوله عز وجل: {إِنَّمَا المؤمنون} يعني: المصدقين {الذين ءامَنُواْ بالله وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ على أَمْرٍ جَامِعٍ} يعني: مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا جمعهم على أمر لتدبير في أمر جهاد، أو في أمر من أمور الله تعالى فيه طاعة لله ولرسوله {لَّمْ يَذْهَبُواْ} يعني: لم يفارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم {حتى يَسْتَئذِنُوهُ}.

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمعهم يوم الجمعة، فيستشيرهم في أمر الغزو، فكان يثقل على بعضهم المقام، فيخرجون بغير إذنه. وقال بعضهم: نزلت في يوم الخندق، وكان بعض الناس يرجعون إلى منازلهم بغير إذن النبي صلى الله عليه وسلم وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم

وأصحابه، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم بأن لا يرجعوا إلا بإذنه عليه السلام، وكذلك إذا خرجوا إلى الغزو، ولا ينبغي لأحد أن يرجع بغير إذنه.

وفي الآية بيان حفظ الأدب، بأن الإمام إذا جمع الناس لتدبير أمر من أمور المسلمين ينبغي أن لا يرجعوا إلا بإذنه، وكذلك إذا خرجوا إلى الغزو، لا ينبغي لأحد أن يرجع إلا بإذنه، ولا يخالف أمر السرية. وروي عن مكحول أنه سئل عن هذه الآية وعنده عطاء، فقال: هذا في الجمعة، وفي الزحف، وفي كل أمر جامع.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الذين يَسْتَئذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الذين يُؤْمِنُونَ بالله وَرَسُولِهِ} وليسوا بمنافقين، وكان المؤمنون بعد نزول هذه الآية لم يكونوا يرجعون حتى يستأذنوا وأما المنافقون فيرجعون بغير إذن.

ثم قال: {فَإِذَا استئذنوك لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ} يعني: لبعض أمورهم وحوائجهم {فَأْذَن لّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ} ولا تأذن لمن شئت لأن بعض المنافقين لم يكن لهم في الرجوع حاجة، فإن أرادوا أن يرجعوا فلم يأذن لهم، وأذن للمؤمنين.

وقال مقاتل: نزلت في شأن عثمان حين استأذن في غزوة تبوك بالرجوع إلى أهله، فأذن له. {واستغفر لَهُمُ الله} أي فيما استأذنوك من الرجوع بغير حاجة لهم. {أَنَّ الله غَفُورٌ} رَحِيمٌ لمن تاب {رَّحِيمٌ} به.

ثم قال عز وجل: {لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَاء الرسول بَيْنَكُمْ} يعني: لا تدعوا محمداً باسمه صلى الله عليه وسلم {كَدُعَاء بَعْضِكُمْ بَعْضاً} ولكن وقِّروه وعظموه، وقولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، ويا أبا القاسم.

وفي الآية بيان توقير معلم الخير، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم الخير، فأمر الله عز وجل بتوقيره وتعظيمه، وفيه معرفة حق الأستاذ، وفيه معرفة أهل الفضل.

ثم ذكر المنافقين فقال عز وجل: {قَدْ يَعْلَمُ الله} يعني: يرى الله {الذين يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ} يعني: يخرجون من المسجد {لِوَاذاً} يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن المنافقين كان يشقُّ عليهم المقام هناك يوم الجمعة وغيره، فيتسللون من بين القوم، ويلوذ الرجل بالرجل، أو بالسارية لئِلاَّ يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى يخرج من المسجد.

يقال: لاذ يلوذ إذا عاذ وامتنع بشيء. ويقال: معنى (لِوَاذاً) هنا من الخلاف، يعني: يخالفون خلافاً، فخوفهم الله تعالى عقوبته فقال: {فَلْيَحْذَرِ الذين يخالفون عَنْ أَمْرِهِ} يعني: عن أمر الله تعالى. ويقال: عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقال: عن: زيادة في الكلام للصلة. ومعناه: يخالفون أمره إلى غير ما أمرهم به {أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} يعني: الكفر، لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب، فمن تركه على وجه الجحود كفر. ويقال: فتنة، يعني: بلية في الدنيا. ويقال: فساد في القلب. ويقال: {أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: يصيبهم عذاب عظيم في الآخرة. ويقال: القتل بالسيف.

ويقال: يجعل حلاوة الكفر في قلبه. وقوله: {أَوْ} على معنى الإبهام، لا على وجه الشك والتخيير.

ثم قال عز وجل: {أَلا إِنَّ للَّهِ مَا فِى *** السموات والارض} من الخلق عبيده وإماؤه في مملكته {قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} من خير أو شر، فيجازيكم بذلك {وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ} في الآخرة {فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ} من خير أو شر، فيجازيهم بذلك. {والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ} من أعمالهم وأقوالهم، وبما في أنفسهم. وروي عن الأعمش، عن سفيان بن سلمة، قال: شهدت ابن عباس ولي الموسم، وقرأ سورة النور على المؤمنين، وفسرها على المنبر، فلو سمعتها الروم لأسلمت. وقال عمر رضي الله تعالى عنه: تعلموا سورة براءة، وَعَلِّموا نساءكم سورة النور، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

▲ سورة الفرقان

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (3)}

قول الله سبحانه وتعالى: {تبارك} قال ابن عباس رضي الله عنه يعني: تعالى وتعظم. قال ابن عباس: ويقال: تفاعل من البركة، وهذه لفظة مخصوصة، ولا يقال: يتبارك، كما يقال يتعالى. ولا يقال: متبارك، كما يقال متعالٍ. ويقال تبارك أي ذو بركة. والبركة هي كثرة الخير. ويقال: أصله من بروك الإبل. ويقال للواحد بارك، وللجماعة برك. وكان الإنسان إذا كان له إبل كثيرة وقد برك هو على الباب يقولون: فلان ذو بركة، ويقولون للذي كان له إبل تحمل إليه الأموال من بلاد بعيدة: فلان ذو بركة، فصار ذلك أصلاً، حتى أنه لو كان له مال سوى الإبل لا يقال فلان ذو بركة. قال الله تعالى: {تبارك} أي ذو البركة. ويقال: أصله من الدوام. ويقال: بارك في موضوع إذا دام فيه. ويقال: معناه البركة في اسمه وفي الذي ذكر عليه اسمه.

ثم قال: {الذى نَزَّلَ الفرقان} يعني: أنزل جبريل عليه السلام بالقرآن والفرقان هو المخرج من الشبهات {على عَبْدِهِ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم {لِيَكُونَ للعالمين نَذِيراً} يعني: ليكون الفرقان نذيراً للإنس والجن. ويقال: يعني: النبي صلى الله عليه وسلم ويقال يعني: الله تبارك وتعالى وأراد ها هنا جميع الخلق، وقد يذكر العام ويراد به الخاص من الناس، كقوله عزّ وجل: {يابنى إسراءيل اذكروا نِعْمَتِيَ التى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم وَأَنّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العالمين} [البقرة: 47و122] أي: على عالمي زمانهم، ويذكر ويراد به جميع الخلائق، كقوله: {الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين} [الفاتحة: 2] ثم قال عز وجل: {الذى لَهُ مُلْكُ *** السموات والارض} يعني: خزائن السموات

والأرض. ويقال: له نفاذ الأمر في السموات والأرض. {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً} ليورثه ملكه {وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الملك} فينازعه في عظمته. {وَخَلَقَ كُلَّ شَئ} كما ينبغي أن يخلقهم. {فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} يعني: بين الصلاح في كل شيء، وجعله مقدراً معلوماً. ويقال: كل شي خلقه من الخلق فقدره تقديراً، أي: قدر لكل ذكر وأنثى.

قوله عز وجل: {واتخذوا مِن دُونِهِ ءالِهَةً} يعني: تركوا عبادة الله الذي خلق هذه الأشياء، وعبدوا غيره. {لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا} يعني: عبدوا شيئاً لا يقدر أن يخلق ذباباً، ولا غيره {وَهُمْ يُخْلَقُونَ} يتخذونها بأيديهم {وَلاَ يَمْلِكُونَ لاِنفُسِهِمْ ضَرّاً} أي: لا تقدر الآلهة أن تمتنع ممن أراد بها سوءاً {وَلاَ نَفْعاً} أي لا تقدر أن تسوق إلى نفسها خيراً. ويقال: لا يملكون دفع مضرة، ولا جر منفعة. {وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً} يعني: لا يقدرون أن يميتوا أحداً {وَلاَ يَمْلِكُونَ} أي: ولا يحيون أحداً {وَلاَ نُشُوراً} يعني: بعث الأموات. ويقال: ولا يملكون موتاً، يعني: الموت الذي كان قبل أن يخلقوا، ولا حياة، يعني: أن يزيدوا في الأجل، ولا نشوراً بعد الموت. ويقال: {لاَّ يَمْلِكُونَ *** مَوْتاً وَلاَ حياة} يعني: أن يبقوا أحداً {وَلاَ نُشُوراً} يعني: أن يحيوه بعد الموت. وإنما ذكر الأصنام بلفظ العقلاء، لأن الكفار يجعلونهم بمنزلة العقلاء، فخاطبهم بلغتهم.

▲ تفسير الآيات رقم [4– 9]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (8) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (9)}

ثم قال عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ} يعني: كفار مكة {إِنْ هذا إِلاَّ إِفْكٌ} يعني: ما القرآن إلا كذب {افتراه} يعني: كذباً اختلقه من ذات نفسه {وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ ءاخَرُونَ} يعني: جبراً ويساراً {فَقَدْ جَاءوا ظُلْماً وَزُوراً} وقال بعضهم: هذا قول الله تعالى ردّاً على الكفار بقولهم هذا {فَقَدْ جَاءوا ظُلْماً وَزُوراً} يعني: شركاً وكذباً {وَقَالُواْ أساطير الاولين اكتتبها} يعني: أباطيل اكتتبها، أي كتبها من جبر ويسار يعني: أساطير الأولين. {فَهِىَ تملى عَلَيْهِ} يعني: تقرأ وتملى عليه {بُكْرَةً وَأَصِيلاً} يعني: غدوة وعشية.

قوله عز وجل: {قُلْ} يا محمد {أَنزَلَهُ} يعني: القرآن {الذى يَعْلَمُ السر فِى * السموات والارض} يعني: يعلم السِّرَّ والعلانية، ومعناه: لو كان هذا القول من ذات نفسه لعلمه الله تعالى، وإذا علمه عاقبه، كما قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاقاويل * لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمين} [الحاقة: 44، 45] ثم

قال {إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} فكأنه يقول: ارجعوا وتوبوا، فإنه كان غفوراً لمن تاب، رحيماً بالمؤمنين.

قوله عز وجل: {وَقَالُواْ *** مَّالِ *** هذا ***** الرسول يَأْكُلُ الطعام} مثل ما نأكل {وَيَمْشِى فِى الاسواق} يعني: يتردد في الطريق {لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} يعني: معيناً يخبره بما يراد به من الشر {أَوْ يلقى إِلَيْهِ كَنْزٌ} يعني: يعطى له كنز {أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ} يعني: بستاناً {يَأْكُلُ مِنْهَا} أي وذلك أن كفار قريش اجتمعوا في بيت، فبعثوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم، فقال له العاص بن وائل السهمي وقريش معه: قد تعلم يا محمد أن لا بلاد أضيق من بلادنا ساحة، ولا أقل أنهاراً ولا زرعاً، ولا أشدَّ عيشاً، فادع ربك أن يسير عنا هذه الجبال، حتى يفسح لنا في بلادنا، ثم يفجر لنا فيها أنهاراً، حتى نعرف فضلك عند ذلك. ونراك تمشي في الأسواق معنا تبتغي من سير العيش، فاسأل ربك أن يجعل لك قصوراً أو جناناً، وليبعث معك ملكاً يصدقك، فنزل حكاية عن قولهم: {أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا} قرأ حمزة والكسائي: نأكل بالنون، وقرأ الباقون بالتاء.

{وَقَالَ الظالمون إِن تَتَّبِعُونَ} يعني: ما تطيعون يا أصحاب محمد {إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً} يعني: مغلوب العقل. ويقال: مسحوراً أي مخلوقاً، لأن الذي يكون مخلوقاً يكون حياته بالمعالجة بالأكل والشرب، فيسمى مسحوراً. ويقال: مسحوراً أي سحر به.

قوله عز وجل: {انظر كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الامثال} يعني: انظر يا محمد كيف وصفوا لك الأشباه إلى ماذا شبهك قومك بساحر وكاهن وكذاب {فَضَلُّواْ} عن الهدى، ويقال ذهبت حيلتهم، وأخطؤوا في المقالة. {فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً} يعني: لا يجدون حيلة، ولا حجة على ما قالوا لك، ولا مخرجاً لأنه تناقض كلامهم، حيث قالوا مرة: مجنون، ومرة: ساحر.

▲ تفسير الآيات رقم [10– 16]

{تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (10) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (11) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (12) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (13) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (14) قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (15) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (16)}

ثم قال عز وجل: {تبارك} وتعالى، وقد ذكرناه {الذى إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مّن ذلك} يعني: خيراً مما يقول الكفار في الآخرة {جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً} في الجنة، ويقال في الدنيا إن شاء أعطاك.
وروى سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت قال: عن خيثمة قال: قيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتحها ما لم نعط من قبلك أحداً، ولا نعطي من بعدك أحداً، ولا ينقص ذلك مما عند الله

شيئاً وإن شئت جمعناها لك في الآخرة. قال صلى الله عليه وسلم: «بَلْ اجْمَعُوها لِي في الآخِرَةِ» فنزل {تَبَارَكَ الذى إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مّن ذلك} الآية قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر (وَيَجْعَلُ) بضم اللام على معنى خبر الابتداء والباقون بالجزم لأنه جواب الشرط ثم قال عز وجل {بَلْ كَذَّبُواْ بالساعة} معناه ولكن كذبوا بالساعة يعني: بالقيامة {وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بالساعة سَعِيراً} يعني: هيأنا لمن كذب بالقيامة وقوداً، وهُوَ نار جهنم {إِذَا رَأَتْهُمْ} جهنم {مِن مَّكَانِ بَعِيدٍ} يعني: من مسيرة خمسمائة عام. ويقال: من مسيرة خمسمائة سنة {سَمِعُواْ لَهَا} يعني: منها {تَغَيُّظاً} على الكفار {وَزَفِيراً} يعني: صوتاً كصوت الحمار. وقال قوم: معناه يسمعون منها تغيظ المعذبين وزفيرهم، كما قال: {فَأَمَّا الذين شَقُواْ فَفِى النار لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود: 106] وقال عامة المفسرين: التغيظ زفير يسمع من النار، ألا ترى أنه قال: {سَمِعُواْ لَهَا}، ولم يقل: سمعوا منها، ولا فيها. وقال في آية أخرى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} [الملك: 8] وروي في الخبر «أن جهنم تزفر زفرة لا يبقى ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل إلا خرَّ على وجهه ترعد فرائصهم حتى إن إبراهيم الخليل عليه السلام ليجثو على ركبتيه ويقول: يا رب لا أسألك إلا نفسي» ثم قال عز وجل: {وَإِذَا أُلْقُواْ مِنْهَا} يعني: فيها {مَكَاناً ضَيّقاً} يعني: يضيق عليهم المكان كتضييق الزُّجِّ من الرُّمح {مُقْرِنِينَ} أي: مسلسلين في القيود، موثقين في الحديد قرنوا مع الشياطين {دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً} فعند ذلك دعوا

بالويل، يعني: يقولون: واهلاكاه، فتقول لهم الخزنة {لاَّ تَدْعُواْ اليوم ثُبُوراً واحدا وادعوا ثُبُوراً كَثِيراً} يعني: ادعوا ويلاً كثيراً دائماً.

قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} يا محمد لكفار مكة {أذلك خَيْرٌ} يعني: هذا الذي وصف من العذاب خير {أَمْ جَنَّةُ الخلد} فإن قيل كيف يقال خير وليس في النار خير؟ قيل له: قد يقال على وجه المجاز، وإن لم يكن فيه خير، والعاقبة تقول العاقبة خير من البلاء، وإنما خاطبهم بما يتعارفون في كلامهم {التى وُعِدَ المتقون} يعني: الذين يتقون الشرك والكبائر.

{كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيراً} يعني: جزاء بأعمالهم الحسنة ومرجعاً إليها.

ثم قال عز وجل: {لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءونَ} أي: يحبون {خالدين} أي: دائمين في الجنة {كَانَ على رَبّكَ وَعْداً} منه في الدنيا {مَسْؤُولاً} يسأله المتقون. ويقال {مَسْؤُولاً} يسأل لهم الملائكة عليهم السلام، وهو قوله عز وجل: {رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جنات عَدْنٍ التى وَعَدْتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وأزواجهم وذرياتهم إِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم} [غافر: 8] ويقال: وعداً على لسان رسولهم، وقد سألوا الله عز وجل ذلك، وهو قوله: {رَبَّنَا وَءاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا على رُسُلِكَ} ويقال: وعداً لا خلف فيه لمن سأله.

▲ تفسير الآيات رقم [17– 19]

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (18) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (19)}

قوله عز وجل: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ} يعني: نجمعهم {وَمَا يَعْبُدُونَ} يعني: ونحشر ما يعبدون {مِن دُونِ الله} يعني: الأصنام. ويقال المسيح وعزير. ويقال: الملائكة عليهم السلام {فَيَقُولُ أَءنتُمْ أَضْلَلْتُمْ} يعني: أأنتم أمرتم {عِبَادِى هَؤُلآء} أن يعبدوكم {أَمْ هُمْ ضَلُّوا السبيل} يعني: أم هم أخطؤوا الطريق، فتبرأت الملائكة والأصنام.

قوله تعالى: {قَالُواْ سبحانك} أي: تنزيهاً لك {مَا كَانَ يَنبَغِى لَنَا} أي: ما يجوز لنا {أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء} وقرأ الحسن وأبو جعفر المدني أن {نُتَّخِذَ} بضم النون ونصب الخاء، ومعناه: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك إلها فيعبد. وقراءة العامة بنصب النون وكسر الخاء، يعني: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فيعبدوننا. ويقال: معناه ما كان فينا روح نأمرهم بطاعتنا. ويقال: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فنعبدهم، فكيف نأمر غيرنا بعبادتنا، كقوله تعالى: {قَالُواْ سبحانك أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الجن أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ} [سبأ: 41] قرأ ابن

كثير وعاصم في رواية حفص: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ} بالياء. {فَيَقُولُ} بالياء وقرأ ابن عامر كليهما بالنون. وقرأ الباقون الأول بالنون والثاني بالياء.

ثم قال: {ولكن مَّتَّعْتَهُمْ وَءابَاءهُمْ} يعني: أن هذا كان بكرمك وفضلك، حيث لما عصوك لم تمنع عنهم الدنيا حتى اغتروا بذلك، وظنوا أنهم على الحق، حيث لم يصبهم بلاء ولم تمنع منهم النعمة، فذلك قوله تعالى: {ولكن مَّتَّعْتَهُمْ} يعني: تركتهم في الدنيا يتمتعون، وأجلتهم وآباءهم في المتاع والسعة. {حتى نَسُواْ الذكر} يعني: تركوا التوحيد والإيمان بالقرآن. {وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً} أي هلكى فاسدين. وأصله الكساد يقال: بارت السوق إذا كسدت. وقال الكلبي: بوراً يعني: هالكين، فاسدة قلوبهم، غير متقين، ولا محسنين. يقول الله تعالى لعبدة الأوثان {فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ} يعني: الأصنام، ويقال الملائكة {فَمَا * يَسْتَطِيعُونَ ***** صَرْفاً وَلاَ نَصْراً} يعني: لا يستطيع الكفار انصرافاً إلى غير حجتهم التي تكلموا بها. ويقال: لا يستطيعون صرفاً، أي: انصرافاً عن حجتهم ولا نصراً، يعني: ولا ينتصرون من آلهتهم حين كذبتهم. ويقال: لا يقدرون، يعني: الأصنام، ولا الملائكة صرف العذاب عنهم {وَلاَ نَصْراً} يعني: لا يمنعونهم منه. ويقال: الصرف الحيلة. ويقال: لا يقبل منهم فدية أن يصرفوا عن أنفسهم بالفدية.

قرأ عاصم في رواية حفص {فَمَا تَسْتَطِيعُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة، يعني: يقال لهم: لا تستطيعون صرف ذلك. وقرأ الباقون بالياء، ومعناه أن

الله تعالى يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: فما يستطيعون صرف ذلك عنهم.

ثم قال تعالى: {وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ} يعني: يشرك بالله في الدنيا. ويقال: يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً} في الآخرة، وهو عذاب النار.

▲ تفسير الآية رقم [20]

{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (20)}

قوله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المرسلين} جواباً لقولهم: {مَا لهذا الرسول يَأْكُلُ الطعام} {إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطعام وَيَمْشُونَ فِى الاسواق} يعني: كانت الرسل من الآدميين، ولم يكونوا من الملائكة عليهم السلام. ثم قال: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} يقول: ابتلينا بعضكم ببعض، الفقير بالغني، والضعيف بالقوي، وذلك أن الشريف إذا رأى الوضيع قد أسلم، أنف عن الإسلام. وقال: أأسلم، فأكون مثل هذا، فثبت على دينه حمية. يقول الله تعالى للشريف: {أَتَصْبِرُونَ} أن تكونوا شرعاً، سواء في الدين {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} أي عالماً بمن يؤمن، ومن لا يؤمن، ويقال: {جَعَلْنَا *** بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً} يعني بلية الغني للفقير، والقوي للضعيف، لأن ضعفاء المسلمين وفقراءهم، إذا رأوا الكفار في السعة والغنى، يتأذون منهم، وكان

في ذلك بلية لهم، فقال تعالى: {أَتَصْبِرُونَ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر، يعني: اصبروا كقوله: {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إلى الله وَيَسْتَغْفِرُونَهُ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المائدة: 74] يعني: توبوا إلى الله. ويقال: أهل النعم بلية لأهل الشدة، لأن أهل الشدة إذا رأوا أهل النعمة تنغص عيشهم، فأمرهم الله تعالى بالصبر.

وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان إذا رأى غنياً من الأغنياء. يقول: نصبر يا رب نصبر يا رب، أراد جواباً لقوله تعالى: {أَتَصْبِرُونَ} {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} يعني: عالماً بمن يصلح له الغنى والفقر ويقال: {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} يعني: عالماً بثواب الصابرين.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 26]

{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (23) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (24) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (25) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (26)}

قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا} يعني: لا يخافون البعث بعد الموت. ويقال: لا يرجون الجنة والمغفرة، وهم كفار أهل مكة {لَوْلاَ أُنزِلَ

عَلَيْنَا الملئكة} يعني: هلا أنزل علينا الملائكة، فيخبروننا بأنك رسول الله إلينا {أَوْ نرى رَبَّنَا} فيخبرنا بأنك مرسل. قال الله تعالى: {لَقَدِ استكبروا فِى أَنفُسِهِمْ} يعني: تعظموا في أنفسهم، وأعرضوا عن الإيمان. ويقال: لقد استكبروا في أنفسهم، يعني: وضعوا لأنفسهم قدراً ومنزلة، حيث أرادوا لأنفسهم الرسل من الملائكة عليهم السلام ورؤية الرب عز وجل: {وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً} يعني: أبوا إباءً كثيراً.

ويقال اجترؤوا على الله اجتراء كثيراً.

وقال أهل اللغة: العاتي الذي لا ينفعه الوعظ والنصيحة، ثم أخبر متى يرون الملائكة فقال عز وجل: {يَوْمَ يَرَوْنَ الملئكة} يعني: يوم القيامة {لاَ بشرى يَوْمَئِذٍ لّلْمُجْرِمِينَ} يعني: للمشركين، وتكون البشارة للمؤمنين. ثم قال: {وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً} يعني: تقول لهم الملائكة: حراماً محرماً، أي تكون لهم البشرى يومئذ بما يبشر به المتقون، وإنما قيل للحرام حجر، لأنه حجر عليه.

وقال مجاهد: تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخلوا الجنة. وقال الحسن وقتادة، وهي كلمة كانت العرب تقولها. كان الرجل إذا نزلت به الشدة قال: حجراً محجوراً، أي: حراماً محرماً. ويقال: إن قريشاً كانوا إذا استقبلهم أحد كانوا يقولون له: حاجورا حاجورا، حتى يعرف أنهم من الحرم، فلا يضرونهم، وأخبر أنهم كانوا يقولون ذلك، ولا ينفعهم.

ويقال: إن المشركين في الشهر الحرام إذا استقبلهم أحد يقولون: حجراً محجوراً، ويريدون أن يذكروه أنه في الشهر الحرام، وذلك القول لا ينفعهم يوم القيامة.

وقرأ الحسن حجراً بضم الحاء، وقراءة العامة بكسر الحاء {وَقَدِمْنَا إِلى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ} قال الكلبي: يعني عمدنا إلى ما عملوا من عمل لغير الله تعالى. ويقال: قصدنا إلى ما عملوا من عمل، ومعناه نظرنا في أعمالهم، ولم نجد فيها خيراً، فأبطلناها، ولم نجعل لها ثواباً، فذلك قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً} قال الضحاك: هو الغبار ما لا يستطاع جمعه، ولا أخذه بيد.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الهباء المنثور الذي تراه في شعاع الشمس في الكوة، وهذا قول عكرمة والكلبي. وقال قتادة: هو ما ذرت الريح من حطام الشجر. ويقال: الغبار الذي يسطع من حوافر الدواب. ثم قال عز وجل: {أصحاب الجنة يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً} يعني: أفضل منزلاً {وَأَحْسَنُ مَقِيلاً} يعني: مرجعاً ومجلساً.

وروي عن الأعمش عن إبراهيم في قوله: خير مستقراً، وأحسن مقيلاً يعني، قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس إلى مقدار نصف النهار فيقيل هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار.

وروي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا: لا ينتصف النهار من ذلك اليوم، حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، عنيا بذلك يوم القيامة، ولأن مقدار ذلك اليوم خمسون ألف سنة، وإنما أراد بتلك القيلولة القرار لا النوم، لأنه لا يكون في الجنة نوم، ولا في النار نوم قوله عز وجل: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السماء}.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تشقَّق بتشديد الشين، لأن أصله يتشقق، فأدغم إحدى التاءين في الشين.

وقرأ الباقون بالتخفيف، وهذا مثل الاختلاق في قوله تسألون فقال: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السماء بالغمام} يعني: الغمام والغمام هو شيء مثل السحاب الأبيض فوق سبع سموات. كما روي في الخبر أن دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام، يعني: تشقق السماء، وتظهر بالغمام {وَنُزِّلَ الملائكة تَنزِيلاً}.

قرأ ابن كثير وننزل الملائكة بنونين ونصب الهاء، ومعناه: أن الله تعالى يقول: {نُنَزِّلُ الملائكة} وقرأ الباقون ونزل على ما فعل ما لم يسم فاعله، معناه: أن الله تعالى ينزل ملائكة السموات.

وروي في الخبر أنه تشقق سماء الدنيا فينزل ملائكة سماء الدنيا، بمثلَيْ من في الأرض من الجن والإنس. ويقول لهم: الخلائق أفيكم ربنا؟ يعني: هل جاء أمر ربنا بالحساب؟ فيقول: لا، وسوف يأتي، ثم تنزل ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الأرض من الملائكة، والإنس والجن، ثم تنزل ملائكة

كل سماء على هذا التضعيف حتى تنزل ملائكة سبع سموات، فيظهر بالغمام، وهو كالسحاب الأبيض فوق سبع سموات، ثم ينزل بالأمر بالحساب، فذلك قوله: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السماء بالغمام وَنُزِّلَ الملائكة تَنزِيلاً} ويقال: الغمام الذي قال في سورة البقرة: {فِي ظُلَلٍ مّنَ الغمام والملائكة} ثم قال عز وجل: {الملك يَوْمَئِذٍ الحق للرحمن} وفي الآية تقديم، ومعناه: الملك يومئذ الحق للرحمن الحق صفة الملك، والمعنى: الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن، لأنه لا يدعي الملك يومئذ أحد. ويقال: الحق يومئذ الملك الخالص. ويقال: يعني: الملك الصدق.

ثم قال تعالى: {وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكافرين عَسِيراً} يعني: شديداً. وفي الآية دليل أن ذلك اليوم يكون على المؤمنين يسيراً، وهذا كما قال في آية أخرى: {عَلَى الكافرين غَيْرُ يَسِيرٍ} [المدثر: 10].

▲ تفسير الآيات رقم [27- 31]

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (31)}

قوله عز وجل: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم على يَدَيْهِ} يعني: عقبة بن أبي معيط، وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً، وكان يدعو إلى الطعام من أهل مكة من أحب وأراد، وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم، ويعجبه حديثه، فقدم ذات يوم من سفره، وصنع طعاماً، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم الطعام إليه، فأبى أن يأكل، وقال: ما أنا بالذي آكل من طعامك، حتى تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وكان عندهم من العار أن يخرج أحدهم، قبل أن يأكل من الطعام شيئاً، فألح عليه أن يأكل، فلم يأكل، فشهد بذلك عقبة، فأكل النبي صلى الله عليه وسلم من طعامه، وكان أبيٌّ بن خلف الجمحي غائباً، وكان خليله، فلما قدم أخبر ذلك، فأتاه فقال: صبوت يا عقبة. فقال: لا والله ما صبوت، ولكن دخل علي رجل، فأبى أن يأكل من طعامي، إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم، فشهدت فطعم. فقال له: ما أنا بالذي أرضى عنك أبداً حتى تأتيه، فتبزق في وجهه، وتشتمه وتكذبه، ففعل ذلك. فنزلت هذه الآية: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم} يعني: عقبة على يديه يعني: على أنامله.

وروي عن أنس بن مالك أنه قال: يعض عقبة بن أبي معيط على يديه يوم القيامة، يأكل لحم يديه حتى يبلغ العضد من الندامة، وهو {يَقُولُ ياليتنى * لَيْتَنِى * *اتخذت مَعَ الرسول سَبِيلاً} يعني: اتخذت طريق الهدى، وكنت معه على الإسلام قوله عز وجل: {سَبِيلاً ياويلتا لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً} يعني: أبيَّ بن خلف.

وقال إنما قال فلاناً، ولم يذكر اسمه لحقارته {لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذكر} أي عن الإيمان {بَعْدَ إِذْ جَاءنِى} أي حين جاءني ويقال: إنه لم يذكر اسمه، لأنه دخل في جميع الظالمين، لأن مَنْ صَنَع مِثْلَ هَذَا الصَّنِيع يكون جزاؤه هذا، وقتل عقبة يوم بدر صبراً، وقتل أبيٌّ بن خلف يوم أحد ويقال {لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً}، يعني: الشيطان بدليل قوله عز وجل: {وَكَانَ الشيطان للإنسان خَذُولاً} يعني: يتبرأ منه يوم القيامة، ونزل فيه: {الاخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المتقين} [الزخرف: 67] ثم قال عز وجل: {وَقَالَ الرسول يارب * رَبّ إِنَّ قَوْمِى ****اتخذوا هذا القرءان مَهْجُوراً} يعني: متروكاً لا يؤمنون به، ولا يعملون بما فيه. وقال القتبي: يعني: جعلوه كالهذيان. ويقال: فلان يهجر في منامه، أي يهذي. وقال مجاهد: يهجرون منه بالقول، يعني: يقولون فيه بالقبيح، فبين الشكاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرب عز وجل، ثم إن الله عز وجل عزاه، وأخبره أن الرسل من قبله كانوا يتأذون بقومهم، فذلك قوله عز وجل: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نَبِىّ عَدُوّاً مّنَ المجرمين} يعني: من المشركين، فيهجرون الكتاب.

ثم قال: {وكفى بِرَبّكَ هَادِياً وَنَصِيراً} يعني: هادياً إلى دينه من كان أهلاً لذلك. ويقال: وكفى بربك حافظاً على الدين ونصيراً، أي مانعاً. ويقال: وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً، يعني: فرعوناً كما جعلنا أبا جهل فرعونك، ويقال: سلطنا على كل نبي متكبراً ليتكبر عليه، ويكذبه ويؤذيه.

وروي في الخبر لو أن مؤمناً ارتقى على ذروة جبل، فقيض الله تعالى إليه منافقاً يؤذيه، فيؤجر عليه {وكفى بِرَبّكَ هَادِياً} يعني: اكتف بربك واصبر على أذاهم، صار هادياً ونصيراً، نصباً على الحال، أي: وكفى بربك في حال الهداية، والنصرة نصيراً ويقال: الباء زائدة للصلة. ومعناه: كفى بربك هادياً إلى دينه ونصيراً.

▲ تفسير الآيات رقم [32– 34]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (33) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (34)}

قوله {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لَوْلاَ} يعني: هلا {نُزّلَ عَلَيْهِ القرءان جُمْلَةً واحدة} كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما السلام ويقول الله تعالى: {كذلك} يعني: هكذا أنزلناه متفرقاً {لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} يعني: ليحفظ ويقوى به قلبك، ونفرحك دخل قلبه الغم نزلت عليه آية وآيتان، فيفرح بها. ويقال: لنثبت به فؤادك يعني: ليكون قبوله على المسلمين أسهل، لأنه لو أنزلت الأحكام والشرائع كلها جملة واحدة، شق على المسلمين قبولها، كما شق على بني إسرائيل. ويقال: أنزلناه هكذا لنرسخ القرآن في قلبك، لكي تحفظ الآية والآيتين. ويقال: كذلك أنزلناه لتحكم عند كل حادثة، وعند كل واقعة لتقوي به قلبك في ذلك {وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} يعني: بيناه تبييناً.

ويقال: شيء رتل ورتيل إذا كان مبيناً. وقال مجاهد: ورتلناه ترتيلاً، أي: بعضه على أثر بعض.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك جبريل عليه السلام به في عشرين سنة، وهو قوله تعالى: {كَذَلِكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} {وَقُرْءانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى الناس على مُكْثٍ ونزلناه تَنْزِيلاً} [الإسراء: 106] {وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جئناك بالحق} يعني: لا يخاصمونك بمثل مثل قوله: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزّلَ عَلَيْهِ القرءان جُمْلَةً واحدة كَذَلِكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} [الفرقان: 32] ثم قال: {إِلاَّ جئناك بالحق} يعني: أنزلنا عليك جبريل بالقرآن، فتخاصمهم به {وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} يعني: وأحسن بياناً لترد به خصومهم. ويقال: معناه ولا يأتونك بحجة، إلا بينا لك في القرآن ما فيه نقص لحجتهم، وأحسن تفسيراً، أي جواباً لهم ويقال: ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بما هو أحسن من مثلهم. ويقال: كل نبي، إذا قال له قومه قولاً، كان هو الذي يرد عليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قالوا له شيئاً، فالله تعالى هو الذي يرد عليهم، ثم أخبرهم بمستقرهم في الآخرة فقال عز وجل: {الذين يُحْشَرُونَ على وُجُوهِهِمْ} يعني: يسحبون على وجوههم {إلى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً} يعني: منزلاً في النار وضيقاً في الدنيا {وَأَضَلُّ سَبِيلاً} يعني: أخطأ طريقاً، وذلك أن كفار مكة قالوا: ما كان محمد وأصحابه أولى بهذا الأمر منا، والله إنهم لشر خلق الله، فأنزل الله عز وجل: {الذين يُحْشَرُونَ على وُجُوهِهِمْ}.

وروي في الخبر أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أصناف فصنف على النجائب، وصنف على أرجلهم، وصنف على وجوههم، فقيل: يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم؟ فقال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم، فهو قادر على أن يمشيهم على وجوههم، فذلك قوله: {أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً}.

▲ تفسير الآيات رقم [35- 39]

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (35) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (36) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آَيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (37) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (38) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (39)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب} يعني: أعطينا موسى التوراة {وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هارون وَزِيراً} أي معيناً {فَقُلْنَا اذهبا إِلَى القوم} يعني: به موسى، كقوله عز وجل في سورة طه: {اذهب أَنتَ وَأَخُوكَ بأاياتى وَلاَ تَنِيَا فِى ذِكْرِى} [طه: 42] خاطب موسى خاصة إلى القوم {الذين كَذَّبُواْ بئاياتنا} يعني: فرعون وقومه كذبوا بآياتنا، أي بتوحيدنا وديننا. وقال الكلبي: يعني كذبوا بآياتنا التسع. وقال بعضهم: هذا التفسير خطأ، لأن الآيات التسع أعطاها الله تعالى موسى بعد ذهابه إليه، وقد قيل: معناه اذهبا إلى القوم، وهذا الخطاب لموسى عليه السلام. ثم قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {الذين كَذَّبُواْ بئاياتنا} يعني: بالعلامات التي خلق الله تعالى في

الدنيا. ويقال: بآياتنا، يعني: بالرسل، وبكتب الأنبياء عليهم السلام الذين قبل موسى، ثم قال: {فدمرناهم تَدْمِيراً} يعني: كذبوهما فأهلكناهم إهلاكاً. ويقال: في الآية تقديم قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب} يعني: كتاباً قبل التوراة.

قوله عز وجل {وَقَوْمَ نُوحٍ} يعني: واذكر قوم نوح عليه السلام {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل} يعني: نوحاً وحده كما قال: {ياأيها الرسل كُلُواْ مِنَ الطيبات واعملوا صالحا إِنّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51] ولم يكن إلا واحد وقت هذا الخطاب، فيجوز أن يذكر الجماعة، ويراد به الواحد كما يذكر الواحد، ويراد به الجماعة كقوله: {والعصر} [العصر: 1] وإنما أراد به الناس، ألا ترى أنه استثنى منه جماعة. ويقال: إن نوحاً كان يدعو قومه إلى الإيمان به، وبالأنبياء الذين بعده، فلما كذبوه فقد كذبوا جميع الرسل، فلهذا قال: {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل} {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ} يعني: عبرة لمن بعدهم {وَأَعْتَدْنَا للظالمين عَذَاباً أَلِيماً} أي: وجيعاً، ثم قال عز وجل: {وَعَاداً وَثَمُودَ *** وأصحاب الرس} يعني: واذكر عاداً وثمود وأصحاب الرس، وهم قوم قد نزلوا عند بئر، كانت تسمى: الرس، فكذبوا رسلهم، فأهلكهم الله تعالى، ويقال: إنما سُمُّوا أصحاب الرس، لأنهم قتلوا نبيهم ورسولهم في بئر لهم، وقال مقاتل: يعني: البئر التي كان فيها أصحاب ياسين بأنطاكية التي بالشام {وَقُرُوناً بَيْنَ ذلك كَثِيراً} يعني: أهلكنا أمماً بين قوم نوح وعاد، وبين عاد وثمود إلى أصحاب الرس كثيراً {وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الامثال} يعني: بينا لهم العذاب أنه نازل بهم

في الدنيا {وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً} أي: دمرناهم بالعذاب تدميراً، يقال: تبره إذا أهلكه.

▲ تفسير الآيات رقم [40– 46]

{وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (40) وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (41) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آَلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (42) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44) أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (46)}

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القرية} يعني: أهل مكة مروا على القرية {التى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السوء} يعني: قريات لوط أمطرنا عليهم الحجارة قوله: {أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا} يعني: أفلم يبصرونها، فيعتبروا بها {بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً} يعني: بل كانوا لا يخافون البعث. ويقال: لا يرجون ثواب الآخرة، وإنما جاز أن يعبر به عنهما، لأن في الرجاء طرفاً من الخوف، لأن كل من يرجو شيئاً، فإنه يخاف، وربما يدرك، وربما لا يدرك، قوله عز وجل: {وَإِذَا رَأَوْكَ} يعني: أهل مكة {إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً} يعني: ما يقولون لك إلا سخرية فيما بينهم ويقولون: {أهذا الذى بَعَثَ الله رَسُولاً} يعني: إلينا، وهو

قول أبي جهل، حين قال لأبي سفيان بن حرب: أهذا نبي بني عبد مناف {إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا} يعني: أراد أن يصرفنا {عَنْ ءالِهَتِنَا} يعني: عن عبادة آلهتنا {لَوْلاَ أَن صَبْرَنَا عَلَيْهَا} يعني: ثبتنا على عبادتها لأدخلنا في دينه حكى قولهم ثم بين مصيرهم فقال: {وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العذاب} يعني: يوم القيامة {مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً} يعني: أخطأ طريقاً يعني: تبين لهم أن الذي قلت لهم كان حقاً، قوله عز وجل: {أَرَءيْتَ مَنِ اتخذ إلهه هَوَاهُ} يعني: اتخذ هوى نفسه إلهاً، يعني: يعمل بكل ما يدعوه إليه هواه. ويقال: إنهم كانوا يعبدون حجراً، فإذا رأوا جحراً أحسن منه تركوا الأول، وعبدوا الثاني {أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً} يعني: أتريد أن تكون بيدك المشيئة في الهدى والضلالة، ويقال: معناه أفأنت تكون عليه وكيلاً، يعني: أتريد أن تكون رباً لهم، فتجزيهم بأعمالهم، يعني: لست كذلك، فأنذرهم، فإنما أنت منذر ثم قال عز وجل: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ} يعني: أتظن أنهم يريدون الهدى أو {يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ} الهدى {إِنْ هُمْ} يعني: ما هم {إِلاَّ كالانعام} في الأكل والشرب، ولا يتفكرون في أمر الآخرة، {بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً} يعني: أخطأ طريقاً من البهائم، لأن البهائم ليسوا بمأمورين، ولا بمنهيين.

وقال مقاتل: البهائم تعرف ربها، وتذكره وكفار مكة لا يعرفون ربهم، فيوحدونه.

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيْفَ مَدَّ الظل} قال بعضهم: فيه تقديم، ومعناه: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك. وقال بعضهم: فيه مضمر.

ومعناه: ألم تر إلى صنع ربك كيف مد الظل؟ يعني: بسط الظل بعد انفجار الصبح إلى طلوع الشمس {وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً} يعني: دائماً كما هو لا شمس معه، كما يكون في الجنة ظل ممدود، ويقال: تلك الساعة تشبه ساعات الجنة إلا أن الجنة أنور {ثُمَّ جَعَلْنَا الشمس عَلَيْهِ دَلِيلاً} حيث ما تكون الشمس يظهر الظل.

وقال القتبي: إنما يكون دليلاً، لأنه لو لم تكن الشمس لم يعرف الظل، لأن الأشياء تعرف بأضدادها {ثُمَّ قبضناه إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً} يعني: الظل بعد غروب الشمس، وذلك أن الشمس إذا غابت عاد الظل، وذلك وقت قبضه، لأن ظل الشمس بعد غروب الشمس لا يذهب كله جملة، وإنما يقبض الله ذلك الظلّ قبضاً خفياً شيئاً فشيئاً، دلَّ الله تعالى بهذا الوصف على قدرته، ولطفه في معاقبته بين الظل والشمس لمنافع الناس، ولمصالح عباده، وبلاده. ويقال: ثم قبضناه، أي: قبضناه سهلاً. ويقال: يسيراً عند طلوع الشمس، ثم قبضناه يسيراً. يعني: هيناً سهلاً. ويقال: يسيراً يعني: خفياً، فلا يدري أحد أين يصير، وكيف يصير؟ ويقال: ثم قبضناه، يعني. ورفعناه رفعاً خفيفاً.

ويقال قوله: {ثُمَّ جَعَلْنَا الشمس عَلَيْهِ دَلِيلاً} أي: على الأوقات في النهار ليعرف زوال الشمس وأوقات الصلاة.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 52]

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (47) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (49) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (50) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (51) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52)}

قوله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اليل لِبَاساً} يعني: سكناً لتسكنوا فيه. ويقال: لباساً ستراً يستر جميع الأشياء {والنوم سُبَاتاً} يعني: راحة للخلق ليستريحوا فيه بالنوم {وَجَعَلَ النهار نُشُوراً} أي: للنشور ينتشرون فيه لابتغاء الرزق. ثم قال عز وجل: {وَهُوَ الذى أَرْسَلَ الرياح *** بَشَرًا} يعني: تنشر السحاب، والاختلاف في القراءات كما ذكرنا في سورة الأعراف {بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ} يعني: قدام المطر {وَأَنزَلْنَا مِنَ السماء مَاء طَهُوراً} يعني: مطهراً يطهر به الأشياء، ولا يطهر بشيء {لّنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً} يعني: أرضاً لا نبات فيها، فينبت بالمطر {وَنُسْقِيَهِ} يعني: نسقي بالمطر {مِمَّا خَلَقْنَا أنعاما وَأَنَاسِىَّ كَثِيراً} وهو جماعة الإنس يعني: نسقي به الناس والدواب لفظ البلدة مؤنث، إلا أن معنى البلدة والبلد واحد، فانصرف إلى المعنى، ولو قال: ميتة، لجاز إلا أنه لم يقرأ.

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ صرفناه بَيْنَهُمْ} يعني: قسمناه بين الخلق. ويقال: نصرفه من بلد إلى بلد مرة بهذا البلد، ومرة ببلد آخر.

كما روي عن ابن مسعود أنه قال: ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله تعالى يصرفه في الأرض ثم قرأ هذه الآية.

كما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «مَا مِنْ سَنَةٍ بِأَمْطَرَ مِنْ أُخْرَى، ولكن إِذَا عَمِلَ قَوْمٌ بِالمَعَاصِي حَوَّلَ الله ذلك إِلَى غَيْرِهِمْ فَإِذَا عَصَوْا جَمِيعاً، صَرَفَ الله ذلك إِلَى الفَيَافِي وَالبِحَارِ». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من عام بأكثر من عام، ولكنه يصرفه حيث يشاء، فذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ صرفناه بَيْنَهُمْ} {لّيَذْكُرُواْ} يعني: ليتعظوا في صنعه، فيعتبروا في توحيد الله تعالى، فيوحدوه.

وقرأ حمزة والكسائي {لّيَذْكُرُواْ} بالتخفيف، وضم الكاف. وقرأ الباقون بالتشديد والنصب. ثم قال: {فأبى أَكْثَرُ الناس إِلاَّ كُفُورًا} يعني: كفراناً في النعمة، وهو قولهم: مطرنا بنوء كذا، ويقال: إلا جحوداً وثباتاً على الكفر قوله عز وجل: {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً} قال مقاتل: ولو شئنا لبعثنا في زمانك في كل قرية رسولاً، ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولاً اختصصناك بها {فَلاَ تُطِعِ الكافرين} وذلك حين دعوه إلى ملة آبائه {وجاهدهم بِهِ} أي بالقرآن {جِهَاداً كَبيراً} يعني: شديداً.

▲ تفسير الآيات رقم [53- 57]

{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (53) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا

وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (55) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (56) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (57)}

قوله عز وجل: {وَهُوَ الذى مَرَجَ البحرين} يعني: أرسل. ويقال: حلى البحرين. ويقال: فلق البحرين. ويقال: خلق البحرين العذب والمالح {هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ} يعني: حلواً {وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ} يعني: مرّ مالح {وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً} أي حاجزاً {وَحِجْراً مَّحْجُوراً} أي حرم على العذب أن يملح، وحرم على المالح أن يعذب، وحرم على كل واحد منهما أن يختلط بصاحبه، وأن يغير كل واحد منهما طعم صاحبه. قوله عز وجل: {وَهُوَ الذى خَلَقَ مِنَ الماء بَشَراً} أي من النطفة إنساناً {فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً} فالنسب ما لا يحل لك نكاحُه من القرابة، والصهر ما يحل لك نكاحه من القرابة، وغير القرابة وهذا قول الكلبي.

وقال الضحاك: النسب القرابة، والصهر الرضاع، ويحرم من الصهر ما يحرم من النسب. ويقال: النسب الذي يحرم بالقرابة، والصهر الذي يحرم بالنسب، وهو ما ذكر في قوله تعالى: {حُرّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وَبَنَاتُ الاخ وَبَنَاتُ الاخت وأمهاتكم الْلاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وأخواتكم مّنَ الرضاعة وأمهات نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتى فِى حُجُورِكُمْ مّن نّسَآئِكُمُ اللاتى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وحلائل أَبْنَآئِكُمُ الذين مِنْ أصلابكم وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاختين إَلاَّ مَا قَدْ

سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [النساء: 23] فهذه السبع تحرم بالقرابة والسبع التي تحرم بالنسب، فهو ما ذكر بعده وهو قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وَبَنَاتُ الاخ وَبَنَاتُ الاخت وأمهاتكم الْلاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وأخواتكم مِّنَ الرضاعة وأمهات نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتى فِى حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاتى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وحلائل أَبْنَآئِكُمُ الذين مِنْ أصلابكم وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاختين إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [النساء: 23] إلى آخر الآية. وامرأة الأب ثم قال تعالى: {وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً} فيما أحل النكاح، وفيما حرم يقال: قديراً على ما أراد. قوله عز وجل: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ} يعني: الأصنام {مَا لاَ يَنفَعُهُمْ} إن عبدوهم {وَلاَ يَضُرُّهُمْ} إن لم يعبدوهم {وَكَانَ الكافر على رَبّهِ ظَهِيراً} أي: عوناً للشياطين على ربه. قال بعضهم: نزلت في شأن أبي جهل بن هشام. ويقال: في شأن جميع الكفار.

ثم قال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشّرًا وَنَذِيرًا} يعني: ما أرسلناك يا محمد إلا مبشراً بالجنة، لمن أطاع الله، ونذيراً بالنار لمن عصاه، {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} يعني: قل لكفار مكة: ما أسألكم، يعني: على القرآن والإيمان {مِنْ أَجْرٍ} يعني: من جُعل {إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلى رَبّهِ سَبِيلاً} يعني: إلا من شاء أن يوحده، ويتخذ إلى ربه بذلك التوحيد سبيلاً، يعني: مرجعاً. ويقال: يعمل، فيتخذ عند ربه مرجعاً صالحاً، فيدخل به الجنة. يعني: لا أريد الأجر، ولكن أريد لكم هذا الذي ذكر، وقصدي هذا لا أَنْ آخُذ منكم شيئاً.

▲ تفسير الآيات رقم [58– 60]

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (60)}

قوله عز وجل: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الحى الذى لاَ يَمُوتُ} وذلك حين دعي إلى ملة آبائه، فأمره الله تعالى بأن يتوكل على ربه قال الكريم: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} قال مقاتل: واذكر بأمره وقال الكلبي: صلِّ بأمره {وكفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً} يعني: عالماً معناه، وكفى بالله عالماً بذنوب عباده وبمجازاتهم، فلا أحد أعلم بذنوب عباده ومجازاتهم منه.

ثم قال عز وجل: {الذى خَلَقَ * السموات والارض *** وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرش} وقد ذكرناه وتمّ الكلام ثم قال: {الرحمن} يعني: استوى الرحمن على العرش. قال: ويجوز أن يكون على معنى الابتداء ثم قال: {فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً} يعني: فاسأل عنه عالماً. ويقال: معناه ما أخبرتك به من شيء، فهو كما أخبرتك، فاسأل بذلك عالماً حتى يبين لك ذلك كقوله: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذين يَقْرَءُونَ الكتاب مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الحق مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الممترين} [يونس: 94] الآية. خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد به أمته. قوله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسجدوا للرحمن} يعني: صلوا للرحمن. ويقال: اخضعوا له

ووحدوه {قَالُواْ وَمَا الرحمن} يعني: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب قالوا: {أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} لذلك الكذاب. قرأ حمزة والكسائي بالياء على معنى المغايبة وقرأ الباقون على المخاطبة {وَزَادَهُمْ نُفُوراً} يعني: زادهم ذكر الرحمن تباعداً عن الإيمان، فمن قرأ بالياء، فمعناه لما يأمرنا الرحمن بالسجود. ويقال: لما يأمرنا محمد، يعني: لا نسجد لما يأمرنا كقوله: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى اليتامى فانكحوا مَا طَابَ لَكُمْ مّنَ النسآء مثنى وثلاث وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فواحدة أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانكم ذلك أدنى أَلاَّ تَعُولُواْ} [النساء: 3] يعني: من طاب لكم، ومن قرأ بالتاء، أراد به النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو عبيد: هذا هو الوجه، لأن المشركين خاطبوه بذلك، وكانوا غير مقرين بالرحمن.

▲ تفسير الآيات رقم [61- 67]

{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)}

قوله عز وجل: {تبارك} وقد ذكرناه {الذى جَعَلَ فِى السماء بُرُوجاً} يعني: خلق في السماء بروجاً، يعني: نجوماً وكواكب. ويقال: قصوراً. وذكر أنه جعل في القصور حراساً، كما قال في آية أخرى: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السمآء فوجدناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً} [الجن: 8] الآية.

ويقال: البروج الكواكب العظام، وكل ظاهر مرتفع، فهو برج، وإنما قيل لها بروج لظهورها وارتفاعها، ثم قال تعالى: {وَجَعَلَ} يعني: خلق فيها {سِرَاجاً} يعني: شمساً {وَقَمَراً مُّنِيراً} يعني: منوراً مضيئاً. قرأ حمزة والكسائي {***سُرُجاً} بلفظ الجمع، يعني: الكواكب. وقرأ الباقون {الشمس سِرَاجاً}، وبه قال أبو عبيدة: بهذا نقرأ. كقوله: {وَجَعَلَ الشمس سِرَاجاً} ولأنه قد ذكر الكواكب بقوله: {بُرُوجاً} ثم قال عز وجل: {وَهُوَ الذى جَعَلَ اليل والنهار} أي: خلق الليل والنهار {خِلْفَةً لّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ} أي خلفة يخلف كل واحد منهما صاحبه يذهب الليل، ويجيء النهار، ويذهب النهار، ويجيء الليل، ويقال: خلفة يعني: مخالفاً بعضه لبعض، أحدهما أبيض، والآخر أسود، فهما مختلفان كقوله عز وجل: {إِنَّ فِى اختلاف اليل والنهار} الآية.

وعن الحسن أنه قال: النهار خلف من الليل، لمن أراد أن يعمل بالليل، فيفوته، فيقضي، فإذا فاته بالنهار يقضي بالليل لمن أراد أن يذكر. قرأ حمزة {يُذْكَرِ} بتسكين الذال، وضم الكاف. يعني: يذكر ما نسي، إذا رأى اختلاف الليل والنهار. وقرأ الباقون بالتشديد {يُذْكَرِ} وأصله يتذكر يعني: يتعظ في اختلافهما، ويستدل بهما {أَوْ أَرَادَ شُكُوراً} يعني: العمل الصالح ويترك ما هو

عليه من المعصية. ويقال: {أَوْ أَرَادَ شُكُوراً}، أو أراد توحيداً وإقراراً، فيمكنه ذلك قوله عز وجل: {وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ} يعني: وإن من عباد الرحمن عباداً يمشون {على الارض هَوْناً} يعني: يمضون متواضعين، وهذا جواب لقولهم {وَمَا الرحمن أَنَسْجُدُ}؟ فقال: الرحمن الذي جعل في السماء بروجاً، وهو الذي له عباد مثل هؤلاء. يعني: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن كان مثل حالهم، وهذا كقوله: {جنات عَدْنٍ التى وَعَدَ الرحمن عِبَادَهُ بالغيب إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً} [مريم: 61] وكقوله: {والذين اجتنبوا الطاغوت أَن يَعْبُدُوهَا وأنابوا إِلَى الله لَهُمُ البشرى فَبَشِّرْ عِبَادِ} [الزمر: 17] الآية.

وقال مجاهد: يمشون على الأرض هوناً في طاعة الله متواضعين. ويقال: هوناً، أي: هيناً لا جور فيه على أحد، ولا أذى. ويقال: هوناً يعني: سكينة ووقاراً. وحلماً. {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجاهلون} يعني: كلمهم الجاهلون بالجهل {قَالُواْ سَلاَماً} يعني: سداداً من القول. ويقال: ردوا إليهم بالجميل. وقال الحسن: أي حلماً لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا. وقال الكلبي: نسخت بآية القتال.

وقال بعضهم: هذا خطأ، لأن هذا ليس بأمر، ولكنه خير من حالهم، والنسخ يجري في الأمر والنهي ثم وصف حال لياليهم فقال عز وجل: {وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبّهِمْ سُجَّداً} يعني: يقومون بالليل في الصلاة سجداً {وقياما} يعني: يكونون في ليلتهم مرة ساجدين، ومرة قائمين.

وروي عن ابن عباس أنه كان يقول: من صلى ركعتين أو أربعاً بعد العشاء، فقد بات لله ساجداً وقائماً، ثم وصف خوفهم فقال: إنهم مع جهدهم خائفون من عذاب الله عز وجل، ويتعوذون منه فقال عز وجل: {والذين يَقُولُونَ} يعني: عباد الرحمن {رَبَّنَا اصرف عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً} يعني: لازماً لا يفارق صاحبه. وقال بعض أهل اللغة: الغرام في اللغة أشد العذاب. وقال محمد بن كعب القرظي: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً}. قال: سألهم عن النعم، فلم يأتوا بثمنها، فأغرمهم ثمن النعم، وأدخلهم النار ثم قال: {إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً} يعني: بئس المستقر، وبئس الخلود، والمقام الخلود كقوله: {الذى أَحَلَّنَا دَارَ المقامة مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر: 35] يعني: دار الخلود. ويقال: نصب المستقر للتمييز، ومعناه لأنها ساءت في المستقر. ثم قال عز وجل: {والذين إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ} وقرأ نافع وابن عامر {يَقْتُرُواْ} بضم الياء وكسر التاء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو {لَمْ * يَقْتُرُواْ} بنصب الياء وكسر التاء. وقرأ أهل الكوفة بنصب الياء، وضم التاء، ومعنى ذلك كله واحد. يعني: لم يسرفوا، فينفقوا في معصية الله، ولم يقتروا فيمسكوا عن الطاعة {وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} يعني: بين ذلك عدلاً ووسطاً. وقال الحسن: ما أنفق الرجل على أهله في غير إسراف ولا فساد، ولا إقتار، فهو في سبيل الله تعالى. وقال مجاهد لو كان لرجل مثل أبي قبيس ذهباً، فأنفقه في طاعة الله، لم يكن مسرفاً، ولو أنفق درهماً في معصية الله تعالى كان مسرفاً.

▲ تفسير الآيات رقم [68- 70]

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)}

ثم قال عز وجل: {والذين لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} يعني: لا يشركون بالله. ويقال: الشرك ثلاثة: أولها أن يعبد غير الله تعالى، والثاني أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية، والثالث أن يعمل لغير وجه الله تعالى، فالأول كفر والآخران معصية ثم قال: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق} أي إلا بإحدى خصال ثلاث وقد ذكرناه. {وَلاَ يَزْنُونَ} يعني: لا يستحلون الزنى، ولا يقتلون النفس {وَمَن يَفْعَلْ ذلك} يعني: الشرك والقتل والزنى {يَلْقَ أَثَاماً} قال الكلبي يعني: عقاباً في النار، وذكر عن سيبويه والخليل أنهما قالا: معناه جزاء الآثام. ويقال: الآثام العقوبة وقال الشاعر:

جَزَى الله ابْنَ عُرْوَةَ حِينَ أَمْسَى *** عَقُوقاً فَالْعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ

أي عقوبة ثم قال عز وجل: {يضاعف لَهُ العذاب يَوْمَ القيامة وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً} يعني: في العذاب صاغراً يهان فيه. قرأ عاصم {يضاعف لَهُ} بالألف، وضم الفاء. وقرأ ابن عامر وابن كثير {يضاعف} بغير ألف، والتشديد، وجزم الفاء. وقرأ الباقون {***يضاعفون} بالألف، وجزم الفاء. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر، {القيامة وَيَخْلُدْ} بضم الدال.

وروى حفص عن عاصم وابن كثير، {وَيَخْلُدْ} بالإشباع، والباقون بجزم الدال. ثم قال عز وجل: {إِلاَّ مَن تَابَ وَءامَنَ} يعني: تاب من الشرك والزنى والقتل، وصدَّق بتوحيد الله تعالى: {وَعَمِلَ صالحا فَأُوْلَئِكَ * يُبَدّلُ الله سَيّئَاتِهِمْ حسنات} يعني: مكان الشرك الإيمان، ومكان القتل الكف، ومكان الزنى العفاف، ومكان المعصية العصمة والطاعة. ويقال: إنه يبدل في الآخرة مكان عمل السيئات والحسنات.

وروي عن ابن مسعود أنه قال: إن يوم القيامة إذا أعطي الإنسان كتابه لينظر في كتابه فيرى أوله معاصي، وفي الآخر حسنات، فلما رجع إلى أول الكتاب، رآه كله حسنات.

روى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يُعْرَضُ عَلَيْهِ أَصَاغِرُ ذُنُوبِهِ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنَ الكَبَائِرِ أَنْ تَجِيءَ ذُنُوبُهُ العِظَامُ، فَإِذَا أَرَادَ بِهِ خَيْراً قِيلَ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: يَا ربّ إِنَّ لِي ذُنُوباً مَا أرَاها هنا ". قال: ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، ثم تلا: {فَأُوْلَئِكَ يُبَدّلُ الله سَيّئَاتِهِمْ حسنات}. وذكر عن أبي هريرة أنه قال: خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألتني امرأة في الطريق فقالت زنيت، ثم قتلت الولد، فهل لي من توبة؟ فقلت: لا توبة لك أبداً. ثم قلت: أفتيتها ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، فرجعت إليه، فأخبرته بذلك فقال: «هَلِكْتَ وَأَهْلَكْتَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ هذه الآية. {والذين لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} إلى قوله: {فَأُوْلَئِكَ يُبَدّلُ الله سَيّئَاتِهِمْ حسنات}

فخرجت وقلت: من يدلني على امرأة سألتني مسألة، والصبيان يقولون: جن أبو هريرة حتى أدركتها، وأخبرتها بذلك فسرت. وقالت: إن لي حديقة جعلتها لله ولرسوله. وقال بعضهم: هذه الآية مدنية نزلت في شأن وحشي وقال بعضهم الآية قد كانت نزلت بمكة فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى وحشي ثم قال تعالى: {وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} يعني: غفوراً لما فعلوا قبل التوبة لمن تاب رحيم بالمؤمنين بعد التوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [71- 77]

{وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (77)}

{وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صالحا} يعني: تاب من الشرك والمعاصي، وعمل صالحاً بعد التوبة {فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى الله مَتاباً} يعني: مناصحاً لا يرجع. ويقال: متاباً له في الجنة. ويقال: {مَتاباً}. يعني: توبة. يعني: يتوب توبة مخلصة ثم قال: {والذين لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ} يعني: لا يحضرون مجالس الكذب والفحش والكفر {وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ} يعني: مجالس اللهو والباطل {مَرُّواْ كِراماً} يعني:

حُلماء عُلماء معرضين عنها. وقال القتبي: مروا كراماً لم يخوضوا فيه، وأكرموا أنفسهم.

ثم قال عز وجل: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بئايات رَبِّهِمْ} يعني: وعظوا بالقرآن {لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا} يعني: لم يقعوا عليها {صُمّاً وَعُمْيَاناً} يعني: لا يسمعون ولا يبصرون، ولكنهم سمعوا وانتفعوا به. وهذا قول مقاتل. وقال القتبي: لم يخروا عليها، أي لم يتغافلوا عنها، فكأنهم صم لم يسمعوها عمي لم يروها.

ثم قال عز وجل: {والذين يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أزواجنا وذرياتنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} يعني: اجعل أزواجنا وذريتنا من الصالحين، تقر أعيننا بذلك. ويقال: وفقهم للطاعة، واعصمهم من المعصية، ليكونوا معنا في الجنة، فتقر بهم أعيننا. قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، {وذرياتنا} بلفظ الوحدان. وقرأ الباقون {وذرياتنا} بلفظ الجماعة، ثم قال: {واجعلنا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً} يعني: اجعلنا أئمة في الخير يقتدي بنا المؤمنون، كما قال:
{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخيرات وَإِقَامَ الصلاة وَإِيتَآءَ الزكواة وَكَانُواْ لَنَا عابدين} [الأنبياء: 73] أي: قادة في الخير.

وروي عن عروة، أنه كان يدعو بأن يجعله الله ممن يحمل عنه العلم، فاستجيب دعاؤه. وروي عن مجاهد معناه: واجعلنا ممن نقتدي بمن قبلنا، حتى يقتدي بنا من بعدنا. ويقال: معناه اجعلنا ممن يقتدي بالمتقين، ويقتدي بنا المتقون، فهذا كله من خصال عباد الرحمن، من قوله: {وَعِبَادُ الرحمن} إلى هاهنا. فوصف أعمالهم، ثم بيّن ثوابهم فقال عز وجل: {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ

الغرفة} يعني: غرف الجنة كقوله: {لكن الذين اتقوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار وَعْدَ الله لاَ يُخْلِفُ الله الميعاد} [الزمر: 20] {بِمَا صَبَرُواْ} يعني: صبروا على أمر الله تعالى في الدنيا، وعلى طاعته {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا} يعني: في الجنة {تَحِيَّةً} يعني: التسليم {وسلاما} يعني: سلام الله تعالى لهم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر. وإحدى الروايتين عن ابن عباس، {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا} بنصب الياء، وجزم اللام، والتخفيف. وقرأ الباقون {وَيُلَقَّوْنَ} بضم الياء ونصب اللام، وتشديد القاف، فمن قرأ بالتخفيف، يعني: يلقي بعضهم بعضاً بالسلام، ومن قرأ بالتشديد يعني: يجيء إليهم سلام الله، يعني: يلقى إليهم السلام من الله تعالى.

ثم قال عز وجل: {خالدين فِيهَا} يعني: دائمين في الجنة {حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً} يعني: موضع القرار، وموضع الخلود قوله عز وجل: {قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبّى لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ} يقول: ما يفعل بكم ربي لولا عبادتكم. ويقال: ما يفعل بعذابكم لولا عبادتكم غير الله تعالى. ويقال: ما ينتظر بهلاككم، لولا عبادة من يعبدوني، لأنزلت عليكم عذابي. ويقال: لولا دعاؤكم يعني: يقول لولا إيمانكم ثم قال عز وجل سبحانه: {فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً} يعني: عذاباً يلزمهم، فقتلوا ببدر، وعجلت أرواحهم إلى النار، فتلك عقوبتهم فيها. ويقال: {لِزَاماً} يعني: موتاً. وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه خمس قد مضين من ذلك اللزام، واللزم والقمر والدخان والبطشة. ويقال: ما يحتاج بعذابكم لولا عبادتكم الأصنام. ويقال: ما يفعل الله بعذابكم لولا عبادتكم غير

الله. ويقال: ما ينتظر بهلاككم لولا عبادة من يعبدني، لأنزلت عذابي إلى غير ذلك، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد.

▲ سورة الشعراء

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{طسم (1) تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آَيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (6)}

قول الله سبحانه وتعالى: {طسم} قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر، بإمالة الطاء. وقرأ أبو عمرو وابن كثير بالتفخيم، وهما لغتان معروفتان عند العرب، ويجوز كلاهما، وقرأ نافع بين ذلك، وقرأ حمزة بإظهار النون، والباقون بالإدغام لتقارب مخرجهما، ومن لم يدغم أراد التبيين، وكلاهما جائز. وأما التفسير، فروى معمر عن قتادة أنه قال: اسم من أسماء القرآن. ويقال: والطاء طوْله، والسين سَنَاؤُهُ، والميم ملكه، ومجده، ويقال: الطاء شجرة طوبى، والسين سدرة المنتهى، والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: عجزت العلماء عن تفسيرها. وقال بعضهم: هو قسم قسم الله تعالى به {تِلْكَ ءايات الكتاب} يعني: هذه آيات الكتاب. ويقال: تلك آيات الكتاب التي كنت وعدت في التوراة أن أنزلها على

محمد صلى الله عليه وسلم {المبين} يعني: القرآن بيّن لكم الحق من الباطل {لَعَلَّكَ باخع نَّفْسَكَ} يعني: مهلك نفسك. ويقال: قاتل نفسك بالحزن {أَن لا *** يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} يعني: إذا لم يصدقوا بالقرآن، وذلك حين كذبه أهل مكة شقّ ذلك عليه، وحزن بذلك فقال له: ليس عليك سوى التبليغ، ولا تقتل نفسك إن لم يؤمنوا.

ثم قال عز وجل: {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السماء ءايَةً} يعني: علامة {فَظَلَّتْ} يعني: فصارت {أعناقهم لَهَا خاضعين} يعني: وننزل عليهم آية تضطرهم إلى أن يؤمنوا، ولكنه لم يفعل، لأنه لو فعل ذلك لذهبت المحنة، فلم يستوجبوا الثواب إذا آمنوا بعد معاينة العذاب، كمن آمن يوم القيامة لا ينفعه إيمانه، لأنه قد ظهر له بالمعاينة. ويقال: فظلت أعناقهم يعني: ساداتهم وكبراؤهم، والأعناق الكبراء، فإن قيل: جمع الأعناق مؤنث. قال: خاضعين، ولم يقل: خاضعات. قيل له: لأن الكلام انصرف إلى المعنى، فكأنه قال هم لها خاضعون قوله: {وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ *** رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ} وقد ذكرناه {إِلاَّ كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ} يعني: مكذبين معرضين عن الإيمان به {فَقَدْ كَذَّبُواْ} يعني: كذبوا بالقرآن، كما قال في آية أُخرى: {فَقَدْ كَذَّبُواْ بالحق لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} [الأنعام: 5] يعني: {فَقَدْ كَذَّبُواْ} يعني: أخبار {مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} يعني: يوم القيامة. ويقال: قد جاءهم بعض ذلك في الدنيا، وهو القتل والقهر والغلبة.

▲ تفسير الآيات رقم [7– 15]

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9) وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآَيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15)}

قوله عز وجل: {أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى الارض} يعني: أو لم ينظروا في عجائب الأرض، ويتفكروا فيها {كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ كَرِيمٌ} يعني: من كل نوع من النبات. ويقال: من كل لون حسن. وقال القتبي: الكريم يقع على الأنواع، والكريم الشريف الفاضل. قال الله تعالى: {ياأيها الناس إِنَّا خلقناكم مِّن ذَكَرٍ وأنثى وجعلناكم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لتعارفوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ الله أتقاكم إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13] {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ وحملناهم فِى البر والبحر ورزقناهم مِّنَ الطيبات وفضلناهم على كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: 70] {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ الله لا إله إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العرش العظيم} [التوبة: 129] {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سيئاتكم وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً} [النساء: 31] {قَالَتْ ياأيها الملأ إِنى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} [النمل: 29] أي شريف فاضل، والكريم الصفوح، وذلك من الشرف كما قال: {قَالَ الذى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكتاب أَنَاْ ءاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءاهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هذا مِن فَضْلِ رَبِّى ليبلونى أَءشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ

رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ} [النمل: 40] {ياأيها الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم} [الانفطار: 6] أي الصفوح، والكريم الكثير كما قال: {أولئك هُمُ المؤمنون حَقّاً لَّهُمْ درجات عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: 4] أي: كثير، والكريم الحسن كما قال: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الارض كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [الشعراء: 7] أي: حسن {وقضى رَبُّكَ أَلاَّ تعبدوا إِلاَّ إياه وبالوالدين إحسانا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكبر أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا} [الإسراء: 23] أي: حسناً.

وروي عن الشعبي أنه قال: كم أنبتنا فيها. يعني: بني آدم، فمن دخل الجنة، فهو كريم، ومن دخل النار، فهو لئيم. ثم قال عز وجل: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: في اختلاف النبات وألوانه {لآيَةً} يعني لعبرة لأهل مكة أنه إله واحد ثم قال: {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: مصدقين بالتوحيد ولو كان أكثرهم مؤمنين يعني: وما كانوا مؤمنين بل كلهم كافرين {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} يعني: المنيع بالنقمة لمن لم يجب الرسل {الرحيم} حيث لم يعجل بعقوبتهم. ويقال: رحيم بالمؤمنين. قوله عز وجل: {وَإِذْ نادى رَبُّكَ موسى} يعني: اتل عليهم إذ نادى ربك موسى كما قال: {واتل عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم} وقال مقاتل: إذ نادى ربك موسى، يعني: أمر ربك يا محمد لموسى {أَنِ ائت القوم الظالمين} يعني: اذهب إلى القوم المشركين {قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ} قال مقاتل: يعني قل لهم ألا تتقون عبادة غيره وتوحدونه.

ويقال {أَلَا يَتَّقُونَ} يعني: ألا تعبدون الله تعالى {قَالَ} موسى {رَبِّ} أي: قال يا رب {إِنّى أَخَافُ أَن يُكَذّبُونِ} بما أقول {وَيَضِيقُ صَدْرِى} إذا كذبوني في رسالتك {وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِى} لمهابته. قرأ يعقوب الحضرمي، {وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلاَ يَنطَلِقُ} كلاهما بنصب القاف، وجعله نصباً بأن. ومعناه: أخاف أن يكذبون، وأن يضيق صدري، وأن لا ينطلق لساني. وقراءة العامة بالضم على معنى الاستئناف.

ثم قال: {فَأَرْسِلْ إلى هارون} يعني: أرسله معي لكي يكون عوناً لي في أداء الرسالة. ثم قال: {وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ} يعني: قصاص بقتل القبطي {فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} به قال القتبي: على معنى عندي، أي لهم عندي ذنب {قَالَ} الله تعالى {كَلاَّ} أي لا تخف. وقال الزجاج: كلا رَدْعٌ وتنبيه، أي: لا يقدرون على ذلك {فاذهبا بئاياتنا} خاطب به موسى خاصة بأن يذهب مع أخيه إلى فرعون بآياتنا التسع {إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ} يعني: سامعين، وقد بيّن ذلك في موضع آخر وهو قوله: {قَالَ لاَ تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وأرى} [طه: 46] والاستماع سبب للسمع فيعبر به عنه.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 33]

{فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ

(21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)}

قوله عز وجل: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبّ العالمين} يعني: موسى وحده، ويضاف الشيء إلى اثنين، ويراد به الواحد. وقال القتبي: الرسول يكون بمعنى الجمع، كما يكون الضيف بمعنى الجمع. {قَالَ إِنَّ هؤلاءآء ضَيْفِى فَلاَ تَفْضَحُونِ} [الحجر: 68]. وقال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة. ويقال رسول: يعني: به رسولين كقوله: {فَأْتِيَاهُ فقولا إِنَّا رَسُولاَ رَبّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بنى إسراءيل وَلاَ تُعَذّبْهُمْ قَدْ جئناك بِأايَةٍ مّن رَّبّكَ والسلام على مَنِ اتبع الهدى} [طه: 47] فقال: {إِنَّا رَسُولُ رَبّ العالمين} {أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إسراءيل} يعني: قل لفرعون ذلك، ولم يذكر إتيانه إلى فرعون، لأن في الكلام دليلاً عليه. وقد بيّن في موضع آخر حيث قال: {فَلَمَّا جَآءَهُم موسى بأاياتنا بينات قَالُواْ مَا هاذآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بهذا فى ءَابَآئِنَا الاولين} [القصص: 36] وقال مقاتل: {إِنَّا رَسُولُ رَبّ العالمين} وانقطع الكلام، ثم انطلق موسى، وكان هارون بمصر، فانطلقا إلى فرعون قال

مقاتل: فلم يأذن لهما سنة ثم أخبر البواب فرعون أن هاهنا إنساناً يذكر أنه رسول رب العالمين فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه. وقال السدي: لما أتى باب فرعون ضرب موسى عليه السلام عصاه على الباب، ففزع فرعون من ذلك، فأذن له في الدخول من ساعته، فلما دخل عليه عرفه، فأدى الرسالة فقال له فرعون: {قَالَ أَلَمْ نُرَبّكَ فِينَا وَلِيداً} قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: أول ما بدأ فرعون بكلام السفلة، ومنَّ على نبي الله صلى الله عليه وسلم أنما أطعمه. فقال: {أَلَمْ نُرَبّكَ فِينَا وَلِيداً}. يعني: ألم تكن صغيراً قد ربيناك {وَلَبِثْتَ فِينَا} يعني: مكثت عندنا {مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} يعني: ثلاثين سنة {وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التى فَعَلْتَ} يعني: قتلت النفس التي قتلتها.

وقرأ في الشاذ: {فَعْلَتَكَ} بكسر الكاف هي قراءة الشعبي، وقراءة العامة بالنصب، والنصب يقع على فعل واحد، والكسر على المرات. يعني: قتلت مرة، وهممت بالقتل ثانياً ثم قال: {وَأَنتَ مِنَ الكافرين} بنعمتي. ويقال: كفرت بي، حيث قتلت النفس. ويقال: وأنت من الجاحدين للقتل. يعني: لم تقر بالقتل، فأخبره موسى أنه غير جاحد للقتل {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً} يعني: قتلت النفس {وَأَنَاْ مِنَ الضالين} عن النبوة كقوله {وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فهدى} [الضحى: 7] ويقال: من الجاهلين ولم أتعمد القتل. قال القتبي: أصل الضلالة العدُول عن الحق، ثم يكون لمعاني منها النسيان، لأن الناسي عادل عنه، فكما قال هاهنا {فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضالين} أي: من الناسين وكما قال: {ياأيها الذين ءامنوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى فاكتبوه وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُم كَاتِبٌ بالعدل وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ الله فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الذى عَلَيْهِ

الحق وَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الذى عَلَيْهِ الحق سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعدل واستشهدوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامرأتان مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشهدآء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الاخرى وَلاَ يَأْبَ الشهدآء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تسأموا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إلى أَجَلِهِ ذلكم أَقْسَطُ عِندَ الله وَأَقْوَمُ للشهادة وأدنى أَلاَّ ترتابوا إِلاَ أَن تَكُونَ تجارة حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وأشهدوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ واتقوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}

[البقرة: 282] ثم قال عز وجل: {فَفَرَرْتُ مِنكُمْ} يعني: هربت منكم إلى مدين {لَمَّا خِفْتُكُمْ} على نفسي أن تقتلوني {فَوَهَبَ لِى رَبّى حُكْماً} قال الكلبي: يعني النبوة. وقال مقاتل: يعني العلم والفهم، {وَجَعَلَنِى مِنَ المرسلين} إليكم.

ثم قال عز وجل: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِى إسراءيل} يعني: أو كان هذا نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل، فكأنه أنكر عليه. فقال: كيف تكون نعمتك التي تمن علي؟ فإنك قد عبدت بني إسرائيل، أي استعبدتهم، وتمن علي. ويقال: قد اعترف له بالنعمة. فقال: وتلك نعمة تمن علي حيث عبدت بني إسرائيل، ولم تعبدني. ويقال: معناه تلك نعمة، إنما صارت نعمة بتعبيدك بني إسرائيل، ولم تعبدني، لأنك لو لم تعبدهم لم تجعلني أمي في التابوت حتى صرت في بيتك، ولكن إنما صارت نعمة

لأجلك، حيث عبدت بني إسرائيل. وقال مقاتل: وتلك نعمة تمنها علي يا فرعون بإحسانك إلي خاصة، وبترك أبنائك أن عبدت بني إسرائيل. وقال الكلبي يقول: تستعبد بني إسرائيل، وتمن علي لذلك {قَالَ فِرْعَوْنُ} لموسى {وَمَا رَبُّ العالمين} منكراً له، وهذا جواب لقوله: {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العالمين} فجاء بجواب قطع حجته {قَالَ رَبّ * السموات والارض ***** وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ} بتوحيد الله تعالى، فعجز فرعون عن الجواب {فَقَالَ * لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ} إلى قول موسى عليه السلام قالوا له فيما تقول يا موسى؟ فجاء بحجة أُخرى ليؤكد عليهم {قَالَ رَبُّكُمْ} يعني: أدعوكم إلى ربكم {وَرَبُّ ءابَائِكُمُ الاولين} يعني: إلى توحيد خالقكم وخالق آبائكم الأولين {قَالَ} فرعون لجلسائه {إِنَّ رَسُولَكُمُ الذى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ} موسى عليه السلام ليس بمجنون مثلي أدعوكم إلى {رَبُّ المشرق والمغرب وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} يعني: إن كان لكم ذهن الإنسانية، فلما عجز عن الجواب، مال إلى العقوبة كما يفعل السلاطين {فَقَالَ * لَئِنِ اتخذت إلها غَيْرِى} يعني: لئن عبدت رباً غيري.

{لاجْعَلَنَّكَ مِنَ المسجونين} يعني: لأحبسنك في السجن. قال ابن عباس: وكان سجنه أشد من القتل {قَالَ} موسى {أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَئ مُّبِينٍ} يعني: ولو جئتك بحجة بينة يستبين لكم أمري {قَالَ} فرعون {فَأْتِ بِهِ} يعني: فَأَرِنَاهُ {إِن كُنتَ مِنَ الصادقين} بأنك رسول {فألقى عَصَاهُ} من يده {فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} يعني: حية صفراء من أعظم الحيات {وَنَزَعَ يَدَهُ} يعني: أخرج يده فقال: ما هذه؟ فقالوا: يدك، فأدخلها في جيبه وأخرجها {فَإِذَا هِىَ بَيْضَاء

للناظرين} يعني: لها شعاع كشعاع الشمس، وانتشر الضوء حوالي مصر للناظرين لمن نظر إليها من غير برص، فعجبوا من ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [34- 51]

{قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
(36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38)
وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ
(40) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ
(41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ
مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ
(44) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ
سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48) قَالَ
آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قَالُوا لَا ضَيْرَ
إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ
الْمُؤْمِنِينَ (51)}

قوله عز وجل: ف {قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لساحر عَلِيمٌ} يعني: قال فرعون لمن حوله يعني: الرؤساء والأشراف، وأصله في اللغة من ملأ. قال بعضهم: الملأ إنما بما يراد بهم مائتان وخمسون، وقال بعضهم: ثلاثمائة

وخمسون، وهم جماعة الملأ. ويقال: ملأ العين هيبة يعني: إذا نظر إليها الناظر، ثم قال: {إِنَّ هذا لساحر عَلِيمٌ} {يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ} يعني: من أرض مصر {فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} يعني: تشيرون {قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} يعني: احسبهما وأخرجهما ولا تقتلهما، ولا تؤمن بهما وأصله من التأخير يعني: أخر أمرهما حتى تنظر {وابعث فِى المدائن حاشرين} يحشرون عليك السحرة {يَأْتُوكَ بِكُلّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} يعني: حاذقاً {فَجُمِعَ السحرة لميقات يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} وهو يوم عيد لهم، وهو يوم الزينة. قال مقاتل: وكانوا اثنين وسبعين ساحراً. ويقال: سبعون ألفاً. وقال الزجاج: ذكر أن السحرة كانوا اثني عشر ألفاً {وَقِيلَ لِلنَّاسِ} يعني: أهل مصر {هَلْ أَنتُمْ مُّجْتَمِعُونَ} للسحرة للميعاد {لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السحرة} على أمرهم {إِن كَانُواْ هُمُ الغالبين}.

قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاء السحرة} يعني: إلى الميقات {قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ * إِنَّ لَنَا لاجْرًا} يعني: لجعلاً {إِن كُنَّا نَحْنُ الغالبين} يعني: أتجازينا إن غلبناه {قَالَ نَعَمْ} نجازيكم {وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ المقربين} يعني: لكم مع الجائزة الكرامة والمنزلة عندي {قَالَ لَهُمْ موسى أَلْقُواْ مَا أَنتُمْ مُّلْقُونَ} يعني: اطرحوا {فَأَلْقَوْاْ حبالهم وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ إِنَّا لَنَحْنُ الغالبون} يعني: نغلب موسى {فألقى موسى عصاه فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} يعني: تلتقم وتبتلعُ ما يطرحون من الحبال والعصي قوله عز وجل: {فَأُلْقِىَ السحرة ساجدين} أي خروا سجداً لله تعالى {قَالُواْ ءامَنَّا بِرَبّ العالمين} فقال فرعون: إياي تعنون قالوا: {رَبّ موسى وهارون} يعني: خالق موسى وهارون {قَالَ ءامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ

لَكَبِيرُكُمُ الذى عَلَّمَكُمُ السحر فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} ماذا أصنع بكم؟ {لاقَطّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مّنْ خِلاَفٍ وَلاَصَلّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} على شاطئ نهر مصر {قَالُواْ} يعني: السحرة {لاَ ضَيْرَ} أي لا يضرنا ما فعلت بنا {إِنَّا إِلى رَبّنَا مُنقَلِبُونَ} يعني: إلى خالقنا راجعون {إِنَّا نَطْمَعُ} يعني: نرجو {أَن يَغْفِرَ لَنَا خطايانا} يعني: شركنا وسحرنا {أَن كُنَّا أَوَّلَ المؤمنين} يعني: أول المصدقين من قوم فرعون وذكر عن الفراء أنه قال: كانوا أول مؤمني أهل دهرهم. وقال الزجاج: لا أحسبه عرف الرواية، لأن الذين كانوا مع موسى روي في التفسير أنهم ستمائة ألف وسبعين ألفاً، ولكن معناه أول من آمن في هذه الساعة.

▲ تفسير الآيات رقم [52 –62]

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)}

قوله عز وجل: {وَأَوْحَيْنَا إلى موسى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى} يعني: ببني إسرائيل {إِنَّكُم مّتَّبِعُونَ} يعني: يتبعكم فرعون وقومه ويقال أسرى يسري إسراء إذا سار ليلاً، يعني اذهبْ بهم بالليل {فَأَرْسَلَ فِرْعَونُ فِى المدائن حاشرين}

يحشرون الناس لقتال موسى عليه السلام وخرج في طلبه. وقال: {إِنَّ هَٰؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ} يعني: طائفة وعصبة وجماعة قليلون. وقال الزجاج الشرذمة في كلام العرب القليل.

ويروى أنهم كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً {وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ} يعني: لمبغضين ويقال: إنا لغائظون بخلافهم لنا، وذهابهم بحيلتنا. ثم قال عز وجل: {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذرون} أي: مودون شاكون في السلاح. قرأ ابن كثير ونافع {حاذرون} بغير ألف، والباقون بالألف، {حاذرون}، والحاذر المستعد، والحذر المستيقظ. ويقال: الحاذر الذي يحذر في الفور، والحذر الذي لا تلقاه إلا حذراً.

وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: {حاذرون} بالألف، وكان يقول: يعني ذا أداة من السلاح. ومعناه: إنا قد أخذنا حذرنا من عدونا بسلاحنا قال الله تعالى: {فأخرجناهم} يعني: فرعون وقومه {مّن جنات} يعني: البساتين {وَعُيُونٍ} يعني: الأنهار الجارية {وَكُنُوزٍ} يعني: من الأموال الكثيرة {وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} يعني: المنازل الحسنة. ويقال: المنابر التي يعظم عليها فرعون. قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم وعيون بضم العين في جميع القرآن، والباقون بالكسر، وهما لغتان، وكلاهما جائز. وقال بعضهم: {فأخرجناهم مّن جنات وَعُيُونٍ} كلام فرعون إنا أخرجنا بني إسرائيل من أرض مصر والطريق الأول أشبه كما قال في آية أخرى: {كَمْ تَرَكُواْ مِن جنات وَعُيُونٍ} [الدخان: 25] الآية. ثم قال: {كذلك} يعني: هكذا أفعل بمن عصاني.

ثم استأنف فقال عز وجل: {وأورثناها} ويقال لك: أورثناها يعني: هكذا أنزلنا في مساكن فرعون {بَنِى إسراءيل} بعد ما غرق فرعون، ثم قال: {فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ} يعني: طلوع الشمس. قوله عز وجل: {فَلَمَّا تَرَاءا الجمعان} يعني: تقاربا ورأى بعضهم بعضاً، وذلك أن فرعون أرسل في المدائن حاشرين ليحشروا الناس، فركب وركب معه ألف ألف ومائتا ألف فارس سوى الرحالة، أي المشاة، فلما دنوا من عسكر موسى {قَالَ أصحاب موسى} لموسى عليه السلام {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} يعني: يدركنا فرعون {قَالَ} موسى {كَلاَّ} لا يدرككم {إِنَّ مَعِىَ رَبّى سَيَهْدِينِ} يعني: سينجيني ويهديني إلى طريق النجاة.

▲ تفسير الآيات رقم [63– 85]

{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ
الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآَخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ
(65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآَخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
(67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ
قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ
(71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73)
قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75)
أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي
خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85)}

قوله عز وجل: {فَأَوْحَيْنَا إِلى مُوسَى أَنِ اضرب بّعَصَاكَ البحر فانفلق} يعني: وفي الآية مضمر، ومعناه فضربه بالعصا فانفلق البحر {فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطود العظيم} يعني: كالجبل العظيم {وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الاخرين} يعني: قربنا قوم فرعون إلى البحر، وأدنيناهم إلى الغرق، ومنه قوله تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الجنة لِلْمُتَّقِينَ} [الشعراء: 90] أي أدنيت وقربت.

وروي عن الحسن قال: وأزلفنا. يعني: أهلكنا. وقال غيره: وأزلفنا، أي جمعناهم في البحر حتى غرقوا، ومنه قوله قبل الجمع المزدلفة. {وَأَنجَيْنَا موسى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ} يعني: من البحر {ثُمَّ أَغْرَقْنَا الاخرين} يعني: فرعون وقومه، وقد ذكرنا القصة في موضع آخر ثم قال: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: فيما صنع لآية، يعني: لعبرة لمن بعدهم {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: مصدقين يعني: لو كان أكثرهم مؤمنين لم يهلكهم الله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} بالنعمة {الرحيم} لمن تاب. قوله عز وجل: {واتل عَلَيْهِمْ نَبأَ إبراهيم} يعني: أخبر أهل مكة خبر إبراهيم {إِذْ قَالَ لاِبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ} أي: كيف قال لقومه ثم أخبرهم عن ذلك وذلك أن إبراهيم عليه السلام، لما ولدته أمه في الغار، فلما كبر وخرج دخل المصر، فأراد أن يعلم على أي

مذهب هم وهكذا ينبغي للعاقل إذا دخل بلدة أن يسألهم عن مذهبهم، فإن وجدهم على الاستقامة، دخل معهم، وإن وجدهم على غير الاستقامة، أنكر عليهم. فقال لهم إبراهيم: ما تعبدون؟ {قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عاكفين} أي: نقوم عليها عابدين، فأراد أن يبين عيب فعلهم فقال: {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ} يعني: هل تجيبكم الآلهة، سمَّى الإجابة سمعاً، لأن السمع سبب الإجابة {إِذْ تَدْعُونَ} يعني: هل يجيبوكم إذا دعوتموهم {أَوْ يَنفَعُونَكُمْ} إذا عبدتموهم {أَوْ يَضُرُّونَ} يعني: يضرونكم إن لم تعبدوهم {قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا ءابَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} يعني: وجدنا آباءنا يعبدونهم، هكذا فنحن نعبدهم. قال لهم إبراهيم عليه السلام {قَالَ أَفَرَءيْتُمْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الإعلام، يعني: اعلموا أن الذي كنتم تعبدون {أَنتُمْ وَءابَاؤُكُمُ} وَأَجْدَادُكُمْ يعني: معبودكم ومعبود آبائكم وأجدادكم {الاقدمون} يعني: الماضين {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى} يعني: إنهم أعدائي {إِلاَّ رَبَّ العالمين} يقال معناه: إلا من يعبد رب العالمين. ويقال: كانوا يعبدون مع الله الآلهة. فقال لهم: جميع ما تعبدون من الآلهة، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين، فإنه ليس لي. ويقال: معناه أتبرأ من أفعالكم وأقوالكم، إلا الذي تقولون: رب العالمين وهو قوله: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فأنى يُؤْفَكُونَ} [الزخرف: 87] ويقال: إلا بمعنى لكن، ومعناه: فإنهم عدو لي، لكن رب العالمين، يعني: لكن أعبد رب العالمين.

ثم وصف لهم رب العالمين فقال: {الذى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ} يعني: يحفظني ويثبتني على الهدى {والذى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ} يعني: هو الذي يرزقني

ويرحمني. ثم قال: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} فقد أضاف سائر الأنبياء إلى الله تعالى، وأضاف المرض إلى نفسه، لأن المرض كسب يده كقوله عز وجل: {وَمَآ أصابكم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} [الشورى: 30] وفيه كفارة وإذا كان أصله من كسب نفسه أضافه إلى نفسه ثم قال: {والذى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ} يعني: يميتني في الدنيا، ويحييني في المبعث {والذى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدين} يعني: أرجو أن يغفر خطيئتي، وهو قوله: {فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ} [الصافات: 89] ويقال وقوله: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ} [الأنبياء: 63] وقوله لسارة: هذه أختي. ويقال: يعني: ما كان مني الزلل ويقال: هو قوله: {فَلَماَّ رَأَى الشمس بَازِغَةً قَالَ هذا رَبِّى هاذآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ ياقوم إِنِّى برئ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: 78] ويقال ما كان نبي من الأنبياء إلا وقد همّ بزلة، ثم قال: {رَبّ هَبْ لِى حُكْماً} يعني: النبوة {وَأَلْحِقْنِى بالصالحين} يعني: بالمرسلين في الجنة {واجعل لّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الاخرين} يعني: الثناء الحسن في الباقين، وإنما أراد بالثناء الحسن، لكي يفيدوا به، فيكون له مثل أجر من اقتدى به {واجعلنى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النعيم} يعني: اجعلني ممن ينزل فيها.

▲ تفسير الآيات رقم [86– 89]

{وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)}

ثم قال: {واغفر لِإِبِى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضالين} يعني: اهده إلى الحق من الضلالة والشرك. يعني: إنه كان من المشركين في الحال كقوله عز وجل: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى المهد صَبِيّاً} [مريم: 29] يعني: من هو في الحال صبي. ويقال: إنه كان من الضالين حين فارقته كقوله: {أَمَّا السفينة فَكَانَتْ لمساكين يَعْمَلُونَ فِى البحر فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً} [الكهف: 79] وهذا الاستغفار حين كان وعده بالإسلام.

وقال مقاتل: إن إبراهيم عليه السلام قد كذب ثلاث كذبات، وأخطأ ثلاث خطيئات، وابتلي بثلاث بليات، وسقط سقطة، فأما الكذبات فقال: {فَقَالَ إِنّى سَقِيمٌ} [الصافات: 89] وقوله: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ} [الأنبياء: 63] وقوله لسارة حين قال هي أختي. والخطايا قوله للنجم والشمس والقمر: {فَلَماَّ رَأَى الشمس بَازِغَةً قَالَ هذا رَبِّى هاذآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ ياقوم إِنِّى برىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: 78] وأما البليات: حين قذف في النار، والختان والأمر بذبح الولد، وسقط سقطة حين دعا لأبيه، وهو مشرك. وقال غيره لم يكذب ولم يخطئ، ولم يسقط، لأنه قال: {إِنّى سَقِيمٌ} يعني: سأسقم، لأن كل آدمي سيصيبه السقم. وقوله: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا} قد قرنه بالشرط، وهو قوله: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ} [الأنبياء: 63] وقوله لسارة: هي أخته، فكانت أخته في الدين وقوله: {هذا رَبّى} كان على وجه الاسترشاد لا للتحقيق. ويقال: كان ذلك القول على سبيل الإنكار والزجر. يعني: أمثل هذا ربي، وأما دعاؤه

لأبيه، فعن وعدة وعدها إياه، وقد بيّن الله تعالى بقوله: {وَمَا كَانَ استغفار إبراهيم لأَّبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إبراهيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: 114] الآية. يعني: أن أباه وعده أنه سيؤمن، فما دام حياً يرجو أو يدعو، وإذا مات ضالاً ترك الاستغفار. ويقال: إن إبراهيم كان وعده أن يستغفر له حيث قال: {قَالَ سلام عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ ربي إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيّاً} [مريم: 47]، فَاستغفر له ليكون منجزاً لوعده ثم قال: {وَلاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ} يعني: لا تعذبني يوم يبعثون من قبورهم إلى هاهنا كلام إبراهيم، وقد انقطع كلامه.

ثم إن الله تبارك وتعالى وصف ذلك اليوم {يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ} يعني: يوم القيامة لا ينفع المال الذي خلفوه في الدنيا، وأما المال الذي أنفقوا في الخير، فليس ينفعهم، {وَلاَ بَنُونَ} يعني: الكفار لأنهم كانوا يقولون: {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أموالا وأولادا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [سبأ: 35]، فأخبر الله تعالى أنه لا ينفعهم في ذلك اليوم المال ولا البنون، وأما المسلمون ينفعهم المال والبنون، لأن المسلم إذا مات ابنه قبله يكون له ذخراً وأجراً في الجنة، وإن تخلف بعده، فإنه يذكره بصالح دعائه، فينفعه ذلك ثم قال: {إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} يعني: من جاء بقلب سليم يوم القيامة ينفعه المال والبنون.

ويقال: {إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}، فذلك ينفعه، والقلب السليم هو القلب المخلص. وقال ابن عباس: يعني: بقلب خالص من الشرك.

وروى أبو أسامة بن عوف قال: قلت لابن سيرين، ما القلب السليم قال: أن تعلم أن الله عز وجل حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ويقال: سليم من اعتقاد الباطل. ويقال: سليم من النفاق والهوى والبدعة. وسئل أبو القاسم الحكيم عن القلب السليم، قال له ثلاث علامات، أولها أن لا يؤذي أحداً، والثاني أن لا يتأذى من أحد، والثالث إذا اصطنع مع أحد معروفاً لم يتوقع منه المكافأة، فإذا هو لم يؤذ أحداً، فقد جاء بالورع، وإذا لم يتأذ من أحد، فقد جاء بالوفاء، وإذا لم يتوقع المكافأة بالاصطناع، فقد جاء بالإخلاص.

▲ تفسير الآيات رقم [90- 110]

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110)}

ثم قال عز وجل: {وَأُزْلِفَتِ الجنة لِلْمُتَّقِينَ} يعني: قربت الجنة للمتقين الذين يتقون الشرك والفواحش، يعني: أن المتقين قربوا من الجنة ثم قال: {وَبُرِّزَتِ الجحيم لِلْغَاوِينَ} يعني: أظهرت الجحيم، وكشفت غطاءها للكافرين. ويقال: يؤتى بها في سبعين ألف زمام {وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ *** مِن دُونِ الله} أي يقال للكفار: أين معبودكم الذين كنتم تعبدون من دون الله {هَلْ يَنصُرُونَكُمْ} يعني: هل يمنعونكم من العذاب؟ {أَوْ يَنتَصِرُونَ} يعني: هل يمتنعون من العذاب؟ فاعترفوا أنهم لا ينصرونهم، ولا ينتصرون، فأمر بهم إلى النار. ويقال: {أَيْنَمَا *** كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ***** مِن دُونِ الله} يعني الشياطين، لأنهم أطاعوها في المعصية، فكأنهم عبدوها. قوله عز وجل: {فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ والغاوون} يعني: جمعوا فيها هم والغاوون. ويقال: فكبكبوا فيها فقدموا من النار هم، والغاوون يعني: الكفار والآلهة، والشياطين الذين أغووا بني آدم، وهذا قول مقاتل ويقال: فكبكبوا فيها يعني: ألقي بعضهم على بعض. وقال القتبي: الأصل كببوا، أي ألقوا على رؤوسهم فيها، فأبدل مكان إحدى الباءين كاف. وقال الزجاج: هو تكرير الانكباب، لأنه إذا ألقي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها. ويقال: جمعوا فيها ومنه حديث جبريل عليه السلام أنه ينزل في كبكبة من الملائكة. يعني: جماعة من الملائكة عليهم السلام. ثم قال عز وجل: {وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} يعني: جمعوا فيها جميعاً {قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ} يعني: الكفار والأصنام. ويقال: الكفار

والشياطين ويقال: الرؤساء والأتباع. ومعناه: قالوا وهم يختصمون فيها على ما معنى التقديم {تالله} يعني: والله {إِن كُنَّا لَفِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: في خطأ بين {إِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبّ العالمين} يعني: نطيعكم كما يطيع المؤمنون أمر الله عز وجل: {وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ المجرمون} يعني: ما صرفنا عن الإيمان إلا الشياطين. ويقال: رؤساؤنا ويقال: آباؤنا المشركون {فَمَا لَنَا مِن شافعين} يعني: حيث يرون الأنبياء عليهم السلام يشفعون للمؤمنين والملائكة عليهم السلام يشفعون ولا يشفع أحد للكفار. فيقولون: ليس أحد يشفع لنا {وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ} يعني: قريب يهمه أمرنا. قوله عز وجل: {فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً} يعني: رجعة إلى الدنيا {فَنَكُونَ مِنَ المؤمنين} يعني: من المصدقين على دين الإسلام {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن يعبد غير الله، ليعلم أنه يتبرأ منه في الآخرة، ولا ينفعه {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: الذين جمعوا في النار، ولم يكونوا مؤمنين {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} بالنقمة لمن عبد غيره {الرحيم} بالمؤمنين قوله عز وجل: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ المرسلين} يعني: نوحاً عليه السلام وحده.

ويقال: جميع الأنبياء عليهم السلام، لأن نوحاً عليه السلام، دعاهم إلى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، فلما كذبوه، فقد كذبوا جميع الرسل {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ} يعني: نبيهم سماه أخوهم، لأنه كان منهم وابن أبيهم {أَلاَ تَتَّقُونَ} يعني: ألا تخافون الله تعالى فتوحدوه {إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} فيما بينكم وبين ربكم، وجعلني الله عز وجل أميناً في أداء الرسالة إليكم. ويقال: إنه كان أميناً فيهم قبل أن يبعث {فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} أي:

خافوا الله واتبعوني فيما أمركم به {وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} يعني: على الإيمان مِنْ أَجْرٍ أي أجر {إِنْ أَجْرِىَ} يعني: ما ثوابي {إِلاَّ على رَبّ العالمين *** فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} وقد ذكرناه.

▲ تفسير الآيات رقم [111– 122]

{قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (115) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122)}

قوله عز وجل: {قَالُواْ أَنُؤْمِنُ لَكَ واتبعك الارذلون} يعني: أنصدقك واتبعك سفلتنا ويقال: الضعفاء. قرأ يعقوب الحضرمي وأتباعك الأرذلون، وهو جمع تابع ومعناه: وأتباعك الأرذلون، وقراءة العامة {واتبعك الارذلون} بلفظ الماضي. فيقال: من اتبع قال لهم نوح {قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: ما كنت أعلم أن الله تعالى يهديهم من بينكم ويدعكم {إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ على رَبّى} يعني: ما حسابهم إلا على ربي. ويقال: ما سرائرهم إلا عند ربي {لَوْ تَشْعُرُونَ} أن الله تعالى علام الغيوب قالوا لنوح: اطردهم حتى نؤمن لك. قال لهم نوح: {وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ المؤمنين * إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني:

ما أنا إلا منذر لكم بلغة تعرفونها {قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يالوط *** نُوحٌ *** لَتَكُونَنَّ مِنَ المرجومين} أي من المقتولين ويقال من المرجومين بالحجارة قوله عز وجل: {قَالَ رَبّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ} بالعذاب والتوحيد {فافتح بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً} يعني: اقض بيني وبينهم قضاء ويقال للقاضي فتاح، وهذه لغة أهل اليمن {وَنَجّنِى وَمَن مَّعِى مِنَ المؤمنين} من العذاب ومن أذى الكفار {فأنجيناه وَمَن مَّعَهُ فِى الفلك المشحون} يعني: السفينة المملوءة الموقرة من الناس، والأنعام، وغير ذلك {ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الباقين} يعني: من بقي ممن لم يركب السفينة، ولفظ البعد والقبل إذا كان بغير إضافة يكون بالرفع مثل قوله: {فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الامر مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنون} [الروم: 4] وكقوله: {ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الباقين} وإذا كانت بالإضافة يكون نصباً في موضع النصب كقوله: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظالمة وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ} [الأنبياء: 11] ثم قال عز وجل: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن استخف بفقراء المسلمين واستكبر عن قول الحق {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} فلم يؤمن من قومه إلاَّ ثمانون من الرجال والنساء {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} بالنقمة لمن تعظم عن الإيمان، واستخف بضعفاء المسلمين، واستهزأ بهم {الرحيم} لمن تاب.

تفسير الآيات رقم [123- 140] ▲

{كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ

أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (136) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (140)}

وقوله عز وجل: {كَذَّبَتْ عَادٌ المرسلين} يعني: كذبوا هوداً عليه السلام {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ} أي: نبيهم هود وقد ذكرناه {إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *** فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ *** وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ على رَبّ العالمين} وقد تقدم ذكره {أَتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ ءايَةً} يعني: بكل طريق علامة ويقال: بكل شرف علماً {تَعْبَثُونَ} يعني: تلعبون ويقال: تضربون، فتأخذون المال ممن مر بكم.

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: {تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ} يعني: تبنون ما لا تسكنون. وقال أهل اللغة: كل لعب لا لذة فيه، فهو عبث. واللعب ما كان فيه لذة، فهم إذا بنوا بناء، ولا منفعة لهم فيه، فكأنهم يعبثون ثم قال عز وجل: {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ} يعني: القصور وقال مجاهد: المصانع قصور وحصون. وقال القتبي: المصانع البناء واحدها مصنعة ويقال: الريع

الارتفاع من الأرض. ومعناه: أنكم تبنون البناء والقصور، وتظنون أن ذلك يحصنكم مِنْ أقدار الله تعالى. ويقال: وتتخذون مصانع يعني: الحياض {لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} يعني: كأنكم تخلدون في الدنيا. قوله عز وجل: {وَإِذَا بَطَشْتُمْ} يعني: عاقبتم ويقال: يعني: ضربتم بالسوط وقتلتم بالسيف {بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ} يعني: فعلتم كفعل الجبارين لأن الجبارين، يضربون ويقتلون بغير حق، وأصل البطش في اللغة هو الأخذ بالقهر والغلبة {فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم به {واتقوا الذى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ} يعني: أعطاكم ما تعلمون من الخير، ثم بيّن فقال {أَمَدَّكُمْ بأنعام وَبَنِينَ} يعني: أعطاكم الأموال والبنين {وجنات وَعُيُونٍ} يعني: البساتين والأنهار الجارية، فاعرفوا رب هذه النعمة، واشكروه ليديم عليكم النعمة، فإنكم إن لم تشكروه {فَإِنّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ * عظِيمٌ} يعني: أعلم أنه يصيبكم العذاب في الدنيا والآخرة. قوله عز وجل: {قَالُواْ سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ} يعني: أنهيتنا وخوفتنا من العذاب {أَمْ لَمْ تَكُنْ مّنَ الواعظين} يعني: من الناهين.

روي عن ابن عباس أنه قال: هو الوعظ بعينه {إِنْ هذا إِلاَّ خُلُقُ الاولين} قرأ أبو عمرو والكسائي وابن كثير: إن هذا إلا خلق، بنصب الخاء، وقرأ الباقون بالضم، فمن قرأ بالنصب، فمعناه: ما هذا العذاب الذي تذكره إلا أحاديث الأولين. ويقال: الإحياء بعد الموت لا يكون، وإنما هذا خلق الأولين أنهم يعيشون، ثم يموتون {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} قال القتبي: الخلق الكذب كقوله: {مَا سَمِعْنَا بهذا فِى الملة الاخرة إِنْ هذا إِلاَّ اختلاق} [ص: 7] وكقوله: {إِنْ هذا إِلاَّ خُلُقُ الاولين} [الشعراء: 137] أي: خوضهم

للكذب. والعرب تقول للخرافات أحاديث الخلق قال: وأعمل الخلق التقدير، وهاهنا أراد بهم اختلافهم، وكذبهم، وأما من قرأ بضم الخاء، فمعناه: إن هذا إلا عادة الأولين، والعادة أيضاً تحتمل المعنيين، مثل الأول. ثم قال عز وجل: {فَكَذَّبُوهُ فأهلكناهم} يعني: كذبوا هوداً فأهلكناهم {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن يعمل عمل الجبارين، ولا يقبل الموعظة، وهو تخويف لهذه الأمة {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: قوم عاد ولو كان أكثرهم لم يهلكهم الله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} يعني: المنيع بالنقمة لمن يعمل عمل الجبارين، ولا يقبل الموعظة، وهو تخويف لهذه الأمة لكيلا يسلكوا مسالكهم {الرحيم} لمن تاب.

تفسير الآيات رقم [141- 159] ▲

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآَيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ

(156) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)}

قوله عز وجل: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ المرسلين} يعني: صالحاً ومن قبله من المرسلين عليهم السلام {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ} يعني: نبيهم {صالح أَلا تَتَّقُونَ} وقد ذكرناه {إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *** فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ *** وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ على رَبّ العالمين} وقد ذكرناه {أَتُتْرَكُونَ *** فِيمَا ***** هاهنا *** ءامِنِينَ} يعني: في هذا الخير والسعة آمنين من الموت {فِى جنات وَعُيُونٍ} يعني: البساتين والأنهار. ويقال: العيون هاهنا الآثار، لأن قوم صالح لم يكن لهم أنهار جارية. ويقال: كانت لهم بالشتاء آبار، وكانوا يسكنون في الجبال، وفي أيام الصيف كانوا يخرجون إلى القصور والكروم والأنهار. ثم قال عز وجل: {وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ} قال مقاتل: يعني: متراكباً بعضه على بعض. وقال القتبي: الهضيم الطلع قبل أن تنشق عنه القشر يريد أنه ينضم متكثر يقال: رجل أهضم الكشحين إذا كان منضماً. ويقال: هضيم أي طري لين ويقال: هضيم متهشهش في الفم {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجبال بُيُوتاً فارهين} قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع: {فارهين} بغير ألف، وقرأ الباقون {فارهين} بالألف، فمن قرأ {فارهين}، فهو بمعنى أشرين بطرين، وهو الطغيان في النعمة، وإنما صار نصباً على الحال، ومن قرأ {فارهين}، أي حاذقين {فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم.

قوله عز وجل: {وَلاَ تُطِيعُواْ أَمْرَ المسرفين} يعني: قول المشركين وهم التسعة رهط {الذين} كانوا {يُفْسِدُونَ فِى الارض وَلاَ يُصْلِحُونَ} يعني: لا يأمرون بالصلاح، ولا يجيبونه، ولا يطيعونه فأجابوه قوله: {قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ المسحرين} يعني: من المخلوقين. ويقال: ذو سحر، والسحر هو الدية، يعني: إنك مثلنا. وروي عن ابن عباس أنه قال: من المسحرين، أي من المخلوقين. وقال: أما سمعت قول لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا *** عصافير من هذا الأنام المسحر

ويقال إنما أنت من المسحرين. يعني: سوقة مثلنا، والسوق إذا كان دون السلوك. ثم قال عز وجل: {مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُنَا} يعني: آدمي مثلنا {مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُنَا فَأْتِ} أنك رسول الله تعالى: {قَالَ هذه نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ} والشرب في اللغة النصيب من الماء والشُرب بضم الشين المصدر، والشَرب بنصب الشين جماعة الشراب، فكان للناقة شرب يوم، ولهم شرب يوم، فذلك قوله: {وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ *** وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوء} يعني: لا تصيبوها بعقر يعني: لا تقتلوها، فإنكم إن قتلتموها {فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ} يعني: صيحة جبريل عليه السلام {فَعَقَرُوهَا} يعني: قتلوا الناقة {فَأَصْبَحُواْ نادمين} يعني: فصاروا نادمين على عقرها قوله عز وجل: {فَأَخَذَهُمُ العذاب} يعني: عاقبهم الله تعالى بالعذاب {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن يعظم آيات الله تعالى، وكانت النَّاقة علامة لنبوة صالح عليه السلام، فلما أهلكوها ولم يعظموها صاروا نادمين، والقرآن علامة لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم،

فمن رفضه، ولم يعمل بما فيه، ولم يعظمه يصير نادماً غداً، ويصيبه العذاب {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: قوم صالح عليه السلام {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز الرحيم} يعني: المنيع بالنقمة لمن لم يعظم آيات الله تعالى، الرحيم لمن تاب ورجع.

تفسير الآيات رقم [160– 175]▲

{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (172) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)}

قوله عز وجل: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ المرسلين} يعني: لوطاً وغيره {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ} وقد ذكرناه {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ *** وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ على رَبّ العالمين} وقد ذكرناه {أَتَأْتُونَ الذكران مِنَ العالمين} يعني: أتجامعون الرجال من بين العالمين {وَتَذَرُونَ} يعني: وتتركون {مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مّنْ أزواجكم} يعني: من

نسائكم {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} يعني: معتدين من الحلال إلى الحرام {قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يالوط *** لُوطٍ} من مقالتك {لَتَكُونَنَّ مِنَ المخرجين} من قريتنا {قَالَ إِنّى لِعَمَلِكُمْ مّنَ القالين} يعني: من المبغضين ويقال: قلت الرجل إذا بغضته ومنه قوله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى} [الضحى: 3]

قوله عز وجل: {رَبّ نَّجِنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ} من الفواحش {فنجيناه وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عَجُوزاً فِى الغابرين} يعني: الباقين في العذاب. يعني: وامرأته ويقال: إن هذا من أسماء الأضداد. يقال: غبر الشيء إذا مضى، وغبر الشيء إذا بقي: وقال بعض أهل اللغة: القالي التارك للشيء، الكاره له غاية الكراهية {ثُمَّ دَمَّرْنَا الاخرين} يعني: أهلكنا الباقين {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا} يعني: الحجارة {فَسَاء مَطَرُ المنذرين} يعني: بئس مطر من أنذر، فلم يؤمن {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن عمل الفواحش، أي وارتكب الحرام {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز الرحيم} يعني: المنيع بالنقمة لمن ارتكب الفواحش، وعمل الحرام رحيم لمن تاب، وقد ذكرناه.

تفسير الآيات رقم [176- 180] ▲

{كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180)}

قوله عز وجل: {كَذَّبَ أصحاب لْئَيْكَةِ} قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي {لْئَيْكَةِ} بكسر الهاء والألف، والباقون {***ليكة} بغير ألف ونصب الهاء اسم بلد، ولا ينصرف. من قرأ الأيكة فلأنها عرفت بالألف واللام، فيصير خفضاً بالإضافة في الشاذ ليكة بكسر الهاء بغير ألف، لأن الأصحاب مضاف إلى ليكة، فصار اسماً واحداً. ويقال: الأيكة هي الشجرة الملتفة يقال: أيك وأيكة، مثل أجم وأجمة، ويقال: شجرة الدوم، وهو شجر المقل. ثم قال عز وجل: {المرسلين إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ} ولم يقل أخوهم قال بعضهم: كان شعيب بعث إلى قومين أحدهما مدين، وكان شعيب منهم، فسماه أخاهم وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ياقوم اعبدوا الله مَا لَكُمْ مِّنْ إله }حيث قال: غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ المكيال والميزان إنى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وإنى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ} [هود: 84]، والآخر أصحاب الأيكة، ولم يكن شعيب عليه السلام منهم، فلم يقل أخوهم وقال بعضهم: كان مدين، والأيكة واحداً، وهو الغيضة بقرب مدين، فذكره في موضع أخوهم، ولم يذكره في الآخر. ثم قال: {أَلاَ تَتَّقُونَ} يعني: ألا تخافون الله تعالى فتوحدوه {إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *** فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ *** وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ على رَبّ العالمين} وقد ذكرناه.

تفسير الآيات رقم [181- 191]▲

{أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183)

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191)}

ثم قال عز وجل: {أَوْفُواْ الكيل وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ المخسرين} يعني: من الناقصين في الكيل والوزن، وفي هذا دليل على أنه أراد بهذا أهل مدين، لأنه ذكر في تلك الآية {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ اليتيم إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الكيل والميزان بالقسط لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فاعدلوا وَلَوْ كَانَ ذَا قربى وَبِعَهْدِ الله أَوْفُواْ ذلكم وصاكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: 152] كما ذكرها هنا ثم قال: {وَزِنُواْ بالقسطاس المستقيم} يعني: بميزان العدل بلغة الروم. ويقال: هو القبان {وَلاَ تَبْخَسُواْ الناس أَشْيَاءهُمْ} يعني: لا تنقصوا الناس حقوقهم قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {بالقسطاس} بكسر القاف، والباقون بالضم، وهما لغتان. ثم قال: {وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الارض مُفْسِدِينَ} يعني: لا تسعوا فيها بالمعاصي. يقال: عثى يعثو وعاث يعيث، وعثى يعثي إذا ظهر الفساد. ثم قال عز وجل: {واتقوا الذى خَلَقَكُمْ والجبلة الاولين} يعني: الخليقة الأولى {قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ المسحرين * وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُنَا} وقد ذكرنا {وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الكاذبين} يعني: ما نظنك إلا من الكاذبين {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مّنَ السماء} أي جانباً من

السماء، وقرئ {كِسَفًا} بنصب السين، أي قطعاً، وهو جمع كسفة {إِن كُنتَ مِنَ الصادقين * قَالَ} لهم شعيب عليه السلام: {رَبِّى أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} من نقصان الكيل {فَكَذَّبُوهُ} في العذاب {فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظلة} لأنه أصابهم حر شديد، فخرجوا إلى غيضة، فاستظلوا بها، فأرسل عليهم ناراً، فأحرقت الغيضة، فاحترقوا كلهم {إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} صار العذاب نصباً، لأنه خبر كان {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن نقص في الكيل والوزن {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: قوم شعيب {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} بالنقمة لمن نقص الكيل والوزن {الرحيم} لمن تاب ورجع.

تفسير الآيات رقم [192- 199] ▲

{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)}

قوله عز وجل: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبّ العالمين} يعني: القرآن ويقال: إنه إشارة إلى ما ذُكر في أول السورة تلك آيات الكتاب المبين، وأنه يعني: الكتاب لتنزيل رب العالمين {نَزَلَ بِهِ الروح الامين} قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {نَزَّلَ} بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف، فمن قرأ بالتشديد، فمعناه نَزَّلَ الله تعالى بالقرآن الروح الأمين، يعني: جبريل عليه

السلام نصب الروح لوقوع الفعل عليه، يعني: أنزل الله تعالى جبريل بالقرآن، ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه نزل جبريل عليه السلام بالقرآن، فجعل الروح رفعاً، لأنه فاعل ثم قال: {على قَلْبِكَ} أي نزله عليك ليثبت به قلبك ويقال أي يحفظ به قلبك. ويقال: {على قَلْبِكَ} أي نزل على قدر فهمك وحفظك. ويقال: أي نزله عليك فوعاه قلبك، وثبت فيه، فلا تنساه أبداً كما قال: {سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسى} [الأعلى: 6] ويقال: على قلبك يعني: على موافقة قلبك ومرادك {لِتَكُونَ مِنَ المنذرين} يعني: من المخوفين بالقرآن للكفار من النار.

ثم قال عز وجل: {لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ} يعني: مبين لهم بلغتهم. ويقال: بلغة قريش وهوازن، وكان لسانهما أفصح. قال مقاتل: وذلك أنهم كانوا يقولون: إنه يُعلمه أبو فكيهة، وكان أعجمياً رومياً، فأخبر أن القرآن بلغة قريش {وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الاولين} يعني: أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته في كتب الأولين، كما قال: {الذين يَتَّبِعُونَ الرسول النبى الأمى الذى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التوراة والإنجيل يَأْمُرُهُم بالمعروف وينهاهم عَنِ المنكر وَيُحِلُّ لَهُمُ الطيبات وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخبائث وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والاغلال التى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فالذين ءَامَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ واتبعوا النور الذى أُنزِلَ مَعَهُ أولئك هُمُ المفلحون} [الأعراف: 157] والزبر الكتب، واحدها زبور، مثل رسل ورسول، ويقال: إنه يعني: القرآن لفي زبر الأولين، يعني: بعضه كان في كتب الأولين، ويقال: نعت القرآن، وخبره كان في كتب الأولين، ثم قال عز وجل: {أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ ءايَةً} بالتاء وضم الهاء، وقرأ الباقون بالياء

بلفظ التذكير {ءايَةً} بالنصب، فمن قرأ بلفظ التذكير والنصب، جعل {أَن يَعْلَمَهُ} اسم كان، وجعل {ءايَةً} خبر كان، والمعنى أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل على جهة المعنى. ومن قرأ بلفظ التأنيث والضم، جعل {ءايَةً} هي الاسم، {وَأَنْ * يَعْلَمْهُ} خبر تكن، ومعنى القراءتين واحد، وذلك أن كفار مكة بعثوا رسولاً إلى يهود المدينة، وسألوهم عن بعثته فقالوا: هذا زمان خروجه ونعته كذا، فنزل: {أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ ءايَةً} يعني: لكفار مكة علامة {أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِى إسراءيل} يعني: إن هذا علامة لهم ليؤمنوا به. ثم قال: {وَلَوْ نزلناه على بَعْضِ الاعجمين} يعني: القرآن لو نزلناه بالعبرانية على رجل ليس بعربي اللسان من العبرانيين {فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم} يعني: على كفار مكة {مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} يعني: بالقرآن، فهذا منة من الله تعالى، حيث خاطبهم بلغتهم ليعرفوه وليفهموه. وقال القتبي: في قوله على بعض الأعجمين. يقال: رجل أعجمي إذا كان في لسانه عجمة، وإن كان من العرب، ورجل عجمي بغير ألف إذا كان من العجم وإن كان فصيح اللسان.

تفسير الآيات رقم [200- 213] ▲

{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (201) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (203) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (204) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ

(209) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (211) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (212) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)}

ثم قال عز وجل: {كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ} يعني: جعلنا التكذيب بالقرآن {فِى قُلُوبِ المجرمين} يعني: المشركين مجازاة لهم أن طبع على قلوبهم، وسلك فيها التكذيب. ويقال: جعل حلاوة الكفر في قلوبهم {لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} يعني: بالقرآن ويقال: بمحمد صلى الله عليه وسلم {حتى يَرَوُاْ العذاب الاليم} في الدنيا والآخرة {فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً} يعني: يأتيهم العذاب فجأة {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} به فيتمنون الرجعة والنظرة {فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ} فلما وعدهم العذاب قالوا: فأين العذاب؟ تكذيباً به يقول الله تعالى: {أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ} يعني: أبمثل عذابنا يستهزئون ثم قال {أَفَرَأَيْتَ إِن متعناهم سِنِينَ} يعني: سنين الدنيا كلها. ويقال: سنين كثيرة {ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ} من العذاب. قوله عز وجل: {مَا أغنى عَنْهُمْ} يعني: ما ينفعهم {مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ} في الدنيا. ثم خوفهم فقال: {وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ} يعني: من أهل قرية فيما خلا {إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ} يعني: رسلاً ينذرونهم {ذِكْرِى} يعني: العذاب تذكرة وتفكراً، قال بعضهم: إن {ذِكْرِى} في موضع النصب. وقال بعضهم: في موضع رفع، أما من قال: في موضع النصب، فيقول لها منذرون يذكرونهم ذكرى، يعني: يعظونهم عظة. ومن قال: إنه في موضع رفع فيقول لها منذرونهم ذكرى {وَمَا كُنَّا ظالمين} يعني: بإهلاكنا إياهم ثم قال عز وجل: {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشياطين}.

روي عن الحسن أنه قرأ {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ} شبههُ بقوله: كافرون ومسلمون. قال أبو عبيدة: وهذا وهم، لأن واحدها شيطان، والنون فيه أصلية أما مسلمون وكافرون، فالنون فيهما زائدة في الجمع، لأن واحدهما مسلم وكافر. وقال بعضهم: هذا غلط على الحسن، لأنه كان فصيحاً لا يخفى عليه، وإنما الغلط من الراوي، ومعنى الآية أن المشركين كانوا يقولون: إن الشيطان هو الذي يقرأ عليه. قال الله تعالى رداً لقولهم: {ظالمين وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشياطين} {وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ} يعني: وما جاز لهم {وَمَا يَسْتَطِيعُونَ} ذلك وقد حيل بينهم وبين السمع.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال لا يستطيعون أن يحملوا القرآن، ولو فعلوا ذلك لاحترقوا. ثم قال عز وجل: {إِنَّهُمْ عَنِ السمع لَمَعْزُولُونَ} يعني: إنهم عن الاستماع لمحجوبون وممنوعون ثم قال {فَلاَ تَدْعُ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} وذلك حين دُعي إلى دين آبائه، فأخبر الله تعالى أنه لو اتخذ إلها آخر عذبه الله تعالى، وإن كان كريماً عليه كقوله: {وَلَقَدْ أُوْحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين} [الزمر: 65] فكيف بغيره.

وروي في الخبر: أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل، يقال له أرميا، بأن يخبر قومه بأن يرجعوا عن المعصية، فإنهم إن لم يرجعوا أهلكتهم، فقال أرميا: يا رب إنهم أولاد أنبيائك، وأولاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، أفتهلكهم بذنوبهم؟ فقال الله تعالى: وإنما أكرمت

أنبيائي، لأنهم أطاعوني، ولو أنهم عصوني لعذبتهم، وإن كان إبراهيم خليلي ويقال: {فَلاَ تَدْعُ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم المراد به غيره، لأنه علم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتخذ إلهاً آخر ثم قال {فَتَكُونَ مِنَ المعذبين} إن عبدت غيري، فتكون من الهالكين.

تفسير الآيات رقم [214- 220] ▲

{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220)}

قوله عز وجل: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاقربين} يعني: خوف أقرباءك بالنار لكي يؤمنوا، أو يثبتوا على الإيمان من كان منهم مؤمناً. وروى هشام عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاقربين} جمع النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته فقال لهم: «يَا بَنِي هَاشِمٍ يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ، وَأَنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئاً، لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ، وَإِنَّما أَوْلِيائِي مِنْكُمُ المُتَّقُونَ، فَلا أَعْرِفَنَّ مَا جَاءَ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ بالآخِرَةِ، وَجِئْتُمْ بِالدُّنْيا تَحْمِلُونَها عَلَى رِقَابِكُمْ» وذكر السدي هكذا ثم قال: «أَلا فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ». وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال لما نزل {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاقربين} أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا، فصعد عليه، ثم نادى بأعلى صوته: «يا صباحاه» فاجتمع الناس فقال

صلى الله عليه وسلم: «يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هذا الجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَصَدَّقْتُمُونِي؟» قالوا: نعم. قال: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيدٍ». فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا دعوتنا؟ فنزل {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد: 1].

ثم قال عز وجل: {واخفض جَنَاحَكَ لِمَنِ اتبعك مِنَ المؤمنين} يعني: لين جانبك لمن اتبعك من المؤمنين يعني: من المصدقين {فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ} قال مقاتل: فيها تقديم يعني: الأقربين أي: فإن خالفوك {فَقُلْ إِنّى بَرِئ مّمَّا تَعْمَلُونَ} من الشرك ثم قال: {وَتوكَّلْ عَلَى العزيز الرحيم} قرأ نافع وابن عامر بالفاء فتوكل، لأنه متصل بالكلام الأول، ودخلت الفاء للجزاء وقرأ الباقون: {وَتَوَكَّلْ} بالواو على وجه العطف، {وَتوكَّلْ عَلَى العزيز الرحيم} يعني: أي ثق بالله، وفوض جميع أمورك إلى العزيز الرحيم {الذى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} في الصلاة وحدك {وَتَقَلُّبَكَ فِى الساجدين} أي: وحين تصلي في الجماعة. وقال عكرمة: وتقلبك في الساجدين قال في حال القيام والركوع والسجود يعني: يرى قيامك وركوعك وسجودك، ويراك مع المصلين ويقال: الذي يراك حين تقوم من مقامك للصلاة بالليل، ويقال: حين تقوم وتدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ويقال وتقلبك في الساجدين يعني: تقلبك في أصلاب الآباء، وأرحام الأمهات من آدم إلى نوح، وإلى إبراهيم، وإلى من بعده صلوات الله عليهم. قوله عز وجل: {إِنَّهُ هُوَ السميع العليم} يعني: بآبائهم وبأعمالهم.

تفسير الآيات رقم [221– 227]

{هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)}

ثم قال {هَلْ أُنَبّئُكُمْ} يعني: هل أخبركم {على مَن تَنَزَّلُ الشياطين} هذا موصول بقوله: {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشياطين} {تَنَزَّلُ على كُلّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} يعني: كذاب صاحب الإثم، فاجر القلب. الأفاك الكذاب، والأثيم الفاجر، يعني به كهنة الكفار {يُلْقُونَ السمع} يعني: يلقون بآذانهم إلى السمع من السماء لكلام الملائكة عليهم السلام {وَأَكْثَرُهُمْ كاذبون} يعني: حين يخبرون الكهنة.

وروى معمر عن الزهري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الشياطين تسترق السمع، فتجيء بكلمة حق، فتقذفها في أذن وليها، فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة، وهذا كان قبل أن يحجبوا من السماء ثم قال عز وجل: {والشعراء يَتَّبِعُهُمُ الغاوون} قال قتادة ومجاهد: يتبعهم الشياطين. وقال في رواية الكلبي: الغاوون هم الرواة الذين كانوا يروون هجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فيتبعهم. ويقال: الغاوون هم الضالون. ويقال: شعراء الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ} يعني: في كل وجه وفن يذهبون ويخوضون،

يأخذون مرة يذمون، ومرة يمدحون، وذكر عن القتبي أنه قال: في كل واد يهيمون من القول، وفي كل مذهب يذهبون كما تذهب البهائم على وجهها. وقال غيره: هام الرجل والبعير، إذا مضى على وجهه، لا يدري أين يذهب، فكذلك الشاعر يأخذ كلامه لا يدري أين ينتهي. قرأ نافع وحده يتبعهم بجزم التاء، والتخفيف، وقرأ الباقون يتبعهم بنصب التاء والتشديد، وهما بمعنى واحد يتبعهم ويتبعهم ثم قال: {وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ} يعني: أن الشعراء يقولون: قد فعلنا كذا وكذا. وقلنا: كذا، فيمدحون بذلك أنفسهم وهم كذبة، ثم استثنى شعراء المسلمين حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك رضي الله عنهم، فقال عز وجل: {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وَذَكَرُواْ الله كَثِيراً} يعني: ذكروا الله في أشعارهم. ويقال: وذكروا الله عز وجل في الأحوال كلها {وانتصروا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ} يعني: انتصر شعراء المسلمين من شعراء الكافرين، فكافؤوهم والبادئ أظلم. ويقال: انتصروا من أهل مكة من بعدما أخرجوا، لأن الحرب تكون بالسيف وباللسان، فأذن القتال بالشعر، كما أذن بالسيف، إذ فيه قهرهم.

ثم أوعد شعراء الكافرين فقال تعالى: {وَسَيَعْلَمْ الذين ظَلَمُواْ} يعني: الذين هجوا المسلمين {أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} يعني: أي مرجع يرجعون إليه في الآخرة يعني: إلى الخسران والنار. ويقال: هاتان الآيتان مدنيتان، يذكر أنه لما نزل {والشعراء يَتَّبِعُهُمُ الغاوون} جاء عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وهما يبكيان فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم {والشعراء} إلى قوله: {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} فقال: عليه السلام " هذا أنتم

{وانتصروا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ}». وروي عن عكرمة قال عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً، وَإِنَّ مِنَ الشُّعَرَاءِ لَحُكَمَاءَ " وفي رواية أخرى: " وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً " والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/i367&n41&p1

27-29 Surah Naml Qasas Ankabut Tafsir Bahrul Uloom Samarqandi

سورة النمل

تفسير الآيات رقم [1- 7]

{طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (5) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)}

قول الله سبحانه وتعالى: {طس تِلْكَ ءايات القرءان} يعني: هذه الأحكام ويقال: تلك الآيات التي وعدتم بها، وذلك أنهم وعدوا بالقرآن في كتبهم. ويقال: يعني: العلامات جميع الأحرف للقرآن {وكتاب مُّبِينٌ} كلاهما واحد، وإنما كرر اللفظ للتأكيد {مُّبِينٌ} يعني: بيّن ما فيه من أمره ونهيه. ويقال: مبين للأحكام الحلال والحرام. ثم قال: {هُدًى} يعني: القرآن هدى وبياناً من الضلالة لمن عمل به. ويقال {هُدًى} يعني: هادياً {وبشرى لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني: ما فيه من الثواب للمؤمنين، قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وورش عن نافع {وبشرى} بإمالة الراء، وقرأ الباقون بالتفخيم، وكلاهما جائز، والإمالة أكثر في كلام العرب، والتفخيم أفصح، وهي لغة أهل الحجاز {لِلْمُؤْمِنِينَ}، يعني: للمصدقين بالقرآن أنه من الله تعالى. ثم نعتهم فقال: {الذين يُقِيمُونَ الصلاة} يعني: يقرون بها ويتمونها {وَيُؤْتُونَ الزكواة} يعني: يقرون بها ويعظمونها {وَهُم بالاخرة هُمْ يُوقِنُونَ} يعني: يصدقون بأنها كائنة ثم قال: {إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} أي: لا يصدقون بالبعث بعد الموت {زَيَّنَّا لَهُمْ أعمالهم} يعني: ضلالتهم عقوبة لهم ولما عملوا، ومجازاة لكفرهم زينا لهم سوء أعمالهم {فَهُمْ يَعْمَهُونَ} يعني: يترددون فيها، ويتحيرون في ضلالتهم. قوله عز وجل: {أولئك} يعني: أهل هذه الصفة {الذين لَهُمْ سُوء العذاب} يعني: شدة العذاب {وَهُمْ فِى الاخرة هُمُ الاخسرون} يعني: الخاسرون بحرمان النجاة، والمنع من الحسنات. ويقال: هم أخسر من غيرهم وقال أهل اللغة متى ذكر الأخسر مع الألف واللام، فيجوز أن يراد به الأخسر من غيرهم. وإن لم يذكر غيرهم، وإن ذكر بغير ألف ولام، فلا يجوز أن يقال: هو

أخسر إلا أن يبين أنه هو أخسر من فلان أو من غيره. قوله عز وجل: {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرءان} يعني: كقوله {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الذين صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: 35] يعني: مما يؤتي بها. ويقال: وما يؤتي، {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرءان} يعني: لتلقن القرآن. وقال أهل اللغة تلقى وتلقن بمعنى واحد إذا أخذ وَقُبِلَ من غيره ويقال {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرءان}، أي يلقى إليك القرآن وحياً من الله عز وجل. ثم قال: {مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} يعني: نزل عليك جبريل من عند حكيم عليم في أمره، عليم بأعمال الخلق قوله عز وجل: {إِذْ قَالَ موسى لِاهْلِهِ} قال بعضهم: معناه إنه عليم بما نزل عليك، كعلمه بقول موسى عليه السلام ويقال: حكمت لك بالنبوة، كما حكمت لموسى، إذ قال لأهله: {إِنّى آنَسْتُ نَاراً} يعني: رأيت ناراً {إِذْ قَالَ موسى} يعني: خبر الطريق {إِذْ قَالَ موسى لِاهْلِهِ} يعني: بنارٍ ويقال: كل أبيض ذو نور فهو شهاب، والقبس كل ما يقتبس من النار، والقبس يعني: المقبوس. كما يقال: ضرب فلان، يعني: مضروبه.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي {شِهَابٌ *** قَبَسٍ} بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين، فمن قرأ منوناً، جعل القبس نعت الشهاب ومن قرأ بشهاب غير منون، أضاف الشهاب إلى القبس ثم قال {لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} يعني: تستدفئون من البرد.

▲ تفسير الآيات رقم [8– 14]

{فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)}

قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهَا} يعني: النار ويقال يعني: الشجرة {نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى النار} يعني: بورك مَنْ عند النار، وهو موسى عليه السلام {وَمَنْ حَوْلَهَا} يعني: الملائكة عليهم السلام وهو على وجه التقديم يعني: فلما جاءها ومن حولها من الملائكة، نودي أن بورك من في النار، أي: عند النار. ويقال: من في طلب النار أو قصدها والمعنى: بورك فيك يا موسى. وقال أهل اللغة: باركه وبارك فيه، وبارك عليه واحد، وهذا تحية من الله تعالى لموسى عليه السلام ثم قال: {وسبحان الله} يعني: قيل له قل سبحان الله تنزيهاً لله تعالى من السُّوء ويقال: إنه أي الله في النداء قال: فسبحان الله {رَبّ العالمين} وقال بعض المفسرين: كان ذلك نور رب العزة، وإنما أراد به تعظيم ذلك النور، كما يقال للمساجد بيوت الله تعظيماً لها.

ثم قال عز وجل: {العالمين ياموسى إِنَّهُ أَنَا اللهُ} وذكر عن الفراء أنه قال: هذه الهاء عماد، وإنما يراد به وصل الكلام، كما يقال: إنما، وما يكون للوصل كذلك هاهنا، فكأنه قال: يا موسى إني أنا الله {العزيز الحكيم} ويقال: معناه إن الذي تسمع نداءه هو الله العزيز الحكيم قوله عز وجل: {وَأَلْقِ عَصَاكَ} يعني: من يدك فألقاها، فصارت حية، وقد يجوز أن يضمر الكلام إذا كان في ظاهره دليل {فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ} يعني: تتحرك {كَأَنَّهَا جَانٌّ} يعني: حية والجان هي الحية الخفيفة الأهلية، فإن قيل: إنه قال في آية أخرى، {فألقى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} [الأعراف: 107] والثعبان الحية الكبيرة، فأجاب بعض أصحاب المعاني أنه كان في كبر الثعبان، وفي خفة الجان قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: والجواب الصحيح أن الثعبان كان عند فرعون، والجان عند الطور ثم قال: {ولى مُدْبِراً} يعني: أدبر هارباً من الخوف {وَلَمْ يُعَقّبْ} يعني: لم يرجع ويقال: لم يلتفت يقول الله تعالى لموسى {خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ} من الحية {إِنّى لاَ يَخَافُ لَدَىَّ المرسلون} يعني: لا يخاف عندي، ثم استثنى فقال: {إِلاَّ مَن ظَلَمَ} قال مقاتل: إلا من ظلم نفسه من المرسلين، مثل آدم وسليمان، وإخوة يوسف، وداود وموسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ويقال: إلا من ظلم يعني: لكن من ظلم {ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوء} أي: فعل إحساناً بعد إساءته {فَإِنّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ} قال الكلبي: {إِلاَّ مَن ظَلَمَ} يعني: أشرك فهذا الذي يخاف {ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً} يعني: توحيداً بعد سوء، يعني: بعد شرك {فَإِنّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

قال أبو الليث رحمه الله: ويكون إلا على هذا التفسير، بمعنى لكن لا وعلى وجه الاستثناء، وذكر عن الفراء أنه قال: الاستثناء وقع في معنى مضمر من الكلام، كأنه قال: لا يخاف لدي المرسلون، بل غيرهم الخائف.

وقال القتبي: هذا لا يصح، لأن الإضمار يصح إذا كان في ظاهره دليل، ولكن معناه أن الله تعالى لما قال: {إِنّى لاَ يَخَافُ لَدَىَّ المرسلون}، علم أن موسى كان مستشعراً خيفة من قبل القبطي، فقال: {إَلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوء} فإنه يخاف، ولكني أغفر له، {فَإِنّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. ويقال {إَلاَّ مَن ظَلَمَ} يعني، ولا من ظلم، ولا يبين ظلمه، {ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوء} فإنه لا يخاف أيضاً، ثم قال عز وجل: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ} يعني: جيب المدرعة، ثم أخرجها {تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء} يعني: من غير برص {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى} يعني: هذه الآية من تسع آيات، كما تقول أعطيت لفلان عشرة أبعرة فيها فحلان، أي منها وقد بيّن في موضع آخر حيث قال: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا موسى تِسْعَ ءايات بَيّنَاتٍ فاسأل بَنِى إسراءيل إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنّى لأَظُنُّكَ ياموسى مَسْحُورًا} [الإسراء: 101] وقد ذكرناها {إِلى فِرْعَوْنَ} أي اذهب إلى فرعون {وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: إنهم كانوا قوماً عاصين قوله: {فَلَمَّا جَاءتْهُمْ ءاياتنا} يعني: جاءهم موسى بآياتنا التسع {مُبْصِرَةً} يعني: معاينة. ويقال: مبينة، أي علامة لنبوته، ويقال: مبصرة يعني: مضيئة واضحة {قَالُواْ هذا سِحْرٌ مُّبِينٌ} أي بيّن {وَجَحَدُواْ بِهَا} يعني: بالآيات بعد المعرفة {واستيقنتها أَنفُسُهُمْ} أنها من الله تعالى، وإنما استيقنتها قلوبهم، لأن كل آية رأوها استغاثوا بموسى، وسألوا بأن يكشف

عنهم، فكشفنا عنهم، فظهر لهم بذلك أنه من الله تعالى، وفي الآية تقديم. ومعناه وجحدوا بها {ظُلْماً} يعني: شركاً {وَعُلُوّاً} يعني: تكبراً وترفعاً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى {واستيقنتها} أنفسهم يعني: وهم يعلمون أنها من الله.

ثم قال: {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة المفسدين} يعني: الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي، فكانت عاقبتهم الغرق.

▲ تفسير الآيات رقم [15– 19]

{وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا * دَاوُودُ ***** وسليمان عِلْماً} يعني: علم القضاء، والعلم بكلام الطير والدوابّ {وَقَالاَ} يعني: داود وسليمان {الحمد لِلَّهِ الذى فَضَّلَنَا على كَثِيرٍ مّنْ عِبَادِهِ المؤمنين} بالكتاب والنبوة وكلام البهائم

والطير والملك، ويقال: فضلنا على كثير من الأنبياء، حيث لم يعط أحداً من الأنبياء عليهم السلام ما أعطانا. وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً، وأقضى من داود، وكان داود أشدَّ تعبداً من سليمان عليهما السلام.

ثم قال عز وجل: {وَوَرِثَ سليمان * دَاوُودُ} يعني: ورث ملكه. وقال الحسن: ورث المال والملك لا النبوة والعلم، لأن النبوة والعلم من فضل الله، ولا يكون بالميراث ويقال: ورث العلم والحكم لأن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون دراهم ولا دنانير.

{وَقَالَ} سليمان لبني إسرائيل: {وَقَالَ ياأيها الناس عُلّمْنَا مَنطِقَ الطير} يعني: أفهمنا وألهمنا منطق الطير، وذلك أن سليمان كان جالساً في أصحابه إذ مرّ بهم طير يصوت، فقال لجلسائه: أتدرون ماذا يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: ليت الخلق لم يخلقوا، فإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا قال: وصاح عنده ديك فقال: هل تدرون ماذا يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول اذكروا الله يا غافلين.

ثم قال تعالى: {وَأُوتِينَا مِن كُلّ شَئ} يعني: أعطينا علم كل شيء. ويقال: النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح. {إِنَّ هَذَا} الذي أعطينا {لَهُوَ الفضل المبين} يعني: المبين ويقال: المبين تبين للناس فضلهم.

ثم قال عز وجل: {وَحُشِرَ لسليمان جُنُودُهُ} يعني: جموعه، والحشر هو أن يجمع ليساق، ثم قال: {مِنَ الجن والإنس والطير فَهُمْ يُوزَعُونَ} يعني:

يساقون. ويقال: {يُوزَعُونَ} يعني: يكفون، ويحبس أولاهم على آخرهم، وأصل الوزع الكف، يقال: وزعت الرجل إذا كففته. وعن الحسن أنه قال: لا بد للناس من وزعة، أي: من سلطان يكفهم. وقال مقاتل: إنه استعمل جنياً عليهم يرد أولهم على آخرهم. ويقال: هكذا إعادة القوافل والعساكر. ويقال: {وَحُشِرَ}، أي: جمع لسليمان جنوده مسيرة له من الجن والإنس والطير {فَهُمْ يُوزَعُونَ} يجلس أولهم على آخرهم، حتى يجتمعوا.

قوله عز وجل: {حتى إِذَا أَتَوْا على وَادِى النمل} وذلك أن سليمان كان له بساط فرسخ في فرسخ، ويقال: أربع فراسخ في أربع فراسخ، وكان يضع عليه كرسيه وجميع عساكره، ثم يأمر الريح فترفعه، وتذهب به مسيرة شهر في ساعة واحدة، فركب ذات يوم في جموعه، فمر بواد النمل في أرض الشام. {قَالَتْ نَمْلَةٌ يأَيُّهَا * أَيُّهَا ****النمل ادخلوا مساكنكم} يعني: بيوتكم، ويقال: حجركم {لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ} أي لا يهلكنكم، ويقال: لا يكسرنكم {سليمان وَجُنُودُهُ} وإنما خاطبهم بقوله {أَدْخِلُواْ} بخطاب العقلاء لأنه حكى عنهم ما يحكى عن العقلاء، ثم قال: {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: قوم سليمان لا يشعرون بكم ولو كانوا يشعرون بكم لا يحطمونكم لأنهم علموا أن سليمان عليه السلام ملك عادل لا بغي فيه ولا جور، ولئن علم بها لم توطأ ويقال: {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: جنوده خاصة لأنه علم أن سليمان يعلم بمكانه ويتعاهده.

ويقال: {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: النمل لا يشعرون بجنود سليمان حتى أخبرتهم النملة المنذرة، فرفع الريح صوتها إلى سليمان. {فَتَبَسَّمَ ضاحكا مّن قَوْلِهَا} كما يكون ضحك الأنبياء عليهم السلام وإنما ضحك من ثنائها على سليمان بعدله في ملكه، يعني: أنه لو شعر بكم لم يحطمكم. ويقال: {فَتَبَسَّمَ ضاحكا} أي متعجباً. ويقال: فرحاً بما أنعم الله تعالى عليه، صار ضاحكاً، نصباً على الحال. {وَقَالَ رَبّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ} يعني: ألهمني، ويقال: أوزعني من الكف أيضاً، كأنه قال: احفظ جوارحي لكيلا تشتغل بشيءٍ سوى شكر نعمتك عليَّ. {وعلى وَالِدَىَّ} يعني: النبوة والملك. {وَأَنْ أَعْمَلَ صالحا ترضاه} يعني: تقبله مني. وذكر أنه مر بزارع، فقال؟ الزارع: إنه ما أعطي مثل هذا الملك لأحد؟ فقال له سليمان: ألا أنبئك بما هو أفضل من هذا؟ القصد في الغنى والفقر، وتقوى الله تعالى في السر والعلانية، والقضاء بالعدل في الرضا والغضب.

ثم قال تعالى: {وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصالحين} يعني: أدخلني بنعمتك مع عبادك الصالحين، يعني: المرسلين في جنتك. فوقف سليمان عليه السلام بموضعه ليدخل النمل مساكنهم، ثم مضى.

قرأ يعقوب الحضرمي وأبو عمرو في إحدى الروايتين {لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ} بسكون النون وقراءة العامة بنصب النون وتشديدها، وهذه النون تدخل للتأكيد فيجوز التخفيف والتثقيل، ولفظه لفظ النهي، ومعناه جواب الأمر، يعني: إن لم تدخلوا مساكنكم حطمكم.

▲ تفسير الآيات رقم [20- 21]

{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21)}

ثم قال عز وجل: {وَتَفَقَّدَ الطير} يعني: طلب الطير، وذلك أنه أراد أن ينزل منزلاً، فطلب الهدهد {فَقَالَ مَالِيَ * لِىَ لاَ ****أَرَى الهدهد} وكان رئيس الهداهد، وكان سليمان قد جعل على كل صنف منهم رئيساً، ثم جعل الكركي رئيساً على جميع الطيور. قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة {مَا لِىَ} بسكون الياء. وقرأ الباقون بنصب الياء، وهما لغتان: يجوز كلاهما، ثم قال: {أَمْ كَانَ مِنَ الغائبين} يعني: أم صار غائباً لم يحضر بعد. ويقال: الميم للصلة، ومعناه أكان من الغائبين يعني: أصار من الغائبين. وذكر أن الهدهد كان مهندساً يعرف المسافة التي بينهم وبين الماء. ويقال: كان يعرف الماء من تحت الأرض، ويراه كما يرى من القارورة.

وروى عكرمة أنه قال: قلت لابن عباس: كيف يرى الماء من تحت الأرض. وأن صبياننا يأخذونه بالفخ فلا يرى الخيط والشبكة من تحت التراب. فقال ابن عباس: ما ألقى هذه الكلمة على لسانك إلا الشيطان، أما علمت أنه إذا نزل القضاء ذهب البصر. فدعا سليمان أمير الطير، فسأله عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك ما أدري أين هو؟ وما أرسلته مكاناً، فغضب سليمان عند ذلك وقال: {لاعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً} يعني: لأنتفن ريشه

فلا يطير مع الطيور حولاً ولأشمسنه في الحر حتى يأكله الذر {أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ} يعني: لأقتلنه حتى لا يكون له نسل {أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بسلطان} يعني: بحجة بينة واضحة أعذره بها {مُّبِينٌ} بيّن، فإن قيل كيف يجوز أن يعاقب من لا يجري عليه القلم؟ قيل له: تجوز العقوبة على وجه التأديب إذا كان منه ذنب، كما يجوز للأب أن يؤدب ولده الصغير، وأما الذبح، فيجوز، وإن لم يكن منه ذنب.

قرأ ابن كثير {***ليأتينني} بنونين. وقرأ الباقون بنون واحدة، فمن قرأ بنونين فهو للتأكيد، لأن النون الأولى مشددة، وتسمى تلك نون القسم، وهي في الحقيقة نونين، والنون الثانية للإضافة. ومن قرأ بنون واحدة، فقد استثقل الجمع بين النونات، واقتصر على نونين، فأدغم إحداهما في الأخرى.

▲ تفسير الآيات رقم [22– 26]

{فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26)}

قوله عز وجل: {مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ} قرأ عاصم بنصب الكاف. وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان: ومعناهما واحد. يعني: لم يلبث إلا قليلاً. ويقال: لم يظل الوقت حتى جاء الهدهد {فَقَالَ أَحَطتُ} وفي الآية مضمر، ومعناه فمكث غير بعيد أن جاءه الهدهد. فقال له سليمان: أين كنت؟ فخرّ له ساجداً وقال: أحطت {بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} يعني: علمت ما لم تعلم، وجئتك بخبر لم تكن تعلمه، ولم يخبرك عنه أحد ثم أخبره فقال: {وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} فإن قيل: كيف يجوز أن يقال إن سليمان لم يعلم به، وكانت أرض سبأ قريبة منه، وهناك ملك لم يعلم به سليمان؟ قيل له: علم به سليمان، ولكنه لم يعلم أنهم يسجدون للشمس. ويقال: إنه علم بها، ولكنه لم يعلم أن ملكها قد بلغ هذا المبلغ، وعلم أنهم أهل الضلالة، والإحاطة هي العلم بالأشياء بما فيها وجهتها كما قال {وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ}، يعني: من أرض سبأ، وهي مدينة باليمن بنبأ يقيني يعني: بخبر صدق لا شك فيه. ويقال: بخبر عجيب.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو {سَبَإٍ} بالنصب بغير تنوين. وقرأ الباقون بالكسر والتنوين، فمن قرأ بالنصب جعله اسم مدينة، وهي مؤنثة لا تنصرف، ومن قرأ بالكسر والتنوين جعله اسم الرجل. ويقال: جعله اسم مكان. فقال له سليمان: وما ذلك الخبر؟ فقال: {إِنّى وَجَدتُّ امرأة تَمْلِكُهُمْ} يعني: تملك أرض سبأ {وَأُوتِيَتْ مِن كُلّ شَىْءٍ} يعني: أعطيت علم ما في بلادها. ويقال: من كل صنف من الأموال والجنود، وأنواع الخير مما يعطى الملوك {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} يعني: سريراً كبيراً أعظم من سريرك. ويقال: كان طول سريرها

ثمانون ذراعاً في ثمانين مرصعاً بالذهب والدر والياقوت، وقوائمه من اللؤلؤ والياقوت، واسمها بلقيس. قال مقاتل: كانت أمها من الجن. ويقال: ولها عرش عظيم، أي شديد. قوله عز وجل: {وَجَدتُّهَا} يعني: رأيتها {وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ} يعني: يعبدون الشمس {مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أعمالهم} الخبيثة {فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ} يعني: طريق الهدى، ومعناه صدهم الشيطان عن الإسلام، فهم لا يهتدون. يعني: لا يعرفون الدين قوله عز وجل: {أَلاَّ يَسْجُدُواْ للَّهِ} قرأ الكسائي {إِلا} بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، فمن قرأ بالتخفيف، فمعناه أن الهدهد قال عند ذلك: أنْ لاَ تسجدوا لله؟ وقال مقاتل: هذا قول سليمان قال لقومه: {أَلاَّ يَسْجُدُواْ} ويقال هذا كلام الله {أَلاَّ يَسْجُدُواْ للَّهِ} وهذا من الاختصار، فكأنه قال: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله. ومن قرأ بالتشديد فمعناه فصدهم عن السبيل أن لا يسجدوا لله.

يعني: لأن لا يسجدوا. ويقال: معناه وزين لهم الشيطان أعمالهم، لأن لا يسجدوا وإذا قرئ بالتخفيف، فهو موضع السجدة، وإذا قرئ بالتشديد، فليس بموضع سجدة في الوجهين جميعاً. وهذا القول أحوط {الذى يُخْرِجُ الخبء} يعني: المخبئات {فِي السموات *** والارض} مثل الثلج والمطر، وفي الأرض مثل النبات والأشجار والكنوز والموتى. ويقال: الذي يظهر سر أهل السموات والأرض، ويعلنها فذلك قوله تعالى: {وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} ثم قال عز وجل: {الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ رَبُّ العرش العظيم} أي الذين يعلم ذلك. قرأ عاصم والكسائي في رواية حفص {مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة لهم. وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر لهم.

▲ تفسير الآيات رقم [27– 33]

{قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)}

{قَالَ} سليمان {سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ} في قولك {أَمْ كُنتَ مِنَ الكاذبين} يعني: أم أنت فيها من الكاذبين، فكتب كتاباً وقال له: {اذهب بّكِتَابِى هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فانظر مَاذَا يَرْجِعُونَ} يعني: على ماذا يتفقون. {ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ}. يعني: ارجع عنهم ويقال ليس فيها تقديم. ومعناه: {اذهب بّكِتَابِى هذا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ} يعني: استأخر في ناحية غير بعيد، {فانظر مَاذَا يَرْجِعُونَ}؟ أي ماذا يريدون من الجواب؟ قرأ ابن عامر وابن كثير، {***فألقهي} إليهم بالياء بعد الهاء. وقرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين وقرأ حمزة وعاصم بالجزم. وقرأ نافع {هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ} بكسر الهاء، ولا يبلغ الياء، وكل ذلك جائز في اللغة. والقراءة بالياء أوسع اللغتين وأكثر استعمالاً. قال مقاتل: فجعل الهدهد الكتاب في منقاره، ثم طار حتى وقف على رأس المرأة، فرفرف ساعة، والناس ينظرون إليه، فرفعت المرأة رأسها، فألقى الكتاب في حجرها.

وروي في بعض الروايات أنها كانت نائمة في البيت، وقد أغلقت بابها، فدخل من الكوة، ووضع الكتاب على صدرها. ويقال: عند رأسها. وأكثر الروايات أنه ألقاه في حجرها، فقرأت الكتاب. قرأت فيه الخاتم، فارتعدت وخضعت، وخضع من معها من الجنود، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، فقرأت الكتاب، وأخبرتهم بما فيه قال مقاتل: ولم يكن في الكتاب إلا قوله: {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ الله الرحمن الرحيم * أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ} لأن كلام الأنبياء عليهم السلام على الإجمال، ولا يكون على التطويل. وقال في رواية الكلبي: نكتب فيه إن كنتم من الإنس، فعليكم بالطاعة، وإن كنتم من الجن، فقد عبدتم إلى قوله عز وجل: {قَالَتْ} أي المرأة {قَالَتْ ياأيها الملا إِنّى أُلْقِىَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} يعني: حسن. ويقال: كتاب مختوم.

وروي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كرامة الكتاب ختمه». ويقال: كل كتاب لا يكون مختوماً، فهو مغلوب. ويقال: كان سليمان عليه السلام إذا كتب إلى الشياطين ختمه بالحديد، وإذا كتب إلى الجن ختمه بالصفر، وإذا كتب إلى الإنس ختمه بالطين، وإذا كتب إلى الملوك ختمه بالفضة، فجعل ختم كتابها من ذهب. ويقال: إن المرأة إنما قالت: {كِتَابٌ كَرِيمٌ}، لأنها ظنت أنه نزل من السماء، فلما نظرت إليه قرأت عنوان: {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ الله الرحمن الرحيم} يعني: عنوانه من سليمان وإنه يعني: في داخله، وأول سطره بسم الله الرحمن الرحيم {أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ} أي: لا تتعظموا علي، ولا تتطاولوا علي.

ويقال: لا تترفعوا علي، وإن كنتم ملوكاً. قوله عز وجل: {وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ} يعني: مستسلمين خاضعين. ويقال: يعني: مخلصين منقادين طائعين. قال محمد بن موسى: إنما بدأ سليمان بنفسه لعلمه بأن ذكره على سائر الملوك أعظم من ذكره معبوده، فهول عليها بذكر نفسه ثم ذكر معبوده، فذهب بنفسها، وانقادت في مملكتها، وإنما خافت من هول سليمان حين آمنت بالله فقالت عند ذلك: رب ظلمت نفسي بعبادة الشمس، وما خفت منك، فالآن عرفتك، وتبت إليك وأنت رب العالمين {قَالَتْ} المرأة {قَالَتْ ياأيها الملا} يعني: الأشراف والقادة {أَفْتُونِى فِى أَمْرِى} وكان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً تحت يد كل قائد ألف رجل، وقد قيل أكثر من هذا: {أَفْتُونِى فِى أَمْرِى}. يعني: أجيبوني في أمري. ويقال: بينوا لي أمري وأخبروني. ويقال: أشيروا علي {مَا كُنتُ قاطعة أَمْراً} أي قاضية أمراً. ويقال: فاصلة أمراً {حتى تَشْهَدُونِ} يعني: تحضرون أي: لا أقطع أمراً دونكم {قَالُواْ} مجيبين لها {نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} يعني: عدة وكثرة وسلاحاً وقتال شديد {والامر إِلَيْكِ} يعني: أخبرناك بما عندنا أيتها الملكة، ومع ذلك لا نجاوز ما تقولين. يعني: إن أمرتينا بقتال قاتلنا، وإن أمرتنا بغير ذلك أطعناك {فانظرى مَاذَا تَأْمُرِينَ} يعني: ماذا تشيرين إلينا.

▲ تفسير الآيات رقم [34- 38]

{قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا

جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آَتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آَتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38)}

قوله عز وجل: {قَالَتْ} يعني: المرأة {إِنَّ الملوك إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً} على وجه القوة والغلبة {أَفْسَدُوهَا} يعني: أهلكوها وخربوها {وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} يعني: أهانوا أشرافها وكبراءها ليستقيم لهم الأَمر {وكذلك يَفْعَلُونَ} قال ابن عباس: هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قال: {وكذلك يَفْعَلُونَ} تصديقاً لقول المرأة قال الحسن: هذا قول بلقيس: إن سليمان وجنوده كذلك يفعلون، وأكثر المفسرين على خلاف ذلك. ثم قالت المرأة: {وَإِنّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ} يعني: أصانعهم بالمال، فإن كان من أهل الدنيا، فإنه يقبل ويرضى بذلك ويقال: أختبره أملك هو أم نبي، فإن كان ملكاً قبلها، وإن كان نبياً لم يقبلها {فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المرسلون} يعني: أنظر بماذا يرجع المرسلون من الجواب من عنده؟ وذكر في الخبر أنها بعثت إليه لبنتين من ذهب والمسك والعنبر، وبعثت بعشرة غلمان، وعشرة جواري. وكان في الجواري بعض الغلظة، وكان في الغلمان بعض اللين، وأمرت بأن تخضب أيديهم جميعاً، وجعلتهم على هيئة الجواري، وبعثت إليه جوهرة في ثقبها اعوجاج، وطلبت أن يدخل الخيط فيها، وكتبت إلى سليمان إن كنت نبياً، فميز بين الجواري والغلمان، فأمر سليمان الشياطين بأن يلقوا في طريق الرسل لبناً كثيراً من الذهب، فلما جاءت رسل بلقيس استحقروا هديتهم، فلما قدموا على

سليمان أمر بماء، فوضع وأمر الغلمان والجواري بأن يتوضؤا، فجعل الغلام يحدر الماء على يده حدراً، وأما الجواري، فكن يصببن صباً. وفي رواية أُخرى كانت الجارية تأخذ الماء بكفها، وتدلك ذراعها، وأما الجوهرة، فأخذ بوردة حمراء عقد فيها خيطاً، ثم أدخلها في الحجر حتى خرجت من الجانب الآخر، فرد الهدية. وقال للوافد: {أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} يعني: أتغرونني بالمال. قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ} قال بعضهم: يعني: جاء الرسول. وقال بعضهم: يعني: جاء بريدها والأول أشبه، لأنه خاطب الرسول. {قَالَ *** أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} قرأ حمزة {أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} بنون واحدة والتشديد، وقرأ الباقون بنونين وأصله نونان، إلا أن حمزة أدغم إحداهما في الأخرى، وشددها. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {***أتمدونني} بالياء في الوصل، لأنه في الأصل الياء، وهو ياء الإضافة. وقرأ الباقون بغير ياء، لأن الكسر يدل عليه. ثم قال: {بِمَالٍ فَمَا ءاتانى اللهُ} يعني: ما أعطاني الله عز وجل من النبوة والحكمة والدين والإسلام والملك {خَيْرٌ مّمَّا ءاتاكم} يعني: خير مما أعطاكم من الدنيا والمال {بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} يعني: إذا أهدى بعضكم إلى بعض يقال: معناه بل أنتم تفرحون بهديتكم إذا ردت إليكم، لأنكم قليلوا المال. ويقال: لأنكم مكاثرون بالدنيا.

قوله عز وجل: {ارجع إِلَيْهِمْ} يعني: قال سليمان للأمير الوافد: ارجع إليهم بالهدية، فإن لم يحضروني {فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا} يعني: لا طاقة لهم بها. قال بعض المتقدمين: ومتى يكون لهم طاقة بجنود سليمان، وكان جنود سليمان من الجن والإنس والشياطين {وَلَنُخْرِجَنَّهُم مّنْهَا} يعني: من

أرض سبأٍ {أَذِلَّةٍ} يعني: مغلولة أيديهم إلى أعناقهم {وَهُمْ صاغرون} أي ذليلون، فلما بلغ الخبر إلى المرأة ورسالة سليمان لم تجد بداً من الخروج إليه، فخرجت نحوه، فلما علم سليمان بمسيرها إليه {قَالَ} لجلسائه {قَالَ يأَيُّهَا الملا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا} يعني: بسرير بلقيس {قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ} أي موحدين: لأنه قد كان أوحي إلى سليمان بأنها تسلم. وقال بعضهم: إنما أراد سليمان بإحضار سريرها قبل أن تسلم ليكون السرير له، لأنها لو أسلمت حرم عليه ما كان لها وقال بعضهم: إنما أراد أن يبين دلالة نبوته عندها، فتعلم المرأة أنه نبي فتسلم.

▲ تفسير الآيات رقم [39– 41]

{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41)}

قوله عز وجل: {قَالَ عِفْرِيتٌ مّن الجن} يعني: ما أراد من الجن والعفريت هو الشديد القوي ويقال: العفريت من كل شيء المبالغ والحاذق في أمره {قَالَ عِفْرِيتٌ مّن الجن أَنَاْ ءاتِيكَ بِهِ قَبْلَ} يعني: في مجلس القضاء، وكان قضاؤه إلى إنصاف النهار. ويقال: إلى وقت الضحى {وَإِنّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ} قوله {عَلَيْهِ} أي على إتيان السرير لقوي على حمله أمين على ما فيه

من الجواهر واللؤلؤ وغير ذلك. فقال سليمان: أنا أريد أسرع من هذا {قَالَ الذى عِندَهُ عِلْمٌ مّنَ الكتاب} يعني: آصف بن برخيا، وكان وزيره ومؤدبه في حال صغره، وكان يعلم الاسم الأعظم، ويقرأ كتاب الله. فقال: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت. ويقال: هو قوله يا حي يا قيوم. ويقال يا ذا الجلال والإكرام ويقال إن الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل عليه السلام، وهو قول المعتزلة.

قال الشيخ الإمام: لأنهم لا يرون كرامة الأولياء وأكثر المفسرين على أنه آصف بن برخيا رضي الله عنه قال: {قَالَ الذى عِندَهُ عِلْمٌ مّنَ الكتاب أَنَاْ ءاتِيكَ} يعني: قبل أن ينتهي إليك الذي وقع عليه منتهى بصرك، وهو جاءٍ إليك. ويقال: قبل أن تطرف. قال له سليمان: لقد أسرعت إن فعلت ذلك، فدعا بالاسم الأعظم، فإذا بالسرير قد ظهر بين يدي سليمان {فَلَمَّا رَءاهُ} أي: رأى سليمان السرير {مُسْتَقِرّاً عِندَهُ} أي: موجوداً عنده {قَالَ} سليمان {هذا مِن فَضْلِ رَبّى لِيَبْلُوَنِى} يعني: ليختبرني {ءأَشْكُرُ} هذه النعمة {أَمْ أَكْفُرُ} نعم الله تعالى إذا رأيت من دوني هو أعلم مني. قال مقاتل: فلما رفع رأسه قال: الحمد لله الذي جعل في أهلي من يدعوه، فيستجيب له {وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} يعني: يفعل لنفسه، لأنه يعود إليه حيث يستجيب المزيد من الله تعالى {وَمَن كَفَرَ} النعم يعني: ترك الشكر {فَإِنَّ رَبّى غَنِىٌّ} عن شكر العباد {كَرِيمٌ} في الإفضال على من شكره بالنعمة. ويقال: كريم لمن شكر من عباده. ويقال: لما رأى آصف السرير مستقراً عنده خرج من فضل نفسه، ورجع إلى فضل الله، ورأى الحول والقوة لله تعالى، فقال: هذا من

فضل ربي لا من فضل نفسي، ولو لم يقل من فضل ربي لسقط عن المنزلة أسرع من إتيان السرير حيث قال: {قَالَ عِفۡرِيتٌ مِّن} حيث شهر نفسه بالفضيلة. ويقال: {قَالَ عِفْرِيتٌ مِّن}. يعني: بالله آتيك لا بالمدة والحيلة؛ فأسقط الحول والقوة عن نفسه، وسلم الأمر إلى الله. فقال: {هذا مِن فَضْلِ رَبّى}، فلما رأى سليمان السرير عنده علم أن هذا ليس من قوة جلسائه، إنما هو من صنع ربه.

قوله عز وجل: {قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا} يعني: قال سليمان عليه السلام: غيّروا لها عرشها عن صورته، والتنكير هو التغيير يقال: نكرته فنكر، أي غيرته، فتغير.

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: التنكير أن يزاد فيه أو ينقص منه يعني: زيدوا في سريرها، وانقصوا منه، حتى نرى أنها تعرف سريرها أم لا، وذلك قوله: {نَنظُرْ أَتَهْتَدِى} يعني: أتعلم أنه عرشها {أَمْ تَكُونُ مِنَ الذين لاَ يَهْتَدُونَ} يعني: لا يعلمون يقال: إنه جعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه.
ويقال: إنه أمر بذلك، لأن الجن قالوا لسليمان عليه السلام في عقلها شيء من النقصان، فأراد سليمان أن يمتحن عقلها، فأمر بأن يغير السرير، ويسألها عن ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [42- 44]

{فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)}

قوله: {فَلَمَّا جَاءَتْ} يعني: بلقيس وجلست على السرير {قِيلَ} لها {أَهَكَذَا عَرْشُكِ} يعني: أهكذا سريرك {قَالَتْ} بلقيس {كَأَنَّهُ هُوَ} شبهته به قال مقاتل: شبهوا عليها، فشبهت عليهم، ولو قيل لها أهذا عرشك؟ لقالت: نعم. ويقال: إنها شكت في ذلك، لأنها تركت سريرها في سبعة أبيات مقفلة أبوابها، ومفاتيح الأقفال بيدها. فقال سليمان: {وَأُوتِينَا العلم مِن قَبْلِهَا} يعني: حمد الله على ما أعطاه من إتيان السرير وحضورها، وعلى ما أعطاه قبل إتيانها من النبوة والإسلام، فقال: {وَأُوتِينَا العلم مِن قَبْلِهَا}. يعني: أعطينا العلم من قبل مجيئها. ويقال: أعطينا علم ملكها وعرشها من قبل مجيئها {وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} يعني: مخلصين لله تعالى. ويقال: مسلمين منقادين له. قوله عز وجل: {وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللّهِ} يعني: عبادتها التي كانت تعبد الشمس منعها عن الإسلام. ويقال: معناه صدها إبليس عن الإيمان، فتكون {مَا} ها هنا بمعنى الفاعل. ويقال: ما هنا بمعنى المفعول، فكأنه يقول صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله، كرجل يقول: منعت فلاناً الماء، يعني: عن الماء.

ويقال معناه: أن الله تعالى صدّها عما كانت تعبد من دون الله، ووفقها للإسلام. ويقال: صدها عن الإسلام العبادة التي كانت تعبدها، لأنها نشأت على ذلك وربيت، ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس ثم قال: {إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كافرين} أي: من قوم جاحدين لله تعالى. قوله عز وجل: {قِيلَ لَهَا ادخلى الصرح} يعني: القصر، وذلك لأنها لما أقبلت قالت الجن: لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب، فلو اجتمع سليمان وهذه، وما عندها من العلم لهلكنا، وخشوا أن يتزوجها، ويكون بينهما ولد، فيرث الملك فيبقون في ذلك العناء إلى الأبد فأرادوا إن يبغضوها إلى سليمان فقالوا إن رجليها شعراوان وقال مقاتل كانت أمها جنية وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كانت أمها جنية وكانت شعراء. وقال بعضهم هذا لا يصح لأن الجن ليسوا من جنس الآدميين فلا يكون بينهما شهوة ونسل وقد قال الله تعالى {ياأيها الناس إِنَّا خلقناكم مِّن ذَكَرٍ وأنثى وجعلناكم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لتعارفوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ الله أتقاكم إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]. يعني: آدم وحواء عليهما السلام فلا يجوز أن يكون النسل من غيرهما ويقال إنهم قالوا لسليمان إن رجلها تشبه حافر الدواب فأراد سليمان أن ينظر إلى رجليها فأمر بأن يوضع سريرها في الصرح المبني من القوارير يعني: من الزجاج وجعل تحت الصرح الماء فيه السمك فجلس سليمان على سريره في الصرح ومقدميه ثم أمر بلقيس بأن تدخل الصرح {فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً} أي فلما جاءت إلى الصرح رأت ما فيه من السمك حسبته لجة أي ظنت أنه ماء كثير بين يدي سرير سليمان فأرادت أن تخوض في الماء فشمرت ثيابها

{وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا} فنظر سليمان إلى ساقيها وكانت شعراً فاستشار سليمان الإنس في ذلك فأشاروا عليه بالموسى فقال سليمان الموسى تخدش ساقيها فاستشار الجن فأشاروا عليه بالنورة فأصل النورة من ذلك الوقت وروي أن سليمان ما نظر إلى ساق أحسن من ساقيها ولا خلاف بين الروايتين لأنه يكون أحسن الساقين شعراوين وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أنا أحسن ساقين أم بلقيس فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

▲ تفسير الآيات رقم [45- 49]

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49)}

قوله عز وجل {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صالحا أَنِ اعبدوا الله} يعني: أمرهم بأن يعبدوا الله ويطيعوه ويوحدوه {فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ} يعني: مؤمنون وكافرون فإذا قوم صالح مؤمن وكافر يختصمون يقول كل فريق الحق معي وقد ذكرنا خصومتهم في سورة الأعراف وهي قوله: {قَالَ الملأ الذين استكبروا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ استضعفوا لِمَنْ ءامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ

صالحا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قالوا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 75] الآية فطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح العذاب، {قَالَ} لهم صالح عليه السلام {قَالَ ياقوم لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بالسيئة}، أي: بالعذاب {قَبْلَ الحسنة}، يعني: العافية. ويقال: التوبة وهو قولهم: يا صالح إن كان ما أتيت به حقاً، فأتنا بما تعدنا من العذاب. ثم قال: {لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ الله} يعني: لكي تُرحموا، فلا تعذبوا.

قوله عز وجل: {قَالُواْ اطيرنا بِكَ} وأصله تطيرنا بك يعني: تشاءمنا بك. {وَبِمَن مَّعَكَ}، وذلك أنه قد أصابهم القحط بتكذيبهم إياه. فقالوا: هذا الذي أصابنا بشؤمك وشؤم أصحابك {قَالَ}: لهم صالح {طَائِرُكُمْ عِندَ الله}، يعني: ما أصابكم، فمن الله ويقال: هذا الذي يصيبكم هو مكتوب عند الله، ويقال: خيركم وشركم ورخاؤكم وشدتكم من عند الله عليكم بفعلكم. ويقال: عقوبتكم عند الله {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ}، أي: تبتلون بذنوبكم ويقال: تختبرون بالخير والشر، وأصل الفتنة هي الاختبار ويقال: فتنت الذهب بالنار، لينظر إلى جودته قوله عز وجل: {وَكَانَ فِى المدينة}، يعني: في قرية صالح، وهي الحجر {تِسْعَةُ رَهْطٍ}، كانوا أغنياء قوم صالح {يُفْسِدُونَ فِى الارض وَلاَ يُصْلِحُونَ}، يعني: يعملون بالمعاصي في أرض قريتهم، ولا يصلحون، أي لا يطيعون الله تعالى فيها، ولا يتوبون من المعصية، ولا يأمرون بها، فسأل قوم صالح منه ناقة، فصارت الناقة بلية لهم، فكانت تأتي مراعيهم، فتأكل جميع ما فيها، فتنفر منها دوابهم، وتشرب ماء، بئرهم العذب الذي يشربون منه، فجعلوا نيابة لشرب الماء، اللبن، فتشرب ذلك اليوم الماء كله، وتسقيهم

اللبن، حتى يرووا، فجاء هؤلاء التسعة، وفيهم قدار بن سالف عاقر الناقة. وكان ابن زانية أحمر أزرق، ومصدع بن دهر وكانا قد قعدوا لها، فلما مرت بهما، رماها مصدع بسهم ثم قال: يا قدار اضرب، فضرب عرقوبها فعقروها، ثم سلخوها، واقتسموا لحمها، فأوعدهم الله الهلاك، وبيّن لهم العلامة، بتغيير ألوانهم، فاجتمعوا التسعة {قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بالله}، يعني: تحالفوا بالله {لَنُبَيّتَنَّهُ}، قرأ حمزة والكسائي بالتاء وضم التاء الثاني {وَأَهْلَهُ ثُمَّ}، بالتاء وضم اللام والباقون بالنون، ونصب التاء، {وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ} بالنون ونصب اللام، فمن قرأ: بالنون جعل تقاسموا خبراً، فكأنهم قالوا: متقاسمين فيما بينهم، {لَنُبَيّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} أي: لنقتلنه وعياله. ويقال: {وَأَهْلَهُ} يعني: ومن آمن معه، ومن قرأ بالتاء، فمعناه: جعل تقاسموا أمراً فكان أمر بعضهم بعضاً وقال بعضهم لبعض: تحالفوا {لَنُبَيّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ} {لِوَلِيّهِ}، يعني: لولي صالح إن سألونا فنقول {مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ} يعني: إهلاك أهله وقومه. ويقال: ما حضرنا عند إهلاك أهله، {وِإِنَّا لصادقون}، يعني: إنا لصادقون بما نقول لهم. ويقال: معناه إنا لصادقون عندهم، فيصدقونا إذا أخرجنا من بيوتنا.

▲ تفسير الآيات رقم [50- 53]

{وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53)}

قوله عز وجل: {وَمَكَرُواْ مَكْراً} يعني: أرادوا قتل صالح {وَمَكَرْنَا مَكْراً}، يعني: جثم عليهم الجبل، فماتوا كلهم ويقال: رجمتهم الملائكة عليهم السلام بالحجارة، فماتوا فذلك قوله تعالى: {وَمَكَرُواْ مَكْراً} أي: أرادوا قتل صالح، {وَمَكَرْنَا مَكْراً} يعني: أراد الله عز وجل قتلهم جزاء لأعمالهم، {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}، بأن الملائكة يحرسون صالحاً في داره. قرأ عاصم في رواية أبي بكر: {مَهْلِكَ} بنصب الميم واللام، وفي رواية حفص {مَهْلِكَ} بنصب الميم وكسر اللام.

وقرأ الباقون: بضم الميم، ونصب اللام.

ثم قال: {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة مَكْرِهِمْ} يعني: جزاء مكرهم {أَنَّا دمرناهم} قرأ عاصم وحمزة والكسائي أنا بالنصب، وقرأ الباقون بكسر الألف، فمن قرأ بالنصب، فمعناه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم، لأنا دمرناهم ويجوز أن يكون خبر كان ومن قرأ: بالكسر لأنه لما قال، {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة مَكْرِهِمْ}. يعني: إيش كان عاقبة مكرهم، ثم فسر فقال: إنا دمرناهم على وجه الاستئناف، {وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ}، يعني: أهلكناهم بصيحة جبريل عليه السلام. ويقال: خرجت النار من تحت أرجلهم وأحرقتهم. ويقال: إنهم خرجوا ليلاً لإهلاك صالح، فدمغتهم الملائكة بأحجار من حيث لا يرونهم، فقتلوهم، وقومهم أجمعين.

قوله عز وجل: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً} يعني: خالية من الناس. ويقال: بيوتهم خاوية. يعني: مساكنهم خربة ساقطة، {بِمَا ظَلَمُواْ} أي: أشركوا. ويقال:

بكفرهم بالله تعالى صارت خاوية نصباً على الحال. يعني: فانظر إلى بيوتهم خاوية، وقرئ في الشاذ خاوية بالضم، على معنى النعت، للبيوت ثم قال: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: في إهلاكهم، وفيما أصابهم لغيره لمن بعدهم {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، يعني: يعقلون ويصدقون، {وَأَنجَيْنَا الذين ءامَنُواْ}، يعني: صدقوا صالحاً برسالته، {وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} الشرك والفواحش.

▲ تفسير الآيات رقم [54– 59]

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (57) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (58) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59)}

قوله عز وجل: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} يعني: وأرسلنا لوطاً عطفاً على قوله، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إلى ثَمُودَ} ويقال معناه واذكر لوطاً إذ قال لقومه يعني: حين قال لقومه. قوله عز وجل {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال * شَهْوَةً} يعني: تجامعون الرجال شهوة منكم {مّن دُونِ النساء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} أي جاهلون {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ} وإنما نصب الجواب، لأنه خبر كان واسمه {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُواْ ءالَ لُوطٍ مّن} يعني: يتنزهون ويقذروننا بهذا الفعل، وإنا لا نحب أن يكون بين أظهرنا من ينهانا عن أعمالنا. قال الله

تعالى: {فأنجيناه وَأَهْلَهُ} يعني: ابنتيه ريثا وزعورا {إِلاَّ امرأته} لم ننجها من العذاب {قدرناها} أي: تركناها {مِنَ الغابرين} أي: من الباقين في العذاب. ويقال: قضينا عليها أنها من الباقين في العذاب قوله عز وجل: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا} يعني: الحجارة {فَسَاء مَطَرُ المنذرين} يعني: بئس مطر من أنذرتهم الرسل، فلم يؤمنوا. ثم قال عز وجل: {قُلِ الحمد لِلَّهِ وسلام على عِبَادِهِ} قال بعضهم: معناه قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم {قُلِ الحمد لِلَّهِ} وقال بعضهم: معناه الحمد لله على هلاك كفار الأمم الماضية. يعني: ما ذكر في هذه السورة من هلاك فرعون وقومه، وثمود وقوم لوط. ويقال: قال: الحمد لله الذي علمك، وبيّن لك هذا الأمر. ويقال: إن هذا كان للوط حين أنجاه، أمره بأن يحمد الله تعالى. ثم قال: {وسلام على عِبَادِهِ} يعني: المرسلين {الذين اصطفى} يعني: اختارهم الله تعالى للرسالة والنبوة.

وروي عن مجاهد أنه قال: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك قال مقاتل. وقال سفيان الثوري: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: {الله خَيْرٌ *** أَمَّا يُشْرِكُونَ} يعني: الله تعالى أفضل أم الآلهة التي تعبدونها، اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التقرير يعني: الله تعالى خير لهم مما يشركون، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى، وأجل وأكرم» ويقال: معناه أعبادة الله خير أم عبادة ما يشركون به من الأوثان. وقال القتبي: {الله خَيْرًا * أَمَّا يُشْرِكُونَ}. يعني: أم من يشركون؟ فتكون ما مكان من كما قال: {والسمآء وَمَا بناها} [الشمس: 5] يعني: ومن بناها {وَمَا خَلَقَ الذكر والانثى} [الليل: 3] يعني: ومن خلق.

▲ تفسير الآيات رقم [60– 68]

{أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (66) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (68)}

ثم قال عز وجل: {أَمَّنْ خَلَقَ السموات والارض **وَأَنزَلَ لَكُمْ مّنَ السماء مَاء} يعني: المطر {فَأَنبَتْنَا بِهِ} يعني: بالمطر {حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ} يعني: البساتين واحدها حديقة، وإنما سميت حديقة لأنها محاطة بالحيطان. وقال بعضهم: إذا كانت ذا شجر يقال لها: حديقة سواء كان لها حائط، أو لا {ذَاتَ بَهْجَةٍ}، يعني: ذات حسن {مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا} يعني: ما

كان لمعبودكم قوة. ويقال: ما كان ينبغي لكم أن تنبتوا شجرها. ويقال: ما قدرتم عليه، وقرأ أبو عمرو وعاصم: أما يشركون بالياء على معنى الخبر. وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {قدرناها} بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد. ثم قال: {مَّعَ اللهِ بَلْ} يعينه على صنعه اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الإنكار والزجر {بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} يعني: يشركون الأصنام ثم قال عز وجل: {أَمَّن جَعَلَ الارض قَرَاراً} يعني: مستقراً لا تميد بأهلها. ويقال: قراراً أي سكناً لأهلها {وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً} أي: فجر بسواد الأرض أنهاراً. ويقال: شقّ بينهما أنهاراً {وَجَعَلَ لَهَا} أي خلق لها {رَوَاسِىَ} أي: خلق للأرض الجبال الثوابت {وَجَعَلَ بَيْنَ البحرين حَاجِزاً} يعني: العذب والمالح حاجزاً يعني: ستراً مانعاً بقدرته لا يختلطان بعضهما في بعض {مَّعَ اللهِ بَلْ} يعينه على صنعه {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: ولكن أكثرهم لا يعلمون بتوحيد الله عز وجل {أَمَّن يُجِيبُ المضطر إِذَا دَعَاهُ} يعني: أمن يستجيب في البلاء للمضْطّر إذا دعاه {وَيَكْشِفُ السوء} يعني: ومن يكشف الضر {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الارض} يعني: سكان الأرض بعد هلاك أهلها {مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن} قرأ أبو عمرو وابن عامر في إحدى الروايتين بالياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون {تَذَكَّرُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ حمزة والكسائي بتخفيف الذال. وقرأ أبو عمرو ونافع في رواية قالون: {مَّعَ اللهِ بَلْ} بالهمز والمد. وقرأ الباقون: بغير مد بهمزتين.

ثم قال عز وجل: {أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظلمات البر والبحر} يعني من يرشدكم في أهوال البر والبحر. {وَمَن يُرْسِلُ الرياح بُشْرًاَ بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ} يعني: قدام المطر {مَّعَ الله تَعَالَى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن} أي: تعظم الله عما يشركون {أَمَّن يَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعيدُهُ} يعني: خلقهم، ولم يكونوا شيئاً، ثم يعيدهم في الآخرة {وَمَن يَرْزُقُكُم مّنَ السماء} يعني: المطر {والارض} يعني: النبات {مَّعَ الله قُلْ هَاتُواْ برهانكم إِن} يعني: حجتكم وعلتكم، بأنه صنع شيئاً من هذا غير الله {إِن كُنتُمْ صادقين} بأن مع الله آلهة أخرى {قُلْ} يا محمد لكفار مكة {لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى السموات والارض} من الملائكة والناس {الغيب إِلاَّ الله} يعني: متى تقوم الساعة إلا الله رفع على معنى البدل، فكأنه يقول: لا يعلم أحد الغيب إلا الله، أي لا يعلم ذلك إلا الله {وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} يعني: متى يبعثون ومتى يبعثون قوله عز وجل: {بَلِ ادرك عِلْمُهُمْ فِى الاخرة} قرأ ابن كثير وأبو عمرو {ادرك}.

قرأ الباقون {أَدْرَاكَ} بالألف، فمن قرأ أدرك، فمعناه أدرك علمهم علم الآخرة.

وروي عن السدي قال: اجتمع علمهم يوم القيامة، فلم يشكوا، ولم يختلفوا ويقال: معناه علموا في الآخرة أن الذين كانوا يوعدون حق، ولا ينفعهم ذلك. ومن قرأ {أَدْرَاكَ} فأصله تدارك فأدغم التاء في الدال، وشددت وأدخلت ألف الوصل، ليسلم السكون للدال، ومعناه تتابع علمهم، أي حكمهم على الآخرة، واستعمالهم الظنون في علم الآخرة، فهم يقولون تارة: إنها تكون، وتارة لا تكون الساعة.

ويقال: معناه تدارك، أي تكامل علمهم يوم القيامة بأنهم يبعثون، ويشاهدون ما وعدوا {بَلْ هُمْ فِى شَكّ مّنْهَا} أي: من قيام الساعة في الدنيا {بَلْ هُم مّنْهَا عَمُونَ} يعني: يتعامون عن قيامها. ويقال: بل هم منها عمون، أي من علمها جاهلون.

وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ، {بَلِ *** أَدْرَاكَ} وهذه القراءة أشد إيضاحاً، للمعنى الذي ذكرناه.

ثم حكى قول الكفار فقال عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ أَءذَا كُنَّا تُرَاباً وَءابَاؤُنَا أَءنَّا لَمُخْرَجُونَ} يعني: أحياء من القبور {لَقَدْ وُعِدْنَا هذا} يعني: هذا الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم: {نَحْنُ وَءابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هذا} الذي يقول {إِلاَّ أساطير الاولين} يعني: أحاديث الأولين وكذبهم، مثل حديث رستم واسفنديار. ويقال: إن هذا إلاَّ مثل رسل الأولين مما كذبوا.

▲ تفسير الآيات رقم [69- 81]

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (70) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (71) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (72) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (73) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (74) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (75) إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (81)}

قوله عز وجل: {قُلْ سِيرُواْ فِى الارض فَٱنظُرُواْ} يعني: فاعتبروا {كَيْفَ كَانَ عاقبة المجرمين} يعني: آخر أمر المشركين {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} إن لم يؤمنوا، بل ويقال: {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} أي على تكذيبهم وإعراضهم عنك {وَلاَ تَكُن فِى ضَيْقٍ} يعني: لا يضيق صدرك {مّمَّا يَمْكُرُونَ} يعني: بما يقولون من التكذيب. ويقال: ولا يضيق قلبك بمكرهم {وَيَقُولُونَ متى هذا الوعد} أي: وعد العذاب {إِن كُنتُمْ صادقين} أن العذاب نازل بالمكذب. ويقال: ولا تكن في ضيق مما يمكرون. بقولهم: فهذا دأبنا ودأبك أيام الموسم، وهم الخراصون، فكانوا يأمرون أهل الموسم، بأن لا يسمعوا كلامه، ثم قال عز وجل: {قُلْ عسى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم} يعني: قرب وحضر لكم. قال القتبي: أي تبعكم واللام زائدة، فكأنه قال: ردفكم قال وقيل في التفسير دنا منكم {بَعْضُ الذى تَسْتَعْجِلُونَ} من العذاب، وهو عذاب القبر. ويقال: يعني: القحط. ويقال: يوم بدر {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس} حين لم يأخذهم بالعذاب عند معصيتهم {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ} بتأخير العذاب عنهم حتى يتوبوا {وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ} يعني: ما تسر قلوبهم من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم {وَمَا يُعْلِنُونَ} بألسنتهم من الكفر والشرك.

قوله عز وجل {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ} يعني: من أمر العذاب. ويقال: ما من شيء غائب عن العباد {فِي السموات *** والارض إِلاَّ فِى كتاب مُّبِينٍ} يعني: مكتوب في اللوح المحفوظ. ويقال: أي جملة غائبة عن الخلق إلا في كتاب مبين {إِنَّ هذا القرءان يَقُصُّ على بَنِى إسراءيل} قال مقاتل: يعني: أن هذا القرآن يبين للناس أهل الكتاب {أَكْثَرَ الذى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} يعني: اختلافهم وقال ابن عباس: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم، فصاروا أهواءً وأحزاباً يطعن بعضهم على بعض، ويبرأ بعضهم من بعض، فنزل القرآن بتبيان ما اختلفوا فيه. ثم قال عز وجل: {وَأَنَّهُ} يعني: القرآن {لَهُدًى} يعني: لبياناً من الضلالة {وَرَحْمَةً} من العذاب {لِلْمُؤْمِنِينَ *** إِن رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم} يعني: بين المختلفين في الدين {بِحُكْمِهِ} أي: بقضائه يوم القيامة {وَهُوَ العزيز} يعني: المنيع بالنقمة. ويقال: العزيز يعني: القوي فلا يرد له أمر {العليم} بأحوال خلقه سبحانه {فَتَوَكَّلْ عَلَى الله} يعني: ثق بالله. ويقال: فوّض أمرك إلى الله {إِنَّكَ عَلَى الحق المبين} يعني: الدين المبين، وهو الإسلام.

ثم قال عز وجل: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الموتى} فهذا مثل ضربه للكفار، أي فكما أنك لا تسمع الموتى، فكذلك لا تتفقه كفار مكة {وَلاَ تُسْمِعُ الصم الدعاء} قرأ ابن كثير {وَلاَ يَسْمَعُ} بالياء والنصب، و{الصم} بالرفع، والباقون بالتاء وضم التاء وكسر الميم، والصَّم بالنصب، فمن قرأ بالياء فلا يسمع، فالفعل للصم، ومن قرأ بالتاء، فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم إنك لا تسمع الصم الدعاء {إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ} يعني: أعرضوا عن الحق مكذبين قوله عز وجل: {وَمَا أَنتَ بِهَادِى العمى عَن ضلالتهم} قرأ حمزة {تَهْدِى العمى} بغير ألف

وقرأ الباقون بالألف، فمن قرأ تهدي، فمعناه ما أنت يا محمد بالذي تهدي الذين عميت بصائرهم عن آياتنا، ولكن عليك الدعاء، ويهدي الله من يشاء، ومن قرأ {بِهَادِى} فإن الباء دخلت لتأكيد النفي، كقولك ما أنت بعالم، فالياء لتأكيد النفي، وخفض العمي للإضافة ثم قال: {وَمَا أَنتَ بِهَادِى العمى عَن ضلالتهم} يعني: لا تسمع الهدى إلا من صدق بالقرآن أنه من الله تعالى.

ويقال: بآياتنا يعني: أدلتنا {فَهُم مُّسْلِمُونَ} يعني: مخلصون مقرون بها. ويقال: مسلمون في علم الله تعالى.

▲ تفسير الآية رقم [82]

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآَيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82)}

قوله عز وجل: {وَإِذَا وَقَعَ القول عَلَيْهِم} يعني: إذا وجب عليهم العذاب والسخط وذلك حين لا يقبل الله من كافر إيمانه، ولم يبق إلا من يموت كافراً في علم الله تعالى {أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مّنَ الارض تُكَلّمُهُمْ} بما يسوءهم يعني: الدابة التي تكلم الناس، وخروجها من أول أشراط الساعة. {إِنَّ الناس} قرأ عاصم وحمزة والكسائي {ءانٍ} بالنصب. وقرأ الباقون بالكسر، فمن قرأ بالنصب يكون حكاية قول الدابة. ومعناه: تكلمهم بأن الناس {كَانُوا بئاياتنا لاَ يُوقِنُونَ} أي: لا يؤمنون بآيات ربهم وهو خروج الدابة، ومن قرأ بالكسر يكون بمعنى الابتداء، ويتم الكلام عند قوله تكلمهم. ثم يقول الله تعالى:

{وَإِذَا وَقَعَ القول عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ} يعني: لا يؤمنون. قال أبو عبيد حدّثنا هشام عن المغيرة أن أبا زرعة بن عمر وابن عباس، قرأها {تُكَلّمُهُمْ} بنصب التاء، وكسر اللام، وبسكون الكاف، والتخفيف يعني: تسمهم، فيتبين الكافر من المؤمن قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: وحدثني الثقة عن أبي بكر الواسطي، عن إبراهيم بن يوسف، عن محمد بن الفضل الضبي، عن أبيه عن سعيد بن مسروق، عن ابن عمر رضي الله عنهم قال ألا أريكم المكان الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة منه فضرب بعصاه قبل الشق الذي في الصفا وقال: إنها ذات زغب وريش، وإنها لتخرج تلبها أول ما تخرج، كحضر الفرس الجواد ثلاثة أيام ولياليهن، وإنها لتدخل عليهم؛ وإنهم ليفرون منها إلى المساجد، فتقول: أترون أن المساجد تنجيكم مني.

وروى مقاتل قال: تخرج الدابة من الصفا، ولا يخرج إلا رأسها وعنقها، فتبلغ رأسها السحاب، فيراه أهل المشرق والمغرب، ثم تقاد إلى مكانها، ثم تزلزل الأرض في ذلك اليوم في ست ساعات، فيمسون خائفين، فإذا أصبحوا جاءهم الصريخ بأن الدجال قد خرج.

وروي عن أبي هريرة أنه قال: تخرج الدابة ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن بعصا موسى، وتختم وجه الكافر بخاتم سليمان ثم تقول لهم: يا فلان أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من

أهل النار، فترى أهل البيت مجتمعين على خوانهم يقول لهذا يا مؤمن، ولهذا يا كافر.

وروى ابن جريج عن أبي الزبير قال: رأسها رأس ثور، وعيناها عينا خنزير، وأذناها أذنا فيل، وقرناها أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرة، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين منها اثني عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام تخرج ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتنكت على وجه المؤمن حتى يبيض، وتختم على وجه الكافر بخاتم سليمان حتى يسود، فيعرف المؤمن من الكافر.

وروي عن عبد الله بن عمر أنه قال: تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء، فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه، ويتابعون في الأسواق، فيعرفون المؤمن من الكافر.

▲ تفسير الآيات رقم [83- 86]

{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (83) حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآَيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (84) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (85) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (86)}

قوله عز وجل: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلّ أُمَّةٍ فَوْجاً} يعني: نوجب عليهم العذاب في يوم نحصر من كل أمة فوجاً. يعني: من أهل كل دين جماعة. ويقال: {يَوْمَ نَحْشُرُ} يعني: نجمع من كل أمة فوجاً يعني: جماعة {مّمَّن يُكَذّبُ بئاياتنا فَهُمْ يُوزَعُونَ} يعني: يحبس أولهم لآخرهم يجتمعوا {حتى إِذَا} يعني: اجتمعوا للحشر {جَاءوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بئاياتى} يعني: قال الله تعالى لهم أكذبتم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن؟ اللفظ لفظ الاستفهام. والمراد به التقرير. يعني: قد كذبتم بآياتنا {وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْماً} اللفظ لفظ النفي، والمراد به المناقشة في الحساب. يعني: كذبتم كأنكم لم تعلموا. ويقال: لم تعرفوها حق معرفتها ثم قال: {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} اللفظ لفظ السؤال، والمراد به التوبيخ، ومعناه: ماذا كنتم تعملون أن تؤمنوا بالكتاب والرسل؟ يعني: أي عمل منعكم من ذلك {وَوَقَعَ القول عَلَيْهِم} يعني: نزل عليهم العذاب، ووجب عليهم {بِمَا ظَلَمُواْ} يعني: بما أشركوا {فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ} يعني: لا يمكنهم أن يتكلموا من الهيبة لما ظهر لهم من المعاينة، ولما تحيروا في ذلك.

ثم وعظ كفار مكة فقال: {أَلَمْ يَرَوْاْ} يعني: ألم يعتبروا {أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا اليل لِيَسْكُنُواْ فِيهِ} يعني: مضيئاً، وأضاف الفعل إلى النهار، لأن الكلام يخرج مخرج الفاعل، إذا كان هو سبباً للفعل. كما قال: {وَقَالَ الذين استضعفوا لِلَّذِينَ استكبروا بَلْ مَكْرُ اليل والنهار إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بالله وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّواْ الندامة لَمَّا رَأَوُاْ العذاب وَجَعَلْنَا الاغلال فى أَعْنَاقِ الذين كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [سبأ: 33] {إِنَّ فِى ذلك لآيات

لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أي: فيما ذكر من الليل والنهار، لعبرات لقوم يصدقون بتوحيد الله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [87- 93]

{وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (87) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آَمِنُونَ (89) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (90) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآَنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (92) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93)}

وقال عز وجل {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصور} أي: واذكر يوم ينفخ إسرافيل في الصور {فَفَزِعَ مَن فِى *** السموات **وَمَن فِى الارض} أي: من شدة الصوت والفزع. ويقال: ماتوا. وقال بعضهم: النفخ ثلاثة: أحدها الفزع وهو قوله: {فَفَزِعَ مَن فِى *** السموات} ونفخة أخرى للموت. وهو قوله: {وَنُفِخَ فِى الصور فَصَعِقَ مَن فِى السماوات وَمَن فِى الارض إِلاَّ مَن شَآءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أخرى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} [الزمر: 68] ونفخة للبعث وهي قوله {وَنُفِخَ فِى الصور فَصَعِقَ مَن فِى السماوات وَمَن فِى الارض إِلاَّ مَن شَآءَ

اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أخرى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} [الزمر: 68] وقال بعضهم: إنما هما نفختان والفزع والصعق كناية عن الهلاك، ثم نفخة للبعث {إِلاَّ مَن شَاء اللهُ} يعني: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم يموتوا بعد ذلك {وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخرين}.

روى سفيان بإسناده عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: {وَكُلٌّ أَتَوْهُ} بغير مد ونصب التاء، وهي قراءة حمزة وعاصم في رواية حفص. والباقون بالمد والضم. ومن قرأ بالمد وضم التاء، فمعناه كل حاضروه {داخرين} أي: صاغرين. ويقال: متواضعين. ومن قرأ بغير مد يعني: يأتوا الله {وَتَرَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً} أي: تحسبها واقفة مكانها ويقال: مستقرة {وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب} حتى تقع على الأرض فتستوي، أي في أعين الناظرين كأنها واقفة. قال القتبي: وكذلك كل عسكر غض به الفضاء، فينظر الناظر، فيرى أنها واقفة وهي تسير {صُنْعَ الله الذى أَتْقَنَ كُلَّ شَئ} يعني: أحكم خلق كل شيء. ويقال: الشيء المتقن أن يكون وثيقاً ثابتاً، فما كان من صنع غيره يكون واهياً، ولا يكون متقناً {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} أي: عليم بما فعلتم {مَن جَاء بالحسنة} أي: بالإيمان والتوحيد، وكلمة الإخلاص، وشهادة أن لا إله إلا الله {فَلَهُ خَيْرٌ مّنْهَا} على وجه التقديم، وله منها خير أي: حين ينال بها الثواب والجنة. ويقال: فله خير منها. أي: خير من الحسنة. يعني: أكثر منها للواحد عشرة. ويقال: فله خير منها من الحسنة، وهي الجنة، لأن الجنة هي عطاؤه وفضله، والعمل هو اكتساب العبد، فما كان من فضله وعطائه، فهو أفضل، وهذا تفسير المعتزلة، والأول قول المفسرين. {وَهُمْ مّن

فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءامِنُونَ} أي: من فزع يوم القيامة. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع في رواية ورش {مّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ} بغير تنوين، {وَيَوْمَئِذٍ} بكسر الميم، والباقون بالتنوين، ونصب الميم. قال أبو عبيد: وبالإضافة نقرأ، لأنه أعم التأويلين أن يكون الأمن من جميع، فزع ذلك اليوم، وإذا قال: فزع بالتنوين، صار كأنه قال: فزع دون فزع.

وقال غيره: إنما أراد به الأكبر، لأن بعض الأفزاع تصيب الجميع. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا *** يَفْعَلُونَ} بالياء على معنى الإخبار عنهم، والباقون بالتاء على معنى المخاطبة {وَمَن جَاء بالسيئة} أي بالشرك {فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النار} ويقال: يكبون على وجوههم، ويجرون إلى النار، وتقول لهم خزنة النار: {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} من الشرك ويقال: فكبت أي: ألقيت وطرحت {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبّ هَذِهِ البلدة} أي: قل يا محمد لأهل مكة: أمرني الله تعالى أن أستقيم على عبادة رب هذه البلدة. يعني: مكة الذي حرمها بدعاء إبراهيم عليه السلام وحرم فيها القتل والصيد. قال بعضهم: كان حراماً أبداً. قال بعضهم: وهو أصح إن إبراهيم لما دعا، فجعلها الله حراماً بدعوته.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَأَنَا حَرَّمْتُ المَدِينَةَ ما بَيْنَ لابَتَيْهَا». ثم روي أنه قد رخص في المدينة ثم قال تعالى: {وَلَهُ كُلُّ شَئ} أي وخلق كل شيء، {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المسلمين}، أي: من المخلصين {وَأَنْ أَتْلُوَ القرءان} يعني: أمرت أن أقرأ

عليكم القرآن يا أهل مكة {فَمَنُ اهتدى} أي: آمن بالقرآن {فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ} أي: يؤمن لنفسه ويثاب عليها {وَمَن ضَلَّ} ولم يوحد، ولم يؤمن بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم {فَقُلْ إِنَّمَا أَنَاْ مِنَ المنذرين} أي: من المخوفين ومن المرسلين، فليس عليَّ إلا تبليغ الرسالة {وَقُلِ الحمد لِلَّهِ} يعني: الشكر لله على ما هداني {سَيُرِيكُمْ} أيها المشركون آياته. يعني: العذاب في الدنيا {فَتَعْرِفُونَهَا} أنها حق، وذلك أنه أخبرهم بالعذاب، فكذبوه فأخبرهم أنهم يعرفونها أنها حق، وذلك إذا نزل بهم، وهو القحط والقتل. ويقال: هو فتح مكة {وَمَا رَبُّكَ بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ} فهذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم. وقال الزجاج في قوله: {سَيُرِيكُمْ ءاياته} أي: سيريكم الله آياته في جميع ما خلق، وفي أنفسكم. قرأ نافع وعاصم في رواية حفص، وابن عامر في إحدى الروايتين {تَعْمَلُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر عنه، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

▲ سورة القصص

▲ تفسير الآيات رقم [1- 4]

{طسم (1) تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)}

قوله تعالى: {طسم تِلْكَ ءايَاتُ الكتاب المبين} أي: القرآن وهو مبين للأحكام، وقد ذكرناه قال أبو سعيد الفاريابي في قوله تعالى طا قال: هو طاهر عما يعلوه، والسين سامع لما وصفوه، والميم ماجد حين سألوه، والماجد كثير العطاء. ويقال: أمجدني فلان إذا أكثر إعطاؤه. ويقال: طا أي أقسم الله بطالوت، وسين أقسم الله بسليمان، وميم أقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم. {نَتْلُواْ عَلَيْكَ} يعني: ننزل عليك جبريل عليه السلام، يقرأ عليك {مِن نَّبَإِ موسى وَفِرْعَوْنَ بالحق} أي: من خبر موسى وفرعون بالصدق {لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: يصدقون محمداً صلى الله عليه وسلم بهذه الآية، وإنما أنزل القرآن لجميع الناس ولكن المؤمنين هم الذين يصدقون، فكأنه لهم، وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يؤذونهم المشركون، فيشكون

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه السورة في شأنهم، لكي يعرفوا ما نزل في بني إسرائيل من فرعون وقومه، ليصبروا كصبرهم، وينجيهم ربهم كما أنجا بني إسرائيل من فرعون وقومه، وهذا كقوله {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البأساء والضرآء وَزُلْزِلُواْ حتى يَقُولَ الرسول والذين ءَامَنُواْ مَعَهُ متى نَصْرُ الله ألا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ} [البقرة: 214] الآية.

ثم أخبر عن فرعون فقال تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الارض} يعني: اسْتَكْبَرَ وتعظم عن الإيمان، وخالف أمر موسى في أرض مصر {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً} يعني: أهل مصر فرقاً {يَسْتَضْعِفُ} يعني: يستقهر {طَّائِفَةٌ مّنْهُمْ} يعني: من أهل مصر، وهم بنو إسرائيل، فجعل بعضهم ينقل الحجارة من الجبل، وبعضهم يعملون له عمل النجارة، وبعضهم أعمال الطين، ومن كان لا يصلح لشيء من أعماله يأخذ منه كل يوم ضريبة درهماً، فإذا غابت الشمس، ولم يأت بالضريبة غلت يده اليمنى إلى عنقه، ويأمره بأن يعمل بشماله، هكذا شهراً. ثم قال: {يُذَبّحُ أَبْنَاءهُمْ} أي يعني: أبناء بني إسرائيل صغاراً. {إِنَّ فِرْعَوْنَ} يعني: يستخدم نساءهم، وأصله من الاستحياء. يعني: يتركهن أحياء.

وروى أسباط عن السدي قال: بلغنا أن فرعون رأى فيما يرى النائم، كأن ناراً أقبلت من أرض الشام، فاشتملت على بيوت مصر، وكانت الشام أرض بني إسرائيل أول ما كانوا، فأحرقتها كلها إلا بيوت بني إسرائيل، فسأل الكهنة

عن ذلك فقالوا: يولد في بني إسرائيل مولود، يكون على يديه هلاك أهل مصر، فأمر فرعون بأن لا يولد في بني إسرائيل ذكر إلا ذبح، وعمد إلى ما كان من بني إسرائيل خارج مصر، فأدخلهم المدينة، واستعبدهم، ورفع العمل عن رقاب أهل مصر، ووضعه على بني إسرائيل ثم قال: {إِنَّهُ كَانَ مِنَ المفسدين} يعني: فرعون كان يعمل بالمعاصي.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 8]

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6) وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)}

قوله عز وجل: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذين استضعفوا فِى الارض} يعني: أردنا أن نمن بالنجاة على الذين استضعفوا في الأرض، وهم بنو إسرائيل {نَّمُنَّ} يعني: ننعم عليهم {وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} يعني: قادة في الخير {وَنَجْعَلَهُمُ الوارثين} يعني: أرض مصر، وملك فرعون، وقومه بعد هلاك فرعون.
{وَنُمَكّنَ لَهُمْ} يعني: نملكهم ويقال: ننزلهم في الأرض {فِى الارض} يعني: في أرض مصر {وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وهامان} قرأ حمزة والكسائي {وَيَرَى} بالياء والنصب، و{فِرْعَوْنَ وهامان} {وَجُنُودَهُمَا} بالرفع، كل ذلك قرأ. والباقون

{وَنُرِىَ} بالنون والضم و{فِرْعَوْنَ وهامان وَجُنُودَهُمَا} كلها بالنصب ونصب نرى، لأنه معطوف على قوله: {أَن نَّمُنَّ}، فكأنه قال أن نمن وأن نري، ونصب فرعون لوقوع الفعل عليه. ومن قرأ بالياء رفعه، لأن الفعل منه ثم قال: وهامان وجنودها {مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَحْذَرونَ} يعني: يرون ما كانوا يخافون من ذهاب الملك. وقوله عز وجل: {وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ موسى} يعني: أَلْهمنا أم موسى {أَنْ أَرْضِعِيهِ} وذلك: أن أم موسى حبلت، فلم يظهر بها أثر الحبل حتى ولدت موسى وأرضعته ثلاثة أشهر أو أكثر، فألهمها الله تعالى بقوله: {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ} يعني: إلى صباحه {فَأَلْقِيهِ فِى اليم} يعني: في البحر قال مقاتل وهو النيل فعلمها جبريل. ويقال: رأت في المنام بأنها تؤمر أن تلقيه في البحر. ويقال: كان هذا إلهاماً. ويقال: كانت دلالة حيث علمت بالرؤيا أو شيء خيل لها أن تفعل ما فعلت، كما أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام ذبح إسحاق وإسماعيل عليهما السلام وذكر أنها كانت تخبز يوماً، وكان موسى عليه السلام على رأس التنور، إذ دخل قوم فرعون يطلبون الولد، فوضعته في التنور، فدخلوا فلم يجدوا موسى عليه السلام فجاءت إلى التنور، فوجدته يلعب بأصابعه في الأرض، فاستيقنت أن الله تعالى يحفظه، فجعلته في التابوت، وألقته في النيل، ثم قال: {وَلاَ تَخَافِى} الغرق {وَلاَ تَحْزَنِى} أن لا يرد إليك {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وجاعلوه مِنَ المرسلين} يعني: رسولاً إلى فرعون وقومه، فلما ألقته في النيل جاء به الماء، وكان ممر الماء في دار فرعون، فوجدته جواري فرعون بين الماء والشجر، فمن ثم سمي موسى بلفظ القبط موسى، فذلك قوله تعالى: {فالتقطه ءالُ فِرْعَوْنَ

لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً} يعني: إن أخذهم إياه كان سبباً لحزنهم، فكأنهم أخذوه لذلك، وإنما كان أخذهم لم يكن لذلك. قرأ حمزة والكسائي {وَحَزَناً} بضم الحاء، وسكون الزاي. وقرأ الباقون بنصب الحاء والزاي، وهما لغتان: ومعناهما واحد. {إِنَّ فِرْعَوْنَ وهامان وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خاطئين} يعني: مشركين ويقال: عاصين آثمين.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 11]

{وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11)}

قوله عز وجل: {وَقَالَتِ امرأت فِرْعَوْنَ} واسمها آسية لفرعون هذا الغلام {قُرَّةُ عَيْنٍ لّى وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ} فإنه آتانا به الماء من مصر آخر، ومن أرض أخرى، وليس من بني إسرائيل ويقال: إنها قالت إن هذا كبير، ومولود قبل هذه المدة التي أخبر لك {عسى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} فإنه لم يكن له ولد ذكر. قال فرعون: فهو قرة عين لك، فأما أنا فلا.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لو قال فرعون أيضاً: هو قرة عين لي لنفعه الله تعالى به، ولكنه أبى. ويقال: {قُرَّةُ عَيْنٍ لّى}، وقد تمّ الكلام. ثم قالت: {وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ}.

قال: وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقف على {قُرَّةُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ} ثم قال لا تقتلوه، أي {لاَ تَقْتُلُوهُ}، فلا الثاني إضمار في الكلام، والتفسير الأول أصح ثم قال: {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} أي لا يشعر فرعون وقومه أن هلاكهم على يديه. ثم قال عز وجل: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ موسى فَارِغاً} يعني: خالياً من كل ذكر وشغل إلا ذكر موسى عليه السلام. ويقال: صار قلبها فارغاً حين بعثت أخته لتنظر، فأخبرتها بأنه قد أخذ في دار فرعون، فسكنت حيث لم يغرق. ويقال: صار قلبها فارغاً، لأنها علمت أنه لا يقتل.

وروي عن فضالة بن عبيد أنه قرأ: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ موسى} يعني: خائفاً. وقراءة العامة {موسى فَارِغاً}، وتفسيره ما ذكرناه وقد قيل أيضاً: فارغاً من شغل نفقته {إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ} يعني: وقد كادت لتظهر به. قال مقاتل: وذلك أنها لما ألقت التابوت في النيل، فرأت التابوت يدفعه مرة، ويضعه أخرى، فخشيت عليه الغرق، فعند ذلك فزعت عليه، وكادت أن تصيح ويقال: إنه لما كبر كان الناس يقولون: هو ابن فرعون، فكأن ذلك شق عليها، وكادت أن تظهر أن هذا ولدي، وليس بولد فرعون. ويقال: لما دخل الليل، دخل الغم في قلبها، حيث لم تدر أين صار ولدها، فأرادت أن تظهر ذلك {لَوْلا أَن رَّبَطْنَا على قَلْبِهَا} أي: ثبتنا قلبها. ويقال: قوينا قلبها، وألهمناها الصبر {لِتَكُونَ مِنَ المؤمنين} يعني: من المصدقين بوعد الله تعالى حيث وعد لها بإنا رادوه إليك، فلم تجزع، ولم تظهر. قوله عز وجل: {وَقَالَتْ لاخْتِهِ قُصّيهِ} يعني: قالت أم موسى، لأخت موسى وكان اسم أخته مريم {قُصّيهِ} يعني: اتبعي أثره. ويقال: يعني: امشي بجنبه في الحد، وهو في

الماء حتى تعرف من يأخذه {فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ} يعني: بصرته عن بعد كما قال {واعبدوا الله وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وبالوالدين إحسانا وَبِذِى القربى واليتامى والمساكين والجار ذِى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وَمَا مَلَكَتْ أيمانكم إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً} [النساء: 36] يعني: البعيد منهم من قوم آخرين. ويقال: عن جنب يعني: في جنب {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} أنها أخت موسى. ويقال: وهم لا يشعرون يعني: وهم لا يعرفون أنها ترقبه.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 16]

{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16)}

قوله عز وجل: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المراضع مِن قَبْلُ} أي: من قبل مجيء أمه. ويقال في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن أم موسى عليها السلام. قالت لأخته قصيه: أي اطلبي أثره بعد ما أخذه آل فرعون، ولم يقبل رضع

أحد، وحرمنا عليه المراضع من قبل مجيء أخته. ويقال: حرمنا عليه المراضع. يعني: منعنا موسى أن يقبل ثدي مرضع من قبل أن نرده على أمه {فَقَالَتْ} أخته حين تعذر عليهم إرضاعه {هَلْ أَدُلُّكُمْ على أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ} يعني: يضمنون لكم رضاعه. ويقال: يضمنونه {وَهُمْ لَهُ ناصحون} يعني: مشفقون للولد. ويقال مخلصون شفقة. فقال هامان: خذوها حتى تخبرنا بقصة هذا الغلام، فأخذت فألهمها الله تعالى أن قالت عند ذلك: إنما ذكرت النصيحة لفرعون أعني: وهم له ناصحون لفرعون لا لغيره. فقال هامان: دعوها، فقد صدقت، فأرسل إليها، فلما جاءت أمه وضعت الثدي في فمه، فأخذ ثديها، وسكن فذلك قوله تعالى: {فرددناه إلى أُمّهِ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: كائن صدق وهو قوله {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ} {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} بأن وعد الله حق. يعني: أهل مصر.

قوله عز وجل: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ}.

ثم قال: قال مجاهد يعني: بلغ ثلاثاً وثلاثين سنة. {واستوى} يعني: بلغ أربعين سنة. قال: وفي رواية الكلبي الأشد ما بين ثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة. ويقال: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} يعني: منتهى قوته، وهو ما فوق الثلاثين، {واستوى} يعني: بلغ أربعين سنة {اتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} يعني: علماً وعقلاً. ويقال: النبوة وعلم التوراة. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: الأشد ثلاثاً وثلاثين سنة، وأما الاستواء فأربعون سنة، والعمر الذي أعذر الله تعالى ابن آدم فيه إلى ستين سنة. يعني قوله: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا

نَعْمَلْ صالحا غَيْرَ الذى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النذير فَذُوقُواْ فَمَا للظالمين مِن نَّصِيرٍ} [فاطر: 37] ثم قال: {وَكَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} يعني: المؤمنين. قوله عز وجل: {وَدَخَلَ المدينة} قال مقاتل: يعني: قرية على رأس فرسخين. وقال غيره: يعني: المصر {على حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا} يعني: نصف النهار وقت القيلولة. ويقال: ما بين المغرب والعشاء {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هذا مِن شِيعَتِهِ} يعني: من بني إسرائيل {وهذا مِنْ عَدُوِّهِ} يعني: من القبط.

وقال القتبي: {هذا مِن شِيعَتِهِ} أي: من أصحابه، {وهذا مِنْ عَدُوِّهِ} أي: من أعدائه، والعدو يدل على الواحد، والجمع، وذكر أن خباز فرعون أخذ رجلاً من بني إسرائيل سخرة، فأمره بأن يحمل الحطب إلى دار فرعون {فاستغاثه الذى مِن شِيعَتِهِ} يعني: هذا الذي من شيعة موسى استغاث بموسى {عَلَى الذى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ موسى} يعني: ضربه بكفه ضربة في صدره.

وقال القتبي: {فَوَكَزَهُ} يعني: لكزه ويقال: لكزته ووكزته إذا دفعته {فقضى عَلَيْهِ} يعني: مات الخباز بضربته، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته، وقضيت عليه. فمعنى قوله: {فقضى عَلَيْهِ}، أي: قتله، ولم يتعمد قتله، وكان موسى شديد البطش، ثم ندم على قتله فقال: إني لم أؤمر بالقتل، وإن كان كافراً {قَالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشيطان} يعني: هو الذي حملني على هذا الفعل {إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ} يعني: يضل الخلق {مُّبِينٌ} يعني: ظاهر

العداوة، ثم استغفر إلى الله تعالى {فَقَالَ} موسى {رَبّ إِنّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فاغفر لِى فَغَفَرَ لَهُ} يعني: غفر الله ذنبه عز وجل {إِنَّهُ هُوَ الغفور} للذنوب لمن تاب {الرحيم} بخلقه

▲ تفسير الآيات رقم [17– 22]

{قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22)}

قَالَ موسى {رَبّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} يعني: بالمغفرة كقوله {قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لأُزَيّنَنَّ لَهُمْ فِى الارض وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: 39] يعني: أما إذا أغويتني ثم قال: {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لّلْمُجْرِمِينَ} يعني: أعوذ بالله أن أكون معيناً للكافرين، لأن الإسرائيلي كان كافراً، ولم يستثن على كلامه، فابتلاه الله عز وجل في اليوم الثاني، بمثل ذلك، وكانوا لا يعرفون من قتل خباز الملك، وكانوا يطلبون قاتله {فَأَصْبَحَ} موسى {فِى المدينة خَائِفاً} أن

يؤخذ فيقتل {يَتَرَقَّبُ} يعني: ينطتظر الطلب. ويقال: ينتظر الأخبار {فَإِذَا الذى استنصره بالامس يَسْتَصْرِخُهُ} يعني: رأى الإسرائيلي كان يقاتل مع رجل آخر من القبط يستصرخه يعني: يستغيثه كقوله: {وَقَالَ الشيطان لَمَّا قُضِىَ الامر إِنَّ اللهِ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحق وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِّن سلطان إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فاستجبتم لِى فَلاَ تَلُومُونِى ولوموا أَنفُسَكُمْ مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظالمين لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: 22] يعني: بمغيثكم {قَالَ لَهُ موسى} يعني: للإسرائيلي {إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ} يعني: ضال بيّن ويقال جاهل بين ويقال: ظاهر الغواية، وقد قتلت لك الأمس رجلاً، وتدعوني إلى آخر، ثم أقبل إليه، فظن الذي من شيعته أنه يريده، فذلك قوله تعالى: {فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بالذى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا} يعني: يريد أن يضرب القبطي، فظن الإسرائيلي أنه يريده بعد ما عاتبه. قرأ أبو جعفر المدني {يَبْطِشَ} بضم الطاء، وقراءة العامة بالكسر، ومعناهما واحد، فظن الإسرائيلي أن موسى يريد ضربه ف {قَالَ يَاءادَمُ *** موسى *** أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بالامس} وقال بعضهم: كان ذلك إبليس تشبه بالرجل الإسرائيلي، ليظهر أمر موسى. وقال بعضهم: كان ذلك الرجل بعينه. فقال ذلك الرجل من الخوف {إِن تُرِيدُ} يعني: ما تريد {إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِى الارض} يعني: قتالاً.

قال الكلبي: من قتل رجلين، فهو جبار. ويقال: إن من سيرة الجبابرة القتل بغير حق {وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ المصلحين} يعني: المطيعين لله تعالى.

فلما قال الإسرائيلي، هذا، علم القبطي أن موسى هو قاتل القبطي، فرجع القبطي، فأخبرهم أن موسى هو القاتل، فائتمروا بينهم بقتل موسى. قال: فأذن فرعون بقتله فجاء خزيلي، وهو مؤمن من آل فرعون، وأخبر موسى بذلك، فذلك قوله: {وَجَاء رَجُلٌ مّنْ أَقْصَى المدينة يسعى} يعني: من وسط المدينة يمشي على رجليه، ويقال: يسرع ويشتد في مشيته ف {قَالَ يَاءادَمُ *** موسى أَنِ *** الملا} يعني: الأشراف من أهل مصر {يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ} قال أبو عبيد: يعني: يتشاورون في أمرك.

وقال القتبي: يعني: يهمون بك ليقتلوك {فاخرج} من هذه المدينة {إِنّى لَكَ مِنَ الناصحين} قوله عز وجل: {فَخَرَجَ مِنْهَا} أي من مصر {خَائِفاً يَتَرَقَّبُ} يعني: ينتظر الطلب {قَالَ رَبّ نَجّنِى مِنَ القوم الظالمين} يعني: المشركين {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ} أي: بوجهه نحو مدين، وذلك أن موسى عليه السلام حين خرج وتوجه نحو مدين، وكان بينه وبين مدين ثمانية أيام، كما بين الكوفة والبصرة. ويقال: تلقاء مدين، يعني: سلك الطريق الذي تلقاء مدين ويقال: لما قال {رَبّ نَجّنِى مِنَ القوم الظالمين} استجاب الله تعالى دعاءه، فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بأن يسير تلقاء مدين، فسار إلى مدين في عشرة أيام وهو قوله: {قَالَ عسى رَبّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَاء السبيل} يعني: يرشدني قصد الطريق إلى مدين.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 25]

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25)}

قوله عز وجل: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ} ومدين بن إبراهيم عليهما السلام وكانت البير تنسب إليه الماء، وصار مدين اسم قبيلة {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً} أي: جماعة {مّنَ الناس يَسْقُونَ} أي وجد على الماء جماعة من الناس يسقون أنعامهم وأغنامهم. ويقال: هم أربعون رجلاً ويقال: عشرة رجال {وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ} يعني: من دون الناس {امرأتين تَذُودَانِ} أي: تطردان وقال سعيد بن جبير: يعني: حابستان ويقال تحسبان غنمهما. وقال القتبي: تذودان، أي تكفان غنمهما، وحذف الغنم اختصاراً. ويقال كانتا تحبسان الغنم لكيلا تختلط بغيرها. ويقال: تحسبان الغنم لتصدر مواشي الناس، وتسقيان بفضل الماء، ومما فضل من أغنام الناس، وهما ابنتا شعيب النبي عليه السلام {قَالَ} لهما موسى {مَا خَطْبُكُمَا} أي: ما شأنكما ترعيان الغنم مع الرجال، وما بالكما لا تسقيان {قَالَتَا لاَ نَسْقِى حتى يُصْدِرَ الرعاء} قرأ أبو عمرو وابن عامر {يُصْدِرَ} بنصب الياء، وضم الدال. وقرأ الباقون {يُصْدِرَ} بضم الياء، وكسر الدال، فمن قرأ بالنصب، فهو من مصدر صدر إذا رجع من الماء، ومعناه لا نسقي حتى يرجع الرعاء، ونسقي بفضلهم، لأنا لا نقدر أن نسقي،

وأن نزاحم الرجال، إذا صدروا سقينا بفضل مواشيهم، ومن قرأ {يُصْدِرَ} بالضم، فهو من أصدر يصدر، والمعنى حتى يصدر الرعاة أغنامهم {وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} لم يقدر على الخروج، وليس له عوناً يعينه غيرنا فرجع الرعاة ووضعوا صخرة على البئر، فانتهى موسى إلى البئر، وقد أطبقت عليها الصخرة، فاقتلعها ثم سقى لهما حتى روتا أغنامهما.

وقال في رواية الكلبي: كان للبئر دلو يجتمع عليه أربعون رجلاً حتى يخرجوه من البئر، فجاء موسى أهل الماشية، فسألهم أن يهيئوا له دلواً من الماء. فقالوا: إن شئت أعطيناك الدلو على أن تسقي أنت. قال: نعم، فأخذ موسى عليه السلام الدلو، فسقى بها وحده، فصب في الحوض، ثم قربتا غنمهما فشربت، فذلك قوله عز وجل: {فسقى لَهُمَا} يعني: أغنامهما {ثُمَّ تولى إِلَى الظل} يعني: تحول إلى ظل الشجرة {فَقَالَ رَبِّ إِنّى لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} أي: لما أنزلت إلي من الطعام، فأنا محتاج إلى ذلك أنه كان جائعاً، فسأل ربه، ولم يسأل الناس، ففطنت الجاريتان، فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه بالقصة. فقال أبوهما: هذا رجل جائع. وقال لإحداهما: اذهبي فادعيه، فلما أتته عظمته، وغطت وجهها فذلك قوله: {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى استحياء قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} قوله: {عَلَى استحياء}. يعني: على حياء، لأنها كانت مقنعة، ولم تك متبرجة.

ويقال: على استحياء. يعني: على حياء، لأنها كانت واضعة يدها على وجهها. ويقال {عَلَى استحياء}، أي مستترة بكم درعها. قال: فالوقف على

تمشي إذا كان قولها على الحياء، فأما إذا كان مشيها على الحياء، فالوقف على استحياء. والقول بالحياء أشبه من المشي بالحياء، فكيف ما يقف يجوز بالمعنى. فقالت: {إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا}، وكان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال. ويقال: أقل من ذلك، فتبعها فلم يجد بداً من أن يتبعها، لأنه كان بين الجبال خائفاً مستوحشاً، فلما تبعها هبت الريح، فجعلت تصفق ثيابها، وتظهر عجيزتها. وجعل موسى عليه السلام يعرض مرة، ويغض أخرى، فلما عيل صبره ناداها: يا أمة الله كوني خلفي، وأريني السمت بقولك. يعني: دليني الطريق، فلما دخل على شعيب عليه السلام إذا هو بالعشاء مهيأ، فقال له شعيب: اجلس يا شاب، فتعش. فقال موسى: أعوذ بالله. فقال له شعيب: لم لا تأكل أما أنت جائع؟ فقال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت، لا نبيع شيئاً من ديننا بملء الأرض ذهباً. فقال: لا يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي إنا نقري الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى فأكل، وأخبره بقصة القتل والهرب، فذلك قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القصص قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القوم الظالمين} يعني: خرجت من ولاية فرعون، ولا سلطان له في أرضنا. وقال في رواية الكلبي: كان هذا الرجل اسمه نيرون ابن أخي شعيب، وشعيب كان توفي قبل ذلك. وقال عامة المفسرين: إن هذا كان شعيباً.

▲ تفسير الآيات رقم [26- 29]

{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (28) فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29)}

قوله عز وجل: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا ياأبت ياأبت استجره} أي: قالت إحدى الابنتين التي جاءت به.

وقال في رواية مقاتل: هي الكبرى. وقال في رواية الكلبي: هي الصغرى {***يا أبت} استأجر موسى ليرعى لك الغنم {ياأبت استجره إِنَّ خَيْرَ مَنِ استجرت القوى الامين} يعني: خير الأجراء من يكون قوياً في العمل، أميناً على المال والعورة.

ثم قال: إيش تعلمين أنه قوي أمين بماذا؟ فأخبرته بالقصة. قال أبو الليث: حدّثنا محمد بن الفضل، قال حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا إبرهيم بن يوسف، قال حدّثنا أبو معاوية عن الحجاج. عن الحكم قال: كان سريع لا يفسر شيئاً من القرآن إلا ثلاث آيات {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إلا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ الذى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النكاح وَأَن تعفوا أَقْرَبُ للتقوى وَلاَ تَنسَوُاْ الفضل بَيْنَكُمْ إِنَّ الله بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 237] قال الزوج {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وءاتيناه الحكمة} [ص: 20] قال: الحكمة الفقه والعلم، وفصل الخطاب البينة والإيمان، وقوله: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ استجرت القوى الامين} قال: كانت قوته أن يحمل صخرة لا يقوى على حملها إلا عشرة رجال، وكانت أمانته أن ابنة شعيب مشت أمامه، فوصفتها الريح فقال لها: تأخري وصفي لي الطريق {قَالَ} شعيب لموسى عليهما السلام: {إِنّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابنتى هَاتَيْنِ على أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ} يعني: أزوجك إحدى ابنتي على أن ترعى غنمي ثمان سنين، وهذا الحكم في هذه الأمة جائز أيضاً، لو تزوج الرجل المرأة على أن يرعى غنمها كذا وكذا سنة، أو يرعى غنم أبيها، يجوز النكاح، ويكون ذلك مهراً لها {فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً} يعني: عشر سنين {فَمِنْ عِندِكَ} يعني: فإن أتممت عشر سنين فبفضلك، وليس ذلك بواجب عليك {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ} في السنتين يعني: أنت بالخيار في ذلك. ويقال: بأن أشرط عليك العشر {سَتَجِدُنِى إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصالحين} أي من الوافين بالعهد. وقال مقاتل: يعني: من المرافقين بك كقوله: {وواعدنا موسى ثلاثين لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ ميقات رَبّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ موسى لأَخِيهِ هارون اخلفنى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ المفسدين} [الأعراف: 142] يعني: ارفق بهم {قَالَ} موسى: {ذَلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الاجلين قَضَيْتُ} يعني: ذلك الشرط بيني وبينك أيما الأجلين أتممت لك، إما الثماني وإما العشر {فَلاَ عُدْوَانَ عَلَىَّ} أي: لا سبيل لك علي. ويقال: لا ظلم علي بأن أطالب أكثر منه، فإن قيل: كيف تجوز الإجارة بهذا الشرط على أحد الأجلين بغير وقت

معلوم؟ قيل له: العقد قد وقع على الثماني، وهو قوله: {أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ} خير في الزيادة والإجازة بهذا الشرط في الشريعة جائزة أيضاً، ثم قال: {والله على مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} يعني: شهيد فيما بيننا.

ويقال: شاهد على ما نقول، وعلى عقدنا.

وذكر مقاتل أن رجلاً من الأزد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما الأجلين قضى موسى؟ قال: «الله أَعْلَمُ» حتى سأل جبريل، فأتاه جبريل، فسأله. فقال: الله أعلم، حتى سأل إسرافيل عليه السلام فقال: الله أعلم، حتى اسأل رب العزة، فأوحى الله تعالى إلى إسرافيل عليه السلام أن قد قضى موسى أبرهما وأوفاهما.

وروي عن ابن عباس أنه قال: قضى موسى أتمَّ الأجلين، وقد كان شرطه له أن ما ولدت في ذلك العام ولداً أبلق، فهو له، فولدت في ذلك العام كلها بلقاً، فأخذ البلق مثل هذا الشرط في شريعتنا غير واجب، إلا أن الوعد من الأنبياء عليهم السلام واجب، فوفاه بوعده، فلما أراد أن يخرج قال لشعيب عليه السلام: يا شيخ أعطني عصا أسوق بها غنمي. فقال لابنته: التمسي له عصا، فجاءت بعصا شعيب. فقال شعيب عليه السلام: ردي هذه، وكانت تلك العصا أودعها إياه ملك في صورة إنسان، وكانت من عود آس الجنة، فردتها والتمست غيرها، فلم يقع في يدها غيرها، فأعطته، فخرج مع أهله فضل الطريق، وكانت ليلة باردة مظلمة، فذلك قوله تعالى: {فَلَمَّا قضى الاجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ} يعني: بِامرأتِهِ {إِنسٌ} يعني: أبصر {مِن جَانِبِ ***

الطور نَاراً قَالَ لِاهْلِهِ امكثوا} يعني: قفوا مكانكم {فَلَمَّا قضى مُوسَى الاجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءانَسَ} أي: خبر الطريق {أَوْ جَذْوَةٍ مّنَ النار} قرأ عاصم {جَذْوَةٍ} بنصب الجيم، وقرأ حمزة بضم الجيم، وقرأ الباقون بالكسر، فهذه لغات معناها واحد، وهو قطعة من النار. ويقال: شعلة، وهو عود قد احترق {لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} أي: لكي تصطلوا من البرد، فترك امرأته في البرية وذهب.

▲ تفسير الآيات رقم [30- 35]

{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ (31) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآَيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35)}

{فَلَمَّا أتاها} يعني: النار {نُودِىَ مِن شَاطِئ الوادى * الايمان} يعني: من جانب الواد الأيمن عن يمين موسى عليه السلام {فِى البقعة المباركة} يعني: من الموضع المبارك الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام {مِنَ

الشجرة أَن ياموسى *** موسى إِنّى **أَنَا الله رَبُّ العالمين} يعني: الذي يناديك رب العالمين. قوله عز وجل: {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ولى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقّبْ} وقد ذكرناه. قال الله تعالى: {يُعَقّبْ ياموسى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الامنين} يعني: من الحية يعني: قد آمنت أن ينالك منها مكروه {اسلك يَدَكَ} أي: أدخل يدك {فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء واضمم إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرهب} أي: يدك.

قال بعضهم: هذا ينصرف إلى قوله ولم يعقب من الرهب، أي: لم يلتفت من الخوف. ويقال: كان خائفاً، فأمره بأن يضم يده إلى صدره، ففعل حتى سكن عن قلبه الرعب.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {مِنَ الرهب} بنصب الراء والهاء، وقرأ عاصم في رواية حفص بنصب الراء، وجزم الهاء، والباقون {الرهب} بضم الراء، وجزم الهاء. ومعنى ذلك كله واحد، وهو الخوف. وقال بعضهم: هو الكريم. ثم قال: {فَذَانِكَ برهانان مِن رَّبّكَ} يعني: اليد والعصا آيتان وعلامتان من ربك وحجتان لنبوتك. قرأ ابن كثير وأبو عمرو. {فَذَانِكَ} بتشديد النون. وقرأ الباقون بالتخفيف، وهما لغتان، وهو الإشارة إلى شيئين. يقال للواحد: ذلك وذاك، والاثنين ذانك وذاناك. {إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} ومعناه: أرسلناك إلى فرعون بهاتين الآيتين {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: عاصين {قَالَ} موسى {رَبّ إِنّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} به {وَأَخِى هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّى لِسَاناً} يعني: أبين مني لساناً وكانت في لسان موسى عقدة من النار

التي أدخلها فاه {فَأَرْسِلْهِ مَعِىَ رِدْءاً} أي عوناً {يُصَدّقُنِى} يعني: لكي يصدقني، ويعبر عن كلامي. قرأ نافع {***رداً} بغير همز، والباقون بالهمز، فمن قرأ بالهمز، فهو الأصل، ومن قرأ بغير همز، فإنما ألقى فتحة الهمزة على الدال، وليّن الهمزة. وقرأ عاصم وحمزة {رِدْءاً يُصَدّقُنِى} بضم القاف، والباقون بالجزم، فمن قرأ بالجزم جعله جواب الأمر، ومن قرأ بالضم جعله صفة ردءاً أي ردءاً مصدقاً ثم قال: {إِنّى أَخَافُ أَن يُكَذّبُونِ} أي فرعون وقومه {قَالَ} الله تعالى: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} أي: نقويك بأخيك {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سلطانا} يعني: حجة ثانية، وهي اليد والعصا {فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا باياتنا} يعني: لا يقدرون على قتلكما {أَنتُمَا وَمَنِ اتبعكما الغالبون} يعني: من آمن بكما الغالبون في الحجة.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 38]

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)}

قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهُم موسى بئاياتنا بينات} يعني: جاء إلى فرعون وقومه بعلاماتنا، وذكر في رواية مقاتل أن فرعون لم يأذن لهما إلى سنة.

وقال في رواية السدي وغيره: أنه لما جاء إلى الباب، لم يأذن له البواب، فضرب عصاه على باب فرعون ضربة، ففزع من ذلك فرعون وجلساؤه، فدعا البواب وسأله، فأخبره أن بالباب رجلاً يقول: أنا رسول رب العالمين، فأذن له. فدخل فأدى الرسالة وأراهم العلامة. فقالوا هذا سحر، فذلك قوله عز وجل: {قَالُواْ مَا هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى} يعني: ما هذا الذي جئت به إلا كذب مختلق يعني: الذي جئت به ما هو إلا سحر قد اختلقته من ذات نفسك {وَمَا سَمِعْنَا بهذا فِى ءابَائِنَا الاولين *** وَقَالَ مُوسَى} قرأ ابن كثير بغير واو. وقرأ الباقون بالواو، فمن قرأ بالواو، فهو عطف جملة على جملة، ومن قرأ بغير واو، فهو استئناف قال موسى: {رَبّى أَعْلَمُ بِمَن جَاء بالهدى مِنْ عِندِهِ} يعني: أنا جئت بالهدى من عند الله {وَمَن تَكُونُ لَهُ عاقبة الدار} يعني: هو أعلم بمن تكون له الجنة والنار. ويقال: بمن يكون له عاقبة الأمر والدولة. قرأ حمزة والكسائي، {وَمِنْ *** يَكُونَ} بلفظ التذكير وقرأ الباقون {تَكُونُ} بلفظ التأنيث.

ثم قال: {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظالمون} يعني: لا يأمن الكافرون من عذابه {وَقَالَ فِرْعَوْنُ} لأهل مصر {فِرْعَوْنُ ياأيها الملا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إله غَيْرِى} فلا تطيعوا موسى وهذه إحدى كلمتيه التي أخذه الله بهما. والأخرى. {فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الاعلى} [النازعات: 24]. ثم قال: {فَأَوْقِدْ لِى ياهامان عَلَى الطين} أي: أوقد النار على اللبن حتى يصير آجراً. قال مقاتل: وكان فرعون أول من طبخ الآجر وبنى به {فاجعل لّى صَرْحاً} أي: قطراً طويلاً منه، وهو المنارة {لَّعَلّى أَطَّلِعُ} السماء {إلى إله موسى} يعني: وأقف عليه،

فبنى الصرح، وكان بلاطه خبث القوارير، وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله مخافة أن تنسفه الرياح، وكان طوله في السماء خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع، فلما فرغ من بنائه جاء جبريل عليه السلام فضرب جناحه على الصرح، فهدمه ثم قال تعالى: {وَإِنّي لاظُنُّهُ مِنَ الكاذبين} أي: أحسب موسى بما يقول أن في السماء إلهاً من الكاذبين.

▲ تفسير الآيات رقم [39– 45]

{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (41) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (42) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (43) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (45)}

قوله عز وجل: {واستكبر هُوَ وَجُنُودُهُ فِى الارض} يعني: استكبر فرعون عن الإيمان هو وقومه {بِغَيْرِ الحق} يعني: بغير حجة {وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ} يعني: وحسبوا أنهم {إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ} بعد الموت. قرأ نافع وحمزة والكسائي {لاَ يَرْجِعُونَ} بنصب الياء، وكسر الجيم. وقرأ الباقون بضم الياء، أي: لا يردون بمعنى التعدي قول الله تعالى: {فأخذناه وَجُنُودَهُ} يعني: عاقبناه وجنوده

{فنبذناهم فِى اليم} يعني: أغرقناهم في البحر وقال مقاتل في النيل {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة الظالمين} يعني: المشركين {وجعلناهم أَئِمَّةً} يعني: خذلناهم حتى صاروا قادة ورؤساء للضلال والجهال {يَدْعُونَ إِلَى النار} يعني: إلى عمل أهل النار. ويقال: إلى الضلالة التي عاقبتها النار {وَيَوْمَ القيامة لاَ يُنصَرُونَ} يعني: لا يمنعون من عذابي {وأتبعناهم فِى هَذِهِ الدنيا لَعْنَةً} أي: عقوبة وهو الغرق {وَيَوْمَ القيامة هُمْ مّنَ المقبوحين} أي: من المهلكين. والعرب تقول: قبحه الله أهلكه الله. ويقال: {وأتبعناهم فِى هَذِهِ الدنيا لَعْنَةً} وذلك أنهم لما أهلكوا لعنوا، فهم يعرضون على النار غدوة وعشية إلى يوم القيامة، ويوم القيامة هم من المقبوحين الممقوتين المهلكين. ويقال: {مّنَ المقبوحين}، أي: من المعذبين ويقال: إنه قبح صورتهم. ويقال: {مّنَ المقبوحين}، أي من: المشوهين.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب} يعني: أعطيناه التوراة {مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القرون الاولى} بالعذاب أي: من بعد قوم نوح وعاد وثمود {بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} يعني: هلاكهم بصيرة للناس وغيرهم. ويقال: بصائر. يعني: الكتاب بياناً لبني إسرائيل، ومعناه: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب *** بَصَائِرَ} أي مبيناً للناس {وهدى} من الضلالة لمن عمل به {وَرَحْمَةً} لمن آمن به من العذاب {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أي: لكي يتعظوا، فيؤمنوا بتوحيد الله {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الغربى} أي: ما كنت يا محمد بناحية الجبل من قبل المغرب {إِذْ قَضَيْنَا إلى مُوسَى الامر} يعني: إذ عهدنا إليه بالرسالة. ويقال: أحكمنا معه، وعمدنا إليه بأمرنا ونبينا {وَمَا كنتَ مِنَ الشاهدين} يعني: حاضرين

لذلك الأمر {وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العمر} أي الأجل فنسوا عهد الله ونسوا أمره {وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِى أَهْلِ مَدْيَنَ} أي مقيماً في أهل مدين {تَتْلُو عَلَيْهِمْ *** ءاياتنا} يعني: تتلو على أهل مكة القرآن يعني: أن الله تعالى أعلمك أخبار الأمم الماضية من حديث موسى وشعيب عليهما السلام ليكون علامة لنبوتكم حيث يخبرك بخبر موسى، ولم تكن حاضراً هناك، ولم تكن تقرأ القرآن {وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} إليك لتخبرها بخبر أهل مدين، وبخبر موسى. ويقال: {وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} يعني: أرسلناك رسولاً، وأنزلنا هذه الأخبار، لتخبرهم لولا ذلك لما علمتها.

▲ تفسير الآيات رقم [46– 50]

{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (46) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (47) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (48) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (49) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)}

قوله عز وجل: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطور} يعني: بناحية الجبل الذي كلّم الله به موسى. يعني: عن يمين موسى، ولولا ذلك {إِذْ نَادَيْنَا} يعني: كلمنا

موسى. ويقال: إذ نادينا أمتك، وذلك أن الله تعالى لما وصف نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأحب موسى أن يراهم قال الله تعالى لموسى: إنك لن تراهم وإن أحببت أسمعتك كلامهم، فأسمعه الله تعالى كلامهم، وقال أبو هريرة رضي الله عنه معنى قوله: {إِذْ نَادَيْنَا} يعني: نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني، واستجبت لكم قبل أن تدعوني.

وروى أن عمر عن ابن مدرك عن أبي زرعة قال: نرفع الحديث في قوله: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطور إِذْ نَادَيْنَا}. قال: نودي يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني. وعن عمرو بن شعيب قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطور إِذْ نَادَيْنَا} ما كانَ النِّدَاءُ، وَمَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ قَالَ: «كِتَابٌ كَتَبَهُ الله تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ بألْفَيْ عَامٍ، وَسِتّمائَةِ عَامٍ عَلَى وَرَقَةِ أمْنٍ، ثُمَّ وَضَعَهُ عَلَى عَرْشِهِ، ثُمَّ نَادَى يا أمَّةَ مُحَمَّدٍ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، أَعْطَيْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي، وَغَفَرْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُونِي، فَمَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إله إلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ أَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ». ثم قال: {ولكن رَّحْمَةً مّن رَّبِكَ} يعني: القرآن نعمة من ربك حيث اختصصت به نصب رحمة، لأن معناه فعلنا ذلك للرحمة، كقوله: فعلت ذلك ابتغاء الخير، يعني: لابتغاء الخير ثم قال: {لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أتاهم} يعني: لم يأتهم {مّن نَّذِيرٍ مّن قَبْلِكَ} يعني: لم يأتهم رسول من قبلك، وهم أهل مكة {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} يعني: لكي يتعظوا. قوله عز وجل: {وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ} يعني: عقوبة ونقمة، وفي الآية تقديم ومعناها لولا أن يقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً، فنتبع آياتك، ونكون

من المؤمنين لعذبوا في الدنيا، ولأصابتهم مصيبة {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} وهذا هو قول مقاتل. ويقال: معناه لولا أن يصيبهم عذاب {فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءاياتك وَنَكُونَ مِنَ المؤمنين} لعذبوا في الدنيا، فيكون جوابه مضمراً. ويقال: معناه لو إني أهلكتهم قبل إرسالي، لقالوا يوم القيامة: {رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءاياتك} أي: يقولوا: ولولا ذلك لم نحتج إلى إرسال الرسل، فأرسلناك لكي لا يكون لهم حجة علي، ثم قال عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهُمُ الحق مِنْ عِندِنَا} يعني: الكتاب والرسل {قَالُواْ لَوْلا أُوتِىَ مِثْلَ مَا أُوتِىَ موسى} من قبل يعني هلا أعطي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن جملة واحدة، كما أعطي موسى التوراة جملة يقول الله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَا أُوتِىَ موسى مِن قَبْلُ} يعني: بالتوراة، فقد كفروا بآيات موسى، كما كفروا بآيات محمد صلى الله عليه وسلم {قَالُواْ سِحْرَانِ تظاهرا} يعني: تعاونا، وذلك أن أهل مكة سألوا اليهود عنه فأخبروهم أنهم يجدون في كتبهم نعته وصفته فأمروهم بأن يسألوه عن أشياء فلما أجابهم.

قالوا: ساحران تظاهرا {وَقَالُواْ إِنَّا بِكُلّ كافرون} يعني: جاحدين قرأ حمزة والكسائي وعاصم {سِحْرَانِ} بغير ألف، عنوا محمداً وموسى عليهما السلام ويقال: التوراة والفرقان. ويقال: التوراة والإنجيل. وقال سعيد بن جبير: يعني موسى وهارون عليهما السلام ويقال: موسى وعيسى عليهما السلام واحتج من يقرأ بغير ألف بما في سياق الآية. {قُلْ فَأْتُواْ بكتاب مّنْ عِندِ الله هُوَ أهدى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ} واحتج من قرأ بالألف بقوله تعالى: {تَظَاهَرَا} تعاونا، والتظاهر يكون بالناس يقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قل لهم

فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه، يعني: من التوراة، والقرآن أتبعه، أي أعمل به {إِن كُنتُمْ صادقين} بأنهما ساحران {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ} يعني: إن لم يجيبوك إلى الإثبات بالكتاب {فاعلم أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ} بعبادة الأوثان. ويقال: يؤثرون أهواءهم على الدين {وَمَنْ أَضَلُّ} يعني: ومن أضر بنفسه {مِمَّنْ اتبع هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مّنَ الله} يعني: بغير بيان من الله {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} يريد كفار مكة يعني: لا يرشدهم إلى دينه.

▲ تفسير الآيات رقم [51– 55]

{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (51) الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (55)}

قوله: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القول لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أي: ينالهم في القرآن خبر الأمم الماضية، كيف عذبوا لعلهم يتذكرون، أي لكي يخافوا فيؤمنوا بما في القرآن ويقال: ولقد وصلنا لهم القول، أي: وصلنا لهم الكتب بعضها ببعض، يعني بعضها على إثر بعض. ويقال: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا} أي: أوصلنا لهم القول. يعني: أنزلنا لهم القرآن آية بعد آية أنه هداية، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} يعني: لكي يتعظوا. ثم وصف مؤمني أهل الكتاب فقال: {الذين ءاتيناهم الكتاب مِن قَبْلِهِ} يعني: من قبل القرآن {هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ} يعني: مؤمني أهل الكتاب، وهم

أربعون رجلاً من أهل الإنجيل، كانوا مسلمين قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم اثنان وثلاثون من أهل أرض الحبشة، قدموا مع جعفر الطيار، وثمانية من أهل الشام. ويقال: إنهم ثمانية عشر رجلاً {وَإِذَا يتلى عَلَيْهِمْ} يعني: القرآن {قَالُواْ ءامَنَّا بِهِ} أي صدقنا {إِنَّهُ الحق مِن رَّبّنَا} يعني: القرآن، وذلك أنهم عرفوا بما ذكر في كتبهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وكتابه فقالوا: {إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} يعني: من قبل هذا القرآن، ومن قبل محمد صلى الله عليه وسلم كنا مخلصين {أُوْلَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ} يعني: يعطون ثوابهم ضعفين مرة بكتابهم، ومرة بإيمانهم بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم {بِمَا صَبَرُواْ} يعني: بصبرهم على ما أوتوا. ويقال: بما صبروا، أي بصبرهم على دينهم الأول، وبما صبروا على أذى المشركين، فصدقوا وثبتوا على إيمانهم. حيث قال لهم أبو جهل وأصحابه: ما رأينا أحداً أجهل منكم، تركتم دينكم، وأخذتم دينه. فقالوا: ما لنا لا نؤمن بالله، فذلك قوله عز وجل: {وَيَدْرَءونَ بالحسنة السيئة} أي: يدفعون قول المشركين بالمعروف. ويقال: يدفعون الشرك بالإيمان. ويقال: يدفعون بالكلام الحسن الكلام القبيح. ويقال: يدفعون ما تقدم لهم من السيئات بما يعملون من الحسنات {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} يعني: يتصدقون. قوله عز وجل: {وَإِذَا سَمِعُواْ اللغو أَعْرَضُواْ عَنْهُ} يعني: إذا سمعوا الشتم والأذى والكلام القبيح لم يردوا عليهم، ولم يكافئوهم به ولم يلتفتوا إليه، يعني: إذا شتمهم الكفار لم يشتغلوا بمعارضتهم بالشتم {وَقَالُواْ لَنَا أعمالنا} يعني: ديننا {وَلَكُمْ أعمالكم} يعني: دينكم {سلام عَلَيْكُمْ} يعني: وردوا معروفاً عليهم ليس

هذا تسليم التحية، وإنما هو تسليم المتاركة والمسالمة، أي: بيننا وبينكم المتاركة والمسالمة، وهذا إن يؤمر المسلمون بالقتال. ويقال: السلام عليكم. يعني: أكرمكم الله تعالى بالإسلام {لاَ نَبْتَغِى الجاهلين} أي: لا نطلب دين الخاسرين، ولا نصحبهم. ويقال: هذه الآية مدنية نزلت في شأن عبد الله بن سلام.

وروى أسباط عن السدي قال: لما أسلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقال يا رسول الله: ابعث إلى قومي فاسألهم عني فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فستر بينهم وبينه ستراً. وقال: «أَخْبِرُونِي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلامٍ كَيْفَ هُوَ فِيكُمْ؟» قالوا: ذاك سيدنا وأعلمنا. قال: «أَرَأَيْتُمْ إنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي أَتُؤْمِنُونَ بِي وَتُصَدِّقُونِي؟» قالوا: هو أفقه من أن يدع دينه ويتبعك. قال: «أَرَأَيْتُمْ إنْ فَعَلَ؟» قالوا: لا يفعل. قال: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ فَعَلَ؟» قالوا: إنه لا يفعل، ولو فعل إذاً نفعل. فقال عليه السلام: «أَخْرُجْ يا عَبْدَ الله». فخرج. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فوقعوا فيه، وشتموه وقالوا: ما فينا أحد أقل علماً، ولا أجهل منك. قال: «أَلَمْ تُثْنُوا عَلَيْهِ آنِفاً؟» قالوا: إنا استحينا أن نقول اغتبتم صاحبكم، فجعلوا يشتمونه وهو يقول: {سلام عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِى الجاهلين} فقال: ابن يامني، وكان من رؤساء بني إسرائيل أشهد أن عبد الله بن سلام صادق، فابسط يدك يا محمد، فبسط يده، فبايع ابن يامني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل: {الذين ءاتيناهم الكتاب مِن قَبْلِهِ} إلى قوله: {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} وإلى قوله: {لاَ نَبْتَغِى الجاهلين}.

▲ تفسير الآيات رقم [56– 60]

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56) وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (57) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (58) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (59) وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)}

قوله عز وجل: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} يعني: لا ترشد من أحببته إلى الهدى. ويقال: من أحببت هدايته إلى دينك، وذلك أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا عَمَّاهُ قُلْ لا إله إلا الله كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله تَعَالَى». فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه ويكلمه النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات على الكفر فنزل {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} بهدايته {ولكن الله يَهْدِى مَن يَشَاء} يعني: يرشد من يشاء إلى دينه {وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين} يعني: بمن قدر له الهدى.

قوله عز وجل: {وَقَالُواْ} يعني: مشركي مكة {إِن نَّتَّبِعِ الهدى مَعَكَ} يعني: الإيمان بك {نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} يعني: نسبى ونخرج من مكة لإجماع العرب على خلافنا، وهذا قول الحارث بن عامر النوفلي حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما كذبت كذبة قط، فنتهمك اليوم، ولكن متى ما نؤمن بك فتحسنا العرب من أرضنا يقول الله تعالى: {وَقَالُواْ إِن نَّتَّبِعِ الهدى مَعَكَ} يعني: أولم ننزلهم مكة حرماً أميناً يعني: كان الحرم أمناً لهم في الجاهلية من القتل والسبي، وهم يعبدون غيري، فكيف يخافون إن أسلموا أن لا يكون الحرم أمناً لهم؟ فذلك قوله: {أَوَلَمْ نُمَكّن لَّهُمْ} يعني أولم ننزلهم مكة حرماً آمناً من الغارة والسبي {يجبى إِلَيْهِ} بالياء يعني: يحمل إليه {ثَمَرَاتُ كُلّ شَئ} أي: من ألوان الثمرات قرأ نافع {***تجبى} بالتاء لأن الثمرات مؤنثة. وقرأ الباقون بالياء لتقديم الفعل ثم قال: {شَئ رّزْقاً مّن لَّدُنَّا} أي: من عندنا {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} يأكلون رزقي، ويعبدون غيري، وهم آمنون في الحرم ويقال لا يعلمون أن ذلك من فضل الله عليهم.

ثم خوفهم فقال تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ} فيما مضى {بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} كفرت برزق ربها ذكر القرية، وأراد به أهل القرية يعني: أنهم كانوا ينقلبون في رزق الله تعالى: فلم يشكروه في نعمته. ويقال: بطرت معيشتها يعني: طغوا في نعمة الله، فأهلكهم الله تعالى بالعذاب في الدنيا. ويقال: عاشوا في البطر وكفران النعم {فَتِلْكَ مساكنهم} يعني: انظروا واعتبروا في بيوتهم وديارهم بقيت خالية {لَمْ تُسْكَن مّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً} وهم المسافرون ينزلون بها يوماً أو ساعة {وَكُنَّا نَحْنُ الوارثين} أي: نرث الأرض ومن عليها {وَمَا

كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القرى} يعني: لم يعذب أهل القرى {حتى يَبْعَثَ فِى أُمّهَا رَسُولاً} يعني: معظمها ويقال: في أكبر قراها.

ويقال: أم القرى مكة. قرأ حمزة والكسائي {فِى أُمّهَا} بكسر الألف. والباقون بالضم، ومعناهما واحد يبعث في أمها رسولاً {يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءاياتنا} يعني: القرآن {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى القرى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظالمون} يعني: لم نهلكها إلا بظلم أهلها.

ثم قال عز وجل: {وَمَا أُوتِيتُم مّن شَئ} يعني ما أعطيتم من مال. ويقال: ما أعطيتم من الدنيا، فهو {فمتاع الحياة الدنيا} يعني: فهو متاع الحياة الدنيا، ينتفعوا بها أيام حياتهم {وَزِينَتَهَا} يعني: وزهراتها ولا تبقى دائماً {وَمَا عِندَ الله} من الثواب والجنة {خَيْرٌ وأبقى} يعني: أفضل وأدوم لأهله مما أعطيتم في الدنيا {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أن الباقي خير من الفاني. قرأ عمرو {يَعْقِلُونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة.

▲ تفسير الآيات رقم [61- 66]

{أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (63) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ

(64) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66)}

قوله عز وجل: {أَفَمَن وعدناه وَعْداً حَسَناً} يعني: الجنة {فَهُوَ لاَقِيهِ} يعني: مدركه ومصيبه {كَمَن مَّتَّعْنَاهُ متاع الحياة الدنيا} بالمال {ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القيامة مِنَ المحضرين} في النار هل يستوي حالهما؟ قال في رواية الكلبي: نزل في عمار بن ياسر، وأبي جهل بن هشام وقال غيره: هذا في جميع المؤمنين، وجميع الكافرين ويقال نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم، وفي أبي جهل، يعني: من كان له في هذه الدنيا عدة مع دين الله، خير ممن كان له سعة وفرج مع الشرك، ثم هو يوم القيامة من المحضرين. يعني: من المعذبين في النار. وقال عز وجل: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} يعني: واذكر يوم يدعوهم يعني: المشركين {فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذين} يعني: المشركين: {كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} لهم شركاتي في الدنيا {قَالَ الذين حَقَّ عَلَيْهِمُ القول} وجبت عليهم الحجة فوجب عليهم العذاب ويقال وجب عليهم القول وهو قوله {قَالَ اخرج مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ}
[الأعراف: 18] {رَبَّنَا هَؤُلاء الذين أَغْوَيْنَا أغويناهم} يعني: القادة يقولون ربنا هؤلاء الذين أضللنا يعني: السفلة أغويناهم {كَمَا غَوَيْنَا} أي: أضللناهم كما كنا ضالين. ويقال: يقول الكافرون {رَبَّنَا هَؤُلاء الذين أَغْوَيْنَا} يعني: الشياطين. فقالت الشياطين: أغويناهم. يعني: أضللناهم كما غوينا، أي أضللنا {تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ} من عبادتهم {مَا كَانُواْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} يعني: ما كانوا يأمرونا بعبادة الآلهة {وَقِيلَ} للكفار {ادعوا * شُرَكَائِكُمْ} يعني آلهتكم التي

تعبدون من دون الله {فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ} يقول الله عز وجل: {وَرَأَوُاْ العذاب لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ} يعني: يودون لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا. ويقال: يودون أن لم يكونوا اتبعوهم. فدعوهم فلم يستجيبوا لهم، أي: لم يجيبوهم بحجة تنفعهم فيودون أنهم لم يعبدوهم لما رأوا العذاب. ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} يعني: يسألهم يوم القيامة {فَيَقُولُ مَاذَا * لَمِنَ المرسلين} في التوحيد {فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الانباء} يعني: ألبست عليهم الحجج {يَوْمَئِذٍ} من الهول {فَهُمْ لاَ يَتَسَاءلُونَ} يعني: لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتجون به، رجاء أن يكون عنده من الحجة ما لم يكن عند غيره، لأن الله تعالى أدحض حجتهم، وفي الدنيا إذا اشتبهت عليه الحجة، ربما يسأل عن غيره، فيلقنه الحجة، وفي الآخرة آيس من ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [67– 75]

{فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67)
وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ (68) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (69) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآَخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70) قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ
بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72)
وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ (73) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (74) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (75)}

ثم قال الله عز وجل: {فَأَمَّا مَن تَابَ وَءامَنَ} يعني: من الشرك {وَعَمِلَ صالحا} فيما بينه وبين الله تعالى {فعسى أَن يَكُونَ مِنَ المفلحين} أي: من الناجين الفائزين بالخير. قوله عز وجل: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ} وذلك أن الوليد بن المغيرة كان يقول: {وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هذا القرءان على رَجُلٍ مِّنَ القريتين عَظِيمٍ} [الزخرف: 31] يعني به نفسه وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف فقال تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ} للرسالة من يشاء {مَا كَانَ لَهُمُ الخيرة} يعني: ليس [الخيار إليهم. ويقال: هو ربك يخلق ما يشاء، ويختار لهم ما يشاء، {مَا كَانَ لَهُمُ الخيرة}، أي ما كان لهم طلب الخيار، والأفضل. ويقال: ما كان لبعضهم على بعض فضل، والله تعالى هو الذي يختار. وقال الزجاج: الوقف على قوله، {وَيَخْتَارُ}. والمعنى وربك يخلق ما يشاء، ويختار. ثم قال: {مَا كَانَ لَهُمُ الخيرة}، أي لم يكن لهم أبداً يختاروا على الله، ويكون ما للنفي. قال: ووجه آخر أن تكون بمعنى الذي يعني، وربك يخلق ما يشاء، ويختار الذين لهم الخيرة أن يدعوهم إليه من عبادته، ما لهم فيه الخيرة. ويقال: ما كان لهم الخيرة. يعني: ليس لهم أن يختاروا على الله عز وجل، وليس إليهم الاختيار، والمعنى لا نرسل الرسل إليهم على اختيارهم.

ثم قال: {سبحان الله} أي تنزيهاً لله {وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} يعني: ما تضمر وتسر قلوبهم {وَمَا يُعْلِنُونَ} من القول {وَهُوَ الله لا إله إِلاَّ هُوَ} يعني: لا خالق ولا رازق غيره {لَهُ الحمد فِى الاولى والاخرة} أي: في الدنيا والآخرة، وقال مقاتل: يعني يحمده أولياؤه في الدنيا، ويحمدونه في الجنة ويقال: له الألوهية في الدنيا والآخرة، وله الحكم، يعني نفاذ الحكم، والقضاء يحكم في الدنيا والآخرة بما يشاء {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم. قوله عز وجل: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ الله} يعني: ألا تنظرون إلى نعمة الله تعالى في خلق الليل والنهار لمصلحة الخلق، فلو جعل {عَلَيْكُمُ اليل سَرْمَداً} أي دائماً {إلى يَوْمِ القيامة مَنْ إله غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِضِيَاء أَفَلاَ تَسْمَعُونَ} المواعظ، وتعتبرون بها. قوله عز وجل: {قُلْ أَرَءيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ النهار سَرْمَداً إلى يَوْمِ القيامة} يعني: دائماً {مَنْ إله غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ} يعني: تقرّون تريحون فيه {أَفلاَ تُبْصِرُونَ} من يفعل ذلك بكم، لأن العيش لا يصلح إلا بالليل والنهار، فأخبر عن صنعه لمصلحة الخلق، ليشكروه ويوحدوه ويعبدوه فقال: {وَمِن رَّحْمَتِهِ} أي ومن نعمته وفضله {جَعَلَ لَكُمُ اليل والنهار لِتَسْكُنُواْ فِيهِ} يعني: في الليل وجعل لكم النهار {وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} يعني: لتطلبوا من رزقه في النهار {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي: تشكرون رب هذه النعمة.

ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} يعني: {أَنذَرَهُمْ} بذلك اليوم ويقال: معناه اذكر ذلك اليوم الذي يناديهم أي: يدعوهم {فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِىَ الذين كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} أنها لي شريك {وَنَزَعْنَا مِن كُلّ أُمَّةٍ شَهِيداً} أي: أخرجنا من كل

أمة نبيها ورسولها {شَهِيداً} بالرسالة والبلاغ {فَقُلْنَا} للمشركين {هَاتُواْ برهانكم} أي: حجتكم بأن معي شريكاً، فلم يكن لهم حجة {فَعَلِمُواْ أَنَّ الحق لِلَّهِ} يعني: أن عبادة الله هي الحق. ويقال: علموا أن التوحيد لله. ويقال: إن الحق ما دعا إليه الله، وأتاهم به الرسول {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} يعني: اشتغل عنهم بأنفسهم ما كانوا يفتدون، يعني: يكذبون في الدنيا يعني: الأصنام. ويقال: يعني الشياطين. ويقال: وضلّ عنهم ما كانوا يفترون، يعني: تشفعوا بما عبدوه من دون الله.

▲ تفسير الآيات رقم [76- 82]

{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ
لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ
(76) وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ
(77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ
الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ
(78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ
ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80)
فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)}

قوله عز وجل: {إِنَّ قارون كَانَ مِن قَوْمِ موسى} يعني: من بني إسرائيل. ويقال: كان ابن عم موسى {فبغى عَلَيْهِمْ} يعني: تطاول وتكبر على بني إسرائيل، وكان فرعون قد ملكه على بني إسرائيل حين كانوا بمصر، فلما قطع موسى البحر ببني إسرائيل، ومعه قارون فأغرق الله تعالى فرعون وجنوده ورجع موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى أرض مصر، وسكنوا ديارهم كما قال في رواية أُخرى {كَذَلِكَ وأورثناها بنى إسراءيل} [الشعراء: 59] وجعلت جنوده لهارون، وهو الرأس، والذي بقرب القربان فقال قارون لموسى: لك النبوة، ولهارون الحبورة، والمذبح، وأنا لست في ذلك من شيء. فقال له موسى: أنا لم أفعل ذلك، ولكن الله تعالى فعل ذلك. فقال له قارون: لا أصدقك على ذلك، واعتزل قارون ومن تبعه من بني إسرائيل، وكان كثير المال والتبع.

وروي عن الحسن أنه قال: أول من شرف الشرف قارون، لما بنى داره وفرغ منها، وشرفها صنع للناس طعاماً سبعة أيام، يجمعهم كل يوم ويطعمهم.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لما أمر الله تعالى موسى بالزكاة قال لقارون: إن الله أمرني أن آخذ من مالك الزكاة، فأعط من كل مائتي درهم خمسة دراهم، فلم يرض بذلك فقال له: اعط من كل ألف درهم درهماً، فلم يرض بذلك. وقال لبني إسرائيل: إن موسى لم يرض حتى تناول أموالكم،

فما ترون؟ قالوا: رأينا لرأيك تبع. قال: فإني أرى أن ترموه فتهلكوه، فبعثوا إلى امرأة زانية، فأعطوه حكمها على أن ترميه بنفسها، ثم أتوه في جماعة بني إسرائيل. فقالوا: يا موسى ما على من يسرق من الحد. قال: تقطع يده. قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قالوا: وما على الزاني إذا زنى؟ قال: يرجم. قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قالوا: فأنت قد ازنيت. قال: أنا وجزع من ذلك، فأرسلوا إلى المرأة، فلما جاءت وعظها، وعظم عليها موسى الحلف بالله، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت. قالت: أما إذا حلفتني، فإني أشهد أنك بريء، وإنك رسول الله. وقالت: أرسلوا إليَّ فأعطوني حكمي على أن أرميك بنفسي. قال: فخرّ موسى عليه السلام لله ساجداً يبكي، فأوحى الله تعالى إليه ما يبكيك قد أمرت الأرض أن تطيعك، فأمرها بما شئت. فقال موسى: خذيهم، فأخذتهم.

وقال في رواية الحسن: خرج موسى عليه السلام مغضباً. فدعى الله عز وجل. وقال: عبدك قارون الذي عبد غيرك دونك وجحدك، فأوحى الله تعالى إلى موسى إني قد أمرت الأرض، بأن تطيعك، فجاء موسى حتى دخل إلى قارون حين اجتمع الناس في داره.

فقال: يا عدو الله كذبتني بكلام له غيظ، حتى غضب قارون، وأقبل عليه بكلام شديد، وهّم به. فلما رأى موسى ذلك قال: يا أرض خذيهم. قالوا: وكان قارون على فرش على سرير مرتفع في السماء، فأخذت الأرض

أقدامهم، وغاب سريره ومجلسه، وقد دخل من الدار في الأرض مثل ما أخذت منهم على قدرها، فأقبل موسى يوبخهم، ويغلظ لهم المقالة، فلما رأى القوم ما نزل بهم، عرفوا أن هذا الأمر ليس لهم به قوة، فنادوا: يا موسى كف عنا، وارحمنا، وجعلوا يتضرعون إليه، ويطلبون رضاه، وهو لا يزداد إلا غضباً وتوبيخاً لهم ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يتضرعون إليه، ويسألونه، وهو يوبخهم ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أوساطهم، وكانت الأرض تأخذ من الدار كل مرة مثل ما تأخذ منهم، وهم يتضرعون في ذلك إلى موسى، ويسألونه. ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى آباطهم، فمدوا أيديهم إلى وجه الأرض رجاء أن يمتنعوا بها. ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فلم يبق على وجه الأرض منهم شيء إلا رؤوسهم، ولم يبق من الدار إلا شرفها. وقال قارون: يا موسى أنشدك بالله وبالرحم. فقال: يا أرض خذيهم، فاستوت الأرض عليهم، وعلى الدار، فانطلق موسى، وهو فرح بذلك، فأوحى الله تعالى إلى موسى، يا موسى يتضرع إليك عبادي، ودعوك وسألوك، فلم ترحمهم، أما وعزتي وجلالي لو أنهم سألوني، واستغاثوا بي لرحمتهم، ولكن تركوا أن يجعلوا رغبتهم ورجاءهم إلي، وجعلوها إليك، فتركتهم فذلك قوله تعالى: {إِنَّ قارون كَانَ مِن قَوْمِ موسى فبغى عَلَيْهِمْ} يعني: تطاول على بني إسرائيل، وعلى موسى {إِنَّ قارون كَانَ} يعني: من المال {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ} يعني: خزائنه {إِنَّ قارون} قال مقاتل: العصبة من العشرة إلى أربعين، فإذا كانوا أربعين، فهم أولو قوة يقول: لتعجز العصبة أولو القوة عن حمل مفاتيح الخزائن.

وقال أهل اللغة: ناء به الحمل إذا أثقله. وقال القتبي: تنوء بالعصبة، أي تميل بها العصبة، أي تميل بهم العصبة إذا حملتها من ثقلها، وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: العصبة في هذا الموضوع أربعون رجلاً، وخزائنه كانت أربعمائة ألف ما يحمل كل رجل منهم عشرة آلاف إلا أن ويقال {مَّفَاتِحهُ} يعني: مفاتيح خزائنه يحملها أربعون رجلاً. ويقال: أربعون بغلاً.

وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة قال: كان مفاتيح كنوز من جلد كل مفتاح مثل الإصبع، كل مفتاح على خزانة على حدة، فإذا ركب حمل المفاتيح على ستين بغلاً كل بغل أغر محجل {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} يعني: بني إسرائيل {لاَ تَفْرَحْ} يعني: لا تفخر بما أديت من الأموال.

ويقال: لا تفرح بكثرة المال {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفرحين} يعني: المرحين المفاخرين. ويقال: البطرين ويقال: لا تفرح أي: لا تأشر والأشر أشد الفرح الذي يخالطه حرص شديد حتى يبطر، يعني: يطغى وقالوا له: {وابتغ فِيمَا ءاتَاكَ الله} يعني: اطلب مما أعطاك الله من الأموال والخير {الدار الاخرة وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدنيا} يعني: لا تترك حظك من الدنيا أن تعمل لآخرتك {وَأَحْسَنُ} العطية من الصدقة والخير {كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ} يعني: أعط الناس كما أعطاك الله. ويقال: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك {وَلاَ تَبْغِ الفساد فِى الارض} يعني: أنفقه في طاعة الله، ولا تنفقه في معصية الله {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ المفسدين} أي: المنفقين في المعصية. وقوله:

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك في الدنيا، أي: لا تضيع عمرك، فإنه نصيبك من الدنيا {قَالَ} قارون {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ عِندِى} قال مقاتل: أي على خير علمه الله عندي. وقال في رواية الكلبي: يعني: علم التوراة، وكان قارون أقرأ رجل في بني إسرائيل في التوراة، فأعطيت ذلك لفضل علمي، وكنت بذلك العلم ومستحقاً بفضل المال. ويقال: على علم عندي. يعني: علم الكيمياء، وكان يعمل كيمياء الذهب. وقال الزجاج: الطريق الأول أشبه، لأن الكيمياء لا حقيقة لها، يقول الله تعالى: {أَوَ لَمْ ** يَعْلَمْ أَنَّ الله} تعالى {قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القرون مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً} من الأموال منهم: نمرود وغيره {وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ المجرمون} يعني: لا يسأل الكافرون عن ذنوبهم، لأن كل كافر يعرف بسيماه، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: لا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية وقيل: لا يسأل الكافرون يوم القيامة عن ذنوبهم سؤال النجاة، بل يسألون سؤال العذاب والمناقشة.

قوله عز وجل: {فَخَرَجَ على قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ} يعني: خرج قارون على بني إسرائيل. قال مقاتل: وهو على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليها أرجوان، ومعه أربعة آلاف فارس، وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثمائة جارية بيضاء، عليهن من الحلل والثياب الحمر على البغال الشهب. وقال قتادة: خرج معه أربعة آلاف دابة عليها ثياب حمر، منها ألف بغلة بيضاء عليها قطائف أرجوان. وقال في رواية الكلبي خرج على ثلاثمائة دابة بيضاء عليها نوع من الكساء وعليها ثلثمائة قطيفة حمراء

عليها جواري وغلمان {قَالَ الذين يُرِيدُونَ الحياة الدنيا} وكانوا من أهل التوحيد {الدنيا ياليت لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قارون} يعني: مثل ما أعطي من الأموال قارون {إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} يقول: ذو نصيب وافر في الدنيا.

قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين أُوتُواْ العلم} يعني: أكرموا بالعلم بما وعد الله في الآخرة للذين تمنوا ذلك {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ} يعني: ويحكم ثواب الله في الآخرة خير يعني: أفضل {لِمَنْ ءامَنَ} يعني: صدق بتوجيه الله تعالى {وَعَمِلَ صالحا} فيما بينه وبين الله تعالى مما أعطى قارون في الدنيا {وَلاَ يُلَقَّاهَا} يعني: ولا يلقن ولا يوقف ويرزق في الجنة {إِلاَّ الصابرون} في الدنيا على أمر الله تعالى. ويقال: {وَلاَ يُلَقَّاهَا}، أي لا يعطى الأعمال الصالحة إلاَّ الصابرون على الطاعات وعن زينة الدنيا. ويقال: ولا يلقاها، يعني: ولا يلقن بهذه الكلمة إلاَّ الصابرون عن زينة الدنيا يقول الله تعالى {فَخَسَفْنَا بِهِ} يعني: قارون {وَبِدَارِهِ الارض} يعني: بقارون وبداره وأمواله، فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل إلى يوم القيامة {فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله} يعني: لم يكن له جنة وأعوان يمنعونه من عذاب الله عز وجل {وَمَا كَانَ مِنَ المنتصرين} يعني: وما كان قارون من الممتنعين مما نزل به من عذاب الله. قوله عز وجل: {وَأَصْبَحَ الذين تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ بالامس} حين رأوه في زينته وقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون {يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ الله} قال القتبي: قد اختلف في هذه اللفظة. فقال الكسائي: معناها ألم تر أن الله يبسط، ويكأنه يعني: ألم تر أنه لا يفلح الكافرون.

روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه قال: {وَيْكَأَنَّ اللهَ}، يعني: أو لا يعلم أن الله {يَبْسُطُ} وهذا شاهد لقول الكسائي. وذكر الخليل بن أحمد أنها مفصولة وي ثم يبتدئ فيقول: كأن الله. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: كان الله يبسط {الرزق لِمَن يَشَاء} كأنه لا يفلح الكافرون. وقال وي صلة في الكلام، وهذا شاهد لقول الخليل. وقال الزجاج: الذي قاله الخليل أجود، وهو أن قوله وي مفصولة من كان، لأن من يدم على شيء يقول: وي يعاتب الرجل على ما سلف يقول: وي كأنك قصدت مكروهاً. وقال مقاتل: معناه ولكن الله يبسط الرزق لمن يشاء {مِنْ عِبَادِهِ} يعني: يوسعه على من يشاء من عباده {وَيَقْدِرُ} يعني: يقتر ويقال: ويضيق على من يشاء يعني: لولا أن الله منَّ علينا لكنا مثل قارون في العذاب {لَوْلا أَن مَّنَّ الله عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا} معهم. ويقال: لولا منَّ الله علينا بالإيمان، لكنا مثل قارون في العذاب. ويقال لولا أن منَّ الله علينا، يعني: عصمنا مثل ما كان عليه من البطر والبغي، لخسف بنا كما خسف به. قال قرأ عاصم في رواية حفص بنصب الخاء، وكسر السين {لَخَسَفَ *** الله *** بِنَا} وقرأ الباقون بالضم على فعل ما لم يسم فاعله {وَيْكَأَنَّهُ} يعني: ولكنه {لاَ يُفْلِحُ الكافرون} أي الجاحدون للنعم.

▲ تفسير الآيات رقم [83- 88]

{تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا

يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (84) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (85) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (86) وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (87) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)}

قوله عز وجل: {تِلْكَ الدار الاخرة} يعني: الجنة {نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الارض} يعني: نعطيها للذين لا يريدون تعظيماً وتكبراً، وتجبراً فيها عن الإيمان {وَلاَ فَسَاداً} في الأرض يعني: لا يريدون المعاصي في الدنيا.

وروى وكيع عن سفيان عن مسلم البطين {لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الارض}. يعني: التكبر بغير حق، {وَلاَ فَسَاداً} قال: أخذ المال بغير حق. ويقال: العلو الخطرات في القلب، والفساد فعل الأعضاء {والعاقبة لِلْمُتَّقِينَ} يعني: الجنة للذين يتقون الشرك والمعاصي. ويقال: عاقبة الأمر، وما يستقر عليه للمتقين الموحدين. ويقال في العاقبة المحمودة للمتقين. قوله عز وجل: {مَن جَاء بالحسنة} يعني: بكلمة الإخلاص وهي قول لا إله إلا الله {فَلَهُ خَيْرٌ مّنْهَا} وقد ذكرناه {وَمَن جَاء بالسيئة فَلاَ يُجْزَى} يعني: لا يثاب {الذين عَمِلُواْ السيئات إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: يصيبهم بأعمالهم. قوله عز وجل: {إِنَّ الذى فَرَضَ عَلَيْكَ القرءان} يعني: أنزل عليك القرآن. ويقال: أمرك بالعمل بما في القرآن {لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ}.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الموت. وقال السدي: إلى معاد يعني: الجنة. وهكذا روي عن مجاهد.

وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال: يعني: إلى مكة. وقال القتبي: معاد الرجل بلده، لأنه يتصرف في البلاد، وينصرف في الأرض ثم يعود إلى بلده. والعرب تقول: ردّ فلان إلى معاده، يعني: إلى بلده، وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة إلى المدينة اغتم لمفارقته مكة، لأنها مولده وموطنه، ومنشأه وبها عشيرته، واستوحش فأخبر الله تعالى في طريقه أنه سيرده إلى مكة، وبشره بالظهور والغلبة. ثم قال تعالى: {قُل رَّبّى أَعْلَمُ مَن جَاء بالهدى} أي يعني: بالرسالة والقرآن، وذلك حين قالوا: إنك في ضلال مبين {وَمَنْ هُوَ فِى ضلال مُّبِينٍ} وذلك حين قالوا: فنزل {قُل رَّبّى أَعْلَمُ مَن جَاء بالهدى} يعني: فأنا الذي جئت بالهدى، وهو يعلم بمن هو في ضلال مبين نحن أو أنتم.

ثم قال عز وجل: {وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يلقى إِلَيْكَ الكتاب} يعني: أن يلقى وينزل عليك القرآن {إِلاَّ رَحْمَةً مّن رَّبّكَ} ويقال في الآية تقديم. ومعناه: أن الذي فرض عليك القرآن يعني: جعلك نبياً ينزل عليك القرآن، وما كنت ترجو قبل ذلك أن تكون نبياً بوحي إليك، لرادك إلى معاد إلى مكة ظاهراً قاهراً. ويقال {إِلاَّ رَحْمَةً مّن رَّبّكَ} يعني: لكن دين ربك رحمة، واختارك لنبوته، وأنزل عليك الوحي، ثم قال: {فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهيراً للكافرين} يعني: عوناً للكافرين حين دعوه إلى دين آبائه {وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءايات الله} يعني: لا

يصرفنك عن آيات الله القرآن والتوحيد {بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ} أي: بعد ما أنزل إليك جبريل عليه السلام بالقرآن {وادع إلى رَبّكَ} يعني: ادع الخلق إلى توحيد ربك {وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المشركين} يعني: لا تكونن مع المشركين على دينهم {وَلاَ تَدْعُ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} أي: لا تعبد غير الله.

ثم وحد نفسه فقال: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يعني: لا خالق ولا رازق غيره {كُلُّ شَئ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ} يعني: تهلك جميع الأشياء إلا الله، فإنه لم يزل ولا يزال، ويقال: كل شيء هالك إلا وجهه، أي كل عمل هالك لا ثواب له إلا ما يراد به وجه الله عز وجل. ويقال: كل شيء متغير إلا ملكه، فإن ملكه لا يتغير، ولا يزال إلى غيره أبداً {لَهُ الحكم} أي: له القضاء، وله نفاذ الأمر والحكم على ما يريد {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يعني: إليه المرجع في الآخرة ليجازيكم بأعمالكم، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ القَصَصِ كَانَ لَهُ مِنَ الأجْرِ بِعَدَدِ مَنْ صَدَّقَ مُوسَى وَكَذَّبَ، وَلَمْ يَبْقَ مَلَكٌ فِي السموات وَالأرْضِ، إلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، أنَّهُ كَانَ صَادِقاً فِي قَوْلِهِ {كُلُّ شَئ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحكم وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وَالحَمْدُ لله وَحْدَهُ، وَصَلَّى الله عَلَى مَنْ لا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَحَسْبُنَا الله، وَنِعْمَ الوَكِيلُ، ولاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بالله العَلِيِّ العَظِيمِ، صَدَقَ الله جَلَّ رَبُّنا، وَهُوَ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ، وَصَدَقَ رُسُلُهُ قَوْلُهُ صِدْقٌ وَوَعْدُهُ حَقٌّ».

▲ سورة العنكبوت

▲ تفسير الآيات رقم [1– 3]

{الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)}

قوله سبحانه وتعالى: {الم * أَحَسِبَ الناس} يعني: أيظن الناس {أَن يُتْرَكُواْ} يعني: أن يمهلوا {أَحَسِبَ الناس أَن} أي صدقنا {وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} يعني: لا يبتلون قال في رواية الكلبي لما نزلت هذه الآية {قُلْ هُوَ القادر على أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظر كَيْفَ نُصَرّفُ الايات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام: 65] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا جِبْرِيلُ ما بَقَاءُ أُمَّتِي عَلَى هذا» فقال له جبريل عليه السلام: فادع الله لأمتك، فقام فتوضأ، ثم صلى ركعتين، ثم سأل ربه عز وجل أن لا يبعث عليهم العذاب. قال: فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إن الله عز وجل قد أجار أمتك من خصلتين، وألزمهم خصلتين، قال: فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم صلى، فأحسن الصلاة، ثم سأل ربه عز وجل لأمته أن لا يلبسهم شيعاً، ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد قد سمع الله عز وجل مقالتك، فإنه يقول ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، فصدقهم مصدقون، وكذبهم مكذبون، ثم لم يمنعنا أن نبتليهم بعد قبض

أنبيائهم ببلاء يعرف فيه الصادق من الكاذب، ثم نزل قوله عز وجل {الم * أَحَسِبَ الناس} الآية.

قال مقاتل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة، فجزع أبواه وامرأته، وقد كان الله بيّن للمسلمين أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله عز وجل فنزل {الم * أَحَسِبَ الناس أَن يُتْرَكُواْ}.

وقال بعضهم: لما أصيب المسلمون يوم أحد، وكانت الكرة عليهم، فعيرهم اليهود والنصارى والمشركون، فشقّ ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت في عباس بن أبي ربيعة، وفي نفر معه أخذهم المشركون وعذبوهم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت في جمع المسلمين. ومعناه: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا، ثم لا يفرض عليهم الفرائض. وقال الزجاج: هذا اللفظ لفظ الاستخبار، والمعنى تقرير وتوبيخ، معنى أحسب الناس أن يقنع منهم؛ بأن يقولوا: آمنا فقط، ولا يختبروا ويقال: أن لا يعذبوا في الدنيا. ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: اختبرنا الذين كانوا من قبل هذه الأمة وابتليناهم ببلايا {فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ} يعني: إنما يبتليهم ليبين الذين صدقوا من المؤمنين في إيمانهم {وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين} منهم فشكوا عند البلاء. ويقال: معناه ليبين صدق

الصادق، وكذب الكاذب بوقوع صدقه، ووقوع كذبه. وقال القتبي: يعني: ليميزن الله الذين صدقوا، ويميز الكاذبين.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 8]

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (7) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)}

ثم قال: {أَمْ حَسِبَ الذين يَعْمَلُونَ السيئات} يعني: الشرك والمعاصي {أَن يَسْبِقُونَا} يعني: أن يفوتونا. ويقال: يعجزونا. ويقال: يهربوا منا فلا نجازيهم {سَاء مَا يَحْكُمُونَ} يعني: بئس ما يقضوا لأنفسهم. قال الكلبي: نزلت في عتبة وشيبة والوليد بن عتبة بارزوا يوم بدر، فبارزهم من المسلمين علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، فنزل في شأن مبارزي المسلمين {مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء الله فَإِنَّ أَجَلَ الله لآتٍ} يعني: الآخرة لكائن {وَهُوَ السميع العليم} السميع لمقالتهم العليم بهم، وبأعمالهم. وقوله عز وجل: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يجاهد لِنَفْسِهِ} يعني: علي بن أبي طالب وصاحباه رضي الله عنهم {إِنَّ الله لَغَنِيٌّ عَنِ العالمين} يعني: عن نصرة العالمين يوم بدر. ويقال: نزلت في جميع المسلمين من كان يرجو لقاء الله، أي: يخاف الآخرة ويقال: يخاف الموت،

فيستعد للآخرة والموت بالعمل الصالح {فَإِنَّ أَجَلَ الله لآتٍ} ويعني: كائن {وَهُوَ السميع} لدعائهم، {العليم} بأمر الخلق، ومن جاهد يعني: عمل الخيرات، فإنما يجاهد لنفسه يعني: ثوابه لنفسه إن الله لغني عن العالمين. يعني: عن أعمالهم، فإنما ثوابهم لأنفسهم. ثم قال عز وجل: {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات لَنُكَفّرَنَّ عَنْهُمْ} أي: لنمحون عنهم {سَيّئَاتِهِمْ} يعني: ذنوبهم ويقال: {***لنجزينهم}. يعني: ثواباً أفضل من أعمالهم، لكل حسنة عشرة وأكثر. ويقال: {***لنجزينهم}. يعني: لنثيبنهم أحسن الذي كانوا يعملون، أي أفضل من أعمالهم، يعني: يجازيهم بأحسن أعمالهم الذي كانوا يعملون في الدنيا، فذلك قوله عز وجل: {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الذى كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حُسْناً} يعني: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن، يعني: براً بهما.

وقال الكلبي: نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص لما أسلم قالت له أمه: يا سعد بلغني أنك صبوت إلى دين محمد، فوالله لا يظلني سقف بيت، وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد، وترجع إلى دينك الذي كنت عليه فأبى عليها ذلك، فثبتت على حالها لا تطعم ولا تشرب، ولا تسكن بيتاً، فلما خلص إليها الجوع لم تجد بداً من أن تأكل وتشرب، فحثّ الله سعد بالبر إلى أمه، ونهاه أن يطيعها على الشرك فقال: {وَإِن جاهداك لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أي: ما ليس لك به حجة يعني: الشرك {فَلاَ تُطِعْهُمَا} في الشرك، ثم حذّره ليثبت على الإسلام فقال: {إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} يعني:

مصيركم في الآخرة {فَأُنَبِئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: أخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من خير أو شر، وأثيبكم على ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [9– 15]

{وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (9) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (10) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (11) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (12) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (13) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آَيَةً لِلْعَالَمِينَ (15)}

ثم قال عز وجل: {والذين ءامَنُواْ} يعني: أقروا وصدقوا بوحدانية الله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم {وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الطاعات فيما بينهم وبين ربهم {لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصالحين} أي: مع الأنبياء والرسل عليهم السلام في الجنة. ويقال: لندخلنهم في جملة الصالحين، ونحشرهم مع الصالحين قوله عز وجل: {وَمِنَ الناس مَن يَقُولُ ءامَنَّا بالله} نزلت في عياش بن أبي ربيعة هاجر إلى المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها، فجزعت أمه من ذلك جزعاً شديداً. فقالت لأخويه: أبي جهل بن هشام

والحارث بن هشام، وهما أخواه لأمه، وأبناء عمه، فخرجوا في طلبه، فظفروا به. وقالوا له: إن برّ الوالدة واجب، فعليك أن ترجع فتبرها، فإنها حلفت أن لا تأكل ولا تشرب، وأنت أحب الأولاد إليها، فلم يزالوا به حتى تتابعهم، فجاؤوا به إلى أمه، فعمدت أمه فقيدته، وقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد، وضربوه حتى رجع إلى دينهم فنزل {وَمِنَ الناس مَن يَقُولُ ءامَنَّا بالله} {فَإِذَا أُوذِىَ فِى الله} يعني: عذب في دين الله عز وجل: {جَعَلَ فِتْنَةَ الناس} يعني: عذاب إخوته في الدنيا {كَعَذَابِ الله} في الآخرة ويقال نزلت في قوم من المسلمين أخذوهم إلى مكة، وعذبوهم حتى ارتدوا فنزل {مِنَ الناس *** مَن يِقُولُ ءامَنَّا بالله فَإِذَا أُوذِىَ فِى الله جَعَلَ فِتْنَةَ الناس كَعَذَابِ الله} يعني: جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله فينبغي للمسلم أن يصبر على إيذائه في الله، وصارت الآية لجميع المسلمين ليصبروا على ما أصابهم في الله عز وجل.

ثم قال: {وَلَئِنْ جَاء نَصْرٌ مّن رَّبّكَ} يعني: لو يجيء نصر من الله عز وجل بظهور الإسلام والغلبة على العدو بمكة وغيرها {لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} أي: على دينكم {أَوَلَيْسَ *** الله بِأَعْلَمَ} يعني: أوليس الله عليم {بِمَا فِى صُدُورِ العالمين} من التصديق والتكذيب أعلم بمعنى عليم يعني: هو عليم بما في قلوب الخلق ويقال: معناه هو أعلم بما في صدورهم منهم. أي: بما في صدور أنفسهم {وَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين ءامَنُواْ} يعني: ليميزن الله الذين ثبتوا على دين الإسلام {وَلَيَعْلَمَنَّ المنافقين} يعني: ليميزن المنافقين الذين لم يكن إيمانهم حقيقة قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ} أي: جحدوا وأنكروا {لِلَّذِينَ

ءامَنُواْ} وذلك: أن أبا سفيان بن حرب، وأمية بن خلف، وعتبة بن شيبة، قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أو خباب بن الأرت، وأناس آخرين من المسلمين: {اتبعوا سَبِيلَنَا} يعني: ديننا الذي نحن عليه، واكفروا بمحمد ودينه {وَلْنَحْمِلْ خطاياكم} يعني: نحن الكفلاء لكم بكل تبعة من الله عز وجل تصيبكم، وأهل مكة شهداء علينا يقول الله عز وجل: {وَمَا هُمْ بحاملين مِنْ خطاياهم مّن شَئ} يعني: لا يقدرون أن يحملوا خطاياهم.

يعني: وبال خطاياهم عنهم، ولا يدفعون عنهم، لأنهم لو استطاعوا أن يدفعوا لدفعوا عن أنفسهم {وَإِنَّهُمْ لكاذبون} في مقالتهم ثم قال عز وجل: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} يعني: يحملون من أوزار الذين يضلونهم من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيء، وهذا كقوله عز وجل: {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القيامة وَمِنْ أَوْزَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل: 25] وهذا كما روي في الخبر من سن سنة سيئة، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْئَلُنَّ} يعني: عما يقولون من الكذب.

قوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً} يدعوهم إلى الإسلام، ويحذرهم وينذرهم، فأبوا أن يجيبوه فكذبوه {فَأَخَذَهُمُ الطوفان} يعني: الغرق {وَهُمْ ظالمون} وقال القتبي: الطوفان المطر الشديد، وكذلك الموت إذا كثر. وقال مقاتل: الطوفان ما طغى فوق كل شيء. وقال بعض أهل اللغة: هذا الاشتقاق غير صحيح، لأنه لو كان هذا. لقال:

طغوان لأنه يقال: طغى يطغو. وقال بعضهم: هذا على وجه القلب، كما يقال: جذب وجبذ. ويقال: أصله من الطوف، أي: سار وطاف في الأرض. وقال الزجاج: الطوفان من كل شيء ما كان كثيراً كالقتل الذريع الكثير، يسمى طوفان. ثم قال عز وجل: {فأنجيناه} يعني: نوحاً عليه السلام {وأصحاب السفينة} من الغرق {وجعلناها ءايَةً للعالمين} يعني: جعلنا السفينة عبرة لمن بعدهم، وقد بقيت السفينة على الجودي إلى وقت قريب من وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك علامة وعبرة لمن رآها، ومن لم يرها، لأن الخبر قد بلغه. ويقال: رسم السفينة التي بقيت بين الخلق وقت نوح، وتجري في البحر علامة للعالمين.

▲ تفسير الآيات رقم [16– 22]

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (16)
إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
(17) وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
(18) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19)
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآَخِرَةَ إِنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ
(21) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (22)}

قوله عز وجل: {وإبراهيم} يعني: أرسلنا إبراهيم عطفاً على قوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا} ويقال: معناه واذكر إبراهيم {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعبدوا الله واتقوه} يعني: وحدوا الله عز وجل، {واتقوه} يعني: اخشوه ولا تعصوه {ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ} يعني: التوحيد وعبادة الله عز وجل خير من عبادة الأوثان {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}. قوله عز وجل: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله أوثانا} يعني: أصناماً {وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً} يعني: تعملونها بأيديكم، ثم يقولون إنها آلهة ويقال تتخذونها آلهة كذباً ثم قال: {إِنَّ الذين تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله} وهي الأصنام {لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً} يعني: لا يقدرون أن يعطوكم مالاً، ولا يقدرون أن يرزقوكم {فابتغوا عِندَ الله الرزق} يعني: الله عز وجل، هو الذي يملك رزقكم، فاطلبوا الرزق من الله عز وجل: {واعبدوه واشكروا لَهُ} أي: وحدّوه واشكروا له في النعم، فإن مصيركم إليه {إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} بعد الممات. قال الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: قل لأهل مكة {وَإِن تُكَذِّبُواْ} بما أخبرتكم من قصة نوح وإبراهيم عليهما السلام {فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ} يعني: كذبوا رسلهم {وَمَا عَلَى الرسول إِلاَّ البلاغ المبين} يعني: إلا أن يبلغ الرسالة، ويبين أمر العذاب. ويقال: إلا أن يبلغ الرسالة، ويبين مراد الرسالة.

ثم قال الله عز وجل: {أَوَ لَمْ *** يَرَوْاْ} قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر {أَوَ لَمْ *** تَرَوْاْ} بالتاء على معنى المخاطبة. يعني: قل لهم يا محمد أو لم تروا. وقرأ الباقون بالياء. ومعناه: يا محمد أو لم يروا هؤلاء الكفار {كَيْفَ يُبْدِئ الله الخلق ثُمَّ يُعِيدُهُ} يعني: يخلقهم في الابتداء، ولم يكونوا نسياً، ثم يعيدهم كما خلقهم {إِنَّ ذلك عَلَى الله يَسِيرٌ} يعني: إن

الذي خلق الخلق، يقدر أن يعيدهم، وهو عليه هين قوله عز وجل: {قُلْ سِيرُواْ فِى الارض} يعني: سافروا في الأرض. يعني: فتعتبروا في أمر البعث. ويقال: سيروا في الأرض. يعني: اقرؤوا القرآن {فانظروا} أي فاعتبروا {كَيْفَ بَدَأَ الخلق} يعني: كيف خلق الخلق {ثُمَّ الله يُنشِئ النشأة الاخرة} يعني: يحييهم بعد الموت للمبعث {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} من أمر البعث وغيره. ثم قال عز وجل: {يُعَذّبُ مَن يَشَاء} يعني: يخذل من يشاء ولا يهدي من لم يكن أهلاً لذلك. {وَيَرْحَمُ مَن يَشَاء} أي يهديه إن كان أهلاً كذلك {وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} يعني: ترجعون إليه في الآخرة قوله عز وجل: {وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِى الارض} يعني: لا تهربون منه ولا تفوتونه {وَلاَ فِى السماء} يعني: إن كنتم في الأرض، ولا في السماء لا يَقدرون أن يهربوا منه {وَمَا لَكُم مّن دُونِ الله} يعني: من عذاب الله {مِن وَلِيّ} يعني: من قريب ينفعكم {وَلاَ نَصِيرٍ} يعني: ولا مانع يمنعكم من عذاب الله عز وجل.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 25]

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (23) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (24) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (25)}

ثم قال عز وجل: {والذين كَفَرُواْ بئايات *** والله} بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {وَلِقَائِهِ} يعني: كفروا بالبعث بعد الموت {أُوْلَئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى} يعني: من جنتي {وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة، ثم رجع إلى قصة إبراهيم. حيث قال لقومه: {اعبدوا الله واتقوه} قوله عز وجل: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ اقتلوه أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ الله مِنَ النار} وفي الآية مضمر ومعناه: فقذفوه في النار، فأنجاه الله من النار فلم تحرقه، وجعلها برداً وسلاماً {إِنَّ فِى ذَلِكَ} أي فيما أنجاه الله من النار بعدما قذفوه فيها {لآيَاتٍ} يعني: لعبرات {لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: يصدقون بتوحيد الله تعالى فقال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {وَقَالَ إِنَّمَا اتخذتم مّن دُونِ الله أوثانا} يعني: إنما عبدتم من دون الله أوثاناً يعني: أصناماً {مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ} على عبادة أصنامكم. قرأ نافع وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر، {مَّوَدَّةَ} بنصب الهاء مع التنوين {بَيْنِكُمْ} بنصب النون. يعني: اتخذتم أوثاناً آلهة مودة بينكم على عبادتها صار نصباً لوقوع الفعل عليه. وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص مودة بنصب الهاء بغير التنوين بينكم بكسر النون على معنى الإضافة، وقرأ الباقون مودة بالضم بينكم بالكسر.

وروي عن الفرّاء أنه قال: إنما صار المودة رفعاً بالصفة بقوله عز وجل: {وَقَالَ إِنَّمَا اتخذتم} وينقطع الكلام عند قوله: {إِنَّمَا اتخذتم مّن دُونِ الله أوثانا} ثم يبين ضرر مودتهم في الحياة الدنيا فقال تعالى: {ثُمَّ يَوْمَ القيامة يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ} يعني: ليس مودتكم تلك الأصنام بشيء، لأن مودة ما بينكم في الحياة الدنيا تنقطع، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض، يعني:

الأصنام من العابد، والشياطين ممن عبدها. ويقال يعني: الأتباع والقادة تتبرأ القادة من الأتباع {وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً} يعني: الأتباع يلعنون القادة، والعابد يلعن المعبود {وَمَأْوَاكُمُ النار} يعني: مصيركم إلى النار {وَمَا لَكُمْ مِّن ناصرين} يعني: مانعين من عذاب الله عز وجل.

▲ تفسير الآيات رقم [26– 30]

{فَآَمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (27) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (29) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (30)}

قوله عز وجل: {فَئَامَنَ لَهُ لُوطٌ} يعني: صدق لوط إبراهيم عليهما السلام على الهجرة. ويقال: صدقه بالنبوة حين لم تحرقه النار {وَقَالَ} إبراهيم {إِنّى مُهَاجِرٌ إلى رَبّى} يعني: إلى رضاء ربي وطاعة ربي. ويقال: إلى أرض مصر في أرض ربي، فهجر قومه الكافرون وخرج إلى الأرض المقدسة، ومعه سارة ثم قال: {إِنَّهُ هُوَ العزيز} في ملكه {الحكيم} في أمره. ويقال: حكيم حكم أن من لم يقدر في بلدة على طاعة الله عز وجل فليخرج إلى بلدة أخرى. قوله عز وجل: {وَوَهَبْنَا لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ} يعني: المهاجر إلى

طاعة الله عز وجل أكرمه الله في الدنيا وأعطاه ذرية طيبة، وهو ولده إسحاق، وولد ولده يعقوب عليهم السلام ووهب له أربعة أولاد: إسحاق من سارة، وإسماعيل من هاجر، ومدين ومداين من غيرهما {وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النبوة} يعني: من ذرية إبراهيم النبوة والكتاب يعني أكرم الله عز وجل ذريته بالنبوة، وأعطاهم الصحف. ويقال: أخرج من ذريته ألف نبي {والكتاب} يعني: الزبور والتوراة والإنجيل والفرقان {وَوَهَبْنَا لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ} يعني: أعطيناه في الدنيا الثناء الحسن {وَإِنَّهُ فِى الاخرة لَمِنَ الصالحين} يعني: مع النبيين في الجنة.

قوله عز وجل: {وَلُوطاً} يعني: وأرسلنا لوطاً {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحشة} قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص، {إِنَّكُمْ} على معنى الخبر. وقرأ أبو عمرو {أَئِنَّكُمْ} بالمد على معنى الاستفهام، {لَتَأْتُونَ الفاحشة} يعني: المعصية {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مّن العالمين *** أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال} واتفقوا في هذا الحرف على لفظ الاستفهام، واختلفوا في الأول، فقرأ الذين سميناهم على وجه الإخبار عنهم إنكم تفعلون، وتكون على وجه التعيير. وقرأ الباقون الأول على وجه الاستفهام، فيكون اللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى منه التوبيخ والتقريع ثم قال: {وَتَقْطَعُونَ السبيل} يعني: تعترضون الطريق لمن مرّ بكم بعملكم الخبيث. ويقال: {وَتَقْطَعُونَ السبيل}. يعني: تأخذون أموالكم، كانوا يفعلون ذلك، لكيلا يدخلوا في بلدهم، ويتناولوا من ثمارهم، ويقال: تقطعون السبيل النسل {وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ المنكر} يعني: تعملون في مجالسكم المنكر. وقال بعضهم: يعني به اللواطة كانوا يفعلون

ذلك في المجالس بالعلانية. ويقال: أراد به المعاصي، وهي الرمي بالبندق الصغير والحذف، ومضغ العلك، وحل إزار القباء، واللعب بالحمام، وشرب الخمر، وضرب العود والمزامير، وغير ذلك من المعاصي. وروت أم هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ المنكر} قال: «كَانُوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ» {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائتنا بِعَذَابِ الله إِن كُنتَ مِنَ الصادقين} بالعذاب، وإن العذاب نازل بنا {قَالَ رَبّ انصرنى} أي أعني {عَلَى القوم المفسدين} يعني: المشركين.

▲ تفسير الآيات رقم [31- 37]

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (36) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (37)}

قوله عز وجل: {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إبراهيم بالبشرى} يعني: بالبشارة بالولد {قَالُواْ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هذه القرية} يعني: قريات لوط {إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظالمين}

يعني: كافرين {قَالَ} إبراهيم {إِنَّ فِيهَا لُوطاً} يعني: أتهلكهم وفيهم لوط {قَالُواْ} يعني: قال جبريل عليه السلام: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امرأته كَانَتْ مِنَ الغابرين} يعني: من الباقين في الهلاك {وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِئ بِهِمْ} يعني: ساء مجيئهم {وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} يعني: اغتم بقدومكم، فلا يدري أيأمرهم بالخروج أم بالنزول. ويقال: ضاق بهم القلب {وَقَالُواْ لاَ تَخَفْ} علينا {وَلاَ تَحْزَنْ} من العذاب {إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ} قرأ حمزة والكسائي {لَنُنَجِّيَنَّهُ}، و{إِنَّا مُنَجُّوكَ} كلاهما بالتخفيف. وقرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم كلاهما بالتشديد. وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم الأول بالتشديد، والثاني بالتخفيف، ومعناهما واحد. ويقال: أنجيته ونجيته بمعنى واحد {إِلاَّ امرأتك كَانَتْ مِنَ الغابرين}.

ثم قال عز وجل: {إِنَّا مُنزِلُونَ على أَهْلِ هذه القرية} قرأ ابن عامر وعاصم في إحدى الروايتين {مُنزِلُونَ} بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف ومعناهما واحد {رِجْزًا مّنَ السماء} يعني: أنزلنا عذابنا من السماء {بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} يعني: يعصون الله عز وجل. قوله عز وجل: {وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا} يعني: من قرية لوط {بَيّنَةً لّقَوْمٍ} يعني: علامة ظاهرة واضحة يعني: هلاكهم علامة ظاهرة ويقال: قرياتهم علامة ظاهرة {لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} يعني: لمن كان له ذهن الإنسانية {وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا ءايَةً}. يعني: الحجارة التي أنزلها الله تعالى من السماء على كل واحد منها اسم صاحبها {وإلى مَدْيَنَ} يعني: وأرسلنا إلى مدين {أخاهم شُعَيْباً} يعني: نبيهم شعيباً {فَقَالَ ياقوم *** قَوْمٌ *** اعبدوا الله} يعني: وحدوا الله وأطيعوه {وارجوا اليوم الاخر} يعني: خافوا يوم القيامة،

لأنه آخر الأيام. ويقال: يوم الموت، وهو آخر أيامهم {وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الارض مُفْسِدِينَ} يعني: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي في نقصان الكيل والوزن {فَكَذَّبُوهُ} يعني: أوعدهم بالعذاب على نقصان الكيل والوزن. فكذبوه {فَأَخَذَتْهُمُ الرجفة} يعني: العذاب. ويقال: الزلزلة، وأصله الحركة {فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ} يعني: صاروا في دارهم يعني: في محلتهم {جاثمين} يعني: ميتين، أو يقال: خامدين فصاروا كالرماد. ويقال: جثم بعضهم على بعض بالموت. وقال أبو سهل: جاثمين، أي ساقطين على وجوههم وركبهم. وقال مقاتل: شبه أرواحهم في أجسادهم، وهم أحياء بالنار إذا اتقدت، ثم طفئت، فبينما هم أحياء إذ صاح بهم جبريل، فصعقوا أمواتاً أجمعين.

▲ تفسير الآيات رقم [38– 40]

{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)}

ثم قال عز وجل: {وَعَاداً وَثَمُودَ} وقال بعضهم: انصرف إلى قوله: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين} [العنكبوت: 3] وقال بعضهم: انصرف إلى قوله: {فَأَخَذَتْهُمُ الرجفة فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ

جاثمين} [الأعراف: 78] يعني: أخذهم العذاب وأخذ عاداً وثموداً. ويقال: معناه اذكر عاداً وثموداً، أو يقال: صار نصباً لنزع الخافض ومعناه: وأرسلنا الرسل إلى عاد وثمود. {وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مساكنهم} يعني: ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم آية في إهلاكهم. {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أعمالهم} يعني: ضلالتهم {فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل} يعني: صرفهم عن الدين، ويقال: منعهم عن التوحيد. ويقال: صدّ يصدّ صدّاً إذا منعه وصدّ يصدّ صدوداً إذا امتنع بنفسه وأعرض.

قوله {وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ} في دينهم وهم يرون أنهم على الحق، وهم على الباطل. ويقال: كانوا مستبصرين، أي: ذوي بصيرة، ومع ذلك جحدوا.

ثم قال عز وجل {وقارون وَفِرْعَوْنَ وهامان} يعني: أهلكنا قارون وفرعون وهامان {وَلَقَدْ جَاءهُمْ موسى بالبينات} يعني: بالعلامات والآيات {فاستكبروا فِى الارض} يعني: طغوا فيها، وتعظموا عن الإيمان {وَمَا كَانُواْ سابقين} يعني: بفائتين من عذابنا.

قوله عز وجل: {فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ} يعني: كلهم أهلكناهم بذنوبهم. ويقال: معناه أهلكنا كلّ واحد منهم بذنبه لا بذنب غيره. {فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً} يعني: الحجارة، وهم قوم لوط. {وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الارض} يعني: قارون {وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا} وهم فرعون وقومه. وقال العتبي الأخذ أصله باليد، ثم يستعار في مواضع، فيكون بمعنى القبول، كقوله عز وجل {وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق النبيين لَمَآ ءاتَيْتُكُم مِّن كتاب وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ

مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ على ذلكم إِصْرِى قالوا أَقْرَرْنَا قَالَ فاشهدوا وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشاهدين} [آل عمران: 81] أي قبلتم عهدي، والأخذ التعذيب، كقوله {وكذلك أَخْذُ رَبِّكَ} وكقوله {فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ} يعني: عذبنا، وكقوله {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ والاحزاب مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وجادلوا بالباطل لِيُدْحِضُواْ بِهِ الحق فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر: 5] يعني: ليعذبوه {وَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ} يعني: لم يعذبهم من غير جرم منهم. {ولكن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بجرمهم يستوجبون العقوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 44]

{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (42) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (44)}

قوله عز وجل: {مَثَلُ الذين اتخذوا مِن دُونِ الله أَوْلِيَاء} يعني: مثل عبادتهم الأصنام في الضعف، وقلة نفعهم إياهم. {كَمَثَلِ العنكبوت اتخذت بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ البيوت} يعني: أضعف البيوت {لَبَيْتُ العنكبوت} لأنه لا يغني من حر ولا من برد ولا من مطر وكذلك آلهتهم لا يدفعون عنهم ضرّاً، ولا يقدرون لهم نفعاً.

ثم قال: {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} يعني: لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم الأصنام كذلك، لأنهم قد علموا أن بيت العنكبوت أوهن البيوت، ولكن قوله {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} انصرف إلى قوله: {اتخذوا}، يعني: لا يعلمون أن هذا مثله.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَئ} وهذه كلمة تهديد، يعني: يعلم بعقوبتهم. ويقال: إن الله يعلم أن الآلهة لا شفاعة لهم ولا قدرة. {وَهُوَ العزيز} بالنعمة لمن عصاه {الحكيم} حكم بالعقوبة على من عبد غيره، ويقال: حكم أن لا يعبد غيره. {وَتِلْكَ الامثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ} يعني: أمثال آلهتهم نبينها للناس. {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العالمون} يعني: لا يفهمها ويعلمها إلا الموحدون، ويقال: يعني: العاقلين.

قرأ أبو عمرو وعاصم {إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ} بالياء على لفظ المغايبة. وقرأ الباقون بالتاء على لفظ المخاطبة، يعني: قل لهم يا محمد إن الله يعلم ما تدعون من دونه.

ثم قال عز وجل: {خَلَقَ الله السموات والارض بالحق} يعني: بالعدل، ويقال: لبيان الحق، ولم يخلقها باطلاً. {إِنَّ فِى ذَلِكَ} أي: خلق السموات والأرض {لآيَةً} يعني: لعبرات {لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني: المصدقين وإنما أضاف إلى المؤمنين لأنهم هم الذين ينتفعون بها.

▲ تفسير الآيات رقم [45– 50]

{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45) وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (46) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (47) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)}

قوله عز وجل: {اتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ} يعني: اقرأ عليهم ما أنزل إليك {مّنَ الكتاب} يعني: من القرآن. ويقال: هو أمر بتلاوة القرآن، يعني: اقرؤوا القرآن، واعملوا بما فيه. {اتل مَا} يعني: وأتمَّ الصلاة {اتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الكتاب} يعني: ما دام العبد يصلي لله عز وجل انتهى عن الفحشاء والمنكر والمعاصي. ويقال: {اتل مَا} يعني: وأدِّ الصلاة الفريضة في مواقيتها بركوعها وسجودها والتضرع بعدها {اتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِنَ} يعني: إذا صلى العبد لله صلاة خاشع يمنعه من المعاصي، لأنه يرق قلبه، فلا يميل إلى المعاصي.

وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاَتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ لَمْ تَزِدْهُ صَلاتُهُ عِنْدَ الله إلاَّ مَقْتاً»

وروي عن الحسن البصري رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاَتَهُ عَن فَحْشَاءَ وَلاَ مُنْكَرٍ لَمْ يَزْدَدْ بِهَا مِنَ الله إلاَّ بُعْداً» وقال الحسن: إذا لم تنته بصلاتك عن الفحشاء فلست بمُصَلٍ. ثم قال {وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ} يعني: أفضل من سائر العبادات. وروي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: قراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من صلاة لا يكون فيها كثير القراءة، ثم قرأ هذه الآية {اتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الكتاب وَأَقِمِ الصلاة إِنَّ الصلاة تنهى} قال مقاتل: ولذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه بالصلاة، وقال الكلبي: يقول: ذكره إياكم بالخير أكبر من ذكركم إياه، والله يذكر من ذكره بالخير.

قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الماسرجسي قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن ربيعة، قال سألني ابن عباس عن قوله: {وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ} فقلت: هو التسبيح والتهليل والتقديس، فقال: لقد قلت شيئاً عجيباً، وإنما هو ذكر الله العباد أكثر من ذكر العباد إياه. وقال قتادة: {وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ} أي: ليس شيء أفضل من ذكر الله. وسئل سلمان الفارسي أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله. ويقال: ذكر الله أفضل من الاشتغال بغيره. ويقال: ذكر الله حين كتبكم في اللوح المحفوظ من المسلمين أفضل. ويقال: ذكر الله عز وجل لك بالمغفرة أفضل من ذكرك إياه. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ ذَكَرَ الله فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ الله في نَفْسِهِ وَمَنْ ذَكَرَهُ في مَلإٍ ذَكَرَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ في مَلإٍ أَكْبَرَ مِنَ المَلإِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِيهِمْ وَأَطْيَبَ، وَمَنْ

تَقَرَّبَ مِنَ الله شِبْراً تَقَرَّبَ الله مِنْهُ ذِرَاعاً يعني: بإجابته وتوفيقه ورحمته وَمَنْ تَقَرَّبَ إلى الله تَعَالَى ذِرَاعاً تَقَرَّبَ الله مِنْهُ باعاً، وَمَنْ أَتَى الله مَاشِياً أَتاهُ هَرْوَلَةً«

يعني: بإجابته وتوفيقه.

ثم قال تعالى: {والله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} من الخير والشر فيجازيكم به.

قوله عز وجل: {وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب} قال مقاتل: {وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب} البتة، يعني: مؤمنيهم، ثم استثنى كفارهم، فقال: {إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ} {إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ} فيها تقديم ثم نسخته آية قتال أهل الكتاب. وقال الكلبي: {وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب} إن الله عز وجل أمر المسلمين إذ كانوا بمكة قبل أن يأمرهم بالقتال، فقال: {وَلاَ تجادلوا} من أتاكم من أهل الكتاب {إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ} بالقرآن تعظونهم به، وتدعونهم إلى الإسلام، وهي التي أحسن {إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ} في الملاعنة، وهم أهل نجران. ويقال: {لا *** تجادلوا أَهْلَ الكتاب} يعني: لا تخاصموهم {إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ} يعني: إلا بالكلمة التي هي أحسن، وهي كلمة التوحيد {إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ} يعني: ولا الذين ظلموا منهم. ويقال: إلا الذين ظلموا منهم، فلا بأس بأن تجادلوهم بما هو أشد، ثم بيّن الكلمة التي هي أحسن، فقال: {وَقُولُواْ ءامَنَّا بالذى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ} يعني: القرآن والتوراة. {وإلهنا وإلهكم وَاحِدٌ} يعني: ربنا وربكم واحد. {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} يعني: مخلصون بالتوحيد.

ثم قال عز وجل: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب} يعني: القرآن، كما أنزلنا إلى موسى وعيسى عليهما السلام {فالذين ءاتيناهم الكتاب} وهم مؤمنو أهل الكتاب {يُؤْمِنُونَ بِهِ} يعني: يصدقون بالقرآن {وَمِنْ هَؤُلاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ} يعني: قريشاً {وَمَا يَجْحَدُ بئاياتنا} يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {إِلاَّ الكافرون} من اليهود ومشركي العرب.

ثم قال عز وجل: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كتاب} يعني: من قبل القرآن {وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ} أي: لم تكن تكتب شيئاً بيدك. {إِذاً لارتاب المبطلون} يعني: فلو كنت قرأت الكتب أو كنت تكتب بيدك لشكَّ أهل مكة في أمرك، ويقولون إنه قرأ الكتب، وأخذ منها، ويقال: معناه لارتاب المبطلون يعني: لشك أهل الكتاب في أمرك لأنهم وجدوا في كتبهم نعته وصفته أنه أمي لا يقرأ الكتب، كيلا يشكوا في صفته. {بَلْ هُوَ ءايات بينات فِى صُدُورِ الذين أُوتُواْ العلم} يعني: بل هو يقين أنه نبي عند أهل العلم، ويقال: يعني: القرآن آيات بينات، يعني: واضحات، ويقال: بل إنه لا يقرأ ولا يكتب آيات بينات، لأنه أخبر عن أقاصيص الأولين في صدور الذين أوتوا العلم، يعني: مؤمني أهل الكتاب {وَمَا يَجْحَدُ بئاياتنا إِلاَّ الظالمون} يعني: الكافرون.

قوله عز وجل: {وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءايات مّن رَّبّهِ} أي علامة من ربه {قُلْ إِنَّمَا الايات} يعني: العلامات {عَندَ الله} يعني: من عند الله عز وجل وليس بيدي شيء. {وَإِنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: مخوفاً مفقهاً لكم أنبئكم بلغة تعرفونها. قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص {ءايات}

بلفظ الجماعة، يعني: آيات القرآن. والباقون {ءايَةً} يعني: آية واحدة، يعني: أنه كان لا يكتب، وكان له في ذلك آية بينة لنبوته، ويجوز أن يكونا معناه الآيات للجنس.

▲ تفسير الآيات رقم [51- 59]

{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (52)
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ (53) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (54)
يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ (55) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56)
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59)}

ثم قال عز وجل: {أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب} يعني: القرآن فيه خبر ما مضى، وخبر ما يكون أو لم يكفهم هذا علامة، ويقال: أو لم يكفهم أنهم فصحاء فجاءهم بالقرآن الذي أعجزهم عن ذلك. وقال الزجاج: كان قوم من المسلمين كتبوا شيئاً عن اليهود فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَفَى هَذا حَمَاقَةَ قَوْمٍ أَوْ ضَلاَلَةَ قَوْمٍ أَنْ يَرْغَبُوا

عَمَّا أتاهُمْ بهِ نَبِيُّهُمْ إلى ما أَتَى بِهِ غَيْرُ نَبِيّهِمْ» فقال عز وجل: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب} {يتلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذلك لَرَحْمَةً} يعني: في هذا القرآن لنعمة لمن آمن به {وذكرى} أي موعظة ويقال: تفكر {لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: يصدقون بالقرآن، فقال له كعب بن الأشرف: فقد كان قدم مكة من يشهد لك أنك رسول الله إن لم يشهد لك، فنزل {قُلْ كفى بالله بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً} بأني رسول الله {يَعْلَمُ مَا فِى السموات والارض *** والذين ءامَنُواْ بالباطل} يعني: بالصنم ويقال بالشيطان، ويقال: بالطاغوت، وهو كعب بن الأشرف. {وَكَفَرُواْ بالله} يعني: جحدوا وحدانية الله {أولئك هُمُ الخاسرون} يعني: المغبونين في العقوبة. ويقال: خسروا حيث استوجبوا لأنفسهم العقوبة.

ثم قال عز وجل: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعذاب} وذلك أنهم قالوا: ائتنا بعذاب الله.

يقول الله عز وجل: {وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى} أي لولا الوقت الذي وقّتَ لهم {لَّجَاءهُمُ العذاب وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً} يعني: فجأة {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} بنزول العذاب.

{يَسْتَعْجِلُونَكَ بالعذاب وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافرين} يعني: جعلت لهم النار تحيط بهم. قوله عز وجل {يَوْمَ يغشاهم العذاب} يعني: يعلوهم {مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيِقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: {وَنَقُولُ ذُوقُواْ} بالنون، يعني: نقول لهم نحن ذوقوا، وهي حكاية عن الله سبحانه وتعالى بلفظ الجماعة، وهو لفظ الملوك. وقرأ الباقون بالياء

يعني: يقول الله عز وجل. ويقال: وتقول لهم الخزنة {ذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: جربوا عقوبة ما كنتم تعملون في الدنيا.

ثم قال عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو بسكون الياء، وقرأ الباقون بنصب الياء، وقرأ ابن عامر وحده {إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ} بنصب الياء، وقرأ الباقون بسكونها في مثل هذه المواضع، لغتان يجوز كلاهما، ومعناه: إن أرضي واسعة، إذا أُمِرْتُم بالمعصية والبدعة فاهربوا، ولا تطيعوا في المعصية، نزلت في ضعفاء المسلمين {إِن كُنتُمْ} يعني: إذا كنتم في ضيق من إظهار الإسلام بمكة فَإِنَّ أَرْضِيَ وَاسِعَةٌ يعني: المدينة واسعة بإظهار الإسلام.

وروي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال: «مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ أَرْضٍ إلى أرضٍ وإنْ كَانَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ اسْتَوْجَبَ الجَنَّةَ وَكَانَ رَفِيقَ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلام» وإنما خصَّ إبراهيم لأنه قال {فَأَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنّى مُهَاجِرٌ إلى ربى إِنَّهُ هُوَ العزيز الحكيم} [العنكبوت: 26] ففرَّ بدينه إلى الأرض المقدسة، وإنما خصّ محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه هاجر من مكة إلى المدينة. ويقال: إن القوم كانوا في ضيق من العيش فقال: إن كنتم تخافون شدة العيش فإن أرضي واسعة. {فَإِيَّاىَ فاعبدون} أي موحدون بالمدينة علانية.

ثم خوفهم بالموت ليهاجروا فقال: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت} لأنهم كانوا يخافون على أنفسهم بالخروج، فقال لهم: لا تخافوا فإنَّ {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

الموت ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {يَرْجِعُونَ} بالياء بلفظ المغايبة على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون بالتاء على معنى الخطاب لهم.

ثم قال عز وجل: {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: صدقوا بالله ورسوله {وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الطاعات وهاجروا فسمى الهجرة من الأعمال الصالحة لأنها كانت فريضة في ذلك الوقت {لَنُبَوّئَنَّهُمْ} يعني: لننزلنهم ولنسكننهم. {مّنَ الجنة غُرَفَاً} يعني: غرفاً من الجنة. قرأ حمزة والكسائي: {***لنثوينهم} بالثاء، وقرأ الباقون {ظُلِمُواْ لَنُبَوّئَنَّهُمْ} بالياء، فمن قرأ بالثاء فهو من ثويت بالمكان، يعني: أقمت به، كقوله {وَلَكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العمر وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فى أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ ءاياتنا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} [القصص: 45] ومن قرأ بالباء يعني: لننزلنهم، وذكر عن الفراء أنه قال: كلاهما واحد، بوأته منزلاً أي أنزلته، وأثويته منزلاً يعني: أنزلته سواء، كقوله {وَمَا كُنتَ ثَاوِياً}.

ثم قال {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ العاملين} أي ثواب الموحدين {الذين صَبَرُواْ} على الهجرة. ويقال: صبروا على أمر الله تعالى. {وعلى رَبّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي: يثقون به ولا يهتمون للرزق لأنهم كانوا يقولون: كيف نهاجر وليس لنا مال ولا معيشة، فوعظهم الله ليعبتروا فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [60- 63]

{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (60) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (63)}

{وَكَأَيِّن مّن دَابَّةٍ} يعني: وكم من دابة في الأرض أو من طائر في السماء {لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا} معها ولا يجمع الغذاء إلا النملة والفأرة. ويقال: لا تخبئ رزقها {اللهِ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} يعني: يرزق الدواب حيث ما توجهت، وإياكم إذا هاجرتم إلى المدينة. {وَهُوَ السميع} لمقالتكم {العليم} بكم {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} يعني: كفار مكة {مِنْ خلاق *** السموات والارض *** وَسَخَّرَ الشمس والقمر لَيَقُولُنَّ الله فأنى يُؤْفَكُونَ} يعني: من أين يكذبون بتوحيد الله عز وجل.

ثم رجع إلى أهل الهجرة ورغبهم فيها فقال {الله يَبْسُطُ الرزق لِمَنْ يَشَاء} يعني: يوسع على من يشاء {مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} ويقتر لمن يشاء {أَنَّ الله بِكُلّ شَئ عَلِيمٌ} من البسط والتقتير {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّن نَّزَّلَ مِنَ السماء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الارض *** بَعْدَ مَوْتِهَا} يعني: من بعد يبسها وقحطها {لَيَقُولُنَّ الله قُلِ الحمد لِلَّهِ} على إقرارهم بذلك {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} توحيد ربهم، وهم مقرون بالله عز وجل خالق هذه الأشياء.

▲ تفسير الآيات رقم [64- 69]

{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (64) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65) لِيَكْفُرُوا بِمَا آَتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (66) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آَمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (67) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (68) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)}

قوله عز وجل: {وَمَا هذه الحياة الدنيا إِلاَّ لَهْوٌ} يعني: باطل {وَلَعِبٌ} كلعب الصبيان، ولهو كلهو الشبان. ويقال: فرح لا يبقى للخلق ولا يبقى فيها إلا العمل الصالح. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه أو عالماً أو متعلماً» وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مَرَّ بسخلة منتنة فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ للدُّنْيَا على الله أهْوَنُ مِنْ هذه السَّخْلَةِ عَلَى أَهْلِهَا» {وَإِنَّ الدار الاخرة لَهِىَ الحيوان} يعني: هي دار الحياة لا موت فيها {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} يعني: لو كانوا يصدقون بثواب الله عز وجل. {فَإِذَا رَكِبُواْ فِى الفلك} يعني: في السفن {دَعَوُاْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} يعني: مجدين وتركوا دعاء أصنامهم، ويعلمون أنه لا يجيبهم أحد إلا الله تعالى. {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البر} يعني: إلى القرار {إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} به.

قوله عز وجل: {لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءاتيناهم} يعني: ما أعطيناهم من النعمة {وَلِيَتَمَتَّعُواْ} قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر ونافع في رواية ورش: {وَلِيَتَمَتَّعُواْ} بكسر اللام، وقرأ الباقون بالجزم. فمن قرأ بالكسر، فمعناه: لكي يتمتعوا، لأن الكلام عطف على ما قبله يعني: يشركون لكي يكفروا، ولكي يتمتعوا في الدنيا. ومن قرأ بالجزم فهو على معنى التهديد والتوبيخ بلفظ الأمر، وتشهد له قراءة أبيِّ كان يقرأ تمتعوا. {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} ومعناه وليتمتعوا، يعني: وليعيشوا فسوف يعلمون إذا نزل بهم العذاب {أَوَ لَمْ *** يَرَوْاْ} يعني: أو لم يعلموا ويعتبروا {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً وَيُتَخَطَّفُ الناس} يعني: يختلس الناس فيقتلون ويسبون وهم آمنون يأكلون رزقي ويعبدون غيري، فكيف أسلط عليهم إذا أسلموا. {أفبالباطل يُؤْمِنُونَ} يعني: أفبالشيطان يصدقون أن لي شريكاً. ويقال: أفبالأصنام يؤمنون {وَبِنِعْمَةِ الله يَكْفُرُونَ} يعني: وبخالق هذه النعمة ورسوله يجحدون.

ثم قال عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِباً} بأن معه شريكاً {أَوْ كَذَّبَ بالحق} يعني: بالقرآن {لَمَّا جَاءهُ} أي حين جاءه {أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى للكافرين} مثوى، أي مقاماً للكافرين بالتوحيد كما قال {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ القرى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الجمع لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى الجنة وَفَرِيقٌ فِى السعير} [الشورى: 7] ثم قال عز وجل: {والذين جاهدوا فِينَا} يعني: رغبوا في طاعتنا {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} يعني: لنعرفنهم طريقنا، ويقال: معناه لنرشدنهم طريق الجنة {وَإِنَّ الله لَمَعَ المحسنين} يعني:

في العون لهم ويقال: والذين عملوا بما علموا لنوفقنهم لما لم يعلموا، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/i367&n43&p1

This page was prepared by Muhammad Umar Chand for the benefit of students, research scholars and community readers on 22 July 2021